

مِنهاجُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

في نقضِ كلامِ الشيعةِ الفدريةِ

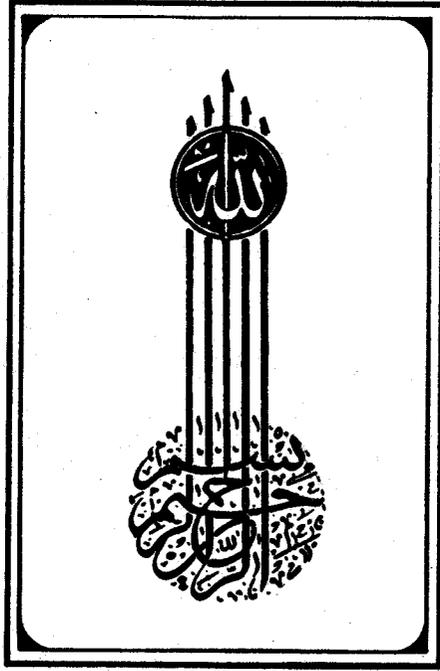
لِابْنِ تَيْمِيَّةَ

أبي العباسِ تيميِّ الدينِ أحمدَ بنِ عبدِ الحَكِيمِ

تحقيق

الدكتور محمد رشاد سالم

الجزء الخامس



الطبعة الأولى

١٤٠٦ - ١٩٨٦

رموز الكتاب

- ١ - ن = نسخة نور عثمانية باستانبول .
٢ - م = نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .
٣ - ب = النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق .
٤ - ع = نسخة عاشر أفندي باستانبول .
٥ - ا = نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد .
٦ - ق = نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد .
٧ - و = نسخة الولايات المتحدة الأمريكية .
٨ - ل = مخطوطة جامعة الإمام الأولى .
٩ - ص = مخطوطة جامعة الإمام الثانية .
١٠ - هـ = مخطوطة جامعة الإمام الثالثة .
١١ - ح = مخطوطة جامعة الإمام الرابعة .
١٢ - س = مخطوطة جامعة الإمام الخامسة .
١٣ - ر = مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى .
١٤ - ي = مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية .
١٥ - ك = كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلي .

/ الفصل [الثانى] (١)

٢/٣

ص ١٧٨

كلام الرافضى
على فضائل على
رضى الله عنه

قال الرافضى (١) : «السادس (٢) / إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين وكمالاته لا تحصى (٤) قد رواها المخالف والموافق (٥) ، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ، ولم ينقلوا في على طعنا ألبتة ، أتبعوا (٦) قوله وجعلوه إماماً لهم حيث نزهه المخالف والموافق (٧) ، وتركوا غيره ، حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته . ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من قولهم وكتبهم (٨) ، ليكون حجة عليهم يوم القيامة .

فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الأندلسى في «الجمع بين الصحاح الستة» موطأ (٩) مالك وصحيح البخارى ومسلم (١٠)

- (١) ن ، م ، و : فصل . وهنا تبدأ نسخة (ق) المختصرة .
- (٢) و : قال الإمامى . والكلام التالى فى (ك) ١١٩ (م) - ١٢٠ (م) .
- (٣) السادس : ساقطة من (ب) . وفى (ك) : الوجه السادس .
- (٤) ك : أمير المؤمنين عليه السلام وكمالاته التى لا تحصى . . .
- (٥) و : الموافق والمخالف ؛ ك : المخالف والمؤلف .
- (٦) ك : ابتغوا .
- (٧) ك : والمؤلف .
- (٨) ك : فى المعتمد من كتبهم ؛ م : فى المعتمد من قولهم .
- (٩) ك : الستة من موطأ . .
- (١٠) ر ، ح ، ي : صحيح البخارى ومسلم ؛ ك : صحيح مسلم والبخارى .

وسنن أبي داود وصحيح الترمذي وصحيح النسائي^(١) عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الاحزاب: ٣٣]. أنزلت^(٢) في بيتها وأنا جالسة عند الباب، فقلت: يا رسول الله ألسنت من أهل البيت؟ فقال: إنك على خير، إنك من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم^(٣). قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) وعليّ وفاطمة والحسن والحسين^(٥) فجللهم بكساء، وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

الرد عليه

والجواب أن يقال: إن الفضائل الثابتة في الأحاديث الصحيحة لأبي بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلّي، والأحاديث التي ذكرها هذا وذكر أنها في الصحيح عند الجمهور، وأنهم نقلوها في المعتمد من قولهم وكتبهم، هو من آيين الكذب على علماء الجمهور؛ فإن هذه الأحاديث التي ذكرها أكثرها كذب أو ضعيف باتفاق أهل المعرفة بالحديث، والصحيح الذي فيها ليس فيه ما يدل على إمامة عليّ ولا على فضيلته عليّ أبي بكر

(١) فوق كلمة النسائي في (ك) بين السطرين كتب ما يلي: «كأنه من بقعة النساء نسبتة إلى بلد النساء. وفي وفيات الأعيان ٦٠/١ يقول ابن خلكان عن النسائي: «ونسبته إلى نساء بفتح النون وفتح السين المهملة وبعدها همزة - وهي مدينة بخراسان».

(٢) ن، م، أ، و: نزلت.

(٣) ك: النبي رسول الله.

(٤) ن، م: النبي صلى الله عليه وسلم؛ ك: رسول الله.

(٥) ك: والحسين عليهم السلام.

وعمر، *بل^(١) وليست من خصائصه، بل هي فضائل / شاركة فيها غيره، بخلاف ما ثبت من فضائل أبي بكر وعمر*؛ فإن كثيرا منها خصائص لهما، لا سيما فضائل أبي بكر، فإن عامتها خصائص لم يشركه فيها غيره. وأما ما ذكره من المطاعن، فلا يمكن أن يوجه على الخلفاء الثلاثة [من]^(٢) مطعن إلا وجه على علي ما هو مثله أو أعظم منه. فتبين أن ما ذكره في هذا الوجه من أعظم الباطل، ونحن نبين ذلك تفصيلا.

وأما قوله: «إنهم جعلوه إماما لهم حيث نزهه المخالف والموافق^(٣)، وتركوا غيره حيث روى فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن في إمامته».

فيقال: هذا كذب بين؛ فإن علياً رضى الله عنه لم ينزهه المخالفون، بل القادحون في علي طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين في أبي بكر وعمر وعثمان، والقادحون فيه أفضل من الغلاة فيه، فإن الخوارج متفقون على كفره، وهم عند المسلمين [كلهم]^(٤) خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم - والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين - خير عند جماهير المسلمين من الرافضة الاثنى عشرية، الذين اعتقدوه إماما معصوما.

(١) بل: زيادة في (ن)، (م)، (و)، (ي).

(٢) من: زيادة في (أ)، (ب).

(٣) ن: الموافق والمخالف.

(٤) كلهم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

[بالله ورسوله]^(١) ظاهر لا يخفى على عالم بدين الإسلام ، فمن اعتقد في بشر الإلهية ، أو اعتقد بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ، أو أنه لم يكن نبيا بل كان على هو النبي دونه وإنما غلط جبريل ؛ فهذه المقالات ونحوها مما يظهر كفر أهلها لمن يعرف الإسلام أدنى معرفة .

بخلاف من يكفر علماً ويلعنه من الخوارج ، ومن^(٢) قاتله ولعنه من أصحاب معاوية وبنى مروان وغيرهم ؛ فإن هؤلاء كانوا مقرين بالإسلام وشرائعه : يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت العتيق ، ويحرمون ما حرم الله ورسوله ، وليس فيهم كفر ظاهر ، بل شعائر الإسلام وشرائعه ظاهرة فيهم معظمة عندهم ، وهذا أمر يعرفه كل من عرف أحوال الإسلام ، فكيف يُدعى مع هذا أن جميع المخالفين نزهوه / دون الثلاثة؟

ظ ١٧٨

بل إذا اعتبر الذين كانوا يبغضونه ويوالون عثمان ، والذين كانوا يبغضون عثمان ويحبون علماً ، ووجد هؤلاء خيراً^(٣) من أولئك من وجوه متعددة ، فالمنزهون لعثمان القادحون في على أعظم وأدين

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) ، (م) .

(٢) ن ، م : من الخوارج ممن ، وهو خطأ .

(٣) خيراً : كذا في (و) ، (ب) . وفي سائر النسخ : خير .

وأفضل من المنزهين لعلّى القادحين في عثمان ، [كالزيدية
مثلا]^(١).

فمعلوم أن الذين قاتلوه ولعنوه وذمّوه من الصحابة والتابعين
وغيرهم هم أعلم وأدّين من الذين يتولونه ويلعنون عثمان ، ولو
تخلّى أهل السنة عن موالاته على رضى الله عنه وتحقيق إيمانه
ووجوب موالاته ، لم يكن في المتولّين له من يقدر أن يقاوم
المبغضين له من الخوارج والأموية والمروانية ؛ فإن هؤلاء طوائف
كثيرة .

ومعلوم أن شر الذين يبغضونه هم الخوارج الذين كفّروه ، واعتقدوا أنه
مرتد عن الإسلام^(٢) واستحلّوا قتله تقربا إلى الله تعالى ، حتى قال شاعرهم
عمران بن حطان :

ياضربة من تقى ما أراد بها / إنى لأذكره حيناً^(٣) فأحسبه
إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا / أوفى البرية عند الله ميزانا

فعارضه شاعر أهل السنة فقال :-

ياضربة من شقى ما أراد بها / إنى لأذكره حيناً^(٣) فألعنه
لعنا وألعن عمران^(٤) بن حطانا

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٢) ر: عن دين الإسلام .

(٣) ح ، ب : يوما .

(٤) ح : وألعن أيضا عمران . . .

وهؤلاء الخوارج كانوا ثمان عشرة^(١) فرقة، كالأزارقة أتباع نافع بن الأزرق^(٢)، والنجدات^(٣) أتباع نجدة الحروري^(٤)، والإباضية أتباع عبد الله

- (١) ثمان عشرة: كذا في (ب) فقط، وهو الصواب. وفي سائر النسخ: ثمانية عشر.
- (٢) الأزارقة أتباع أبي راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي، من أهل البصرة، صحب في أول أمره عبد الله بن عباس رضى الله عنهما، ثم كان من أنصار الثورة على عثمان وممن والى علياً إلى أن خرج عليه في حروراء، وكان جباراً فتاكاً، ومن أشد الخوارج تطرفاً، قتل سنة ٦٥. والأزارقة يكفرون عثمان وعلياً والزبير وطلحة، كما يكفرون القعدة عن القتال معهم، وقالوا بكفر أصحاب الكباثر وخلودهم في النار، وأن دار مخالفيهم دار كفر. انظر عن نافع بن الأزرق والأزارقة: لسان الميزان ١٤٤/٦ - ١٤٥؛ تاريخ الطبرى ٥٢٨/٥، ٥٦٥، ٥٦٦ - ٥٦٨، ٦١٣، ٦١٤؛ الأعلام ٣١٥/٨ - ٣١٦؛ مقالات الإسلاميين ١٥٧/١ - ١٦٢؛ الملل والنحل ١٠٩/١ - ١١٠؛ الفرق بين الفرق، ص ٥٠ - ٥٢؛ التبصير في الدين، ص ٢٩ - ٣٠؛ الفصل فى الملل والنحل ٥٢/٥ - ٥٣؛ الخطط للمقرئى ٣٥٤/٢.

(٣) ب (فقط): والنجدية.

- (٤) النجدات أو النجدية أتباع نجدة بن عامر الحنفي، ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٩ وكان فى بادىء أمره من أتباع نافع بن الأزرق ثم خالفه واستقل بمذهبه، استقر أيام عبد الله بن الزبير بالبحرين وتسمى أمير المؤمنين وأقام بها خمس سنين إلى أن قتل. والنجدات - كما يقول الأشعري - لا يقولون مثل سائر الخوارج إن كل كبيرة كفر، ولا يقولون إن الله يعذب أصحاب الكباثر عذاباً دائماً، وزعموا أن من فعل صغيرة وأصر عليها فهو مشرك، ومن فعل كبيرة ولم يصّر عليها فهو مسلم، وقال النجدات: ليس على الناس أن يتخذوا إماماً، إنما عليهم أن يتعاطوا الحق بينهم. انظر عن نجدة والنجدات: لسان الميزان ١٤٨/٦؛ شذرات الذهب ٧٦/١؛ الكامل لابن الاثير ٧٨/٤ - ٨٠؛ الأعلام ٣٢٤/٨ - ٣٢٥؛ مقالات الإسلاميين ١٥٦/١، ٢٦٢ - ٢٦٤؛ الفرق بين الفرق، ص ٥٢ - ٥٤؛ الملل والنحل ١١٠/١ - ١١٢؛ التبصير فى الدين، ص ٣٠ - ٣١؛ الفصل فى الملل والنحل، ٥٣/٥؛ الخطط للمقرئى ٣٥٤/٢.

بن إياض^(١)، ومقالاتهم وسيرهم مشهورة في كتب المقالات والحديث والسير، وكانوا موجودين في زمن الصحابة والتابعين يناظرونهم ويقاتلونهم، والصحابة اتفقوا على وجوب قتالهم، ومع هذا فلم يكفروهم ولا كفروهم على بن أبي طالب رضى الله عنه.

وأما الغالية في على رضى الله عنه فقد اتفق الصحابة وسائر المسلمين على كفرهم، وكفروهم على بن أبي طالب نفسه، وحرقتهم بالنار. وهؤلاء الغالية يقتل الواحد منهم المقدور عليه، وأما الخوارج فلم يقاتلهم^(٢) على حتى قتلوا واحدا من المسلمين، وأغاروا على أموال الناس فأخذوها، فأولئك حكم فيهم على وسائر الصحابة بحكم المرتدين، وهؤلاء لم يحكموا^(٣) فيهم بحكم المرتدين.

(١) الإباضية أتباع عبدالله بن إياض المقاعسي المرى التميمي من بنى مرة بن عبيد بن مقاعس، اختلف المؤرخون في سيرته وتاريخ وفاته، كان معاصراً لمعاوية وعاش إلى أواخر عصر عبدالملك بن مروان وتوفي على الأرجح سنة ٨٦هـ. قال الإباضية إن مخالفهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، ودار مخالفهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي، وأجمعوا على أن من ارتكب كبيرة من الكبائر كفر كفر النعمة لا كفر الملة، وانقسموا إلى حفصية وحارثية وزيدية. انظر عن عبدالله بن إياض والإباضية: لسان الميزان ٣/٢٤٨؛ الأعلام ٤/١٨٤ - ١٨٦؛ مقالات الإسلاميين ١/١٧٠ - ١٧٦؛ الملل والنحل ١/١٢١ - ١٢٢؛ الفرق بين الفرق، ص ٦١ - ٦٥؛ التبصير في الدين، ص ٣٤ - ٣٥؛ الفصل في الملل والنحل ٥/٥١؛ الخطط للمقرئى ٢/٣٥٥؛ الإباضية في موكب التاريخ لعلى يحيى معمر ط. مكتبة وهبة، ١٣٨٤/١٩٦٤؛ الإباضية في دائرة المعارف الإسلامية لموتيلنسكى.

(٢) ن، م: يقتلهم.

(٣) ح، ي، ر: لم يحكم.

وهذا مما يبين أن الذين زعموا أنهم والوه دون أبي بكر وعمر وعثمان يوجد فيهم من الشر والكفر باتفاق علىّ وجميع الصحابة ما لا يوجد في الذين عادوه وكفّروه، ويبين أن جنس المبغضين^(١) لأبي بكر وعمر شر عند علىّ وجميع الصحابة من جنس المبغضين^(١) لعليّ.

فصل

الكلام على
حديث الكساء

وأما حديث الكساء فهو صحيح رواه أحمد والترمذى من حديث أم سلمة^(٢)، ورواه مسلم في صحيحه^(٣) من حديث عائشة. قالت: خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرطٌ مرَّحَلٌ^(٤) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله^(٥)، ثم جاء الحسين فأدخله معه^(٦)، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليّ فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣]. وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضى الله عنهم،

(١) ن، م، و: المتعصين.

(٢) سبق الحديث ٢٢/٤.

(٣) ١٨٨٣/٤ (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم).

(٤) و، ر، ي: مرجل. وقال شارح صحيح مسلم: (مرط مرَّحَلٌ): المرط كساء، جمعه مروط.

المرَّحَل هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل.

(٥) ب (فقط): فأدخله معه في المرط، وليست في «مسلم».

(٦) فأدخله معه: كذا في (و)، (ب). وفي سائر النسخ: فأدخل معهم. وفي «مسلم»: فدخل

معه.

فليس هو من خصائصه . ومعلوم أن المرأة لا تصلح للإمامة ، فعلم أن هذه الفضيلة لا تختص بالأئمة ، بل يشركهم فيها غيرهم . ثم إن مضمون هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهم بأن يذهب عنهم^(١) الرجس ويطهرهم تطهيرا . وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم ، واجتناب الرجس واجب على المؤمنين ، والطهارة مأمور بها كل مؤمن .

قال الله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [سورة المائدة : ٦] . وقال : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [سورة التوبة : ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [سورة البقرة :

. [٢٢٢]

فغاية هذا أن يكون هذا دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحذور .

والصديق رضى الله عنه قد أخبر الله عنه بأنه : ﴿ الْأَتَقَى * الَّذِي يُوْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴾ [سورة الليل : ١٧ - ٢١] .

وأیضا فإن السابقين^(٢) الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [سورة التوبة : ١٠٠] لا بد أن يكونوا قد فعلوا المأمور وتركوا المحذور ، فإن هذا الرضوان وهذا

(١) و ، ر ، ح ، ی . بأن يذهب الله عنهم .

(٢) ر ، ن ، م ، و ، ق . وأيضا فالسابقون .

الجزاء إنما يُنال بذلك . وحينئذ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم . فما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأولين . والنبي صلى الله عليه وسلم دعا لغير أهل الكساء بأن يصلى الله عليهم ، ودعا لأقوام كثيرين^(١) / بالجنة والمغفرة وغير ذلك ، مما هو أعظم من الدعاء بذلك ، ولم ينزم أن يكون من دعا له / بذلك أفضل من السابقين الأولين .

ولكن أهل الكساء لما كان قد أوجب عليهم اجتناب الرجس وفعل التطهير، دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به ، لئلا يكونوا مستحقين للذم والعقاب ، ولينالوا المدح والثواب .

الفصل [الثالث] ^(٢)

قال الرافض ^(٣): « في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ﴾ [سورة المجادلة: ١٢] . قال أمير المؤمنين عليّ [بن أبي طالب رضی الله عنه]: لم يعمل^(٤) بهذه الآية غيري ، وبى خفف الله عن هذه الأمة أمر هذه الآية .»

(١) ب ، ق : كثيرة ؛ ح : كثير .

(٢) ن ، م ، و : فصل .

(٣) في (ك) ١٢٠م . ونص (ك) : « ونحوه ما رواه أحمد بن حنبل وقال ... الخ .

(٤) ن ، م : على لم يعمل ؛ و : على عليه السلام لم يعمل ؛ ك : على عليه الصلاة والسلام :

ما عمل ..

كلام السرافض
عن قوله تعالى
فقدموا بين يدي
نجواكم صدقة

والجواب أن يقال: الأمر بالصدقة لم يكن واجبا على المسلمين حتى يكونوا عصاة بتركه، وإنما أمر به من أراد النجوى، واتفق أنه لم يُرد النجوى إذ ذاك إلا على رضى الله عنه، فتصدق لأجل المناجاة^(١).

وهذا كأمره بالهدى لمن تمتع بالعمرة إلى الحج، وأمره بالهدى لمن أحصر، وأمره لمن به أذى من رأسه بفدية من صيام أو صدقة أو نسك. وهذه الآية نزلت في كعب بن عجرة لما مرَّ به النبي صلى الله عليه وسلم وهو ينفخ تحت قدر وهوأم رأسه تؤذيه^(٢). وكأمره لمن كان مريضا أو على سفر بعدة من أيام آخر، وكأمره لمن حنث في يمينه بإطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة، وكأمره إذا قاموا إلى الصلاة أن يغسلوا وجوههم وأيديهم إلى المرافق، وكأمره إذا قرأوا القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، ونظائر هذا متعددة.

فالأمر المعلق بشرط إذا لم يوجد ذلك الشرط إلا في حق واحد لم يؤمر

(١) انظر تأويل هذه الآية في تفسير ابن كثير وفيه: «قال ابن أبي نجيج عن مجاهد قال: نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا، فلم ينجاه إلا على بن أبي طالب، فقم ديناراً صدقة تصلّق بها، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله عن عشر خصال، ثم أنزلت الرخصة... وقال معمر عن قتادة: (إذا ناجيت الرسول فقلّموا بين يديّ نجواكم صدقة): إنها منسوخة، ما كانت إلا ساعة من نهار. هكذا روى عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن مجاهد، قال على: ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وأحسبه قال: وما كانت إلا ساعة».

(٢) وهذا كله في آية ١٩٦ من سورة البقرة: (وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك... الآية. وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير وغيره، وانظر ما رواه ابن كثير عن البخارى وأحمد في شأن كعب بن عجرة رضى الله عنه.

به غيره . وهكذا آية النجوى ؛ فإنه لم ينج الرسول قبل نسخها إلا على ، ولم يكن على من ترك النجوى حرج . فمثل هذا العمل ليس من خصائص الأئمة ، ولا من خصائص على رضي الله عنه ، ولا يُقال : إن غير على ترك النجوى بخلا بالصدقة ، لأن هذا غير معلوم ، فإن المدة لم تطل ، وفي تلك المدة القصيرة قد لا يحتاج^(١) الواحد إلى النجوى ، وإن قُدِّر أن هذا كان يخص بعض الناس لم يلزم أن يكون أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من هؤلاء . كيف^(٢) وأبو بكر رضي الله عنه قد^(٣) أنفق ماله كله يوم رغب النبي صلى الله عليه وسلم في الصدقة ، وعمر [رضي الله عنه] جاء^(٤) بنصف ماله بلا حاجة إلى النجوى . فكيف يبخل أحدهما^(٥) بدرهمين أو ثلاثة يقدمها بين يدي نجواه ؟

وقد روى زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر يقول : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندي ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما ، فجئت بنصف مالي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك يا عمر؟ » فقلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر بكل مال عنده . فقال : « يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ » فقال : أبقيت لهم الله ورسوله . فقلت : لا أسابقك إلى شيء أبدا^(٦) .

(١) قد لا يحتاج : كذا في (و) . وفي (ب) : لا يحتاج . وفي سائر النسخ : فلا يحتاج .

(٢) ح ، ب : وكيف .

(٣) قد : ساقطة من (ح) ، (ب) .

(٤) ن ، م : وعمر قد جاء .

(٥) أحدهما : كذا في (ب) فقط . وفي سائر النسخ : أحدهم .

(٦) سبق الحديث فيما مضى ٥٢/٢ .

الفصل [الرابع] ^(١)

تابع كلام
الرافضي عن
فضائل علي
رضي الله عنه

قال الرافضي ^(٢): «وعن محمد بن كعب القرظي قال: افتخر طلحة بن شيبه من بني عبدالدار وعباس بن عبدالمطلب [وعلي بن ابي طالب] ^(٣). فقال طلحة بن شيبه: معي مفاتيح البيت، ولو أشاء بت فيه. وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بت في المسجد. وقال علي ^(٤): ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٩]».

والجواب أن يقال: هذا اللفظ لا يعرف في [شيء من] ^(٥) كتب الحديث المعتمدة، ^(٦) بل دلالات ^(٧) الكذب عليه ظاهرة. منها: أن طلحة بن شيبه لا وجود له، وإنما خادم الكعبة هو شيبه بن عثمان بن [أبي]

الرد عليه

(١) ن، م، و: فصل.

(٢) في (ك) ١٢٠ (م).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م). وفي (ك): وعلي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) و: علي عليه السلام؛ ك: علي عليه الصلاة والسلام.

(٥) شيء من: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٦) ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٧) ح: دلالة.

طلحة^(١). وهذا مما يبين لك أن الحديث لم يضح. ثم فيه قول العباس:
«لو أشاءت^(٢) في المسجد» فأى كبير / أمر في ميته في المسجد حتى
يتبجح به؟

ثم فيه قول عليّ: «صليت ستة أشهر قبل الناس» فهذا مما يُعلم
بطلانه بالضرورة، فإن بين إسلامه وإسلام^(٣) زيد وأبي بكر وخديجة يوماً
أو نحوه، فكيف يصلى قبل الناس بستة أشهر!؟

وأيضاً فلا يقول: أنا صاحب الجهاد، وقد شاركه فيه عدد كثير جداً^(٤).
وأما الحديث فيقال: الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه^(٥)،
ولفظه عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقى
الحاج. وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام^(٦) إلا أن أعمر

(١) في جميع النسخ، شيبة بن عثمان بن طلحة. والتصويب من «الإصابة» و«الاستيعاب». في
«الإصابة» لابن حجر ١٥٧/٢: «روى ابن سعد عن هوزة عن عوف عن رجل من أهل
المدينة قال: دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيبة بن عثمان فأعطاه مفتاح الكعبة
فقال: «دونك هذا فأنت أمين الله على بيته». وقال مصعب الزبيري: دفع إليه وإلى عثمان
ابن [أبي] طلحة وقال: «خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها منكم إلا ظالم». و
ذكر الواقدي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاهما يوم الفتح لعثمان، وأن عثمان ولى
الحجاجة إلى أن مات، فوليها شيبة، فاستمرت في ولده. وانظر «الاستيعاب» بهامش
«الإصابة» ١٥٥/٢ - ١٥٧.

(٢) ن، م، ر، ي: لبث.

(٣) ر، ح، ي: وبين إسلام.

(٤) ١٤٩٩/٣ (كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى).

(٥) أعمل عملاً بعد الإسلام: كذا في مسلم. وفي (ب): أعمل عملاً في الإسلام. وفي سائر
النسخ: أعمل في الإسلام.

المسجد الحرام . وقال آخر: الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم . فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يوم الجمعة . ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ١٩] الآية إلى آخرها .

وهذا الحديث ليس^(١) من خصائص الأئمة ، ولا من خصائص على ، فإن الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وجاهدوا فى سبيل الله / كثيرون ، والمهاجرون والأنصار يشتركون فى هذا الوصف . وأبو بكر وعمر أعظمهم^(٢) إيماناً وجاهداً ، لا سيما وقد قال : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] . ولا ريب أن جهاد أبى بكر بماله ونفسه أعظم من جهاد على وغيره .

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح : «إن آمن^(٣) الناس علينا فى صحبتته وذات يده أبو بكر»^(٤) .

(١) و: فهزهم .

(٢) أ ، ب : وهذه الآية ليست ...

(٣) ح ، ر ، ب : أعظم .

(٤) ح : إن من آمن .

(٥) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وسبق فيما مضى ٥١٢/١-٥١٣ والحديث أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما فى المسند (ط . المعارف) ١٤٣/٤ ، (ط . الحلبي) ٤٧٧/٣ - ٤٧٨ ، ٢١١/٤ - ٢١٢ (عن أبى سعيد بن المعلّى رضى الله عنه) .

وقال: «ما نفعنى مال ما نفعنى مال أبى بكر»^(١). وأبو بكر كان مجاهداً بلسانه ويده، وهو أول من دعا إلى الله^(٢)، وأول من أودى في الله بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مشاركا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هجرته وجهاده حتى كان هو وحده معه في العريش يوم بدر، وحتى أن أبا سفيان يوم أحد لم يسأل إلا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر، لما قال: أفيكم محمد؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أفيكم ابن أبى قحافة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال أفيكم ابن الخطاب؟^(٣) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تجيبوه». فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم. فلم يملك عمر نفسه فقال: كذبت عدو الله^(٤)، إن الذين^(٥) عددت لأحياء^(٦)، وقد أبقي الله لك

(١) و: ما نفعنى مال كمال أبى بكر. والحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن ابن ماجه ٣٦/١ (المقدمة)، باب فى فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب فضل أبى بكر الصديق رضى الله عنه) ونصه: «ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر. قال: فبكى أبو بكر وقال: يارسول الله: هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله؟». والحديث فى: المسند (ط. المعارف) ١٨٣/١٣ وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الحديث وخالف تضعيف البوصيرى له فى زوائده، وصححه الألبانى أيضا فى «صحيح الجامع الصغير» ١٩٠/٥. والحديث أيضا فى المسند (ط. المعارف) ٣٢٠/١٦ - ٣٢١ مطولا.

(٢) ن (فقط): إلى الله ورسوله.

(٣) ن، م: وكان مشاركا له؛ و: وكان مشاركا للرسول؛ ق: وكان مشاركا لرسول الله.

(٤) و: أفى القوم ابن الخطاب؟.

(٥) أ، م: يا عدو الله.

(٦) ح، و، ب: الذى.

(٧) أ ب: أحياء.

ما يحزبك»^(١)، ذكره البخارى [وغيره]^(٢).

الفصل [الخامس]^(٣)

قال الرافضى^(٤): «ومنها ما رواه أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك، قال: قلنا لسلمان: سل^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم من وصيه، فقال [له]^(٦) سلمان: يا رسول الله من وصيك؟ فقال^(٧): يا سلمان من كان وصى موسى؟ فقال: يوشع بن نون. قال^(٨): فإن^(٩) وصى ووارثى يقضى^(١٠) دينى وينجز موعدى على بن أبى طالب^(١١)».

سب الرافضى
حديثنا موضوعا
إلى الامام أحمد
ابن حنبل أن
على هو الوصى

(١) ق، ب: يحزتك.

(٢) عبارة «ذكره البخارى وغيره»: ساقطة من (و). وسقطت كلمة «وغيره»: من (ن)، (م).

وسبق الحديث فيما مضى ٥٢٣/١.

(٣) سقطت عبارة «الفصل الخامس» من (و). وفى (ن)، (م)، (أ): فصل.

(٤) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ١٢٠ (م) - ١٢١ (م).

(٥) ن، ح، ي، ر: أن سل.

(٦) له: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ب).

(٧) ك: فقال صلى الله عليه وآله..

(٨) ن، م، ح، ب: فقال؛ ك: قال قال..

(٩) ن، م: إن. وسقطت من (ك).

(١٠) ك: من يقضى.

(١١) ك: على بن أبى طالب عليه السلام.

«والجواب: أن هذا الحديث» كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث^(١)، ليس هو في مسند الإمام أحمد بن حنبل. وأحمد قد صنف كتابا في «فضائل الصحابة» ذكر فيه فضل أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وجماعة من الصحابة، وذكر فيه ما روى في ذلك من صحيح وضعيف للتعريف بذلك^(٢)، وليس كل ما رواه يكون صحيحا. ثم إن في هذا الكتاب زيادات من روايات^(٣) ابنه عبدالله، وزيادات من رواية القطيعي عن شيوخه. وهذه الزيادات التي زادها القطيعي غالبها كذب، كما سيأتي ذكر بعضها [إن شاء الله]^(٤)، وشيوخ القطيعي يروون عن من في طبقة أحمد. وهؤلاء الرافضة جهال إذا رأوا فيه حديثا ظنوا أن القائل لذلك أحمد بن حنبل، ويكون القائل لذلك هو القطيعي، وذاك الرجل من شيوخ القطيعي الذين يروون عن من في طبقة أحمد. وكذلك / في ^{٧/٣} المسند زيادات زادها ابنه عبدالله^(٥)، لا سيما في مسند علي بن أبي طالب [رضي الله عنه]^(٦)، فإنه زاد زيادات كثيرة.

(*) : بدلا من هذه العبارات في (و) : يقال : هذا الحديث .

(١) ذكر الحديث ابن الجوزي في «الموضوعات» ١/٣٧٤ - ٣٧٥ من أربعة طرق كلها غير

صحيحة أو موضوعة، وتابعة السيوطي في «اللائحة المصنوعة» ١/٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) وهو الكتاب الذي حققه الأستاذ وصي الله بن محمد عباس، وأصدرته جامعة أم القرى:

١٩٨٣/١٤٠٣ وسبق الرجوع إليه.

(٣) أ، ب: رواية.

(٤) إن شاء الله : زيادة في (أ)، (ب).

(٥) ح، ي، ر: ابنه عبدالله بن أحمد؛ و: عبدالله بن أحمد.

(٦) ن، م: في مناقب عليّ؛ و: في مناقب عليّ بن أبي طالب.

الفصل [السادس] (١)

قال الرافضى (١): «وعن يزيد بن أبى مریم (٢) عن علىّ رضی الله عنه (٣): قال: انطلقت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) حتى أتينا الكعبة، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجلس، فصعد على منكبى، فذهبت لأنھض به، فرأى منى ضعفا، فنزل وجلس لى نبى الله صلى الله عليه وسلم وقال: اصعد على منكبى، فصعدت على منكبہ (٥). قال: فنهض بى. قال: فإنه تخيل لى (٦) أنى لو شئت لنت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس (٧)، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقذف به، فقذفت به فتكسر كما تنكسر (٨) القوارير، ثم نزلت

تابع كلام
الرافضى عن
فضائل علىّ
رضى الله عنه

- (١) ن، م، أ: فصل. وسقطت «الفصل السادس» من (و).
- (٢) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ١٢١ (م).
- (٣) ن: زيد بن أبى مریم؛ ك: أبى مریم.
- (٤) ك، و: علىّ عليه السلام.
- (٥) ك: أنا والنبي صلى الله عليه وآله.
- (٦) ح، ر، ب: منكبى.
- (٧) أ، ب، ق، ى، و، ز: يخيل لى.
- (٨) ك: تمثال من صفر ونحاس.
- (٩) ن، ى، ر، ق، ب: تنكسر؛ و: ينكسر.

فانطلقت^(١) أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى
توارينا في البيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس» .

الرد عليه

والجواب^(٢): أن هذا الحديث إن صح فليس فيه شيء من خصائص
الأئمة ولا خصائص عليّ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي
وهو حامل أمامة بنت أبي العاص بن الربيع^(٣) على منكبه، إذا قام
حملها، وإذا سجد وضعها. وكان إذا سجد جاء الحسن فارتحله،
ويقول: «إن ابني ارتحلني»^(٤) وكان يقبل زبيبة الحسن^(٥). فإذا كان
يحمل الطفلة والطفل لم يكن في حمله لعلّي ما يوجب أن يكون ذلك
من خصائصه، [بل قد أشركه فيه غيره]^(٦)، وإنما حمله لعجز عليّ عن

(١) و: وانطلقت.

(٢) ح، ب: الجواب.

(٣) بن الربيع: زيادة في (ن)، (م).

(٤) الحديث عن عبدالله بن شداد عن أبيه شداد بن الهاد رضى الله عنه في: سنن النسائي
١٨٢/٢ (كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة) ونصه فيه:
خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسنا أو
حسينا، فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلّى، فسجد بين
ظهراني صلاته سجدة أطلها. قال أبى: فرفعت رأسي، وإذا الصبي على ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة
أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك. قال: «كل ذلك لم يكن، ولكن
ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته». والحديث في المسند (ط.
الحلي) ٤٩٣/٣ - ٤٩٤.

(٥) أ: رأس الحسن. ولم أجد هذا الحديث.

(٦) ما بين المعقوفين في (أ) فقط.

حملة، فهذا يدخل في مناقب رسول الله صلى الله عليه وسلم،^(*) وفضيلة من يحمل النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من فضيلة من يحمله النبي صلى الله عليه وسلم،^(*) كما حملة يوم أحد من حملة من الصحابة، مثل طلحة بن عبيد الله^(١)، فإن هذا نفع النبي^(٢) صلى الله عليه وسلم، وذلك نفعه النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن نفعه بالنفس والمال أعظم من انتفاع الإنسان بنفس النبي صلى الله عليه وسلم وماله.

الفصل [السابع]^(٣)

قال الرافضي^(٤): «وعن ابن أبي ليلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل

حديث موضوع
غير يذكره
الرافضي في
فضائل علي
رضي الله عنه

(*) ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(١) عن الزبير بن العوام رضي الله عنه في: سنن الترمذي ٣٠٧/٥ (كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه) قال: كان علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة، فلم يستطع، فأقعد تحته طلحة، فصعد النبي صلى الله عليه وسلم حتى استوى على الصخرة. قال: فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أوجب طلحة» قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». والمحدث في: المسند (ط. المعارف) ١٢/٣ (وصححه أحمد شاکر رحمه الله)؛ سيرة ابن هشام ٩١/٣ - ٩٢.

(٢) ن، م، ح: أنفع للنبي...؛ و، ز: نفع للنبي.

(٣) ن، م، و: فصل.

(٤) الرافضي: ساقطة من (و). والكلام التالي في (ك) ص ١٢١ (م). ويوجد قبل هذا الكلام سطران في (ك) لم يردا في جميع النسخ وهما: «وعن معقل بن يسار أن النبي صلى الله عليه وسلم وآله قال لفاطمة عليها السلام: ألا ترضين أن زوجك أقدم أمتي إسلاماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حملاً؟».

ياسين^(١)، وحزقيل مؤمن آل فرعون^(٢)، وعلى بن أبي طالب وهو أفضلهم».

والجواب: أن هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه قد ثبت عنه في الصحيح أنه وصف أبا بكر رضي الله عنه بأنه صدِّيق^(٣). وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقاً. وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور^(٤) يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً^(٥)». فهذا يبيِّن أن الصدِّيقين كثيرون. وأيضا فقد قال تعالى عن مريم ابنة^(٦) عمران إنها صدِّيقة، وهي امرأة.

(١) مؤمن آل ياسين: كذا في (و)، (ك). وفي سائر النسخ: من آل ياسين. وزادت (ك): الذي قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين) [سورة يس: ٢٠].

(٢) زادت (ك): الذي قال: (أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) [سورة غافر: ٢٨].

(٣) ذكرت في ت ٢ ص ٥٠١ من الجزء الثالث الحديث الذي رواه سعيد بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «اثبت حراء، إنه ليس عليك إلا نبي أو صدِّيق أو شهيد» وبينت مواضع وروده في: سنن أبي داود والترمذي وابن ماجه والمسند. وقد سَمَى الصحابة والتابعون أبا بكر الصدِّيق. انظر: سنن أبي داود ٩٤/٣ (كتاب الجهاد، باب في السلب يعطى القاتل) والحديث فيه عن أبي قتادة رضي الله عنه. وانظر أيضاً: المسند (ط. الحلبي) ٤/٤ والأثر عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه.

(٤) ب (فقط): والفجور.

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٢٦٦/٤.

(٦) أ، ب، ح: بنت.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع»^(١). فالصديقون من الرجال كثيرون.

الفصل [الثامن]^(٢)

قال الرافضي^(٣): «وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ: «أنت مني وأنا منك».

حديث آخر
صحيح يذكره
لرافضي قال
عليّ: أنت مني
وأنا منك

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١٨/٩ «وبقية الأحاديث التي فيها: «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربعة» في مواضعها مفرقة في فضل آدم وفاطمة وخديجة». ولم أجد الحديث في هذه المواضع ولكن وجدت في باب فضل خديجة حديثا مقاربا ٢٢٣/٩ هو «وعن ابن عباس قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط فقال: أتدرون ما هذا؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد وفاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم، ومريم ابنة عمران، وآسية ابنة مزاحم امرأة فرعون». قال الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجال الصريح». علي أنه يوجد حديث صحيح ألفاظه مقاربة لهذا الحديث رواه البخاري في صحيحه ١٥٨/٤ (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون...) عن أبي موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كامل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وهذا الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - في: البخاري ١٦٤/٤ (كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: إذ قالت الملائكة يا مريم، ٢٩/٥ (كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة)، ٧٥/٧ (كتاب الأطعمة، باب فضل الثريد)، مسلم ١٨٨٦/٤ - ١٨٨٧ (كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين)؛ سنن الترمذي ١٧٩/٣ - ١٨٠ (كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل الثريد)؛ سنن ابن ماجه ١٠٩١/٢ (كتاب الأطعمة، باب فضل الثريد على الطعام المسند (ط. الحلبي) ٣٩٤/٤، ٤٠٩.

(٢) ن، م، و: فصل.

(٣) الرافضي: ساقطة من (و). والكلام التالي في (ك) ص ١٢٢ (م).

والجواب: أن هذا حديث^(١) صحيح أخرجه في الصحيحين^(٢) من حديث البراء بن عازب، لمّا تنازع على [وجعفر]^(٣) وزيد في ابنة حمزة، ففضى بها لخالتها، وكانت تحت جعفر، وقال لعلّي: «أنت مني / وأنا منك». وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي». وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»^(٤).

لكن هذا اللفظ قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم لطائفة من أصحابه، كما في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو»^(٥) أو قلت نفقة عيالهم^(٦) في المدينة^(٧) جمعوا ما كان معهم في ثوب واحد، ثم قسموه بينهم بالسوية. هم مني وأنا منهم»^(٨).

وكذلك قال عن جلييب^(٩): «هو مني وأنا منه» فروى مسلم في صحيحه^(١٠) عن أبي برزة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مغزى^(١١) له. فأفاء الله عليه، فقال لأصحابه: «هل تفقدون من أحد؟»

(١) ب: الحديث.

(٢) وجعفر: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ن، م، و: إذا كانوا في الغزو.

(٤) ر، و: أو نقصت نفقة عيالناهم؛ أ: أو نقصت نفقتهم غنائهم (وهو تحريف)؛ ن، م: ونقصت نفقة عيالهم.

(٥) ن، م، و، ي: في السفر.

(٦) سبق الحديث ٤ / ٤ / ٣٥.

(٧) أ: حبيب، وهـ ط.

(٨) (١٠) ٤ / ١٩١٨ - ١٩١٩ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل جلييب رضى الله عنه).

(٩) ح، ب: غزوة.

قالوا: نعم، فلانا وفلانا^(١). ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نعم، فلانا وفلانا وفلانا. ثم قال: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا. قال: «لكني أفقد جُلَيْبِيًّا، فاطلبوه» فطلبوه^(٢) في القتلى، فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فوقف عليه فقال: «قتل سبعة ثم قتلوه. هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه» قال: فوضعه عليّ على ساعديه، ليس له إلا ساعدا النبي صلى الله عليه وسلم^(٣). قال: فحفر له فوضع^(٤) في قبره، ولم يذكر غسلًا^(٥).

فتبين أن قوله لعليّ: «أنت مني وأنا منك» ليس من خصائصه، بل قال ذلك للأشعرين، وقاله لجلييب. وإذا لم يكن من خصائصه، بل قد شاركه في ذلك غيره من^(٦) هو دون [الخلفاء]^(٧) الثلاثة في الفضيلة، لم يكن دالًّا على الأفضلية^(٨) ولا على الإمامة.

الفصل [التاسع]^(٩)

قال الرافضي^(١٠): «وعن عمرو بن ميمون قال: لعليّ [بن أبي

تسابع كلام
الرافضي من
فضائل عليّ
رضي الله عنه
قال عمرو بن
ميمون: لعليّ
عشر فضائل
ليست لغيره

(١) مسلم: فلانا وفلانا وفلانا. (٢) ن، م، و، ر، ح، ي، ب: وهل.

(٣) مسلم: فطلب.

(٤) ح، ب: ليس له سرير إلا ساعديه صلى الله عليه وسلم؛ ر، ي، أ: ليس له سرير إلا ساعدا النبي صلى الله عليه وسلم. (٥) و: فوضعه؛ مسلم: ووضعه.

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٥/٤. (٧) ي، ب: ممن.

(٨) الخلفاء: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٩) و: الأفضلية عليهم. (١٠) ن، م، و، أ: فصل.

(١١) الرافضي: ساقطة من (و). والكلام التالي في (ك) ص ١٢٢ (م) - ١٢٤ (م).

طالب^(١) عشر^(٢) فضائل ليست لغيره. قال [له]^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم: لأبعثن رجلا لا يخزيه الله أبدا، يحب الله ورسوله، [ويحبه الله ورسوله]^(٤)، فاستشرف إليها^(٥) من استشرف. قال^(٦): أين عليّ [بن أبي طالب]^(٧)؟ قالوا: هو أرمد^(٨) في الرحي يطحن. [قال:]^(٩) وما كان أحدهم يطحن.

قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر. قال: فنفت^(١٠) في عينيه ثم هز الراية ثلاثا وأعطاه إياه^(١١)، فجاء بصفية بنت حبيّ. قال: ثم بعث أبا بكر بسورة التوبة^(١٢)، فبعث عليّا خلفه^(١٣) فأخذها منه وقال: لا يذهب بها إلا رجل هو مني وأنا منه.

(١) بن أبي طالب: ساقطة من (ن)، (م). وفي (ك): لعلّى عليه السلام.

(٢) عشر: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) له: في (و)، (ك) فقط.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (ي)، (أ).

(٥) ك: لها.

(٦) ح، ب: فقال.

(٧) بن أبي طالب: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ي)، (أ). وفي (ك): عليّ عليه السلام.

(٨) أرمد: ليست في (ك).

(٩) قال: في (و)، (ك) فقط.

(١٠) ك: فتقل.

(١١) ن، م، و، ر، ق، ي، أ: وأعطاه إياها؛ ك: فأعطاه إياه.

(١٢) ح، ر، ي، ب، ق: براءة.

(١٣) و: فبعث عليّا عليه السلام خلفه؛ ك: فبعث عليه السلام خلفه.

وقال لبنى عمه^(١) : أيكم يواليني فى الدنيا والآخرة؟ قال :
وعلىّ معهم جالس^(٢) فأبوا، فقال عليّ^(٣) : أنا أواليك فى الدنيا
والآخرة. [قال]^(٤) : فتركه، ثم أقبل على رجلٍ رجلٍ منهم^(٥) ،
فقال : أيكم يواليني فى الدنيا والآخرة؟ فأبوا، فقال عليّ : أنا
أواليك فى الدنيا والآخرة، فقال : أنت وليى فى الدنيا والآخرة.
قال : وكان عليّ أول من أسلم من الناس بعد خديجة. قال :
وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٦) ثوبه فوضعه على عليّ
وفاطمة والحسن والحسين، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٣].
قال : وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم نام مكانه، وكان^(٧) المشركون يرمونه بالحجارة.
وخرج النبي صلى الله عليه وسلم^(٨) بالناس فى غزاة تبوك،
فقال له عليّ^(٩) : أخرج معك؟ قال^(١٠) : لا. فبكى عليّ، فقال له :

-
- (١) ك : وقال صلى الله عليه وآله لبنى عمه .
(٢) أ ، ب : وعليّ جالس معهم .
(٣) و ، ك : عليّ عليه السلام .
(٤) قال : ساقطة من (ن) ، (م) . (٥) ك : على رجل منهم .
(٦) ك (ص ١٢٣م) : أخذ النبي صلى الله عليه وآله . (٧) ك : فكان .
(٨) ح ، ي ، ر ، ق ، ب : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ك : قال : وخرج النبي صلى
الله عليه وآله .
(٩) و ، ك : عليّ عليه السلام . (١٠) و ، ر ، أ ، ب ، ح ، ي : فقال .

أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنك لست بنبي ، لا ^(١) ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي ^(٢) .

وقال ^(٣) له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت وليي في كل مؤمن بعدي .

قال : وسدّ ^(٤) أبواب المسجد إلا باب عليّ ^(٥) . قال : وكان يدخل المسجد ^(٦) جنباً ، وهو طريقه ليس له طريق غيره .

وقال له : من كنت مولاه فعليّ مولاه ^(٧) .

وعن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً أنه بعث أبا بكر في براءة إلى مكة ^(٨) ، فسار بها ^(٩) ثلاثاً ثم قال لعليّ : «الحقه فردّه وبلغها أنت ، [ففعل] ^(١٠) . فلما ^(١١) قدم أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم بكى وقال : يا رسول الله حدث ^(١٢) فيّ شيء ؟ قال : لا ، ولكن أمرت ^(١٣) أن لا يبلغها ^(١٤) إلا أنا أو رجل مني .»

-
- (١) ك : ولا .
(٢) ك : قال : وقال .
(٣) ك : غير باب عليّ عليه السلام .
(٤) ك : قال : وقال صلى الله عليه وآله : سندوا .
(٥) ك : فليدخل المسجد .
(٦) و : فإن مولاه عليّ ؛ ك : فهذا عليّ مولاه .
(٧) ك : بالبراءة إلى أهل مكة .
(٨) ك : ففعل : ساقطة من (ن) ، (م) .
(٩) ب (فقط) : لها .
(١٠) ك (ص ١٢٤م) : ولما .
(١١) ك : أحدث .
(١٢) ك : ألا يبلغه .
(١٣) أ ، ب : ولكنني أمرت ؛ ك : ولكن أمرني ربي .
(١٤) ك : ألا يبلغه .

والجواب: أن هذا^(١) ليس مسندا بل [هو]^(٢) مرسل لو ثبت عن عمرو بن / ميمون، وفيه ألفاظ هي كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله [: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ، غير أنك لست بنبي]^(٣) ، لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي . فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب غير مرة وخليفته على المدينة غير عليّ ، كما اعتمر عمرة الحديبية وعليّ / معه وخليفته غيره، وغزا بعد ذلك خبير ومعه عليّ وخليفته بالمدينة غيره، وغزا غزوة الفتح وعليّ معه وخليفته في المدينة^(٤) غيره، وغزا حُنَيْنًا والطائف وعليّ معه وخليفته بالمدينة غيره، [وحج حجة الوداع وعليّ معه وخليفته بالمدينة غيره]^(٥)، وغزا غزوة بدر ومعه عليّ وخليفته بالمدينة غيره .

وكل هذا معلوم بالأسانيد الصحيحة وبتفاق أهل العلم بالحديث، وكان عليّ معه في غالب الغزوات وإن لم يكن فيها قتال .

فإن قيل : استخلافه يدل على أنه لا يستخلف إلا الأفضل، لزم أن يكون عليّ مفضولا في عامة الغزوات، وفي عمرته وحجته، لا سيما وكل مرة كان يكون الاستخلاف على رجال مؤمنين، وعام تبوك ما كان الاستخلاف إلا على النساء والصبيان ومن عَدَرَ الله، وعليّ الثلاثة [الذين

(١) و: فيقال هذا . .

(٢) هو: ساقطة من (ن)، (م)، (و) .

(٣) ما بين المعقوفتين في (و) فقط .

(٤) ح، ب، ي، م، ر: بالمدينة .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م) .

خَلْفُوا^(١) أو مُتَمِّمٌ بالنفاق، وكانت المدينة آمنة لا يُخاف على أهلها، ولا يحتاج المستخلف إلى جهاد، كما يحتاج في أكثر الاستخلافات.

وكذلك قوله: «وسد الأبواب كلها إلا باب عليّ» فإن هذا مما وضعته الشيعة على طريق المقابلة^(٢)، فإن الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في مرضه الذي مات فيه «إن أمنّ الناس عليّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودّته، لا يبقين في المسجد خوّجه إلا سُدّت إلا خوّجه أبي بكر» ورواه ابن عباس أيضاً في الصحيحين^(٣). ومثل قوله: «أنت وليّ في كل مؤمن بعدي» فإن هذا

(١) عبارة «الذين خلفوا»: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) أورد ابن الجوزي هذا الجزء من حديث عمرو بن ميمون الموضوع في «الموضوعات» ٣٦٤/١ وحكم عليه بالوضع ٣٦٦/١ وذكر أن هذا الحديث من هذا الطريق وغيره حديث موضوع ثم قال: «فهذه الأحاديث كلها من وضع الرافضة قابلوا بها الحديث المتفق على صحته في: «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر».

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٥١٢/١. والحديث عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في: البخارى ٩٦/١-٩٧ (كتاب الصلاة، باب الخوذة والممر في المسجد)، ٤/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت متخذاً خليلاً). والحديث في مسلم عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم ١٨٥٥/٤ - ١٨٥٦ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر). ونص الشيخ أحمد شاکر على أن الحديث من رواية ابن عباس في مسلم وذلك عند ورود الحديث في المسند (ط. المعارف) ٢٠٢/٥ (حديث رقم ٣٥٨٠) كما جاء الحديث قبل ذلك عن ابن عباس في المسند (ط. المعارف) ١٤٣/٤ (حديث رقم ٢٤٣٢) وجاءت قطعة منه ٢٥٤/٥ (حديث رقم ٣٦٨٩).

موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث^(١)، والذي فيه من الصحيح^(٢) ليس هو من خصائص الأئمة، بل ولا من خصائص عليّ، بل قد شازكه فيه غيره، مثل كونه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، ومثل استخلافه وكونه منه بمنزلة هارون من موسى، ومثل كون عليّ مولى من النبي صلى الله عليه وسلم مولاه^(٣) فإن كل مؤمن موالٍ لله ورسوله، ومثل كون «براءة» لا يبلغها إلا رجلٌ من بني هاشم؛ فإن هذا يشترك فيه جميع الهاشميين، لما روى أن العادة كانت جارية بأن لا ينقض العهود [ويحلّها]^(٤) إلا رجل من قبيلة المطاع.

الفصل [العاشر]^(٥)

قال الرافضى^(٦): «ومنها ما رواه أخطب خوارزم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يا عليّ لو أن عبداً^(٧) عبد الله عز

تابع كلام
الرافضى عن
فضائل عليّ
رضى الله عنه:
كلام أخطب
خوارزم.

(١) جاء هذا الحديث فى كتاب «فضائل الصحابة» ٥٠٣/١ (رقم ٥٢١)، ٥٢٤/١ (رقم

٨٦٨) وقال المحقق ٥٠٣/١: «موضوع وفيه متروكان متهمان بالوضع: طلحة وعبيدة..»

وجاء الحديث فى حق عثمان بن عفان رضى الله عنه فى «الموضوعات» ٣٣٤/١، «البداية

والنهاية» ٢١٣/٧ وغيرها من المراجع، وذكر المحقق أن هذا الحديث أيضا موضوع.

(٢) ن، م: فى الصحيح.

(٣) أ، ب: مولى من وآله.

(٤) ويحلّها: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ن).

(٥) ن، م، و، أ: فصل.

(٦) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك؛ ص ١٢٤ (م) - ١٢٦ (م).

(٧) أ، ب: رجلا.

وجل مثل ما قام^(١) نوح في قومه، وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله، ومدّ في عمره حتى حج ألف عام على قدميه^(٢)، ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً، ثم لم يوالك يا عليّ، لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها.

وقال رجل لسلمان: ما أشدّ حبك لعليّ. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب عليّاً فقد أحبني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني. وعن أنس^(٣) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خلق الله من نور وجه عليّ^(٤) سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه^(٥) إلى يوم القيامة.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحب عليّاً قبل الله عنه^(٦) صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب دعاءه^(٧). ألا ومن أحب عليّاً أعطاه الله بكل عرق من بدنه^(٨) مدينة في الجنة. ألا ومن أحب آل محمد آمن من الحساب والميزان والصراف. ألا ومن مات على حب آل محمد فأنا كفيله في الجنة^(٩) مع الأنبياء، [ألا]^(١٠) ومن أبغض آل محمد جاء يوم القيامة

(١) ب (فقط): أ قام.

(٢) ح، ي، ر، ب: وعن أنس بن مالك.

(٣) ك: خلق الله تعالى من نور وجه عليّ بن أبي طالب عليه السلام..

(٤) ك: يستغفرون لمحبيه..

(٥) أ، ب: منه.

(٦) ك: في بدنه.

(٧) و، ر، ي: دعواه.

(٨) ك: بالجنة.

(٩) ك: بالجنة.

(١٠) أ: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ح)، (ي)، (و).

مكتوباً^(١) بين عينيه : « آيس من رحمة الله » .
 وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [يقول]^(٢) : من زعم أنه آمن بي وبما جئت به وهو يبغض^(٣) علياً فهو كاذب ليس بمؤمن .

وعن أبي برزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن جلوس ذات يوم : والذي نفسى بيده لا يزول قدم^(٤) عبد يوم القيامة حتى يسأله الله تبارك وتعالى^(٥) [عن أربع]^(٦) : عن عمره فيما^(٧) أفناه ، وعن جسده فيما^(٨) أبلاه ، وعن ماله مما اكتسبه وفيما أنفقه^(٩) ، وعن حُبنا أهل البيت^(١٠) . فقال له عمر : فما آية حبكم من بعدكم^(١١) ؟ فوضع يده على رأس عليّ [بن أبي طالب]^(١٢) وهو إلى جانبه^(١٣) [فقال]^(١٤) : إن حبي من بعدى حب هذا .

-
- (١) أ ، ب ، ح : مكتوب .
 (٢) ن ، م ، ر ، ح ، أ ، ي : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٣) ك : يبغض .
 (٤) أ ، ب : لا تزول قدما .
 (٥) أ ، ب ، ر ، ي ، ح ، م ، ق : حتى يسأله تبارك وتعالى ؛ ك : حتى يسأله ربه تبارك وتعالى .
 (٦) عن أربع : ساقطة من (ن) ، (م) ، (أ) .
 (٧) ب : فيما .
 (٨) ب ، و : فيما .
 (٩) ن ، ي ، ر ، ح : مما اكتسبه وفيما أنفقه .
 (١٠) ك : أهل البيت عليهم السلام .
 (١١) ح ، ر ، ب ، ن ، م ، ق ، أ ، ي : من بعدك .
 (١٢) ك ، و : عليّ عليه السلام ؛ ن ، م ، ق ، أ : عليّ .
 (١٣) م : وهو جالس إلى جانبه .
 (١٤) فقال : ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

١٠/٣ وعن [عبد الله] بن عمر^(١) قال: سمعت رسول الله / صلى الله عليه وسلم وقد سئل^(٢): بأى لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ فقال: خاطبني بلغة علي^(٣)، فألهمني أن قلت: يارب خاطبتي أم علي؟ فقال: يا محمد^(٤) أنا شيء لست كالأشياء^(٥)، لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء^(٦)، خلقتك من نوري وخلقت علياً من نورك فاطلعت علي سرائر قلبك، فلم أجد إلى قلبك أحب من علي^(٧)، فخاطبتك بلسانه كيما^(٨) يطمئن قلبك .

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أن الرياض أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي [بن أبي طالب]^(٩).

١٨١ ص وبالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى جعل الأجر علي^(١٠) فضائل علي لا يحصى كثرة^(١١)،

(١) ن، م: وعن ابن عمر.

(٢) ك، و: علي عليه السلام.

(٣) م، و: ليس كالأشياء؛ ك: لا كالأشياء.

(٤) عبارة «لا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء» سقطت من الطبعة الأولى ولكنها في (ك) ص ٣٦.

(٥) و: علي عليه السلام؛ ك: علي بن أبي طالب.

(٦) ك: كما.

(٧) و، ك: بن أبي طالب عليه السلام؛ ن، م: علي.

(٨) ح، ب: في.

(٩) ك: إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل لا تحصى كثرة.

فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرراً بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقى لتلك الكتابة رسم، ومن استمع فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالاستماع، ومن نظر إلى^(١) كتاب من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر، ثم قال: النظر إلى وجه أمير المؤمنين علي^(٢) عبادة، وذكره عبادة، لا يقبل^(٣) الله إيمان عبدٍ إلا بولايته والبراءة من أعدائه.

وعن حكيم [بن حزام]^(٤) عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٥): لُمبارزة علي^(٦) لعمر بن [عبد]^(٧) ودَّ يوم الخندق أفضل من عمل أمتي إلى يوم القيامة. وعن سعد بن أبي وقاص قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً بالسبِّ فأبى، فقال: ما منعك أن تسب علي بن أبي طالب؟^(٨) قال: ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن

(١) أ، ب: في.

(٢) ك ص ١٢٥ (م) - ١٢٦ (م): علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) أ، ب، : ولا يقبل؛ م: فلا يقبل.

(٤) بن حزام: ليست في (ك).

(٥) ن، م: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال..

(٦) أ، ب، ر، ح، ي: علي بن أبي طالب؛ و: علي بن أبي طالب عليه السلام؛ ك: علي عليه السلام.

(٧) عبد: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ح).

(٨) ك: أن تسب أبا تراب؟

أسبه، لأن يكون لى واحدة منهن أحب^(١) إلى من حمر النعم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلّى وقد خلفه فى بعض مغازيه، فقال [له]^(٢) عليّ: تخلفنى مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى^(٣) أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبى بعدى. وسمعتة يقول يوم خبير^(٤) لأعطين الراية رجلاً^(٥) يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا، فقال^(٦): ادعوا لى^(٧) علياً، فأتاه وبه رمد، فبصق فى عينيه^(٨) ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه. وأنزلت^(٩) هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٦١] دعا^(١٠) رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة والحسن والحسين فقال: «هؤلاء^(١١) أهلى».

الرد عليه

والجواب: أن أخطب خوارزم هذا له مصنف فى هذا الباب [فيه]^(١٢) من

(١) ك: لأن يكون أحب.

(٢) له: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ك: فقال له: يا عليّ أما ترضى...

(٤) أ، ب: يوم خبير يقول.

(٥) ك: لأعطين الراية غداً رجلاً..

(٦) ك: قال.

(٧) ك: ادعوا إلىّ.

(٨) أ، و، ب، ق: عينه.

(٩) ك: ولما نزلت.

(١١) ك: اللهم هؤلاء..

(١٠) م، ب: فدعا؛ ر، ح: ودعا.

(١٢) فيه: ساقطة من (ن)، (م).

الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلاً عن علماء الحديث، وليس هو من علماء الحديث ولا ممن يُرجع إليه في هذا الشأن البتة^(١). وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات. وهذا الرجل قد ذكر أنه يذكر ما هو صحيح عندهم، ونقلوه في المعتمد من قولهم وكتبهم، فكيف يذكر ما أجمعوا على أنه كذب موضوع، ولم يُرو^(٢) في شيء من كتب الحديث المعتمدة، ولا صححه أحد من أئمة الحديث.

فالعشرة الأولى^(٣) كلها كذب إلى [آخر حديث]: قتله^(٤) لعمر بن عبد ود. وأما حديث سعد لما أمره معاوية بالسب فأبى، فقال: ما منعك أن تسب علي بن أبي طالب؟ فقال: ثلاث قالهن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن يكون لى واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم. . . الحديث. فهذا حديث صحيح رواه مسلم في صحيحه^(٥) وفيه ثلاث فضائل لعلي لكن ليست من خصائص الأئمة ولا من خصائص

(١) يقول الأستاذ محب الدين الخطيب في تعليقه على «منهاج الاعتدال» ص ٣١٢: «أخطب خوارزم أديب متشيع من تلاميذ الزمخشري، اسمه الموفق بن أحمد بن إسحاق (٤٨٤ - ٥٦٨) له ترجمة في «بغية الوعاة» ٤٠١ و«روضات الجنات» (الطبعة الثانية) ٧٢٢ وغيرهما، وكتابه الذي كُذِّب فيه هذا الخبر على رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه «مناقب أهل البيت» . . . وانظر ترجمة أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي في: الأعلام ٢٨٩/٨ وذكر الزركلي أن كتابه «مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب» مطبوع.

(٢) ن، م، و، ي: ولا يروى.

(٣) أ، ب: الأولى.

(٤) ن، م، و: إلى قوله. . .

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٥٠١/١ وذكرت هناك أنه في: مسلم ١٨٧١/٤.

عليّ، فإن قوله وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي، ليس من خصائصه؛ فإنه استخلف عليّ المدينة غير واحد، ولم يكن هذا الاستخلاف أكمل من غيره. ولهذا قال له عليّ: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان في كل غزاة^(١) يترك بالمدينة رجالا من المهاجرين والأنصار، إلا في غزوة تبوك فإنه أمر المسلمين جميعهم بالنفير^(٢)، فلم يتخلف / بالمدينة إلا عاصم أو معذور غير النساء والصبيان. ولهذا كره عليّ الاستخلاف، وقال: أتخلفني مع النساء والصبيان؟ يقول تتركني مخلفا لا تستصحبني معك؟ فيبين له النبي صلى الله عليه وسلم أن الاستخلاف ليس نقصا^(٣) ولا غضاضة؛ فإن موسى استخلف هارون على قومه لأمانته عنده، وكذلك أنت استخلفتك لأمانتك عندي، لكن موسى استخلف نبيا وأنا لا نبي بعدي. وهذا تشبيه في أصل الاستخلاف، فإن موسى استخلف هارون على جميع بني إسرائيل، والنبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليّا على قليل من المسلمين، وجمهورهم استصحبهم في الغزاة. وتشبيهه بهارون ليس بأعظم من تشبيه أبي بكر وعمر: هذا بإبراهيم وعيسى، وهذا بنوح وموسى؛ فإن هؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكل من أبي بكر وعمر شبه باثنين لا بواحد، فكان^(٤) هذا التشبيه أعظم من تشبيه

١١/٣

(٢) أ، ب: بالنفر.

(٤) ن، م: وكان.

(١) ح، ب، ر: غزوة.

(٣) ن (فقط): بغضا.

علّيّ، مع أن استخلاف عليّ له فيه اشباه وأمثال من الصحابه .
وهذا التشبيه ليس لهذين فيه شبيهه ، فلم يكن الاستخلاف من
الخصائص، ولا التشبيه بنبي في بعض أحواله من الخصائص .
وكذلك قوله : «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله [ويحبه الله
ورسوله]»^(١) قال : فتناولنا، فقال : ادعوا لي عليّاً، فاتاه وبه رمد، فبصق
في عينيه^(٢) ودفع الراية إليه، ففتح الله على يديه . وهذا الحديث أصح ما
رُوي لعلّي من الفضائل، أخرجاه في الصحيحين من غير وجه . وليس
هذا الوصف مختصاً بالأئمة ولا بعليّ ؛ فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن
تقى، وكل مؤمن تقى يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن
ما يُحتج به على النواصب الذين يتبرؤون منه ولا يتولونه ولا يحبونه، بل
[قد]^(٣) يكفّرونه [أو يفسقونه]^(٤) كالخوارج ؛ فإن النبي صلى الله عليه
وسلم شهد له بأنه يحب الله ورسوله [ويحبه الله ورسوله]^(٥) .

لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون
النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم ؛ فإن الخوارج /
تقول في عليّ مثل ذلك، لكن هذا باطل، فإن الله - ورسوله - لا يطلق
هذا المدح على من يعلم أنه يموت كافراً^(٦)، وبعض أهل الأهواء من

ظ ١٨١

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (و) .

(٢) ح، ي، ن، م، أ، ب: عينه .

(٣) قد: ساقطة من (ن)، (م)، (و) .

(٤) أو يفسقونه: ساقطة من (ن)، (م)، (و) .

(٥) ويحبه الله ورسوله: في (أ)، (ب)، (م) فقط .

(٦) ن، م، و: فإن الله ورسوله لا يحب ولا يرضى عن من يعلم أنه يموت كافراً .

المعتزلة وغيرهم، وبعض المروانية ومن كان على هواهم، الذين كانوا
يبغضونه ويسبونهم.

وكذلك حديث المباهلة شركه فيه فاطمة وحسن وحسين^(١)، كما
شركوه^(٢) في حديث الكساء، فعلم أن ذلك^(٣) لا يختص بالرجال ولا
بالذكور ولا بالأئمة، بل يشركه^(٤) فيه المرأة والصبي، فإن الحسن
والحسين كانا صغيرين عند المباهلة، فإن المباهلة كانت لما قدم وفد
نجران بعد فتح مكة [سنة تسع أو عشر]^(٥)، والنبى صلى الله عليه وسلم
مات ولم يكمل الحسين سبع سنين، والحسن أكبر منه بنحو سنة، وإنما
دعا هؤلاء لأنه أمر أن يدعو كل واحد من^(٦) الأقربين: الأبناء^(٧) والنساء
والأنفس، فيدعو^(٨) الواحد من أولئك: أبناء ونساءه، وأخص الرجال به
نسباً.

وهؤلاء أقرب الناس إلى النبى صلى الله عليه وسلم نسباً، وإن كان
غيرهم أفضل منهم عنده، فلم يؤمر أن يدعو أفضل أتباعه، لأن المقصود
أن يدعو كل واحد [منهم]^(٩) أخص الناس به، لما فى جيلة الإنسان من
الخوف عليه وعلى ذوى^(١٠) رحمه الأقربين إليه، ولهذا خصهم فى حديث
الكساء.

(١) أ، ب: والحسن والحسين.

(٢) ن، م، و: وأن ذلك...

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٤) من: ساقطة من (أ)، (ب).

(٥) أ، ب: فدعا.

(٦) منهم: زيادة فى (أ)، (ب).

(٧) ر، ح، ي، ب: ذى.

والدعاء لهم والمباهلة مبناهما على العدل^(١)، فأولئك أيضاً يحتاجون أن يدعوا أقرب الناس إليهم نسباً، وهم يخافون عليهم ما لا يخافون على الأجانب، ولهذا امتنعوا عن^(٢) المباهلة، لعلمهم بأنه^(٣) على الحق، وأنهم إذا باهلوه حقت عليهم بهلة الله^(٤) وعلى الأقربين إليهم، بل قد يحذر الإنسان على ولده ما لا يحذره^(٥) على نفسه.

فإن قيل: فإذا كان ما صحح من فضائل عليّ رضي الله عنه، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، وقوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى»، وقوله: «اللهم [هؤلاء]^(٦) أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ليس من خصائصه، بل له فيه شركاء، فلماذا تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك، كما روى عن سعد^(٧) وعن عمر؟

فالجواب: أن في ذلك شهادة / النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ بإيمانه باطنا وظاهراً، وإثباتاً لموالاته لله ورسوله ووجوب موالاته المؤمنين له. وفي ذلك رد على النواصب الذين يعتقدون كفره أو فسقه، كالخوارج المارقين الذين كانوا من أعبد الناس، كما قال [النبي]^(٨) صلى الله عليه

١٢/٣

(١) ن، م: مبناهما على الأعداء.

(٢) أ، ب: من.

(٣) أ: أنه.

(٤) أ، ب: لعنة الله. وفي «اللسان»: «البيهل: اللعن... وعليه بهلة الله وبهله أي لعنته».

(٥) م، ح، ي، ر: ما لا يحذر.

(٦) ن، م، ب: إذا.

(٧) هؤلاء: ساقطة من (ن)، (م).

(٨) ن (فقط): عن سعيد.

(٩) النبي: ساقطة من (ن)، (م).

وسلم [فيهم]^(١): «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(٢) وهؤلاء يكفرونه ويستحلون قتله، ولهذا قتله واحد منهم، وهو عبدالرحمن بن ملجم المرادي، مع كونه كان من أعبد الناس.

وأهل العلم والسنة يحتاجون إلى إثبات إيمان عليّ وعده ودينه للرد على هؤلاء، أعظم مما يحتاجون إلى مناظرة الشيعة؛ فإن هؤلاء أصدق وأدين، والشبه^(٣) التي يحتاجون بها أعظم من الشبه^(٤) التي تحتج بها الشيعة، كما أن المسلمين يحتاجون في أمر المسيح صلوات الله وسلامه عليه إلى مناظرة اليهود والنصارى، فيحتاجون أن يتفوا عنه ما يرميه به اليهود من أنه كاذب ولد زنا، وإلى نفي ما تدعيه النصارى من الإلهية، وجدل اليهود أشد من جدل النصارى، ولهم شبه لا يقدر النصارى أن يجيئوهم عنها، وإنما يجيئهم عنها المسلمون. كما أن للنواصب شبهاً^(٥)

(١) فيهم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) سبق الكلام على أحاديث الخوارج فيما مضى ٦٦/١. وما ذكره ابن تيمية هنا جزء من حديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن عليّ وأبي سعيد الخدري وطيبر بن عبدالله رضي الله عنهم في: البخاري ٢٠٠/٤ - ٢٠١ (كتاب المناقب، باب علامات النبوّة)؛ مسلم ٧٤٠/٢ - ٧٤٧ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، باب التحريض على قتل الخوارج). وانظر: جامع الأصول لابن الأثير ٤٣٦/١٠ - ٤٤٠؛ سنن أبي داود ٣٣٦/٤ (كتاب السنة، باب في قتال الخوارج)؛ سنن أبي ماجه ٦٠/١ - ٦١ (المقدمة، باب في ذكر الخوارج)؛ المسند (ط. الحلبي) ٦٥/٣، ٦٨، ٧٣، ٢٥٢، ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٣) ح، ب: والشبهة؛ أ: والسنة. (٤) ح، ب: الشبهة؛ أ: السنة.

(٥) ب (قط): شبهة.

لا يمكن الشيعة أن يجيبوا عنها، وإنما يجيبهم عنها أهل السنة .

فهذه الاحاديث الصحيحة المثبتة لإيمان عليّ باطنا وظاهرا ردّ على هؤلاء، وإن لم يكن ذلك من خصائصه، كالنصوص الدالة على إيمان أهل بدر وبيعة الرضوان باطنا وظاهرا؛ فإن فيها ردّا على من ينازع في ذلك من الروافض والخوارج، وإن لم يكن ما يستدل به من خصائص واحد منهم . وإذا شهد النبي صلى الله عليه وسلم لمعيّن بشهادة، أو دعا له بدعاء، أحب كثير من الناس أن يكون له مثل تلك الشهادة ومثل^(١) ذلك الدعاء، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم يشهد بذلك لخلق كثير ويدعو به لخلق كثير، وكان تعيينه لذلك المعين من أعظم فضائله ومناقبه، وهذا كالشهادة بالجنة لثابت بن قيس بن شماس^(٢) وعبدالله بن سلام^(٣) وغيرهما، وإن كان قد شهد بالجنة لآخرين . والشهادة بمحبة الله

(١) ب (فقط): أو مثل .

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى : مسلم ١١٠/١ (كتاب الإيمان، باب مخالفة المؤمن أن يحبط عمله) أن ثابت بن قيس رضى الله عنه لما نزل قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [سورة الحجرات : ٢] حزن واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال كلاما آخره . . فأتانا من أهل النار، فذكر ذلك سعد (بن معاذ) للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «بل هو من أهل الجنة» . والحديث فى المسند (ط . الحلبي) ١٣٧/٣ ، ١٤٥ - ١٤٦ ، ٢٨٧ .

(٣) روى البخارى ٥ / ٣٧ - ٣٨ (كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبدالله بن سلام رضى الله عنه) ومسلم ٤ / ١٩٣٠ - ١٩٣٢ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبدالله بن سلام رضى الله عنه) حديثا عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه يقول فيه - وهذه رواية البخارى - : ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشى على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام . . الحديث . كما روي حديثا آخر عن قيس بن عبيد ذكر فيه أنه كان فى حلقة فيها قوم (عند مسلم : فيها سعد بن مالك وابن عمر رضى الله عنهم) =

ورسوله لعبد الله حمار الذي ضرب في الخمر^(١)، وإن شهد بذلك لمن هو أفضل منه، وكشهادته لعمر وبن تغلب بأنه ممن لا يعطيه لما في قلبه من الغنى والخير لما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إني لأعطي رجالا وأدع رجالا، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطى. أعطى رجالا لما في قلوبهم من الهلع والجزع، وأكل رجالا إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب»^(٢).

وفي الحديث الصحيح لما صلى على ميت^(٣) قال: «اللهم اغفر له وارحمه، وعافه / واعف عنه، وأكرم منزله، ووسّع^(٤) مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد^(٥)، ونقه من الذنوب والخطايا^(٦) كما ينقى^(٧) الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وقه فتنة القبر وعذاب النار، وافسح له في قبره، ونور له فيه». قال عوف بن

== فمر عبدالله بن سلام فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة. فسأله قيس عن ذلك فذكر له عبدالله بن سلام أنه رأى رؤيا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم فأولها له وقال في آخر كلامه صلى الله عليه وسلم «... وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال مستمسكا بها حتى تموت».

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤/ ٤٥٧ - ٤٥٨.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ١/ ٦٤ - ٦٥.

(٣) أ، ب: الميت.

(٤) ن، م: وأوسع.

(٥) ح، ي، و، ز: بماء وثلج ويرد.

(٦) و، ز، ح، ي: من الخطايا.

(٧) ن، م، و، ح، ي: كما نقيت.

مالك: فتمنيت أن أكون [أنا]^(١) ذلك الميت^(٢). وهذا الدعاء ليس مختصا بذلك الميت.

الفصل [الحادى عشر]^(٣)

قال الرافضى^(٤): «وعن عامر بن واثلة^(٥) قال: كنت مع على عليه السلام^(٦) [يوم الشورى]^(٧) يقول لهم^(٨): لأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيتكم ولا عجميتكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم بالله أيها النفر جميعا، أفيتكم^(٩) أحد وخذ الله تعالى

تابع كلام
الرافضى عن
فضائل على
رضى الله عنه

- (١) أنا: زيادة فى (ى)، (ر)، (ب).
- (٢) الحديث.. مع اختلاف فى الألفاظ - عن عوف بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ٦٦٢/٢ - ٦٦٣ (كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت فى الصلاة)؛ سنن النسائى ٤٦/١ (كتاب الطهارة، باب الوضوء بماء البارد)، ٥٩/٤ - ٦٠ (كتاب الجنائز، باب الدعاء)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٣/٦.
- (٣) ن، م، و، أ: فصل.
- (٤) الرافضى: ساقطة من (و). والكلام التالى فى (ك) ص ١٢٦ (م) - ١٣٠ (م).
- (٥) ن: وإيلة.
- (٦) عليه السلام: فى (ن)، (و)، (ك). وفى (ر)، (ى)، (ق): رضى الله عنه.
- (٧) يوم الشورى: كذا فى (ق) فقط. وفى (ك): فى البيت يوم الشورى، فسمعت عليا عليه السلام.
- (٨) أ، ب، ق، ر، ح، ى: وهو يقول لهم؛ و: يقول.
- (٩) ك (ص ١٢٦ - ١٢٧ م): هل فيكم.

قبلى؟ قالوا: اللهم لا . قال: فأنشدكم^(١) بالله هل فيكم أحد له
أخ مثل أخى جعفر الطيار فى الجنة مع الملائكة غيرى؟ قالوا:
اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله: هل فيكم أحد له عمّ مثل عمى
حمزة أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء غيرى؟ قالوا: اللهم لا .
قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتى فاطمة
بنت محمد سيدة [نساء]^(٢) أهل الجنة غيرى؟ قالوا: اللهم لا .
قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد له^(٣) سبطان مثل سبطى
الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة غيرى؟ قالوا: اللهم
لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد ناجى رسول الله صلى الله
عليه / وسلم عشر مرات قدّم^(٤) بين يدى نجواه^(٥) صدقة غيرى^(٦)؟
قالوا: اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلى^(٧) مولاه، اللهم
وال من والاه، وعاد من عاداه^(٨)، ليلبغ^(٩) الشاهد الغائب غيرى؟

(١) أ، ب: أنشدكم.

(٢) نساء: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (ق)، (أ)، (ى).

(٣) و، أ، ب، ح، ي، ر، ق: من له.

(٤) قدّم: كذا فى (ب). وفى (ك): وقدّم. وفى سائر النسخ: أقدم.

(٥) نجواه: كذا فى (ب)، (ك) وفى سائر النسخ: نجواى.

(٦) ك: مثلى.

(٧) ك: فهذا على.

(٨) ك: من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.

(٩) ك: وليبغ.

قالوا: اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم ائني بأحب خلقك^(١) إليك وإلى يأكل معي من هذا الطير^(٢)، فأتاه فأكل^(٣) معه غيري؟ قالوا: اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لأعطين الراية رجلا^(٤) يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه إذ رجع غيري منهزما غيري؟^(٥) قالوا: اللهم لا^(٥). قال^(٦): فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني وكيع^(٧): لتتھنّ أو لأبعثنّ إليكم رجلا نفسه كنفسى، وطاعته كطاعتي، ومعصيته كمعصيتي^(٨) يفصلكم^(٩) بالسيف غيري؟ قالوا: اللهم لا . قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال

(١) ك: الخلق.

(٢) ك: وإلى وأشهدهم لك حبا ولى حبا يأكل معي هذا الطائر.

(٣) م: يأكل؛ ك: وأكل.

(٤) م: ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٥) ك: الراية غدا رجلا.

(٦) أ، ب: على يديه غيري. وسقطت «غيري» الثانية من جميع النسخ ما عدا (ن)،

(ق)، (ك)، (و).

(٧) قال: ساقطة من (ك).

(٨) ك: لبني ربيعة.

(٩) ك: وطاعته طاعتي ومعصيته معصيتي.

(٩) ن، م: يعطلكم.

له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذب من زعم أنه يحبني
ويبغض هذا غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأشدكم بالله هل
فيكم أحد^(١) سلم عليه في ساعة واحدة ثلاثة آلاف من
الملائكة: جبرائيل^(٢) وميكائيل وإسرافيل حيث جئت بالماء إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من القلب غيري؟ قالوا: اللهم
لا. قال: فأشدكم بالله هل فيكم أحد نودي به من السماء: لا
سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ غيري؟ قالوا: اللهم لا.
قال: فأشدكم بالله هل فيكم أحد قال له جبريل هذه^(٣) هي
المواساة، فقال له^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه مني^(٥)
وأنا منه. فقال جبريل^(٦): وأنا منكما غيري؟ قالوا: اللهم لا.
قال: فأشدكم بالله هل فيكم أحد قال له^(٧) رسول الله صلى الله
عليه وسلم: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، على لسان
النبي صلى الله عليه وسلم غيري^(٨)؟ قالوا: اللهم لا. قال:

(١) أ، ر، ن، م، ب، ح: رجل.

(٢) أ، ح، ب، ن، م، ق، و: جبريل؛ ك (ص ١٢٨م): جبرئيل.

(٣) ك: جبرئيل يوم حنين هذه؛ ي: جبرئيل هذه..

(٤) له: ساقطة من (ك)، (و).

(٥) أ، ب: هو مني.

(٦) ي: فقال له جبرئيل؛ ك: فقال جبرئيل عليه السلام.

(٧) له: ساقطة من (ك).

(٨) ك: على النبي غيري.

فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قاتلت على تنزيل القرآن وأنت تقاتل على تأويله غيري؟^(١) قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد رُدَّت عليه الشمس حتى صلى العصر في وقتها غيري؟ قالوا: اللهم لا. قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ « براءة » من أبي بكر، فقال له أبو بكر: يا رسول الله أنزل^(٢) فيّ شيء؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنه^(٣) لا يؤدي عني إلا على^(٤) غيري قالوا: اللهم لا.

قال فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق [كافر]^(٥) غيري؟ قالوا: اللهم لا.

قال: فأنشدكم بالله هل تعلمون^(٦) أنه أمر بسدّ أبوابكم وفتح بابي فقلتم في ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أنا سدّدت أبوابكم^(٧) ولا فتحت بابيه، بل الله سدّ أبوابكم وفتح بابيه

(١) ك: وتقاتل على تأويل القرآن غيري.

(٢) ن، م: هل تنزل. (٣) ك: فقال: إنه...

(٤) أ، ب: إلا أعلى.

(٥) ن، م، ق: إلا منافق؛ و، ك: إلا كافر؛ أ: إلا كافر منافق.

(٦) ك: أتعلمون. (٧) ن، م، ر: بابكم.

غيرى؟ قالوا: اللهم لا^(١).

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون^(٢) أنه ناجاني^(٣) يوم الطائف دون الناس فأطال ذلك، فقلتم: ناجاه دوننا، فقال: ما أنا انتجيته بل الله انتجاه غيرى؟ قالوا: اللهم نعم^(٤).

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الحق مع عليّ وعليّ مع الحق يزول الحق مع عليّ كيفما زال^(٥)؟ قالوا^(٦): اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله أتعلمون^(٧) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلوا ما استمسكتم بهما، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض؟ قالوا: اللهم نعم.

قال: فأنشدكم بالله هل فيكم أحد وقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه من المشركين واضطجع في مضجعه غيرى^(٨)؟

(١) ن، م، أ، ر، ي: اللهم نعم.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) أ، ب، ق، ح: هل تعلمون.

(٣) ك: أنه صلى الله عليه وآله ناجاني..

(٤) ك (ص ١٢٩م): مع الحق يدور معه حيث دار.

(٥) ر، و، ح، ي، ب: فقالوا.

(٦) ح، ب: هل تعلمون.

(٧) ك: هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله حين هرب من المشركين: من

يفديني بنفسه؟ ففدى له بنفسه واضطجع في مضجعه غيرى؟

قالوا: [اللهم] ^(١) لا .

قال : فأنشدكم بالله ^(٢) هل فيكم أحد بارز عمرو بن
[عبد] ^(٣) وذّ العامري حيث ^(٤) دعاكم إلى البراز غيري؟ قالوا:
اللهم لا .

قال : / فأنشدكم بالله هل فيكم أحد نزل فيه آية التطهير
حيث ^(٥) يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا .

ظ ١٨٢

قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم : أنت سيد المؤمنين ^(٦) غيري؟ قالوا: اللهم لا .

قال : فأنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله / صلى
الله عليه وسلم : ما سألت الله شيئاً إلا وسألت لك ^(٧) مثله غيري ؟
قالوا: [اللهم] ^(٨) لا .

١٤ / ٣

ومنها ما رواه أبو عمرو ^(٩) الزاهد عن ابن عباس قال : لعلّي

(١) اللهم : ساقطة من (ن) فقط .

(٢) ك : بالله ربكم .

(٣) عبد : ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) ، (ي) ، (ق) .

(٤) أ ، ب : حين .

(٥) حيث : ساقطة من (ك) .

(٦) ك : أنت سيد العرب المؤمنين .

(٧) ك : إلا سألت لك .

(٨) اللهم : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٩) أبو عمرو : كذا في (أ) ، (ر) ، (ك) . وفي سائر النسخ : أبو عمر .

أربع خصال ليست^(١) لأحد من الناس غيره، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، وهو الذي كان لواؤه^(٣) معه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم حنين^(٤)، وهو الذي غسله وأدخله قبره^(٥).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مررت ليلة المعراج بقوم^(٦) تُشرش أصداقهم، فقلت: يا جبريل^(٧) من هؤلاء؟ قال: قوم يقطعون^(٨) الناس بالغيه. قال: ومررت بقوم وقد ضوضؤوا^(٩)، فقلت: يا جبريل^(١٠) من هؤلاء؟ قال: هؤلاء^(١١) الكفار. قال: ثم عدلنا عن الطريق^(١٢)، فلما انتهينا إلى السماء الرابعة رأيت عليا يصلي، فقلت: يا جبريل^(١٣) هذا على قد سبقنا. قال: لا ليس هذا علياً^(١٤). قلت: فمن هو^(١٥)؟ قال: إن الملائكة

(١) ك: ليس.

(٢) ك: صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) م، ح، ي، ر، و: لواه؛ ك: لواؤه.

(٤) ن: خير؛ أ: في يوم حنين.

(٥) ك: وأدخله في قبره صلى الله عليهما؛ أ: وأدخله في قبره.

(٦) أ: بأقوام. (٧) أ، ك: يا جبرئيل.

(٨) ك (ص ١٢٩ - ١٣٠م): هؤلاء الذين يقطعون؛ و: هؤلاء قوم يقطعون.

(٩) أ، ب: بقوم قد ضوضؤوا؛ ك: بقوم ضوضؤوا. (١٠) ي، ك: يا جبرئيل.

(١١) هؤلاء: ساقطة من (ك).

(١٢) ر: عدلنا الطريقة؛ ك: عدلنا عن ذلك الطريق.

(١٣) ي: فقلت يا جبرئيل؛ ك: فقلت لجبرئيل: يا جبرئيل.

(١٤) ك: على. (١٥) أ، ب: فمن هذا؟

المقربين والملائكة الكروبيين لما سمعت فضائل عليّ وخاصته^(١) وسمعت^(٢) قولك فيه: أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، اشتاقت إلى عليّ، فخلق الله تعالى لها ملكاً على صورة عليّ، فإذا اشتاقت إلى عليّ^(٣) جاءت^(٤) إلى ذلك المكان، فكأنها قد رأت عليّاً.

وعن ابن عباس قال: إن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو نشيط: أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى. قال: فقلوه: أنا الفتى، [يعني]^(٥) هو فتى العرب^(٦)، وقوله ابن الفتى، يعني إبراهيم^(٧) من قوله تعالى: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠]، وقوله: أخو الفتى، يعني عليّاً، وهو معنى قول جبريل [في]^(٨) يوم بدر وقد عرج إلى السماء [وهو فرح]^(٩) وهو يقول^(١٠): لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ.

(١) ك: ومحاسنه.

(٢) ن، م، و، ق، ر: سمعت.

(٣) ن، م: إليه.

(٤) ك: جاءوا..

(٥) يعني: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) ك: العرب بالإجماع أي سيدها.

(٧) ك، و: إبراهيم الخليل عليه السلام.

(٨) في: ساقطة من (ن)، (م).

(٩) وهو فرح: ساقطة من (ن)، (م)، (ق).

(١٠) ك: وقد عرج إلى السماء بالفتح وهو فرح مسرور يقول..

وعن ابن عباس^(١) قال: رأيت أبا ذر وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر، لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما نفعكم ذلك حتى تحبوا علياً^(٢).

الرد عليه

والجواب: أما قوله^(٣) عن عامر بن واثلة وما ذكره يوم الشورى، فهذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث^(٤)، ولم يقل عليّ رضي الله عنه يوم الشورى شيئاً من هذا ولا ما يشابهه^(٥)، بل قال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: لئن أمرتك لتعدلن؟ قال: نعم. قال: وإن^(٦) بايعت عثمان لتسمعن وتطيعن؟ قال: نعم. وكذلك قال لعثمان. ومكث [عبدالرحمن]^(٧) ثلاثة أيام يشاور المسلمين.

ففي الصحيحين^(٨) - وهذا لفظ البخاري^(٩) - عن عمرو بن ميمون في

(١) ب: وعن ابن عباس رضي الله عنهما؛ ح: وعن ابن عباس رضي الله عنه.

(٢) ك: و: عليا عليه السلام؛ ر، ي: عليا رضي الله عنه.

(٣) و: فيقال قوله.

(٤) ذكر ابن الجوزي قسماً من هذا الحديث في «الموضوعات» ١/٣٧٨ - ٣٨٠ وقال: «هذا حديث موضوع لا أصل له» وانظر باقي كلامه. وقد ذكر كلاماً مماثلاً للسيوطي في «اللائيء المصنوعة» ١/٣٦١.

(٥) ن، م: ولم ينقل عن عليّ يوم الشورى شيء من هذا ولا ما يشبهه.

(٦) أ: ولئن.

(٧) عبدالرحمن: ساقطة من (ن)، (م).

(٨) لم أجد الحديث في مسلم مع طول بحثي عنه.

(٩) ١٨-١٥/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قصة البيعة)

والكلام التالي ص ١٧ - ١٨.

مقتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «فلما فُرِغَ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط فقال عبدالرحمن^(١): اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. قال^(٢) الزبير: قد جعلت أمرى إلى على. وقال^(٣) طلحة: قد جعلت أمرى [إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمرى]^(٤) إلى عبدالرحمن^(٥). فقال عبدالرحمن: أيكم تبرا^(٦) من هذا الأمر فنجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرون أفضلهم في نفسه^(٧)؟ فأسكت الشيخان. فقال عبدالرحمن: أتجعلونه إلى والله على [أن] لا آلو^(٨) عن أفضلكم. قالوا: نعم، فأخذ بيد أحدهما فقال: لك قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان^(٩).

(١) ر، و، ح، ي: عبدالرحمن بن عوف.

(٢) البخارى ١٧/٥: فقال.

(٣) البخارى: فقال.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ ما عدا (ب) وهو فى «البخارى».

(٥) البخارى: إلى عبدالرحمن بن عوف.

(٦) ن، ر، أ، ح، ي: يتبرا.

(٧) ن، ر، ح، ي: أفضل من فى نفسه؛ أ: أفضل من نفسه؛ و: أفضل فى نفسه؛ م: أفضل من هو فى نفسه.

(٨) ن، م: على لا آلو؛ ح: على من أن لا آلو.

(٩) جاء جزء من هذا الحديث فى: البخارى ١٠٣/٢ (كتاب الجنائز، باب ما جاء فى قبر النبى صلى الله عليه وسلم).. والحديث فى: البخارى ٧٨/٩ (كتاب الأحكام، باب كيف يبایع الإمام الناس).

وفي حديث المسور بن مخرمة^(١) قال المسور^(٢): «إن الرهط الذين ولأهم عمر اجتمعوا فتشاوروا. قال لهم عبدالرحمن^(٣): لست بالذي أتكلم في هذا الأمر^(٤) ولكنكم إن شئتم^(٥) اخترت لكم منكم، فجعلوا ذلك إلى عبدالرحمن، فلما ولّوا عبدالرحمن أمرهم مال الناس على عبدالرحمن [حتى ما أرى أحداً من الناس يتبع ذلك الرهط ولا يظاً عقبه، ومال الناس على عبدالرحمن] ^(٦) يشاورونه تلك^(٧) الليالي، حتى إذا كانت الليلة التي أصبحنا منها فبايعنا^(٨) عثمان. قال المسور: طرقتني عبدالرحمن بعد هَجْعٍ^(٩) من الليل، فضرب الباب حتى استيقظت، فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه الليلة^(١٠) بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعوتهما له، فشاورهما^(١١) ثم دعاني، فقال: ادع لي علياً، فدعوته، فناجاه [حتى إبهار الليل، ثم قام عليّ من عنده وهو على طمع، وقد كان عبدالرحمن يخشى

(١) بن مخرمة: ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) عبارة «قال المسور»: ساقطة من (ب) فقط. وفي (و): قال المسور بن مخرمة.

(٣) أ: فقال عبدالرحمن؛ ب، ح، ي: فقال عبدالرحمن بن عوف؛ ن، م، ر: قال عبدالرحمن.

(٤) البخاري: لست بالذي أنافسكم على هذا الأمر.

(٥) ن، م، أ: إن شئت.

(٦) ما بين المعقوفتين في (و)، البخاري فقط وفي «البخاري»: أولئك الرهط.

(٧) ح، ب: في تلك.

(٨) ن: فيها بايعنا.

(٩) ح، ب: هجعة.

(١٠) و، ح، ي: هذه الثلاث؛ أ، ر، ب: في هذه الثلاث.

(١١) ح، أ، ب، ر: فسارهما.

من على شيئاً. ثم قال: ادع لى عثمان، فدعوته فناجاه^(١) حتى فرّق بينهما المؤذن بالصبح، فلما صلى الناس الصبح، واجتمع أولئك الرهط عند المنبر / أرسل إلى من^(٢) كان حاضرا من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلما اجتمعوا تشهد عبد الرحمن، ثم قال: أما بعد يا عليّ إني^(٣) قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعلنّ على نفسك سبيلا. فقال: أبايعك على سنة الله ورسوله^(٤) والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن، وبايعه الناس والمهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون» هذا لفظ البخارى.

١٥/٣

وفي هذا الحديث الذى ذكره هذا الرافضى أنواع من الأكاذيب التى نزه الله علياً عنها، مثل احتجاجه بأخيه وعمه وزوجته، وعلى رضى الله عنه أفضل من هؤلاء، وهو يعلم أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم. ولو قال العباس / : هل فيكم مثل أخى حمزه ومثل أولاد إخوتى^(٥) محمد وعلى وجعفر؟! لكانت هذه الحجة من جنس تلك، بل احتجاج الإنسان ببني إخوته أعظم من احتجاجه بعمه. ولو قال عثمان: هل فيكم من تزوج ببنى نبي^(٦)؟ لكان من جنس قول القائل: هل فيكم من زوجته كزوجتى^(٧)؟ وكانت فاطمة قد ماتت قبل الشورى كما ماتت زوجتا عثمان، فإنها ماتت

ص ١٣٨

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ وأثبتته من «البخارى».

(٢) ب: أرسل لمن؛ البخارى: فأرسل إلى من.

(٣) ن، م، أ: فإني.

(٤) ح، ب: على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) ر، ح: إخوتى.

(٦) ن، م: بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم. (٧) أ، ب: مثل زوجتى.

بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ستة أشهر^(١).
وكذلك قوله: «هل فيكم من له ولد كولدى^(٢)؟».
وفيه أكاذيب متعددة، مثل قوله: «ما سألت الله شيئاً إلا وسألت لك مثله». وكذلك قوله: «لا يؤدّي عنى إلا على» من الكذب^(٣).
وقال الخطابي في كتاب «شعار الدين»^(٤): «وقوله: لا يؤدّي عنى إلا رجل من أهل بيتي» هو شيء جاء به أهل الكوفة عن زيد بن يثيع^(٥)، وهو متهم في الرواية منسوب إلى الرفض. وعامة^(٦) من بلغ عنه غير أهل بيته، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسعد بن زرارة إلى المدينة يدعو الناس إلى الاسلام، ويعلم الأنصار القرآن، ويفقههم في الدين. ويبعث العلاء بن الحضرمي إلى البحرين في مثل ذلك، ويبعث معاذاً وأباً موسى إلى اليمن، ويبعث عتاب بن أسيد إلى مكة. فأين قول من زعم أنه لا يبلغ عنه إلا رجل من أهل بيته؟!
وأما حديث ابن عباس ففيه أكاذيب: منها قوله: كان لواؤه معه في كل

(١) ح، ب: ستة أشهر.

(٢) أ: هل فيكم من ولد له ولدين كولدى؛ ب: هل فيكم أحد له ولد كولدى؛ ح: هل فيكم ولد كولدى.

(٣) أ، ب: فمن الكذب.

(٤) سبقت ترجمة الخطابي ٣٠٣/١. ولم يذكر سزكين في ترجمته للخطابي ١م ج١، ص ٤٢٧ - ٤٢٩ كتاب «شعار الدين» فهو من الكتب المفقودة.

(٥) أ: زيد بن بقيق. وذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» ١٠٧/٢. وقال: «زيد بن يثيع الهمداني، عن عليّ وأبي ذر. ما روى عنه سوى أبي إسحاق، وسماه أبان بن تغلب: زيد ابن نقيع. والأول أصح».

(٦) أ: وغايه.

زحف، فإن هذا من الكذب المعلوم، إذ لواء النبي صلى الله عليه وسلم كان يوم أحد مع مصعب بن عمير باتفاق الناس، ولواؤه يوم الفتح كان مع الزبير بن العوام، وأمره^(١) رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم أن يركز رايته بالحجون، فقال العباس للزبير [بن العوام]^(٣): «أهاهنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية؟ أخرجته البخارى فى صحيحه^(٤)».

وكذلك قوله: «وهو الذى صبر معه يوم حُنين».

وقد علم أنه لم يكن أقرب إليه من العباس بن عبدالمطلب، وأبى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، والعباس آخذ^(٥) بلجام بغلته، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بركابه، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ناد أصحاب السمره» قال: فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمره؟ فوالله كأن عطفتهم على حين سمعوا صوتي عطفة^(٦) البقر على أولادها، فقالوا: يالبيك يالبيك. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب» ونزل عن بغلته وأخذ كفاً من حصي فرمى بها^(٧) القوم وقال: «انهزموا ورب الكعبة» قال العباس: «فوالله ما هو إلا

(١) وأمره: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: وأمر.

(٢) رسول الله: ليست فى (ح)، (ب).

(٣) بن العوام: فى (ح)، (س)، (ر)، (ب) فقط.

(٤) الحديث عن نافع بن جبير (وهو تابعي) فى: البخارى ٥٣/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل فى لواء النبي صلى الله عليه وسلم، ونصه: قال سمعت العباس يقول للزبير رضى الله عنه: أههنا أمرك النبي صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية؟

(٥) ن، م، و: وهو آخذ.

(٦) و: عطف.

(٧) ح: به.

أن رماهم فمازلت أرى حدهم قليلا وأمرهم مدبرا، حتى هزمهم الله»
أخرجاه في الصحيحين^(١). وفي لفظ للبخاري قال: «وأبو سفيان أخذ
بلجام بغلته»^(٢) وفيه: «قال العباس: لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم حنين فلم نفارقه»^(٣).

وأما غسله صلى الله عليه وسلم وإدخاله قبره، فاشترك فيه أهل بيته،

(١) الحديث عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فى: مسلم ١٣٩٨/٣ - ١٤٠٠ (كتاب
الجهاد والسير، باب فى غزوة حنين)؛ المسند (ط. المعارف) ٢٠٨/٣ - ٢١٠. وذكر
الشيخ أحمد شاكراً رحمه الله فى تعليقه: «والحديث رواه مسلم ١٠/٢ - ٦١ من طريق
يونس عن الزهري، ومن طريق عبدالرازق عن معمر عن الزهري. وكذلك رواه الحاكم فى
المستدرک ٣: ٣٢٧ وزعم أن الشيخين لم يخرجاه، واستدرك عليه الذهبى بإخراج مسلم
إياه». وهكذا لا نجد ما يدل على أن حديث العباس رواه البخارى ولعل ابن تيمية يقصد
أن الحديث بمعناه من رواية البراء بن عازب فى البخارى. وأما قوله: «فمازلت أرى حدهم
قليلا، أى: مازلت أرى قوتهم ضعيفة».

(٢) الحديث عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى: البخارى ٣٠/٤ - ٣١ (كتاب الجهاد
والسير، باب من قاد دابة غيره) ونصه: . قال رجل للبراء بن عازب رضى الله عنهما: أفررتم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يفر، إن هوازن كانوا قوماً رماة، وأنا لما لقيناهم حملنا عليهم فانهزموا، فأقبل المسلمون
على الغنائم، واستقبلونا بالسهم، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر، فلقد رأيت
على بغلته البيضاء وإن أبا سفيان أخذ بلجامها، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «أنا
النبي لا أكذب.. أنا ابن عبدالمطلب». والحديث فى: مسلم ١٤٠٠/٣ - ١٤٠١ (الموضع السابق). وجاء الحديث عن البراء رضى الله عنه فى مواضع أخرى فى البخارى:
٣٢/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم البيضاء)، ٤٣/٤
(كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة..)، ٦٧/٤ (كتاب الجهاد
والسير، باب من قال خذها وأنا ابن فلان)؛ ١٥٣/٥ (كتاب المغازى، باب قول الله
تعالى: ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم..). وانظر: فتح البارى ٢٨/٨ - ٣٢.

(٣) هذه العبارة فى حديث العباس رضى الله عنه فى: مسلم ١٣٩٨/٣، المسند (ط.
المعارف) ٢٠٨/٣.

كالعباس وأولاده، ومولاه [شقران]^(١)، وبعض الأنصار، لكن علي^(٢) كان^(٣) يباشر الغسل، والعباس حاضر لجلالة العباس، وأن علياً أولاهم بمباشرة ذلك.

وكذلك قوله: «هو أول عربي [وعجمي]^(٤) صلى» يناقض ما هو المعروف عن ابن عباس.

﴿فصل﴾

وأما حديث المعراج وقوله فيه: إن الملائكة المقربين والملائكة الكرويين / لما سمعت فضائل علي^(٥) وخاصته وقول النبي صلى الله عليه وسلم^(٦): «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟» اشتاقت إلى علي^(٧) فخلق الله^(٨) لها ملكاً على صورة علي^(٩).

١٦/٣

فالجواب: أن هذا^(١٠) من كذب الجهال الذين لا يحسنون أن يكذبوا، فإن المعراج كان بمكة قبل الهجرة بإجماع الناس، كما قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الإسراء: ١].

(١) شقران: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) أ، ب، ي: لكن كان علي^(٣).

(٣) وعجمي: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٤) ن، م: وخاصة قوله صلى الله عليه وسلم؛ و، ر، ح، ي: وخاصة قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ح)، (و)، (و)، (ي). (٦) و: فيقال هذا...

[وكان الإسراء من المسجد الحرام] ^(١)، وقال: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم: ١-٤] إلى قوله ﴿أَفْتَمَارُوهَ عَلَيَّ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [سورة النجم: ١٢-١٤] إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [سورة النجم: ١٩] وهذا كله نزل بمكة بإجماع الناس.

وقوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟» قاله في غزوة تبوك، وهي آخر الغزوات عام تسع من الهجرة. فكيف يُقال: إن الملائكة ليلة المعراج سمعوا قوله: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟».

ثم قد علم أن الاستخلاف على المدينة مشترك، فكل الاستخلافات التي قبل غزوة تبوك وبعد تبوك كان يكون بالمدينة رجال من المؤمنين [المطيعين] ^(٢) يستخلف عليهم. وغزوة ^(٣) تبوك لم يكن فيها رجل مؤمن مطيع إلا من عذره الله ممن هو عاجز عن الجهاد، فكان المستخلف عليهم في غزوة تبوك أقل وأضعف من المستخلف عليهم في جميع أسفاره ومغازيه وعمره وحجه، وقد سافر [النبي صلى الله عليه وسلم] ^(٤) من المدينة قريبا من ثلاثين سفرة، وهو يستخلف فيها من يستخلفه، كما استخلف في غزوة الأبواء سعد بن عبادة ^(٥)، و[استخلف] في غزوة ^(٦)

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) المطيعين: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٣) وغزوة: كذا في (أ)، (ب). وفي سائر النسخ: وفي غزوة.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٥) انظر في ذلك: جوامع السيرة لابن حزم، ص ١٠٠ (٦) ن، م، و: وفي غزوة...

بِوَاطِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ^(١)، ثُمَّ لَمَّا رَجَعَ وَخَرَجَ فِي طَلْبِ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ^(٢) الْفَهْرِيِّ اسْتَخْلَفَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ^(٣) / ، وَاسْتَخْلَفَ فِي غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ أَبَا سَلْمَةَ بْنَ عَبْدِ الْأَشْهَلِ^(٤)، وَفِي غَزْوَةِ بَدْرِ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ^(٥)، وَاسْتَخْلَفَهُ فِي غَزْوَةِ قَرْقَرَةَ الْكُنْدَرِ^(٦)، وَلَمَّا ذَهَبَ إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ، وَفِي غَزْوَةِ^(٧) حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، وَغَزْوَةِ بَنِي النَّضِيرِ، وَغَزْوَةِ بَنِي قَرِيظَةَ، وَاسْتَخْلَفَهُ^(٨) لَمَّا خَرَجَ فِي طَلْبِ اللَّقَاحِ الَّتِي اسْتَأْجَرَهَا عَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ، وَنَوْدَى ذَلِكَ^(٩) الْيَوْمَ: يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي، وَفِي غَزْوَةِ الْحَدِيبِيَّةِ، وَاسْتَخْلَفَهُ فِي غَزْوَةِ الْفَتْحِ، وَاسْتَخْلَفَ

(١) الذي في «سيرة ابن هشام» ٢٤٨/٢ وفي «جوامع السيرة»، ص ١٠٢ أن الذي استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة بواط هو السائب بن عثمان بن مظعون. ولكن يذكر ابن كثير في «البداءة والنهاية» ٢٤٦/٣: «وقال الواقدي: استخلف عليها سعد ابن معاذ». وقال المقرئ في «إمتاع الأسماع» ص ٥٤: «واستخلف على المدينة سعد ابن معاذ، وقيل: السائب بن عثمان بن مظعون».

(*) ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٢) انظر في ذلك (وهذه غزوة بدر الأولى): البداية والنهاية ٢٤٧/٣؛ إمتاع الأسماع، ص ٥٤، ابن هشام ٢٥١/٢.

(٣) في: البداية والنهاية ٢٤٦/٣؛ إمتاع الأسماع ص ٥٥؛ ابن هشام ٢٤٨/٢؛ جوامع السيرة، ص ١٠٢: أن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف في غزوة العشيرة على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي.

(٤) انظر في ذلك: جوامع السيرة، ص ١٠٧؛ ابن هشام ٢٦٣/٢ - ٢٦٤.

(٥) وتعرف بغزوة بني سليم. قال ابن هشام ٤٦/٣ وابن حزم «جوامع السيرة» ص ١٥٢: واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري أو ابن أم مكتوم. وقال المقرئ في «إمتاع الأسماع»، ص ١٠٧: واستخلف على المدينة عبدالله بن أم مكتوم.

(٦) ن، م: إلى بني سليم في غزوة...

(٧) ن، م، أ، ي: واستخلف.

(٨) ح، ب: ونودي في ذلك..

أبا لبابة فى غزوة بنى قينقاع وغزوة السويق، واستخلف عثمان بن عفان فى غزوة غطفان التى يقال لها غزوة أنمار، واستخلفه فى غزوة ذات الرقاع، واستخلف ابن رواحة فى غزوة بدر الموعد، واستخلف سباع بن عرفطة الغفارى فى غزوة دومة الجندل وفى غزوة خيبر، واستخلف زيد بن حارثة فى غزوة المريسيع، و[استخلف] أبا رهم^(١) فى عمرة^(٢) القضية^(٣)، وكانت تلك الاستخلافات أكمل من استخلاف على رضى الله عنه عام تبوك، وكلهم كانوا منه بمنزلة^(٤) هارون من موسى، إذ المراد التشبيه فى أصل الاستخلاف^(٥).

وإذا قيل: فى تبوك كان السفر بعيداً.

قيل: ولكن كانت المدينة وما حولها أمناً، لم يكن هناك عدو يُخاف، لأنهم كلهم أسلموا، ومن لم يسلم ذهب. وفى غير تبوك كان العدو موجوداً حول المدينة، وكان يُخاف على من بها، فكان خليفته يحتاج الى مزيد اجتهاد ولا يحتاج إليه فى الاستخلاف [فى] تبوك^(٦).

﴿فصل﴾

وكذلك الحديث المذكور عن ابن عباس: أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال [ذات يوم]^(٧) وهو نشيط: أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى، قال:

(١) ن، م: وأبارهم.

(٢) ر، ح: فى غزوة.

(٣) ن، م، و: وكلهم كان بمنزلة؛ ر، ح، ي: وكلهم كان.

(٤) ن: الاستخلافات.

(٥) ن، م، و: فى استخلاف تبوك. وسقطت عبارة «فى تبوك»: من (ح)، (ى)، (و).

(٦) ذات يوم: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

فقوله أنا الفتى : يعنى فتى العرب، وقوله : ابن الفتى ، يعنى إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، من قوله ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبرَاهِيمُ﴾ [سورة الأنبياء : ٦٠] وقوله : أخو الفتى : يعنى علياً، وهو معنى قول جبريل فى يوم بدر وقد عرج إلى السماء وهو فرح وهو يقول : لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا على .

فإن هذا الحديث^(١) من الأحاديث المكذوبة الموضوعة باتفاق أهل المعرفة بالحديث^(٢)، وكذبه معروف من غير جهة الإسناد من وجوه .

منها : أن لفظ «الفتى» فى الكتاب والسنة ولغة العرب ليس هو من أسماء المدح، كما ليس هو من أسماء الذم، ولكنه بمنزلة اسم^(٣) الشاب / والكهل والشيوخ ونحو ذلك، والذين قالوا عن إبراهيم : سمعنا فتى يذكرهم يُقال له : إبراهيم، هم الكفار، ولم يقصدوا مدحه بذلك، وإنما الفتى كالشاب الحدّث^(٤) .

١٧/٣

(١) ن : فإن هذه الأحاديث ..

(٢) لم أجد الجزء الأول من هذا الحديث الموضوع، وأما الجزء الأخير منه وهو : «لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على» فوصفه بالوضع وتكلم على الكذابين من رواه كل من ابن الجوزى فى «الموضوعات» ١/٣٨١-٣٨٢؛ والسيوطى فى «اللائىء المصنوعة» ١/٣٦٤-٣٦٥؛ وعلى القارىء فى «الأسرار المرفوعة» ص ٣٨٤-٣٨٥؛ وابن عراق الكنانى فى «تنزيه الشريعة» ١/٣٨٥؛ وابن العجلونى فى «كشف الخفاء» ٢/٣٦٣-٣٦٤ .

(٣) اسم : ساقطة من (أ)، (ب) .

(٤) بعد كلمة «الحدّث» يوجد سقط طويل فى (ج)، (ى)، (ر) يتهى عند عبارة «نفعه إيمانه وإن أبغضه» (ص ٧٥) .

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلُّ من أن يفتخر بجده وابن عمه^(١).

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ عليًّا ولا غيره، وحديث المؤاخاة لعليّ، ومؤاخاة أبي بكر لعمر من الأكاذيب. وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، ولم يؤاخ بين مهاجرى ومهاجرى.

ومنها: أن هذه المنادة يوم بدر كذب.

ومنها: أن ذا الفقار لم يكن لعليّ، وإنما كان سيفاً من سيوف أبى جهل غنمه المسلمون منه يوم بدر، فلم يكن يوم بدر ذو الفقار من سيوف المسلمين، بل من سيوف الكفار، كما روى ذلك أهل السنن. فروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم تنفل^(٢) سيفه ذا الفقار^(٣) يوم بدر^(٤).

ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بعد النبوة كهلاً قد تعدى سن الفتيان.

(١) ب (فقط): أو ابن عمه. (٢) ب (فقط): نقل.

(٣) ب: سيف ذى الفقار؛ أ: سيف ذو الفقار؛ ن: سيفه ذو الفقار.

(٤) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: سنن الترمذى ٦٠/٣ - ٦١ (كتاب السير،

باب فى النفل) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب». وهو فى: سنن ابن ماجه

٩٣٩/٢ (كتاب الجهاد، باب السلاح). وجاء الحديث مطولاً فى: المسند (ط.

المعارف) ١٤٦/٤ - ١٤٧. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «إسناده صحيح..

والحديث ذكره ابن كثير فى التاريخ ١١/٤ - ١٢ من رواية البيهقى من طريق ابن وهب عن

ابن أبى الزناد بأطول مما هنا... ذو الفقار: بفتح الفاء، سُمى بذلك لأنه كانت فيه حفر

صغار حسان، والسيف المفقر: الذى فيه حروز مطمئة عن مته».

﴿فصل﴾

وأما حديث أبي ذر الذي رواه الرافضي فهو موقوف عليه ليس مرفوعاً^(١)، فلا يحتج به، مع أن^(٢) نقله عن أبي ذر فيه^(٣) نظر، ومع هذا فحب عليّ واجب، وليس ذلك من خصائصه، بل علينا أن نحبه، كما علينا أن نحب عثمان وعمر وأبا بكر، وأن نحب الأنصار.

ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»^(٤) وفي صحيح مسلم عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: «إنه لعهد النبي الأميّ إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»^(٥).

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(٦): «ومنها ما نقله صاحب «الفردوس» في كتابه عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال^(٧): «حب

تابع كلام
الرافضي عن
فضائل عليّ
رضي الله عنه

(١) عبارة «ليس مرفوعاً»: ساقطة من (أ)، (ب).

(٢) أ، ب: مع أنه.

(٣) أ، ب: وفيه.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٢٩٧/٤.

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٢٩٦/٤.

(٦) الرافضي: ساقطة من (و). والكلام التالي في (ك) ص ١٣٠ (م) - ١٣١ (م).

(٧) ك: عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وآله قال؛ و: عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال.

علي^(١) حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا ينفع^(٢) معها حسنة».

الرد عليه

والجواب: أن كتاب «الفردوس»^(٣) فيه من الأحاديث الموضوعات ماشاء الله، ومصنفه شيرويه بن شهردار الديلمي^(٤) وإن كان من طلبة الحديث ورواته، فإن هذه الأحاديث التي جمعها وحذف أسانيدها، [نقلها]^(٥) من غير اعتبار لصحتها وضعيفها وموضوعها؛ فلهذا كان فيه من الموضوعات أحاديث كثيرة جداً.

ص ١٨٤

وهذا الحديث مما يشهد المسلم بأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقوله^(٦)؛ فإن حب الله ورسوله أعظم من حب علي، والسيئات تضر مع ذلك. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يضرب عبدالله / بن حمار^(٧) في

(١) ك: علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) ك: لا تنفع.

(٣) و: فيقال أما كتاب «الفردوس».

(٤) أ، ن، ب، م: شهريار، وهو خطأ. وهو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو، ولد سنة ٤٤٥ وتوفي سنة ٥٠٩، مؤرخ ومحدث، له «تاريخ همذان» و«فردوس الأخيار» وهو كتاب كبير في الحديث اختصره ابنه شهردار، واختصر المختصر ابن حجر العسقلاني. انظر ترجمة شيرويه في: شذرات الذهب ٤/٢٣ - ٢٤؛ الأعلام ٣/٢٦٨.

(٥) نقلها: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٦) أ، ب: ما يقوله. ولم أجد هذا الحديث الموضوع ولكني وجدت حديثاً موضوعاً مقارباً ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» ١ - ٣٧ وهو: «حب علي بن أبي طالب يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب». وذكره أيضاً السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» ٣٥٥/١.

(٧) و: عبدالله حمارة؛ ن، م: عبدالله حمارة.

الخمر، وقال: «إنه يجب الله ورسوله»^(١). وكل مؤمن فلا بد أن يجب الله ورسوله، والسيئات تضره. وقد أجمع المسلمون وعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الشرك يضر صاحبه^(٢) ولا يغفره الله لصاحبه^(٣)، ولو أحب عليّ ابن أبي طالب؛ فإن أباه أبا طالب كان يحبه وقد ضره الشرك حتى دخل النار، والغالية يقولون إنهم يحبونه وهم كفّار من أهل النار.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(٤). وقد علم بالإضطرار من دين الإسلام أن الرجل لو سرق لقطعت يده وإن كان يجب عليّ، ولو زنى أُقيم عليه الحد ولو كان يجب عليّ، ولو قتل لأقيد بالمقتول وإن كان يجب عليّ. وحب النبي صلى الله عليه وسلم أعظم من حب عليّ، ولو ترك رجل الصلاة والزكاة وفعل الكبائر لضره ذلك مع حب النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف لا يضره ذلك مع حب عليّ؟.

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤٥٧/٤ - ٤٥٨.

(٢-٢) : ساقط من (أ)، (ب).

(٣) أ، ب: ولو أن فاطمة.. والحديث عن عائشة رضي الله عنها، وجاء في البخارى فى ثلاثة مواضع: ٢٣/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب ذكر أسامة بن زيد)، ١٧٥/٤ (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان..). ونصه فيه: ... أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت... وفيه: ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنتشفح في حد من حدود الله؟» ثم قام فاختطب ثم قال: «إنما أهلك الذين قبلكم...»، الحديث. وهو فى: البخارى ١٦٠/٨ (كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع)؛ مسلم ١٣١٥/٣ - ١٣١٦ (كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره...).؛ سنن أبى داود ١٨٨/٤ (كتاب الحدود، باب فى الحد يشفع فيه). وجاء الحديث فى: سنن الترمذى وابن ماجه والنسائى والدارمى ومسنده أحمد.

ثم من المعلوم أن المحييين له الذين رأوه وقاتلوا معه أعظم من غيرهم، وكان هو دائماً يذمهم [ويعيبهم]^(١) ويطعن عليهم ويتبرأ من فعلهم به^(٢)، ودعا الله عليهم أن يبدله بهم خيراً منهم، ويبدلهم به شراً منه، ولو لم تكن إلا ذنوبهم بتخاذلهم في القتال معه ومعصيتهم لأمره - فإذا كان أولئك خيار الشيعة وعلىّ يبين أن تلك الذنوب تضرهم - فكيف بما هو أعظم منها لمن هو شر من أولئك؟!!

وبالجملة فهذا^(٣) القول كفر [ظاهر]^(٤) يُستتاب صاحبه، ولا يجوز أن يقول هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر.

وكذلك قوله: «ويغضه سيئة لا ينفع معها حسنة» فإن من أبغضه إن كان كافراً / فكفره هو الذي أشقاه، وإن كان مؤمناً نفعه إيمانه وإن أبغضه^(٥).

وكذلك الحديث الذي ذكره^(٦) عن ابن مسعود [أن النبي صلى الله عليه وسلم قال]^(٧): حب آل محمد يوماً خيراً من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة. وقوله عن علىّ: أنا وهذا حجة الله على خلقه - هما حديثان

(١) ويعيبهم: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) به: ساقطة من (أ)، (ب)، (م).

(٣) أ، ب: وبالجملة هذا...

(٤) ظاهر: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٥) هنا ينتهي السقط الطويل في (ح)، (و)، (ي).

(٦) ح، ر: ومنها الذي ذكره؛ ي: ومنها ما ذكره.

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ي).

موضوعان عند أهل العلم بالحديث^(١). وعبادة سنة فيها الإيمان والصلوات الخمس كل يوم وصوم شهر رمضان، وقد أجمع المسلمون على أن هذا لا يقوم مقامه حب آل محمد شهراً، فضلاً عن حبهم يوماً.

وكذلك حجة الله على عباده قامت بالرسول فقط. كما قال تعالى: ﴿لَيْتَآ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٥]. ولم يقل: بعد الرسل والأئمة أو الأوصياء^(٢) أو غير ذلك.

وكذلك قوله: «لو اجتمع الناس على حب علي لم يخلق الله النار» من أبين الكذب^(٣) باتفاق أهل العلم [والإيمان]^(٤)، ولو اجتمعوا على حب علي لم ينفعهم ذلك حتى يؤمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويعملوا صالحاً، وإذا فعلوا ذلك دخلوا الجنة، وإن لم يعرفوا علياً بالكلية، ولم يخطر بقلوبهم لا حبه ولا بغضه.

(١) لم أجد الحديث الأول. أما الحديث الثاني فقد وصفه بالوضع وتكلم على رواية الوضعيين كل من: ابن الجوزي في «الموضوعات» ٣٨٢/١ - ٣٨٣؛ والسيوطي في «الالآء المصنوعة» ٣٦٥/١ - ٣٦٦؛ والشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص ٣٧٣. ولم ينقل ابن تيمية كعادته كلام ابن المطهر بنصه ثم يرد عليه ولكنه ذكر كلامه هنا مباشرة مع الرد عليه في نفس الوقت. ونص كلام ابن المطهر في (ك) ص ١٣١ (م)؛ «وعن ابن مسعود قال: حب آل محمد صلى الله عليه وآله يوماً خير من عبادة سنة، ومن مات عليه دخل الجنة. وعن أنس قال: كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي عليه السلام فقال: أنا وهذا حجة الله على خلقه».

(٢) أو الأوصياء: كذا في (أ)، (ي)، (ب). وفي سائر النسخ: والأوصياء.

(٣) و: المكتوبات. وهذا الكلام ذكره ابن المطهر في (ك) ص ١٣١ (م) بهذا النص، ولم يفرد ابن تيمية بكلام مستقل كعادته من قبل.

(٤) ن، م: أهل العلم؛ و: أهل المعرفة.

قال الله تعالى : ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٢].

وقال تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

وقال تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [سورة آل عمران ١٣٣-١٣٦]^(١) فهؤلاء في الجنة، ولم يشترط عليهم ما ذكره من حب علي.

وكذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [سورة المعارج ١٩-٢٢]^(٢) إلى قوله : ﴿أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة المعارج: ٣٥] وأمثال ذلك، ولم يشترط حب علي.

وقد قَدِمَ على النبي صلى الله عليه وسلم عدة وفود، وآمنوا به، وآمن

(١) ن، م : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله : ﴿فنعم أجر العاملين﴾.

(٢) جاءت هذه الآيات كاملة في (أ)، (ب) فقط. وفي سائر النسخ : ﴿هلوعاً﴾ إلى قوله :

﴿إلا المصلين﴾.

به طوائف ممن لم يره، وهم لم يسمعوا بذكر عليّ ولا عرفوه، وهم من المؤمنين المتقين المستحقين للجنة. وقد اجتمع على دعوى حبه الشيعة الرافضة^(١) والنصيرية والإسماعيلية، وجمهورهم من أهل النار بل مخلدون في النار.

﴿فصل﴾

وكذلك الحديث الذي ذكره في العهد الذي عهده الله^(٢) في علي، وأنه راية الهدى وإمام الأولياء، وهو الكلمة التي ألزمها للمتقين^(٣) . . . الخ^(٤).

تابع كلام
الرافضي عن
فضائل علي
رضي الله عنه

(١) أ، ب، ت، م، و: الشيعة والرافضة. (٢) أ، م، ح، ب: عهد الله.

(٣) أ، ب، م: المتقين.

(٤) نص كلام ابن المطهر في (ك) ص ١٣١: «ومنها ما رواه أبو عبد الله الحافظ الشافعي بإسناده عن أبي بردة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله عهد إليّ عهداً في عليّ عليه السلام، فقلت: ياربّ بيته لي، فقال: اسمع، فقلت: سمعت، فقال: إن عليّاً راية الهدى، وإمام الأولياء، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمها للمتقين، من أحبه أحبني، ومن أبغضه أبغضني، فبشّره بذلك، فجاء عليّ عليه السلام فبشّرته، فقال: يا رسول الله، أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يعذبني فبذنوبي، وإن يتم لي الذي بشرتني فالله أولى بي، قال: فقلت: اللهم اجل قلبه، واجعل ربيعته الإيمان، فقال الله عز وجل: قد فعلت به ذلك، ثم إنه رُفِعَ إليّ أنه سيخصه من البلاء شيء لم يخص به أحد من أصحابي، فقلت: ياربّ أخي وصاحبي، فقال: إن هذا شيء قد سبق، إنه مبتلى ومبتلى به. وروى صاحب كتاب «حلية الأولياء» عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آمن (في الأصل: أو من) من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولي الله عز وجل. وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ من سبك فقد سبني، ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه علي منخريه في النار. والأخبار الواردة من قبل المخالفين أكثر من أن تحصى، لكن اقتصرنا في هذا المختصر على هذا القدر».

فإن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة [بالحديث] ^(١) والعلم .
 ومجرد رواية صاحب «الحلية» ونحوه ^(٢) لا تفيد ولا تدل على الصحة ؛ فإن
 صاحب «الحلية» قد روى فى فضائل أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ
 والأولياء وغيرهم أحاديث ضعيفة بل موضوعة باتفاق العلماء ^(٣)، وهو
 وأمثاله من الحفاظ الثقات أهل ^(٤) الحديث ثقات فيما يروونه عن
 شيوخهم، لكن الآفة ممن هو فوقهم . وهم لم يكذبوا فى النقل عمّن
 نقلوا عنه، لكن يكون واحد من رجال الإسناد ممن يتعمد الكذب أو
 يغلط، وهم يبلغون عمّن حدثهم ما سمعوه منه، ويروون الغرائب
 لتُعرف . وعامة الغرائب ضعيفة، كما قال الإمام أحمد: «اتقوا هذه
 الغرائب، فإن عامتها ضعيفة» .

وقوله فى الحديث: «هو كلمة التقوى» مما يبين أن [هذا] كذب ^(٥)؛
 فإن تسميته «كلمة» من جنس تسمية المسيح عليه السلام «كلمة [الله]» ^(٦)
 والمسيح سُمى بذلك لأن مثله عند الله كمثل آدم، خلقه من / تراب ثم
 قال له كن فيكون، فهو مخلوق بالكلمة . وأما عليّ فهو مخلوق كما خلق

(١) بالحديث: زيادة فى (ج)، (ب) .

(٢) ونحوه: ساقطة من (أ)، (ج)، (ب)، (د) .

(٣) أ، ب: باتفاق أهل العلم . وقال الذهبي عن السلمى فى ميزان الاعتدال ٤٦/٣ - ٤٧ .

«قيل: كان يضع الأحاديث للصوفية» . وانظر: لسان الميزان ١٤٠/٥ - ١٤١ . وسبقت

ترجمة السلمى ٤٦٥/٢ .

(٤) ح، ب: وأهل .

(٥) ن، م: أنه كذب .

(٦) كلمة الله: كذا فى (أ)، (ب) . وفى سائر النسخ «كلمة» .

وكلمة التقوى مثل لا إله إلا الله، والله أكبر، من الكلمات التي يصدق المؤمنون بمضمونها إن كانت خيراً^(١)، ويطيعونها إن كانت أمراً، فمثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة / الدنيا وفي الآخرة.

١٩/٣

وكلمة «التقوى» اسم جنس لكل كلمة يُتقى الله فيها^(٢)، وهو الصدق والعدل.

فكل من تحرى الصدق في خبره، والعدل في أمره، فقد لزم كلمة التقوى. وأصدق الكلام وأعدله قول لا إله إلا الله، فهو أخص الكلمات بأنها كلمة التقوى.

وكذلك حديث عمار وابن عباس كلاهما من الموضوعات^(٣).

(١) أ، ن، م، و: خيراً.

(٢) ح، ب، ق: بها.

(٣) لم أجد هذين الحديثين.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضى :
المطاعن في
الصحابة كثيرة
حتى صنف
الكلبي كتاب
«مثالب الصحابة»
ولم يذكر فيه
منقصة واحدة
لأهل البيت

قال الرافضى^(٢) : «وأما المطاعن في الجماعة فقد نقل الجمهور منها أشياء كثيرة^(٣) : حتى صنف الكلبي كتابا «في مثالب^(٤) الصحابة» ولم يذكر فيه منقصة واحدة لأهل البيت^(٥) .

والجواب: أن يقال: قبل^(٦) الأجوبة المفصلة عما يُذكر من المطاعن أن ما يُنقل عن الصحابة من المثالب فهو نوعان : أحدهما : ما هو كذب : إما كذب كله ، وإما محرّف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يُخرجه إلى الذم والطعن . وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب يرويها الكذّابون المعروفون بالكذب ، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى^(٧) ، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي وأمثالهما من الكذّابين . ولهذا استشهد هذا الرافضى بما صنّفه هشام الكلبي في ذلك ، وهو من أكذب

(١) ي ، ر : الفصل الثالث عشر . وسقطت كلمة «فصل» من (ح) ، (أ) .

(٢) عبارة «قال الرافضى» : ساقطة من (أ) . والكلام التالى فى (ك) ص ١٣٢ (م) . ويستغرق

الرد عليه حوالى مائة صفحة من نسخة (ب) ١٩/٣ - ١١٦ .

(٣) ن ، م ، و : شيئا كثيرا .

(٤) ك : كتابا كله فى مثالب . .

(٥) ك : أهل البيت عليهم السلام ؛ و : لأهل البيت عليهم الصلاة والسلام .

(٦) و : فىقال قيل . .

(٧) سبقت ترجمته ٥٩/١ .

الناس^(١)، وهو شيعي يروى عن أبيه^(٢) وعن أبي مخنف، وكلاهما متروك كذاب. وقال الإمام أحمد في هذا: «الكلبي ما ظننت^(٣) أن أحداً يحدث عنه^(٤)»، إنما هو صاحب سمر [وشبهه]^(٥). وقال الدارقطني: «هو متروك» وقال ابن عدي: «هشام الكلبي الغالب عليه الأسمار، ولا أعرف له في المسند شيئا، وأبوه أيضا كذاب». وقال زائدة والليث وسليمان التيمي^(٦): «هو كذاب». وقال يحيى: [ليس بشيء]^(٧) كذاب ساقط. وقال ابن حبان^(٨): «وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق^(٩) في وصفه».

النوع الثاني: ما هو صدق. وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها

(١) سبقت ترجمة هشام الكلبي فيما مضى ٥٩/١. وترجمته عند سزكين ١م، ح٢، ص ٥١-٥٧ ولم يذكر من كتبه الموجودة كتاب «مثالب الصحابة» وكذلك لم يذكره الزركلي في كتابه «الأعلام» ٨٧/٩ وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» ٣/٣٠-٣٣ ولكنهم ذكروا جميعا كتاب «مثالب العرب» وذكر بروكلمان أن الكلبي تكلم على «مثالب الأمويين»، وذكر خبر كتابته في مثالب الأمويين الطبري في تاريخه ونقل ذلك عنه الأستاذ أحمد أمين في «ضحى الإسلام» ٢٧/٢ (الطبعة الثالثة ١٣٧١/١٩٥٢).

(٢) انظر ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب عن محمد بن السائب الكلبي في «المتقى»، ص ٣١٨-٣١٩.

(٣) و: وقال الإمام أحمد بن حنبل فيه ما ظننت...

(٤) ن، م: يروى عنه.

(٥) وشبهه: ساقطة من (ن)، (م). وفي (أ)، (ب)، (ر): ونسب. وفي (ق): ذنوباً وشبهه.

(٦) ن: سليمان والتيمي.

(٧) عبارة «ليس بشيء»: ساقطة من (ن)، (م).

(٨) ن، و: ابن حبان.

(٩) ن، أ: الإعراف؛ و: الاعتراف؛ ح: التعريف؛ ق: الإغراب.

عن أن تكون ذنوباً، وتجعلها من موارد الاجتهاد، التي إن أصاب
المجتهد فيها فله أجران وإن أخطأ فله أجر. وعامة المنقول الثابت عن
الخلفاء الراشدين من هذا الباب، وما قُدِّر من هذه الأمور ذنباً محققاً فإن
ذلك لا يقدر فيما عُلِم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة،
لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة.

منها^(١): التوبة الماحية. وقد ثبت عن أئمة الإمامية^(٢) أنهم تابوا من
الذنوب المعروفة عنهم.

ومنها: الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات.
وقد قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾
[سورة النساء: ٣١].

ومنها: المصائب المكفرة.

ومنها: دعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وشفاعة نبيهم، فما من سبب
يسقط به الذم والعقاب عن أحد [من الأمة]^(٣) إلا والصحابة أحق بذلك،
فهم أحق بكل مدح، ونفي كل ذم ممن بعدهم من الأمة.

ونحن نذكر قاعدة جامعة في هذا الباب لهم ولسائر الأمة فنقول: لا بد
أن يكون مع الإنسان أصول كلية يرد إليها الجزئيات ليتكلم بعلم وعدل،
ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت، وإلا فيبقى في كذب وجهل في
الجزئيات وجهل وظلم في الكلليات، [فيتولد فساد عظيم]^(٤).

(١) و: أحدها.

(٢) و: عن أئمتهم.

(٣) من الأمة: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

الكلام في
تصويب المجتهدين
وتخطئتهم
وتأنيبهم في
مسائل الفروع
والأصول

فنقول: الناس قد تكلموا في تصويب المجتهدين وتخطئتهم وتأنيبهم
وعدم تأنيبهم في مسائل الفروع والأصول. ونحن نذكر أصولا جامعة
نافعة.

الأصل الأول: أنه هل يمكن كل أحد أن يعرف باجتهاده الحق في
كل مسألة فيها نزاع، وإذا لم يمكنه فاجتهد واستفرغ وسعه فلم يصل إلى
الحق، بل قال ما اعتقد أنه هو الحق في نفس الأمر، ولم يكن هو
[الحق]^(١) في نفس الأمر: هل يستحق أن يُعاقب أم لا؟

هذا أصل هذه المسائل، وللناس في هذا الأصل ثلاثة أقوال؛ كل
قول عليه طائفة من النظائر.

الأول: قول من يقول: إن الله قد نصب على الحق في كل مسألة
دليلا يُعرف به، يمكن كل من اجتهد واستفرغ وسعه أن يعرف الحق،
وكل من لم يعرف الحق في مسألة أصولية أو فروعية، فإنما هو لتفريطه
فيما يجب عليه، لا لعجزه. وهذا القول هو المشهور عن القدرية
والمعتزلة، و[هو] قول^(٢) طائفة من / أهل الكلام غير هؤلاء.

٢٠ / ٣

ثم قال هؤلاء: أما المسائل العلمية فعليها أدلة قطعية تُعرف بها، فكل
من لم يعرفها فإنه لم يستفرغ وسعه في طلب الحق فيأثم.

وأما المسائل العملية الشرعية فلهم فيها مذهبان: أحدهما: أنها
كالعلمية، وأنه على كل مسألة دليل قطعي، من خالفه فهو آثم. وهؤلاء

(١) الحق: ساقطة من (ن).

(٢) ن، م: وقول.

الذين يقولون: المصيب واحد في كل مسألة أصلية وفرعية، وكل من سوى المصيب فهو آثم لأنه مخطيء، والخطأ والإثم عندهم متلازمان. وهذا قول بشر المريسي وكثير من المعتزلة البغداديين.

ص ١٨٥ / الثاني: أن المسائل العملية^(١) إن كان عليها دليل قطعي فإن من خالفه آثم مخطيء كالعلمية، وإن لم يكن عليها دليل قطعي فليس لله فيها حكم في الباطن، وحكم الله في حق كل مجتهد ما أذاه اجتهاده إليه. وهؤلاء وافقوا الأولين في أن الخطأ والإثم متلازمان^(٢)، وأن كل مخطيء آثم، لكن خالفوهم في المسائل الاجتهادية، فقالوا: ليس فيها قاطع.

والظن ليس عليه دليل عند هؤلاء، وإنما هو من جنس ميل النفوس إلى شيء دون شيء. فجعلوا الاعتقادات الظنية من جنس الإرادات، وادعوا أنه ليس في نفس الأمر [حكم مطلوب بالاجتهاد، ولا ثم في نفس الأمر]^(٣) أمانة أرجح من أمانة.

وهذا القول قول أبي الهذيل العلاف ومن أتبعه كالجبائي وابنه، وهو أحد قولي الأشعري وأشهرهما، وهو اختيار القاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي حامد الغزالي، وأبي بكر بن العربي، ومن أتبعهم، وقد بسطنا القول في ذلك بسطاً كثيراً [في غير هذا الموضع].

(١) ح، م: العلمية، وهو خطأ.

(٢) ن، م، و: يتلازمان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

والمخالفون لهم كأبي إسحاق الإسفراييني، وغيره من الأشعرية، وغيرهم، يقولون: هذا القول أوله سفسطة وآخره زندقة. وهذا قول من يقول: إن كل مجتهد في المسائل الشرعية^(١) الاجتهادية العملية فهو مصيب باطنا وظاهراً، ولا يُتصور^(٢) عندهم أن يكون مجتهداً مخطئاً إلا بمعنى أنه خفي عليه بعض الأمور، وذلك الذي خفي عليه ليس هو حكم الله: لا في حقه ولا في حق أمثاله. وأما من كان مخطئاً - وهو المخطيء في المسائل القطعية - فهو آثم عندهم.

والقول الثاني في أصل المسألة: إن المجتهد المستدل قد يمكنه أن يعرف الحق، وقد يعجز^(٣) عن ذلك، لكن إذا عجز عن ذلك فقد يعاقبه الله تعالى، وقد لا يعاقبه، فإن له أن يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء بلا سبب أصلاً، بل لمحض المشيئة. وهذا قول الجهمية والأشعرية، وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم.

ثم قال هؤلاء: قد عُلم بالسمع أن كل كافر فهو في النار، فنحن نعلم أن كل كافر فإن الله يعذبه، سواء كان قد اجتهد وعجز عن معرفة صحة دين الإسلام أو لم يجتهد. وأما المسلمون المختلفون، فإن كان اختلافهم في الفروعيات، فأكثرهم يقول: لا عذاب فيها، وبعضهم يقول: لأن^(٤) الشارع عفا عن الخطأ فيها، وعُلم ذلك بإجماع السلف على أنه لا إثم على

(١) ن، م: الفروعية.

(٢) أ، ب: إذ لا يتصور.

(٣) ن، م: وهو يعجز.

(٤) ن، م، أ: إن.

المخطيء فيها. وبعضهم يقول: لأن^(١) الخطأ في الظنيات ممتنع، كما تقدم ذكره عن بعض الجهمية والأشعرية. وأما القطعيات فأكثرهم يؤثم المخطيء فيها، ويقول: إن السمع قد دلّ على ذلك. ومنهم من لا يؤثمه. والقول المحكي عن عبيد الله بن الحسن العنبري^(٢) هذا معناه: أنه كان لا يؤثم المخطيء من المجتهدين من هذه الأمة: لا في الأصول ولا في الفروع. وأنكر جمهور الطائفتين من أهل الكلام والرأى على عبيد الله هذا القول.

وأما غير هؤلاء فيقول: هذا قول السلف وأئمة الفتوى، كأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي وغيرهم: لا يؤثمون مجتهدا مخطئا لا في المسائل الأصولية ولا في الفروعية، كما ذكر ذلك عنهم ابن حزم وغيره. ولهذا كان أبو حنيفة والشافعي وغيرهما يقبلون شهادة أهل الأهواء، إلا الخطابية^(٣)، ويصححون الصلاة خلفهم، والكافر لا تُقبل شهادته على المسلمين، ولا يُصلى خلفه.

وقالوا: هذا هو القول المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين: إنهم لا يكفرون ولا يفسقون ولا يؤثمون أحداً من المجتهدين المخطئين، لا في مسألة عملية ولا علمية.

قالوا: والفرق بين مسائل الأصول والفروع إنما هو من أقوال أهل البدع

(١) ن، م: إن.

(٢) و: القنبري، وهو خطأ. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٧/٧-٨ (وفيه: مات في ذي القعدة سنة ثمان وستين ومائة).

(٣) سبق الكلام على الخطابية ٦٢/١.

من أهل الكلام من المعتزلة والجهمية ومن سلك / سبيلهم . وانتقل هذا القول إلى أقوام تكلموا بذلك في أصول الفقه ، ولم يعرفوا حقيقة هذا القول ولا غوره .

قالوا: والفرق في ذلك بين مسائل الأصول والفروع كما أنه بدعة محدثة^(١) في الإسلام ، لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولا إجماع ، بل ولا قالها أحد من السلف والأئمة ، فهي باطلة عقلا ؛ فإن المفرقين^(٢) بين ما جعلوه مسائل أصول ومسائل فروع لم يفرقوا^(٣) بينهما بفرق صحيح يميز بين النوعين ، بل ذكروا ثلاثة فروق أو أربعة كلها باطلة .

فمنهم من قال: مسائل الأصول هي العلمية الاعتقادية التي يُطلب فيها العلم والاعتقاد فقط ، ومسائل الفروع هي العملية التي يُطلب فيها العمل .

قالوا: وهذا فرق^(٤) باطل ؛ فإن المسائل العملية فيها ما يكفر جاحده ، مثل وجوب الصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وتحريم الزنا والربا والظلم والفواحش . وفي المسائل العلمية مالا يأتى المتنازعون فيه ، كتنازع الصحابة : هل رأى محمد ربه؟ وكتنازعهم في بعض النصوص : هل قاله النبي صلى الله عليه وسلم أم لا؟ وما أراد بمعناه؟ وكتنازعهم في بعض الكلمات : هل هي من القرآن أم لا؟ وكتنازعهم في بعض معانى القرآن

(١) ح : كما أنها بدعة محدثة ؛ ب : كما أنها محدثة ؛ أ : كما أنه محدثة .

(٢) ن ، م ، ر ، ح ، ي : فإن الفرق .

(٣) و : لم يفصلوا .

(٤) ن ، م : الفرق .

والسنة: هل أراد الله ورسوله كذا وكذا؟ وكتنازع الناس في دقيق الكلام: كمسألة الجوهر الفرد، وتمائل الأجسام، وبقاء الأعراض، ونحو ذلك؛ فليس في هذا تكفير ولا تفسيق.

قالوا: والمسائل العملية فيها علم وعمل، فإذا كان الخطأ مغفوراً [فيها]^(١)، فالتى فيها علم بلا عمل أولى أن يكون الخطأ فيها مغفوراً. ومنهم من قال: المسائل الأصولية هي ما كان عليها دليل قطعى، والفرعية^(٢) ما ليس عليها دليل قطعى.

قال أولئك: وهذا الفرق خطأ أيضاً، فإن كثيراً من المسائل العملية عليها / أدلة قطعية عند من عرفها، وغيرهم لم يعرفها، وفيها ما هو قطعى بالإجماع، كتحریم المحرمات الظاهرة، ووجوب الواجبات الظاهرة، ثم لو أنكرها الرجل بجهل وتأويل لم يكفر حتى تقام عليه الحجة، كما أن جماعة استحلوا [شرب]^(٣) الخمر على عهد عمر، منهم قدامة، ورأوا أنها حلال لهم، ولم يكفروهم الصحابة حتى بينوا لهم خطأهم فتابوا ورجعوا. وقد كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم طائفة أكلوا بعد طلوع الفجر حتى يتبين^(٤) لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود، ولم يؤثمهم^(٥) النبي صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن تكفيرهم، وخطوهم قطعى. وكذلك أسامة بن زيد، وقد قتل الرجل المسلم، وكان خطؤه قطعياً.

(١) فيها: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ن، م، و، ي، أ: والفروعية.

(٣) شرب: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٤) أ، ح، ب، ي، و: تبين.

(٥) ن، م: ثم لم يؤثمهم.

وكذلك الذين وجدوا رجلا في غنم له، فقال: إني مسلم، فقتلوه وأخذوا ماله، كان خطوهم قطعيا. وكذلك خالد بن الوليد لما قتل بنى جذيمة وأخذ^(١) أموالهم كان مخطئا قطعيا. وكذلك الذين تيمموا إلى الأباط. وعمار الذى تمعك في التراب للجناية [كما تمعك الدابة، بل والذين أصابتهم جناة فلم يتيمموا ولم يصلوا،]^(٢) كانوا مخطئين قطعيا.

وفي زماننا لو أسلم قوم في بعض الأطراف، ولم يعلموا وجوب الحج، أو لم يعلموا تحريم الخمر، لم يُجذُّوا على ذلك. وكذلك لو نشأوا بمكان جهل.

وقد زنت على عهد عمر امرأة، فلما أقرت به، قال عثمان^(٣): إنها لتستهل به استهلال من لم يعلم^(٤) أنه حرام. فلما تبين للصحابة أنها لا تعرف التحريم لم يجذُّوها. واستحلل الزنا خطأ قطعيا.

والرجل إذا حلف على شيء يعتقد، كما حلف عليه فتبين بخلافه، فهو مخطيء قطعيا، ولا إثم عليه بالاتفاق، وكذلك لا كفارة عليه عند الأكثرين.

ومن اعتقد بقاء الفجر فأكل، فهو مخطيء قطعيا إذا تبين له الأكل بعد الفجر، ولا إثم عليه، وفي القضاء نزاع. وكذلك من اعتقد غروب الشمس، فتبين بخلافه، ومثل هذا كثير.

(١) و: وأكل.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م)، (أ).

(٣) ن، م: قال عمر.

(٤) ح، ب: من لا يعلم.

وقول الله تعالى في القرآن : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾
[سورة البقرة: ٢٨٦] قال الله تعالى: قد فعلت^(١). ولم يفرق بين الخطأ القطعي
والظني^(٢)، بل لا يجزم بأنه خطأ إلا إذا [كان]^(٣) أخطأ قطعاً.

قالوا: فمن قال: إن المخطيء في مسألة قطعية [أو ظنية]^(٤) يَأْتِمُ فقد
خالف الكتاب والسنة والإجماع القديم. قالوا: وأيضاً فكون المسألة قطعية
أو ظنية هو أمر^(٥) إضافي بحسب حال المعتقدين، ليس هو وصفاً للقول في
نفسه؛ فإن الإنسان قد يقطع بأشياء علمها بالضرورة أو بالنقل المعلوم
صدقه عنده، وغيره لا يعرف ذلك لا قطعاً ولا ظناً، وقد يكون / الإنسان
ذكياً قوى الذهن سريع الإدراك [علماً وظناً]^(٦)، فيعرف من الحق ويقطع
به ما لا يتصوره غيره ولا يعرفه لا علماً ولا ظناً، فالقطع والظن يكون
بحسب ما وصل إلى الإنسان من الأدلة، وبحسب قدرته على الاستدلال.

والناس يختلفون في هذا وهذا، فكون المسألة قطعية أو ظنية ليس هو
صفة ملازمة للقول المتنازع فيه، حتى يُقال: كل من خالفه قد خالف
القطعي، بل هو صفة لحال الناظر المستدل المعتقد، وهذا مما يختلف فيه
الناس. فعلم أن هذا الفرق لا يَطْرُد ولا ينعكس.

ومنهم من فرّق بفرق ثالث، وقال: المسائل الأصولية هي المعلومة

(١) سبق الحديث فيما مضى ٣٢٠/٤.

(٢) ح، ب: القطعي في مسألة قطعية أو ظنية والظني.

(٣) كان: زيادة في (أ)، (ب).

(٤) أو ظنية: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ي).

(٥) و: فرق. (٦) علماً وظناً: زيادة في (و).

بالعقل، فكل مسألة علمية^(١) استقل العقل بدركها^(٢)، فهي من مسائل الأصول التي يكفر أو يُفسق مخالفتها. والمسائل الفروعية هي المعلومة بالشرع. قالوا: فالأول كمسائل الصفات والقدر، والثاني كمسائل الشفاعة وخروج أهل الكبائر من النار.

فيقال لهم: ما ذكرتموه بالضد أولى؛ فإن الكفر والفسق^(٣) أحكام شرعية، ليس ذلك من الأحكام التي يستقل بها العقل^(٤). فالكافر من جعله الله ورسوله كافرا، والفاسق من جعله الله ورسوله فاسقا، كما أن المؤمن والمسلم من جعله الله ورسوله مؤمنا ومسلما، والعدل من جعله الله ورسوله عدلا، والمعصوم الدم من جعله الله ورسوله معصوم الدم، والسعيد في الآخرة من أخبر الله ورسوله عنه أنه سعيد في الآخرة، والشقي فيها من أخبر الله ورسوله عنه أنه شقي فيها، والواجب من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبه الله ورسوله، والمستحقون لميراث الميت من جعلهم الله ورسوله وارثين، والذي يُقتل حداً أو قصاصاً من جعله الله [ورسوله]^(٥) مباح الدم بذلك، [والمستحق للفقير والخمس من جعله الله ورسوله مستحقاً لذلك]^(٦)، والمستحق للموالة والمعادة^(٧) من جعله الله

(١) أ: عقلية.

(٢) ن: اشتغل العقل بذكرها؛ م: استقل العقل بإدراكها.

(٣) ن: والفسوق.

(٤) ن: التي يشتغل العقل بها؛ ر، ح، ي: التي تستقل بالعقل، م: التي يستقل العقل.

(٥) ورسوله: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٧) ما بين النجمتين ساقط من (ح).

ورسوله مستحقاً للموالاتة والمعاداة^(١)، والحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله. فهذه المسائل كلها ثابتة بالشرع.

وأما الأمور التي يستقل بها العقل فمثل الأمور الطبيعية، مثل كون هذا المرض ينفع فيه الدواء الفلاني، فإن مثل هذا يُعلم^(٢) بالتجربة والقياس وتقليد الأطباء الذين علموا ذلك بقياس أو تجربة. وكذلك مسائل الحساب والهندسة ونحو ذلك، هذا مما^(٣) يُعلم بالعقل. وكذلك مسألة الجوهر الفرد، وتمائل الأجسام أو اختلافها، وجواز بقاء الأعراض وامتناع بقائها؛ فهذه ونحوها تُعلم بالعقل.

وإذا كان كذلك فكون الرجل مؤمناً وكافراً وعدلاً وفاسقاً هو من المسائل الشرعية لا من المسائل العقلية، فكيف يكون من خالف ما جاء به الرسول ليس كافراً، ومن خالف ما ادعى غيره أنه معلوم / بعقله كافراً؟ وهل يكفر أحد بالخطأ في مسائل الحساب والطب ودقيق الكلام؟

فإن قيل: هؤلاء لا يكفرون كل من خالف مسألة عقلية، لكن يكفرون من خالف المسائل العقلية التي يُعلم بها صدق الرسول؛ فإن العلم بصدق الرسول مبني عليها^(٤): [على مسائل معينة]^(٥)، فإذا اخطأ فيها لم يكن عالماً بصدق الرسول فيكون كافراً.

(١) ن: يعرف.

(٢) ن: هو ما..

(٣) عليها: ساقطة من (م)، (و).

(٤) على مسائل معينة: في (ح)، (و)، (و)، (م) فقط.

قيل : تصديق الرسول ليس مبنيا على مسائل معينة من مسائل النزاع ، بل ما جعله أهل الكلام المحدث أصلا للعلم بصديق الرسول ، كقول من قال من المعتزلة والجهمية : إنه لا يُعلم صدق الرسول إلا بأن يُعلم أن العالم حادث ، ولا يُعلم ذلك إلا بأن يُعلم^(١) أن الأجسام محدثة ، ولا يُعلم ذلك إلا [بالعلم]^(٢) بأنها لا تنفك من الحوادث : إما الأعراض مطلقا ، وإما الأكوان^(٣) ، وإما الحركات ، ولا يُعلم حدوثها^(٤) حتى يُعلم امتناع حوادث لا أول لها ، ولا يُعلم أنه صادق حتى يُعلم أن الرب غنى ، ولا يُعلم غناه حتى يُعلم أنه ليس بجسم .

ونحو ذلك من الأمور التي تزعم طائفة من أهل الكلام أنها أصول لتصديق الرسول لا يُعلم صدقه بدونها ، هي مما يُعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه لم يكن يجعل إيمان الناس موقوفا عليها ، بل ولا دعا الناس إليها ، ولا ذُكرت في كتاب ولا سنة ، ولا ذكرها أحد من الصحابة ، لكن الأصول التي بها يُعلم^(٥) صدق الرسول مذكورة في القرآن ، وهي غير هذه ، كما قد يُبين^(٦) في غير هذا الموضع .

وهؤلاء الذين / ابتدعوا أصولا زعموا أنه لا يمكن تصديق الرسول إلا بها ، وأن معرفتها شرط في الإيمان ، أو واجبة على الأعيان - هم من أهل

١٣/٣

(١) ح ، أ ، ر ، ي : ولا نعلم ذلك إلا بأن نعلم .

(٢) بالعلم : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) ن ، م ، ب : الألوان .

(٤) ح : ولا نعلم حدثها .

(٥) ر ، ح ، ي : التي نعلم بها .

(٦) ن : تبين .

البدع عند السلف والأئمة، وجمهور العلماء يعلمون أن أصولهم بدعة في الشريعة. لكن كثير من الناس يظن أنها صحيحة في العقل، وأما الخذاق من الأئمة ومن اتبعهم فيعلمون أنها باطلة في العقل، مبتدعة في الشرع، وأنها تناقض ما جاء به الرسول.

وحينئذ فإن كان الخطأ في المسائل العقلية التي يُقال: إنها أصول الدين كفرة^(١)، فهؤلاء السالكون هذه الطرق الباطلة في العقل المبتدعة في الشرع هم الكفار لا من خالفهم، وإن لم يكن الخطأ فيها كفرة، فلا يكفر من خالفهم فيها، فثبت أنه ليس كافراً في حكم الله ورسوله على التقديرين.

ولكن من شأن أهل البدع أنهم يتدعون أقوالاً يجعلونها واجبة في الدين، بل يجعلونها من الإيثار الذي لا بد منه، ويكفرون من خالفهم فيها ويستحلون دمه، كفعل الخوارج والجهمية والرافضة والمعتزلة وغيرهم. وأهل السنة لا يتدعون قولاً ولا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وإن كان مخالفاً لهم، مكفراً لهم، مستحلاً لدمائهم، كما لم تكفر الصحابة الخوارج، مع تكفيرهم لعثمان وعلى ومن والاهما، واستحلهم لدماء المسلمين المخالفين لهم.

وكلام هؤلاء المتكلمين في هذه المسائل بالتصويب والتخطئة، والتأنيب [ونفيه]^(٢)، والتكفير ونفيه، لكونهم بنوا على القولين المتقدمين: قول القدرية الذين يجعلون كل مستدل قادراً على معرفة الحق، فيعذب كل من

(١) ن: أصول الذين كفروا، وهو تحريف.

(٢) ونفيه: ساقطة من (ن)، (م).

لم يعرفه، وقول الجهمية الجبرية الذين يقولون: لا قدرة للعبد على شيء أصلاً، بل الله يعذب بمحض المشيئة، فيعذب من لم يفعل ذنباً قط، وينعم من كفر وفسق، وقد وافقهم على ذلك كثير من المتأخرين، وهؤلاء يقولون: يجوز أن يعذب الأطفال والمجانين وإن لم يفعلوا ذنباً قط، ثم منهم من يجزم بعذاب أطفال الكفار في الآخرة، ومنهم من يجوزه ويقول: لا أدري ما يقع، وهؤلاء يجوزون أن يعفّر لأفسق أهل القبلة بلا سبب أصلاً، ويعذب الرجل الصالح على السيئة الصغيرة، وإن كانت له حسنات أمثال الجبال بلا سبب أصلاً بل بمحض المشيئة.

وأصل الطائفتين أن القادر المختار يرجح أحد المتماثلين على الآخر بلا مرجح. لكن هؤلاء الجهمية يقولون: إنه في كل حادث يرجح بلا مرجح، وأولئك القدرية والمعتزلة والكرامية، وطوائف غيرهم من الفقهاء والصوفية وأهل الحديث وغيرهم يقولون: أصل الإحداث والإبداع كان ترجيحاً بلا مرجح، وأما بعد ذلك فقد خلق أسباباً وحكما علق الحوادث بها.

واختلفت القدرية والجهمية الجبرية في الظلم. فقالت القدرية: الظلم في حقه هو ما نعرفه من ظلم الناس بعضهم بعضاً. فإذا قيل: إنه خالق أفعال العباد وإنه مرید لكل ما وقع، وقيل مع ذلك: إنه يعذب العاصي، كان هذا ظلماً كظلمنا، وسموا أنفسهم العادلة. وقالت الجهمية: الظلم في حقه هو ما يمتنع وجوده، فأما كل ما يمكن وجوده فليس بظلم؛ فإن الظلم: إما مخالفة أمر من تجب طاعته، وإما التصرف في ملك الغير بغير

إذنه، فالإنسان يُوصف بالظلم لأنه مخالف لأمر ربه، ولأنه قد^(١) يتصرف في ملك غيره بغير إذنه. والرب تعالى ليس فوقه أمر، ولا لغيره ملك، بل إنما يتصرف في ملكه، فكل ما يمكن فليس بظلم، بل إذا نعم فرعون وأبا جهل وأمثالهما عن كفر به وعصاه، وعذب موسى ومحمداً عن آمن به وأطاعه فهو مثل العكس، الجميع بالنسبة إليه سواء، ولكن لما أخبر أنه ينعم المطيعين وأنه يعذب العصاة صار ذلك معلوم الوقوع لخبره الصادق، لا لسبب اقتضى ذلك. / والأعمال علامات على الثواب والعقاب، ليست أسباباً.

ظ ١٨٦

فهذا قول جهنم وأصحابه، ومن وافقه كالأشعري، ومن وافقه من أتباع الفقهاء الأربعة والصوفية وغيرهم. ولهذا جَوَزَ هؤلاء أن يُعذَّبَ العاجز عن معرفة الحق ولو اجتهد، فليس عندهم في نفس الأمر أسباب للحوادث ولا حكم، ولا في الأفعال صفات لأجلها كانت مأموراً بها ومنهياً عنها، بل عندهم يمتنع أن يكون في خلقه وأمره لام «كى».

وأما / القدرية فيثبتون له شريعة فيما يجب عليه ومحرم عليه بالقياس على عباده. وقد تكلمنا على قول الفريقين في مواضع، وذكرنا فصلاً في ذلك في هذا الكتاب فيما تقدّم، لما تكلمنا على ما نسبته هذا الرافضي إلى [جميع]^(٢) أهل السنة من قول هؤلاء الجهمية الجبرية، وبيننا أن هذه المسألة لا تتعلق بمسألة الإمامة والفضل، بل من الشيعة من يقول بالجبر والقدر، وفي أهل السنة من يقول بهذا وبهذا.

(٢) جميع: ساقطة من (ن)، (م).

(١) قد: ساقطة من (أ)، (ب).

والمقصود هنا أن نبيّن أن الكلام في تصويب المتنازعين: مصيبين أو مخطئين، مثابين أو معاقبين، مؤمنين أو كفاراً - هو فرع عن هذا الأصل العام الشامل لهذه المسائل وغيرها .

وبهذا يظهر القول الثالث في هذا الأصل ، وهو أنه ليس كل من اجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق ، ولا يستحق الوعيد إلا من ترك مأموراً به^(١) أو فعل محظوراً . وهذا هو قول^(٢) الفقهاء والأئمة ، وهو القول المعروف عن سلف الأمة ، وقول جمهور المسلمين .

وهذا القول يجمع الصواب من القولين ، فالصواب من القول الأول - قول الجهمية الذين وافقوا فيه السلف والجمهور - وهو أنه ليس كل من طلب واجتهد واستدل على الشيء يتمكن من معرفة الحق فيه ، بل استطاعة الناس في ذلك متفاوتة .

والقدرية يقولون^(٣): إن الله تعالى سؤى بين المكلفين في القدرة ، ولم يخص المؤمنين بما فضلهم به على الكفار حتى آمنوا ، ولا خص المطيعين بما فضلهم به على العصاة حتى أطاعوا .

وهذا من أقوال^(٤) القدرية والمعتزلة وغيرهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل الصريح كما بسط في موضعه . ولهذا قالوا : إن كل مستدل فمعه قدرة تامة يتوصل بها إلى معرفة الحق .

(١) به : زيادة في (ن) ، (م) .

(٢) ن ، م : وهذا من قول ...

(٣) يقولون : كذا في (أ) ، (ب) . وفي سائر النسخ : يجعلون .

(٤) ن ، م : من قول .

ومعلوم أن الناس إذا اشتبهت عليهم القبلة [في السفر] (١) فكلهم مأمورون بالاجتهاد والاستدلال على جهة القبلة، ثم بعضهم يتمكن من معرفة جهتها، وبعضهم يعجز عن ذلك فيغلط، فيظن في بعض الجهات أنها جهتها، ولا يكون مصيباً في ذلك. لكن هو مطيع لله ولا إثم عليه في صلاته إليها، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، فعجزه عن العلم بها كعجزه عن التوجه إليها، [كالمقيد والخائف والمحجوس والمريض الذي لا يمكنه التوجه إليها] (٢).

ولهذا كان الصواب في الأصل الثاني: قول من يقول: إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحذور. والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة، بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم؛ فإنهم قالوا: بل يعذب من لا ذنب له، أو نحو ذلك.

ثم هؤلاء يحتجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحريم العقلي بقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الاسراء: ١٥]. وهو حجة عليهم أيضاً في نفي العذاب مطلقاً إلا بعد إرسال الرسل، وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل، فأولئك يقولون: يعذب من لم يبعث إليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية، وهؤلاء يقولون: بل يعذب من لم يفعل قبيحا قط كالأطفال.

وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضاً. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا

(١) في السفر: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿ [سورة الاسراء: ١٥]. وقال تعالى عن النار: ﴿كَلَّمَا الْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿ [سورة الملك: ٨، ٩]. فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سألهم الخزنة: هل جاءهم^(١) نذير؟ فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير، فمن لم يأت نذير لم يدخل النار.

وقال تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ [سورة ص: ٨٥]، فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه، وإنما أتباعه من أطاعه، فمن لم يعمل ذنبا لم يطعه، فلا يكون ممن تملأ^(٢) به النار، وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع. وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال يُلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه» وفي رواية: «فيضع قدمه عليها فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»^(٣) أي تقول: حسبي

(١) ن، م: جاءكم.

(٢) ن، ر، ح، و، ي: تملئ.

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة وأنس بن مالك رضى الله عنهما في: البخارى ١٣٨/٦ (كتاب التفسير، سورة ق، قوله تعالى: وتقول هل من مزيد). وعن أنس فيه ١٣٤/٨ - ١٣٥ (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعهة الله وصفاته وكماله). وعنه أيضا ١١٦/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وهو العزيز الحكيم). وعن أبي هريرة فيه ١٣٤/٩ (كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالى: إن رحمة الله قريب من

حسبى . وأما الجنة فيبقى فيها «فضل» ، فينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم
 فضول / الجنة»^(١) . هكذا روى فى الصحاح من غير وجه ، ووقع فى
 بعض طرق البخارى غلط قال فيه : «وأما النار فيبقى فيها فضل»^(٢)
 والبخارى رواه فى سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوى ،
 كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواه غلط فى لفظ ، ذكر
 ألفاظ سائر / الرواة التى يُعلم بها الصواب ، وما علمتُ وقع فيه غلط إلا

٢٥/٣

ص ١٨٧

(المحسنين) . وجاء الحديث أيضاً فى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وأنس بن
 مالك رضى الله عنهم ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار
 يدخلها الجبارون) . وفى المسند عن أبى هريرة (ط . المعارف) ١٣/١٧ - ١٤ ، (ط .
 الحلبي) ٥٠٧/٢ .

(١) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ولفظه « . . . وأما الجنة فإن الله عز وجل
 ينشئ لها خلقاً» فى : البخارى ١٣٨/٦ - ١٣٩ (الموضع السابق) ؛ مسلم
 ٢١٨٦/٤ - ٢١٨٧ (الموضع السابق) . وفى مسلم ٢١٨٨/٦ عن أنس رضى الله عنه :
 «يبقى من الجنة ما شاء الله أن يبقى ، ثم ينشئ الله تعالى لها خلقاً مما يشاء» .
 وعن أنس رضى الله عنه رواية أخرى جاء فيها : « . . . ولا تزال الجنة تفضل حتى ينشئ الله
 لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وهى فى البخارى ١١٧/٩ (الموضع السابق) وفى مسلم
 ٢١٨٨/٤ (الموضع السابق) .

(٢) لم أجد هذه الألفاظ فى البخارى مع طول البحث ولكنى وجدت حديثاً فيه ١٣٤/٩ (كتاب
 التوحيد ، باب ما جاء فى قول الله تعالى : إن رحمة الله قريب من المحسنين) عن أبى
 هريرة رضى الله عنه وفيه : « . . . وقال للنار : أنت عذابى أصيب بك من أشاء ولكل واحدة
 منكما ملؤها . قال : فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً وإنه ينشئ للنار من يشاء
 فيلقون فيها فتقول : هل من مزيد؟ ثلاثاً ، حتى يضع فيها قدمه فتمتلئ ويرد بعضها إلى
 بعض وتقول : قط قط قط» .

وذكر ابن حجر فى شرحه للحديث (فتح البارى ١٣/٤٣٦ - ٤٣٧) : «قال أبو الحسن
 القاسبى : المعروف فى هذا الموضع أن الله ينشئ للجنة خلقاً ، وأما النار فيضع فيها

وقد بين فيه^(١) الصواب، بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط، أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم. والبخارى قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث، لكن الصواب فيها مع البخارى، والذي أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا، وأما سائر متونهما فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يستريبون في ذلك.

وقد قال تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٠،

قدمه. قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشئ للنار خلقا إلا هذا. انتهى
وقد قال جماعة من الأئمة إن هذا الوضع مقلوب. وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله تعالى أخير بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه، وكذا أنكر الرواية شيخنا البلقيني واحتج بقوله: (ولا يظلم ربك أحدا) ثم قال: وحمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذى روح يعذب بغير ذنب انتهى . . . وقال الشيخ عبدالعزيز بن باز في تعليقه على الحديث ٤٣٤/١١: «جزم ابن القيم بأن هذا غلط من الراوى، صوابه «ينشئ» للجنة» كما تقدم برقم ٤٨٥٠ (حديث أبى هريرة في تفسير سورة ق- : قوله تعالى: وتقول هل من مزيد) وكما فى رقم ٧٣٨٤ (حديث أنس فى كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وهو العزيز الحكيم) من طريق قتادة عن أنس. فتبين منهما أن الراوى هنا سبق لفظه من الجنة إلى النار، ويسمونه فى مصطلح الحديث «المتقلب».
ووجدت كلام ابن القيم المشار إليه فى كتابه «حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح»
ص ٣٨٥ (ط. المدنى، ١٣٩٨).

(١) ر، ح: فيها.

[١٣١]، فقد خاطب الجن والإنس، واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيامة. ثم قال: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ أي هذا بهذا السبب، فعلم أنه لا يعذب من كان غافلاً ما لم يأته نذير، فكيف الطفل الذي لا عقل له؟! .

ودل أيضاً على أن ذلك ظلم تنزه سبحانه عنه، وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكهم بظلم، بل كيفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية الجبرية.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [سورة القصص: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [سورة هود: ١١٧]. وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [سورة طه: ١١٢]. قال المفسرون: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسناته، فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلماً ونزه نفسه عنه.

ومثل هذا كثير كقوله: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٤]، وكذلك قوله: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدُنِّي وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدُنِّي وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٨، ٢٩]، فبين سبحانه أنه قدّم

بالوعيد وأنه ليس بظلام للعبيد^(١)، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابِعٍ﴾ [سورة هود: ١٠٠، ١٠١]، فهو سبحانه نزه نفسه عن ظلمهم، ويبين أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بشركهم، فمن لم يكن ظالماً لنفسه تكون عقوبته ظلماً تنزه الله عنه.

وقال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٤ - ٧٦].

وهذا الظلم الذي نزه نفسه عنه: إن كان هو الممتنع الذي لا يمكن فعله فأى فائدة في هذا؟ وهل أحد يخاف أن يفعل به ذلك؟ وأى تنزيه في هذا؟ وإذا قيل: هو لا يفعل إلا ما يقدر عليه. قيل: هذا معلوم لكل أحد، وكل أحد لا يفعل إلا ما يقدر عليه، فأى مدح في هذا مما يتميز به الرب سبحانه عن العالمين؟^(٢)

”فَعُلِمَ أَنْ مِنَ الْأُمُورِ الْمُمْكِنَةِ مَا هُوَ ظَلَمَ تَنْزَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْهُ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ، وَبِذَلِكَ يُحْمَدُ وَيُشْتَبَى عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْحَمْدَ وَالشَّائِءَ يَقَعُ بِالْأُمُورِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ مِنْ فِعْلِ وَتَرْكٍ، كَعَامَةِ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحَمْدِ، وَالشُّكْرِ أَحْصَى

(١) للعبيد: كذا في (ن)، (م)، (ي): وفي سائر النسخ: لهم.

(٢) ح، ر: عن العالمين الظالمين؛ و، أ: عن الظالمين.

(*) ما بين النجمتين جاء في (ر)، (ح)، (ي) في غير موضعه الصحيح.

من ذلك يكون على النعم، والمدح أعم من ذلك، وكذلك التسبيح فإنه تنزيه وتعظيم، فإذا سبح بحمده جمع له^(١) بين هذا وهذا، كما قد بسطنا الكلام على حقيقة التسبيح والتحميد، ومعنى التسبيح بحمده في غير هذا الموضع*.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦]، فالأفعال من الأفعال، وقد نزه سبحانه نفسه عنه. فعلم أن من الأفعال ما نزه سبحانه نفسه عنه. والجبرية^(٢) عندهم لا يُنزه عن فعل من الأفعال.

وفى حديث «البطاقة» الذي رواه الترمذى وصححه [وغيره]^(٣)، ورواه الحاكم فى صحيحه. قال فيه: «فُنشِر له تسعة / وتسعون سجلا، كل سجل منها مدّ البصر. ثم يقال: لا ظلم عليك، إن لك عندنا بطاقة، فتوضع البطاقة فى كفة، والسجلات فى كفة، فثقلت البطاقة، وطاشت السجلات»^(٤) فقله: «لا ظلم عليك» دليل على أنه إن لم يجاز بتلك

(١) له: ساقطة من (أ)، (ب)، (م)، (و)، (ح)، (ى).

(٢) ر، ح: والجبريين. (٣) وغيره: زيادة فى (و).

(٤) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى: سنن الترمذى ١٣٣/٤ - ١٣٤ (كتاب الإيمان، باب فىمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) من روايتين (رقم ٢٧٧٦، ٢٧٧٧) وقال الترمذى بعد الأولى: «هذا حديث حسن غريب». والحديث فى: سنن ابن ماجه ١٤٣٧/٢ (كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة)؛ المسند (ط. المعارف) ١١/١٩٧ - ٢٠٠، ٢٣/١٢ - ٢٤ (مختصرا)؛ المستدرک للحاكم ١/٥٢٩. وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى. وأول الحديث فى سنن الترمذى: «إن الله سيخلص رجلا من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا.. الحديث».

الحسنات، وتوزن حسناته مع سيئاته، كان ذلك ظلماً يُقدِّس^(١) الله عنه؛ فإنه القائم بالقسط.

وقد قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتْنَا مَا هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، فهل يُقال: هذا النفي أنه لا يفعل مع أحد ما لا يمكن ولا يقدر عليه؟ أو لا يظلمهم شيئاً من حسناتهم، بل يحصيها كلها ويشيهم^(٢) عليها؟ فدل على أن العبد يُثاب على حسناته، ولا يُنقص شيئاً منها، ولا يُعاقب إلا على سيئاته، وأن عقوبته بغير ذنب، وبخس حسناته ظلم يُنزّه^(٣) الرب تبارك وتعالى عنه.

وأيضاً فقله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة القلم: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٨]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢١] إلى غير ذلك.

ظ ١٨٧

فدل على أن التسوية بين هذين المختلفين من الحكم السييء الذي يُنزّه عنه، وأن ذلك منكر لا يجوز نسبته إلى الله تعالى، وأن من جوز ذلك

(١) ن، م: تقدس.

(٢) و: يحصرها كلها ويشيهم.

(٣) ن، م: تنزه.

فقد جوز منكرأ لا يصلح أن يُضاف إلى الله تعالى ؛ فإن قوله : ﴿ أَفَنَجْعَلُ
الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة القلم : ٣٥] استفهام إنكار، فعلم أن جعل
هؤلاء مثل هؤلاء منكر لا يجوز أن يُظن بالله أنه يفعله . فلو كان هذا وضده
بالنسبة إليه سواء، جاز أن يفعل هذا وهذا .

وقوله : ﴿ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٣٦] دلّ على أن هذا حكم
سيء ، والحكم السيء هو الظلم الذي لا يجوز، فعلم أن الله تعالى
منزه عن هذا . ومن قال إنه يسوى بين المختلفين ، فقد نسب إليه الحكم
السيء . وكذلك تفضيل أحد المتماثلين ، بل التسوية بين المتماثلين
والتفضيل بين المختلفين هو من العدل والحكم الحسن الذي يُوصف به
الرب سبحانه وتعالى .

والظلم وضع الشيء في غير موضعه ؛ فإذا جعل النور كالظلمة ،
[والمحسن كالمسيء] ^(١) ، والمسلم كالمجرم - كان هذا ظلماً وحكماً
سيئاً [يُقَدَّس] وينزه عنه ^(٢) سبحانه وتعالى .

وقال تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة المائدة : ٥٠] . وعند هؤلاء لو حكم بحكم الجاهلية
لكان حسناً، وليس في نفس الأمر حكم حسن وحكم غير حسن ، بل
الجميع سواء . فكيف يُقال مع هذا : ومن أحسن من الله حكماً؟! فدلّ
هذا النص على أن حكمه حسن لا أحسن منه ، والحكم الذي يخالفه

(١) : ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٢) : م : سيئا تنزه عنه ..

سبب ليس بحسن. وذلك دليل على أن الحسن صفة لحكمه، فلو لم يكن الحسن إلا ما تعلق به^(١) الأمر، أو ما لم ينه عنه، لم يكن في الكلام فائدة، ولم يقسم الحكم إلى حسن وأحسن، لأن عندهم يجوز أن يحكم الرب بكل ما يمكن وجوده، وذلك كله حسن، فليس عندهم حكم يُنزه الرب عنه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤]،^(٢) فدل على أنه أعلم بالمحل الذي يناسب الرسالة، ولو كان الناس مستويين، والتخصيص بلا سبب، لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به محل الرسالة.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ * أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَائِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [سورة القمر: ٤١ - ٤٣]، وقال: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة الدخان: ٣٧]. فهذا يبين أن أولئك إذا كانوا كفارا وقد عذبناهم، والكفار الذين كذبوا محمدا ليسوا خيرا من أولئك بل هم مثلهم^(٣). استحقوا من العقوبة ما استحقه أولئك، ولو كانوا خيرا منهم لم يستحقوا ذلك. فعلم انه سبحانه يسوى بين المتماثلين، ويفضل صاحب الخير، فلا يسوى بينه وبين من هو دونه.

(١) و: إلا ما تعلق به.

(٢) ن، م، و: رسالاته.

(٣) و: بل هم منهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [سورة الحشر: ٢٥] إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الأنفال: ١٣]، والاعتبار أن يعبر منهم إلى أمثالهم، فيعرف أن من فعل كما فعلوا استحق كما استحقوا، ولو كان تعالى قد يسوى بين المتماثلين وقد لا يسوى، لم يمكن الاعتبار حتى يعلم أن هذا المعين^(١) مما يسوى بينه وبين نظيره، وحينئذ فلا يمكن الاعتبار إلا بعد معرفة حكم ذلك المعين^(١)، وحينئذ فلا يحتاج إلى الاعتبار.

ومن العجب أن أكثر أهل الكلام احتجوا بهذه الآية على القياس، وإنما تدل عليه لكون الاعتبار^(٢) يتضمن التسوية بين المتماثلين، فعلم أن الرب يفعل هذا في حكمه، فإذا اعتبروا بها في أمره الشرعى لدلالة مطلق الاعتبار على ذلك، فهلاً استدلوا بها على حكمه الخلقى الكونى فى الثواب والعقاب، وهو الذى قصد بالآية، فدلالته عليه أولى؟

فَعَلِمَ أَنَّ الْمُتَمَاثِلِينَ فِي الذَّنْبِ مُتَمَاثِلَانِ فِي اسْتِحْقَاقِ الْعِقَابِ،

(١) و: المعنى.

(٢) ح: لأن الاعتبار؛ ر: بكون الاعتبار.

بخلاف من لم يشركهما في ذلك. وإذا قيل: هذا قد علم بخبره.
 قيل: هو لم يخبر قبل بهذا، بل دلّ على أن هذا هو حكمه الذي لا يجوز
 أن يُضاف إليه سواه، كما دل على ذلك ما تقدم من الآيات.
 وأيضا فالنصوص قد أخبرت بالميزان بالقسط، وأن الله لا يظلم مثقال
 ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لده أجر عظيمًا، فدلّ هذا على
 أن مثقال ذرة إذا زيد في السيئات أو نقص من الحسنات كان ظلما يُنزّه
 الله عنه، ودلّ على أنه يزن الأعمال بالقسط، الذي هو العدل، فدل على
 أن خلاف ذلك ليس قسطا، بل ظلم^(١) تنزه الله عنه، ولو لم يكن هنا^(٢)
 عدل لم يحتج إلى الموازنة؛ فإنه إذا كان التعذيب والتنعيم بلا قانون
 عدلي، بل بمحض المشيئة، لم يحتج إلى الموازنة.

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
 لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٨] قال الزجاج وغيره: قد أعلمنا أنه يعذب
 من عذبه لاستحقاقه. وقال آخر: معناه أنه لا يعاقبهم بلا جرم، فسمى
 هذا ظلما.

وأیضا فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع أنه لا يكلف نفسا إلا
 وسعها، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
 إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [سورة الاعراف: ٤٢]، وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا﴾ [سورة البقرة: ٢٣٣]، وقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾

(١) بل ظلم: كذا في (ب) فقط، وفي سائر النسخ: بل ظلما.

(٢) ح: هذا.

[سورة الطلاق: ٧]، وأمر بتقواه بقدر الاستطاعة فقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦]، وقد دعاه المؤمنون بقولهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] فقال: قد فعلت^(١).

فدلت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا ما تعجز عنه، خلافا للجهمية المجبرة^(٢)، ودلت على أنه لا يؤاخذ المخطيء والناسي، خلافا للقدرية والمعتزلة، وهذا فصل الخطاب في هذا الباب.

فالمجتهد المستدل - من إمام وحاكم وعالم وناظر ومناظر ومفت وغير ذلك - إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع، كان هذا هو الذي كلفه الله إياه، وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا اتقاه ما استطاع، ولا يعاقبه الله البتة، خلافا للجهمية المجبرة^(٣)، وهو مصيب بمعنى أنه مطيع لله، لكن قد يعلم الحق في نفس الأمر، وقد لا يعلمه، خلافا للقدرية والمعتزلة في قولهم: كل من استفرغ وسعه علم الحق، فإن هذا باطل كما تقدم، بل كل من استفرغ وسعه استحق الثواب.

وكذلك الكفار من بلغته^(٤) دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله فآمن به، وآمن بما أنزل عليه، واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي وغيره، ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام،

(١) سبق الحديث فيما مضى ٣٢٠/٤.

(٢) والجبرية.

(٣) والجبرية.

(٤) من بلغته: كذا في (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: من بلغه.

ولا التزام جميع شرائع^(١) الإسلام، لكونه ممنوعاً من الهجرة، وممنوعاً من إظهار دينه، وليس عنده من يعلمه جميع شرائع الإسلام - فهذا مؤمن من أهل الجنة، كما كان مؤمن آل فرعون مع قوم فرعون، وكما كانت امرأة فرعون، بل وكما كان يوسف الصديق عليه السلام مع أهل مصر؛ فإنهم كانوا كفاراً، ولم يكن يمكنه أن يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الإسلام، فإنه دعاهم إلى التوحيد والإيمان فلم يجيبوه.

قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [سورة غافر: ٣٤].

وكذلك النجاشي هو وإن كان ملك النصارى فلم يطعه قومه في الدخول في الإسلام، بل إنما دخل معه نفر منهم. ولهذا لما مات لم يكن هناك من^(٢) يصلّي عليه، / فصلّي عليه النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة: خرج بالمسلمين إلى المصلّى فصفهم صفوفاً وصلّى عليه، وأخبرهم بموته يوم مات، وقال: «إن أخا لكم صالحاً من أهل الحبشة مات»^(٣).

٢٨/٣

(١) ن: شعائر.

(٢) ب (فقط): أحد.

(٣) حديث نعي النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي إلى المسلمين وصلاته عليه بعد أن صف المسلمين صفوفاً روى عن عدة من الصحابة فرواه أبو هريرة وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين رضى الله عنهم في: البخارى ٥١/٥ (كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي) وجاء الحديث في البخارى في عدة مواضع من كتاب الجنائز، وهو في: مسلم

وكثير من شرائع الإسلام - أو أكثرها - لم يكن دخل فيها لعجزه عن ذلك، فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت، بل قد رُوى أنه لم يكن يصلى الصلوات الخمس، ولا يصوم شهر رمضان، ولا يؤدي الزكاة الشرعية، لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه، وهو لا يمكنه مخالفتهم . ونحن نعلم قطعا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم بحكم القرآن .

والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله إليه، وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه . وهذا مثل الحكم فى الزنا للمحصن بحد الرجم، وفى الديات بالعدل والتسوية فى الدماء بين الشريف والوضيع : النفس بالنفس، والعين بالعين، وغير ذلك .

والنجاشى ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن؛ فإن قومه لا يقرّونه على ذلك . وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا - بل وإماما - وفى نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها، فلا يمكنه ذلك، بل هناك من يمنعه [ذلك]^(١)، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها . وعمر بن عبدالعزيز عودى وأوذى على بعض ما أقامه من العدل، وقيل : إنه سمّ على ذلك .

٦٥٦/٢ - ٦٥٨ (كتاب الجنائز، باب فى التكبير على الجنّاة). والحديث فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ومسند الإمام أحمد. وانظر: مفتاح كنوز السنة (النجاشى).

(١) ذلك : ساقطة من (ن)، (م) . وفى (و) : عن ذلك .

فالنجاشى وأمثاله سعداء فى الجنة، وإن كانوا لم يلتزموا^(١) من شرائع الإسلام ما لا يقدرّون على التزمه، بل كانوا يحكمون بالأحكام التى يمكنهم الحكم بها، ولهذا جعل الله هؤلاء من أهل الكتاب.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩]. وهذه الآية قد قال طائفة من السلف: إنها نزلت فى النجاشى. ويروى هذا عن جابر وابن عباس وأنس. ومنهم من قال: فيه وفى أصحابه^(٢)، كما قال الحسن وقتادة، وهذا مراد الصحابة، لكن^(٣) هو المطاع؛ فإن لفظ الآية لفظ الجمع لم يُردّ بها واحد، وعن عطاء قال: نزلت فى أربعين من أهل نجران وثلاثين من أهل^(٤) الحبشة، وثمانية من الروم، كانوا^(٥) على دين عيسى فأمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) و: لم يلتزموا.

(٢) و: وفى الصحابة.

(٣) ب: ولكن.

(٤) أهل: زيادة فى (ن)، (م).

(٥) ب: وكانوا.

(٦) انظر فى تفسير هذه الآية: الدر المنثور للسيوطى ١١٣/٢ (وذكر من وجوه تأويل الآية:

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة، قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت فى النجاشى

وفى ناسٍ من أصحابه آمنوا بنبى الله وصدّقوا به). وانظر: تفسير الطبرى (ط. المعارف)

٤٩٦/٧ - ٥٠٠؛ زاد المسير لابن الجوزى ١/٥٣٢ - ٥٣٣ (وذكر الوجه الرابع من وجوه

تأويل الآية: فى أربعين من أهل نجران، وثلاثين من الحبشة، وثمانية من الروم كانوا على

دين عيسى فأمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم، قاله عطاء). وانظر: تفسير ابن عطية

ولم يذكر هؤلاء من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، مثل عبد الله بن سلام وغيره ممن كان يهوديا، وسلمان الفارسي وغيره ممن كان نصرانيا؛ لأن هؤلاء صاروا من المؤمنين، فلا يقال فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩]. ولا يقول أحد: إن اليهود والنصارى، بعد إسلامهم وهجرتهم، ودخولهم في جملة المسلمين المهاجرين المجاهدين، يقال: إنهم من أهل الكتاب، كما لا يُقال عن الصحابة الذين كانوا مشركين: وإن من المشركين لمن يؤمن بالله ورسوله، فإنهم بعد الإيمان ما بقوا يسمون مشركين؛ فدل على أن هؤلاء قوم من أهل الكتاب، أى من جملتهم، وقد آمنوا بالرسول.

كما قال تعالى في المقتول خطأ: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء: ٩٢]^(١) فهو من العدو، ولكن هو كان قد آمن وما أمكنه الهجرة وإظهار الإيمان والتزام شرائعه، فسماه مؤمنا لأنه فعل من الإيمان ما يقدر عليه.

وهذا كما أنه / قد كان بمكة جماعة من المؤمنين يستخفون ظ ١٨٨

(المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبى محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المتوفى سنة ٥٤٦هـ، تحقيق المجلس العلمي، فاس، المغرب، ١٩٧٧/١٣٩٧) ص ٣٢٧-٣٢٨. وانظر: تفسير ابن كثير (ط. الشعب) ١٦٨/٢ - ١٦٩.

(١) فى (ح)، (ب): وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق... إلى قوله.. عدو لكم وهو مؤمن فتحرير ربة مؤمنة، وهو خطأ إذ أنه يخالف ترتيب كلمات الآية الكريمة.

بإيمانهم، وهم عاجزون عن الهجرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [سورة النساء: ٩٧ - ٩٩] فعذر سبحانه المستضعف العاجز عن الهجرة.

وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ٧٥]، فأولئك كانوا عاجزين عن إقامة دينهم، فقد سقط عنهم ما عجزوا عنه.

فإذا كان هذا فيمن كان مشركا وآمن، فما الظن بمن كان من أهل

الكتاب / وآمن؟ ٢٩/٣

وقوله: ﴿فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [سورة النساء: ٩٢] قيل: هو الذي يكون عليه لباس أهل الحرب، مثل أن يكون^(١) في صفهم^(٢) فيُعذر القاتل لأنه مأمور بقتاله، فتسقط عنه الدية وتجب الكفارة. وهو قول الشافعي وأحمد في أحد القولين.

(١) ر، ح، ي، و: مثل من يكون.

(٢) ن، م: في صفتهم.

وقيل: بل هو من أسلم ولم يهاجر، كما يقوله أبو حنيفة. لكن هذا قد أوجب فيه الكفارة. وقيل: إذا كان من أهل الحرب لم يكن له وارث، فلا يُعطى أهل الحرب ديته^(١)، بل تجب الكفارة فقط. وسواء عُرف أنه مؤمن وقُتل خطأ، أو ظُن أنه كافر. وهذا ظاهر الآية. وقد قال بعض المفسرين: إن هذه الآية نزلت في عبدالله بن سلام وأصحابه، كما نقل عن ابن جريج ومقاتل وابن زيد، يعنى قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ وبعضهم قال: إنها في مؤمنى أهل الكتاب من اليهود والنصارى^(٢).

فهذا إن أراد به من كان فى الظاهر معدودا من أهل الكتاب، فهو كالقول الأول. وإن أراد العموم، فهو كالثانى. وهذا قول مجاهد، ورواه أبو صالح عن ابن عباس، وقول من أدخل فيها مثل ابن سلام وأمثاله ضعيف؛ فإن هؤلاء من المؤمنين ظاهراً وباطناً من كل وجه، لا يجوز أن يُقال فيهم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٩].

أما أولاً: فلأن ابن سلام أسلم فى أول ما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة، وقال: «فلما رأيت وجهه علمت^(٣) أن وجهه ليس بوجه كذاب»^(٤).

(١) ح: دية؛ ي: الدية.

(٢) انظر ما ذكرته عن تفسير هذه الآية قبل صفحات (ص ١١٤).

(٣) أ، ب: عرفت.

(٤) الحديث عن عبدالله بن سلام رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٦٥/٤ (كتاب صفة

وسورة آل عمران إنما نزل ذكر أهل الكتاب فيها لما قدم وفد نجران سنة تسع أو عشر.

وثانياً: أن ابن سلام - وأمثاله - هو واحد من جملة الصحابة والمؤمنين، وهو من أفضلهم. وكذلك سلمان الفارسي. فلا يقال فيه: إنه^(١) من أهل الكتاب. وهؤلاء لهم أجور مثل أجور سائر المؤمنين، بل يؤتون أجرهم مرتين، وهم ملتزمون بجميع شرائع الإسلام، فأجرهم أعظم من أن يُقال فيه: أولئك لهم أجرهم عند ربهم. وأيضا فإن أمر هؤلاء كان ظاهرا معروفا، ولم يكن أحد يشك فيهم، فأى فائدة في الإخبار بهم؟.

وما هذا إلا كما يُقال: الإسلام دخل فيه من كان مشركا ومن كان كتابيا. وهذا معلوم لكل أحد بأنه دين لم يكن يُعرف قبل محمد صلى الله عليه وسلم، فكل من دخل فيه كان قبل ذلك إما مشركا وإما من أهل الكتاب، إما كتابيا وإما أمياً، فأى فائدة في الإخبار بهذا؟

القيامة، باب ١٥) ونصه: «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعنى المدينة، انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجنّت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وكان أول شيء تكلم به أن قال: «يا أيها الناس افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام». قال الترمذي: «هذا حديث صحيح». والحديث - مع اختلاف في الألفاظ - في: سنن ابن ماجة ٤٢٣/١ (كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في قيام الليل)، ١٠٨٣/٢ (كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام)؛ سنن الدارمي ٣٤٠/١ - ٣٤١ (كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الليل)، ٢٧٥/٢ (كتاب الاستئذان، باب في إفشاء السلام؛ المسند (ط. الحلبي) ٤٥١/٥.

(١) ب (فقط): إن..

بخلاف أمر النجاشي وأصحابه ممن كانوا متظاهرين بكثير مما عليه
 النصراني؛ فان أمرهم قد يشبهه، ولهذا ذكروا في سبب نزول هذه الآية
 أنه لما مات [النجاشي] ^(١) صَلَّى عليه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم، فقال
 قائل: «تُصَلِّي على هذا العجج النصراني وهو في أرضه؟!» فنزلت هذه
 الآية. هذا منقول عن جابر وأنس بن مالك وابن عباس، وهم من
 الصحابة الذين باشروا الصلاة على النجاشي ^(٢).

وهذا بخلاف ابن سَلام وسلمان الفارسي؛ فإنه إذا صَلَّى على واحد
 من هؤلاء لم ينكر ذلك أحد. وهذا مما يبين أن المظهرين للإسلام فيهم
 منافق لا يُصلى عليه، كما نزل ^(٣) في حق ابن أبي وأمثاله، وأن من هو
 في أرض الكفر قد يكون مؤمناً يُصلى عليه كالنجاشي.

ويشبه هذه الآية أنه لما ذكر تعالى أهل الكتاب فقال: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
 الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّكُمْ
 إِلَّا أذى وَإِن يَقاتِلُوكُم يُولُوكُمُ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ * ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ
 أَيُّنَمَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأُورٍ بَغَضَ مِّنَ اللَّهِ
 وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
 الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكُ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ

(١) النجاشي: زيادة في (ح).

(٢) ن، م: الصلاة عليه. وانظر الكلام على هذا الحديث قبل صفحات (ص ١١٢).

(٣) ر، ح، ي: كما نزلت.

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿سورة آل عمران: ١١٠ - ١١٤﴾. وهذه الآية^(١) قيل: إنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه، وقيل: إن قوله: ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ هو عبد الله بن سلام وأصحابه^(٢). وهذا والله أعلم - من نمط الذي قبله؛ فإن هؤلاء / ما بقوا من أهل الكتاب.

٣٠/٣

وإنما المقصود من هو منهم في الظاهر، وهو مؤمن لكن لا يقدر على ما يقدر عليه المؤمنون المهاجرون المجاهدون، كمؤمن آل فرعون: هو من آل فرعون وهو مؤمن.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة غافر: ٢٨] فهو من آل فرعون وهو مؤمن.

ص ١٨٩

(١) الآية: ليست في (م)، (و).

(٢) يقول الطبري في تفسيره: «منهم المؤمنون» يعني: من أهل الكتاب من اليهود والنصارى، المؤمنون المصدّقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله، وهم عبد الله بن سلام وأخوه، وثعلبة بن سَعْيَةَ وأخوه، وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، واتبعوا ما جاءهم به من عند الله، «وأكثرهم الفاسقون»: يعني الخارجون عن دينهم، وذلك أن من دين اليهود اتباع ما في التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم، ومن دين النصارى اتباع ما في الإنجيل، والتصديق به وبما في التوراة، وفي كلا الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته ومبعثه وأنه نبي الله. وكلتا الفرقتين - أعني اليهود والنصارى - مكذّبة، فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذي يدعون أنهم يدينون به، الذي قال جل ثناؤه «وأكثرهم الفاسقون».

وكذلك هؤلاء منهم المؤمنون، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]. وقد قال قبل هذا: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] ثم قال: ﴿مَنْهُمْ
الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] ثم قال: ﴿لَنْ
يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾ [سورة آل عمران: ١١١] وهذا عائد إليهم جميعهم لا إلى
أكثرهم. ولهذا قال: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ [سورة
آل عمران: ١١١]. وقد يقاتلون وفيهم مؤمن يكتم إيمانه، يشهد القتال معهم
ولا يمكنه الهجرة، وهو مكره على القتال، ويُبعث يوم القيامة على نيته.
كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «يغزو
جيش هذا البيت فبينما هم ببيداء من الأرض إذ خسف بهم». فقيل:
يارسول الله، وفيهم المكره؟ فقال: «يبعثون على نياتهم»^(١).

ويقول ابن الجوزى فى «زاد المسير»: (منهم المؤمنون): من أسلم، كعبدالله بن سلام
وأصحابه (وأكثرهم الفاسقون) يعنى: الكافرين، وهم الذين لم يسلموا.

(١) جاء هذا الحديث مختصراً عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ١٤٩/٢ (كتاب
الحج، باب هدم الكعبة). وجاء مطولاً عنها فى: البخارى ٦٥/٣ - ٦٦ (كتاب البيوع،
باب ما ذكر ما فى الأسواق) ونصه: «يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء من الأرض
يُخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت: يارسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم،
وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال: «يخسف بأولهم وآخرهم، ثم يعثون على نياتهم»
وروى النسائى الحديث فى سننه ١٦٢/٥ - ١٦٣ (كتاب المناسك، باب حرمة الحرم) عن أبى
هريرة رضى الله عنه مختصراً من طريقين وعن حفصة رضى الله عنها مع اختلاف فى
الألفاظ من طريقين. وخصص ابن ماجه باباً فى سننه لهذه الأحاديث ١٣٥٠/٢ - ١٣٥١
(كتاب الفتن، باب جيش البيداء) ذكر فيه الحديث مع اختلاف فى الألفاظ عن حفصة
وصفية وأم سلمة رضى الله عنهن. وفى الحديث الأخير قالت أم سلمة: لعل فىهم المكره؟

وهذا فى ظاهر الأمر وان قُتل^(١) وحكم عليه بما يحكم على الكفار،
فأله يبعثه على نيته . كما أن المنافقين منا يُحكم لهم فى الظاهر بحكم
الإسلام وبعثون على نياتهم، فالجزاء يوم القيامة على ما فى القلوب
لا على مجرد الظواهر^(٢) .

ولهذا روى أن العباس قال : يارسول الله كنت مكرها . قال : «أما
ظاهرك فكان علينا، وأما سريرتك فألى الله»^(٣) .

وبالجملة لا خلاف بين المسلمين أن من كان فى دار الكفر، وقد آمن
وهو عاجز عن الهجرة، لا يجب عليه من الشرائع ما يعجز عنها، بل
الوجوب بحسب الإمكان . وكذلك ما لم يعلم حكمه، فلو لم يعلم أن
الصلاة واجبة عليه، وبقي مدة لم يصل، لم يجب عليه القضاء فى أظهر
قولى العلماء . وهذا مذهب أبى حنيفة وأهل الظاهر، وهو أحد الوجهين
فى مذهب أحمد . وكذلك سائر الواجبات من صوم شهر رمضان وأداء

قال : «إنهم يبعثون على نياتهم» . والحديث عنها رضى الله عنها فى المسند (ط . الحلبي)

٣١٨/٦

(١) ن، م، و، أ: قوتل .

(٢) ن: بالظاهر بحكم الإسلام؛ ح: فى الظاهر بالإسلام .

(٣) ن، م: الظاهر .

(٤) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن أورد أحمد فى مسنده (ط . المعارف) ١٠٥/٥ - ١٠٦ .

حديثا عن ابن عباس رضى الله عنهما جاء فيه أن أبا اليسر بن عمرو أسر العباس . . .

الحديث، وفيه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «يا عباس اقد نفسك وابن أخيك . . .»

وقال (العباس) : «إني كنت مسلما قبل ذلك، وإنما استكرهونى، قال : «الله أعلم بشأنك،

إن يك ما تدعى حقاً فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا . . . الحديث .

قال أحمد شاكر رحمه الله : «إسناده ضعيف» .

الزكاة وغير ذلك، ولو لم يعلم تحريم الخمر فشرها لم يحد باتفاق المسلمين، وإنما اختلفوا في قضاء الصلاة^(١).

وكذلك لو عامل بما يستحلّه من ربا أو ميسر ثم تبين له تحريم ذلك بعد القبض: هل يفسخ العقد أم لا؟ كما لا يفسخه^(٢) لو فعل ذلك قبل الإسلام. وكذلك لو تزوج نكاحا يعتقد صحته على عاداتهم، ثم لما بلغه شرائع الإسلام رأى أنه قد أخل ببعض شروطه، كما لو تزوج في عدة وقد انقضت، فهل يكون هذا فاسدا أو يُقر عليه، كما لو عقده قبل الإسلام ثم أسلم.

وأصل هذا كله أن الشرائع هل تلزم من لم يعلمها؟ أم لا تلزم أحدا^(٣) إلّا بعد العلم؟ أو يُفرّق بين الشرائع الناسخة والمبتدأة؟ هذا فيه ثلاثة أقوال، هي ثلاثة أوجه في مذهب أحمد، ذكر القاضى أبو يعلى الوجهين المطلقين في كتاب له، وذكر هو وغيره الوجه المفرّق في أصول الفقه، وهو أن النسخ لا يثبت في حق المكلف حتى يبلغه النسخ^(٤)، وخرّج أبو الخطاب وجهاً بثبوته.

ومن هذا الباب من ترك الطهارة الواجبة ولم يكن علمه بوجوبها، أو صلى^(٥) في الموضع المنهى عنه قبل علمه بالنهاى، هل يعيد الصلاة؟

(١) ب (فقط): الصلوات.

(٢) ب (فقط): نفسخه.

(٣) أحدا: ساقطة من (ح)، (ن).

(٤) ح، ر: حتى يبلغه النسخ.

(٥) ن، م: وصلى.

فيه روايتان منصوستان عن أحمد . والصواب في هذا الباب
كله أن الحكم لا يثبت إلا مع التمكن من العلم ، وأنه لا يُقضى
ما لم يعلم وجوبه^(١) .

فقد ثبت في الصحيح أن من الصحابة من أكل بعد طلوع
الفجر في رمضان حتى تبين له الحبل^(٢) الأبيض من
الأسود^(٣) ، ولم يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقضاء^(٤) .

ومنهم من كان يمكث جنباً مدة لا يصلى ، ولم يكن يعلم
جواز الصلاة بالتيمة ، كأبي ذر ، وكعمر بن الخطاب وعمّار

(١) ن ، م : ما لم يعلم بوجوبه .

(٢) أ ، ب ، م : الخيط .

(٣) أ ، ب ، م : من الخيط الأسود .

(٤) الحديث عن عدى بن حاتم وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى : البخارى ٢٦/٦ (كتاب
التفسير ، باب سورة البقرة : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض . . .) ؛ مسلم
٧٦٦/٢ - ٧٦٧ (كتاب الصيام ، باب بيان أن الدخول فى الصوم يحصل بطلوع
الفجر . .) ونص الحديث عن عدى فى مسلم : قال : لما نزلت (حتى يتبين لكم الخيط
الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) [سورة البقرة : ١٨٧] قال له عدى بن حاتم : يا رسول
الله ، إنى اجعل تحت وسادتى عقالين : عقالا أبيض وعقالا أسود ، أعرف الليل من
النهار . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن ساداتك لعريض ، إنها هو سواد الليل
وبياض النهار» . والحديث فى : سنن أبى داود ٤٠٨/٢ (كتاب الصوم ، باب وقت
السحور) ؛ سنن الدارمى ٥/٢ - ٦ (كتاب الصوم ، باب متى يمسك المتسحر من الطعام
والشراب) .

لما أجنيا، ولم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحداً منهم
بالقضاء^(١).

ولا شك أن خلقاً من المسلمين بمكة والبوادي صاروا يصلون
إلى بيت المقدس حتى بلغهم النسخ، ولم يؤمروا بالإعادة. ومثل
هذا كثير.

وهذا يطابق الأصل الذى عليه السلف والجمهور: أن الله
تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. فالوجوب مشروط بالقدرة،
والعقوبة لا تكون إلا على ترك مأمورٍ أو فعل محظور بعد قيام
الحجة.

(١) ذكر ابن الأثير في «جامع الأصول» ١٥٣/٥ - ١٥٥ حديثاً رواه أبو داود والترمذى والنسائى
عن أبي ذر رضى الله عنه قال فيه: «فكانت تصيبني الجنابة، فأمكث الخمس والست،
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبو ذر؟ فسكت. فقال... الحديث وفيه:
«الصعيد الطيب وضوء المسلم ولو إلى عشر سنين، فإذا وجدت الماء فأمسّه جلدك، فإن ذلك
خير». كما ذكر حديثاً آخر رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى عن عبد الرحمن بن أبى
عن أبيه أن رجلاً أتى عمر فقال إني أجنبت ولم أجد ماءً، فقال: لا تصل. فقال عمار: أما
تذكر يا أمير المؤمنين، إذ أنا وأنت في سرية فأصابتنا جنابة، فلم نجد الماء، فأما أنت فلم
تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إننا
كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض وتنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك». . الحديث وهو
في: البخارى ٧١/١ (كتاب التيمم، باب التيمم هل ينفخ فيها؟).

/ فصل

وقد ذكرنا في غير هذا الموضوع حكم الناس في الوعد والوعد والثواب والعقاب، وأن فاعل السيئات تسقط عنه عقوبة جهنم بنحو عشرة أسباب. فإذا كان هذا الحكم في المجتهدين وهذا الحكم في المذنبين حكما عاما في جميع الأمة، فكيف في أصحاب^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! وإذا كان المتأخرون من المجتهدين ومن المذنبين^(٢) يندفع عنهم الذم والعقاب بما ذكر من الأسباب، فكيف بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟!!

ونحن نيسط هذا وننبه بالأدنى على الأعلى، فنقول: كلام الذم للخلفاء ولغيرهم من الصحابة - من رافضى وغيره - هو من باب الكلام في الأعراض، وفيه حق لله تعالى، لما يتعلق به من الولاية والعداوة، والحب والبغض، وفيه حق للأدبيين [أيضا]^(٣).

ومعلوم أننا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة، مثل الملوك المختلفين على الملك، والعلماء والمشايخ المختلفين في^(٤) العلم والدين، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم؛ فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال. والظلم محرّم مطلقا، لا يباح قط بحال. قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

(٢) ن، ب: والمذنبين.

(١) ن، م: بأصحاب.

(٣) أيضا: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٤) ن، م: على.

لِلتَّقْوَى ﴿ [سورة المائدة: ٨] وهذه الآية نزلت بسبب بغضهم للكفار، وهو بغض مأموره به . فإذا كان البغض الذي أمر الله به قد نُهي صاحبه أن يظلم من أبغضه^(١)، / فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟! فهو أحق أن لا يظلم، بل يعدل عليه^(٢).

ظ ١٨٩

وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق من عدل عليهم في القول والعمل . والعدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته، والثناء على أهله ومحبتهم . والظلم مما اتفقوا^(٣) على بغضه وذمه^(٤) وتقييحه، وذم أهله وبغضهم، وليس المقصود الكلام في التحسين والتقييح العقلي، فقد تكلمنا عليه في غير هذا الموضوع في مصنف مفرد^(٥)، ولكن المقصود أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض، وهو محبوب في النفوس، مركز حبه في القلوب، تحبه القلوب وتحمده، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه .

والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط . قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]^(٦) . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ

(٢) ن، م : يعذب عليه، وهو تحريف .

(١) ح، ب : من يبغضه .

(٣) ح، ب : مما اتفق .

(٤) على بغضه وذمه . . . كذا في (ن)، (م) . . . وفي سائر النسخ : على ذمه . . .

(٥) لابن تيمية رسالة في «مسألة تحسين العقل وتقييحه» نشرت في مجموع فتاوى الرياض

٤٢٨/٨ - ٤٣٦ .

(٦) آية سورة الحديد ليست في (ن)، (م) .

وَالْمِيزَانَ ﴿سورة الشورى: ١٧﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿
[سورة النساء: ٥٨].

وقال: ﴿فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ
فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُقْسِطِينَ ﴿[سورة المائدة: ٤٢].

وقال: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ
الْحَقِّ ﴿[سورة المائدة: ٤٨] فأمره أن يحكم بالقسط، وأن يحكم بما أنزل الله،
فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله، فما أنزل الله هو القسط،
والقسط هو ما أنزل الله.

ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل لقوله
تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴿[سورة النساء: ٥٨]
فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا، والشرع الذي يجب على حكام
المسلمين الحكم به عدل كله، ليس في الشرع ظلم أصلا، بل حكم
الله أحسن الأحكام^(١).

والشرع هو ما أنزل الله؛ فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم
بالعدل، لكن العدل قد يتنوع بتنوع الشرائع والمناهج، فيكون العدل في
كل شرعة بحسبها.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

(١) ن، م، و، ر: الحكم.

الْمُقْسَطِينَ * وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ
 بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
 مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا
 بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿سورة

المائدة: ٤٢ - ٤٤﴾.

إلى قوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا
 لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
 أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى
 اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ
 بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا
 لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿سورة المائدة: ٤٧ - ٥٠﴾.

ذكر سبحانه حكم التوراة والإنجيل، ثم ذكر أنه أنزل القرآن، وأمر نبيه
 أن يحكم بينهم بالقرآن ولا يتبع أهواءهم عما جاءه من الكتاب، وأخبر
 أنه جعل لكل واحد من الأنبياء شرعة ومنهاجا، فجعل لموسى وعيسى ما
 في التوراة والإنجيل من الشرعة والمنهاج^(١)، وجعل للنبي صلى الله عليه
 (١) ح، ر: والمنهاج.

وسلم ما فى القرآن من الشرعة والمنهاج^(١)، وأمره أن يحكم بما أنزل الله،
وحذره أن يفتنوه عن بعض ما أنزل الله، وأخبره أن ذلك هو حكم الله،
ومن ابتغى غيره فقد ابتغى حكم الجاهلية، وقال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا
أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله^(٢)
فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير
اتباع لما أنزل^(٣) الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهى تأمر بالحكم
بالعدل، وقد يكون العدل فى دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المتسبين
إلى الإسلام يحكمون بعباداتهم التى لم ينزلها الله سبحانه وتعالى،
كسوائف البادية، وكأوامر المطاعين [فيهم]^(٤)، ويرون أن هذا هو الذى
ينبغى الحكم به دون الكتاب والسنة.

وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا
يحكمون إلا بالعبادات الجارية لهم التى يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا
عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلو
أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالا، كمن تقدم
أمرهم^(٥).

وقد أمر الله المسلمين كلهم إذا تنازعوا فى شىء أن يردوه إلى الله

(١) ح، ر: والمنهاج.

(٢) ر: على رسله.

(٣) و: لما أنزله.

(٤) فيهم: زيادة فى (أ)، (ب).

(٥) أمرهم: كذا فى (ن)، (م). وفى سائر النسخ: أمره.

والرسول، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥٩].

ص ١٩٠

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥].
فمن لم يلتزم بتحكيم^(١) الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزماً لحكم الله ورسوله باطنا وظاهراً، لكن عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة.

وهذه الآية مما يحتج بها الخوارج على تكفير ولاية الأمر الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ثم يزعمون أن اعتقادهم هو حكم الله. وقد تكلم الناس بما يطول ذكره هنا، وما ذكرته يدل عليه سياق الآية.

والمقصود أن الحكم بالعدل واجب مطلقاً، في كل زمان ومكان على كل أحد ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي صلى الله عليه وسلم وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر.

وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية. قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا

(١) و: بحكم.

اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْيَنَابُتُ ﴿ [سورة البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا اِخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [سورة
الشورى: ١٠]. وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾
[سورة النساء: ٥٩] فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب
والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس^(١) بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا
ملك.

ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك، ولا يحكم بينهم
بالكتاب والسنة فهو كافر، وحكام المسلمين يحكمون في الأمور
المعيّنة، لا يحكمون في الأمور الكلّية، وإذا حكموا في المعيّنات
فعلیهم أن يحكموا بما في / كتاب الله، فإن لم يكن فيما في سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا اجتهد الحاكم برأيه.

٣٣/٣

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «القضاة ثلاثة: قاضيان في
النار، وقاض في الجنة؛ فمن علم الحق وقضى به فهو في الجنة، ومن
علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار، ومن قضى للناس على جهل فهو
في النار»^(٢).

وإذا حكم بعلم وعدل؛ فإذا اجتهد فأصاب^(٣) فله أجران، وإذا اجتهد
فأخطأ فله أجره كما ثبت ذلك في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
وسلم من وجهين^(٤).

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٣١٢/٤.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٤٢٢/٤.

(١) ن، م، و: الإنسان.

(٣) ح، ر، ي: فإن أصاب.

والمقصود هنا أنه إذا وجب فيما شجر بين عموم^(١) المؤمنين أن لا يتكلم إلا بعلم وعدل، ويرد ذلك إلى الله والرسول، فذاك في أمر الصحابة أظهر. فلو طعن طاعن في بعض ولاية الأمور، من ملك وحاكم وأمير وشيخ ونحو ذلك، وجعله كافراً معتدياً على غيره في ولاية أو غيرها، وجعل غيره هو العالم العادل المبرأ من كل خطأ وذنوب، وجعل كل من أحب الأول وتولاه كافراً أو ظالماً مستحقاً للسب وأخذ يسبه، فإنه يجب الكلام في ذلك بعلم وعدل.

والرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفرق، فوالوا بعضهم وغلوا فيه، وعادوا بعضهم وغلوا في معاداته. وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا في أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم، فيحصل بينهم رفض في غير الصحابة: تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحبيه، ويبغض فلانا ومحبيه، وقد يسب ذلك بغير حق.

وهذا كله من التفرق والتشيع الذي نهى الله عنه ورسوله. فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢ : ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا

(١) ح، ر: والمقصود هنا إذا وجب فيما بين عموم...

الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿

[سورة آل عمران: ١٠٥-١٠٧]. قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة^(١). ولهذا كان أبو أمامة الباهلي وغيره يتأولها في الخوارج.

فألله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعا ولا يفرقوا، وقد فُسر حبله بكتابه، وبيدته، وبالإسلام، وبالإخلاص، وبأمره، وبعهده، وبطاعته، وبالجماعة. وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكلها صحيحة^(٢)؛ فإن القرآن يأمر بدين الإسلام، وذلك هو عهده وأمره وطاعته، والاعتصام به جميعا إنما يكون في الجماعة، ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم^(٣)».

- (١) في «الدر المنثور» للسيوطي ٦٣/٢: «وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نصر في «الإبانة» والخطيب في «تاريخه» واللالكائي في «السنة» عن ابن عباس في هذه الآية قال: «تبيض وجوه وتسود وجوه: قال: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدع والضلالة». وأورد اللالكائي هذا الأثر في كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ٧١/١-٧٢، تحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان، دار طيبة للنشر، الرياض، ١٤٠٢.
- (٢) انظر وجوه تفسير «حبل الله» في قوله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [سورة آل عمران: ١٠٣] في تفسير الطبري (ط. المعارف) ٧٠/٧-٧٦؛ زاد المسير لابن الجوزي ٤٣٢/١-٤٣٣. (٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٦١/٣-١٦٢.

والله تعالى قد حرم ظلم المسلمين: أحيائهم وأمواتهم، وحرم دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، ألا ليلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع»^(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨]، فمن آذى مؤمناً: حياً أو ميتاً بغير ذنب يوجب ذلك، فقد دخل في هذه الآية، ومن كان مجتهداً لا إثم عليه، فإذا آذاه مؤذ^(٢) فقد آذاه بغير ما اكتسب، ومن كان مذنباً - وقد تاب من ذنبه، أو عُفِرَ له بسبب آخر بحيث لم يبق عليه عقوبة - فأذاه مؤذ، فقد آذاه بغير ما اكتسب، وإن حصل له بفعله مصيبة.

ولما حاج موسى آدم^(٣)، وقال: «لماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال آدم: بِكُمْ وَجَدْتُمْ مَكْتُوبًا عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [سورة طه: ١٢١]؟ قال: بأربعين سنة. قال: فحج آدم موسى» وهذا الحديث ثابت في الصحيحين^(٤)، لكن غلط كثير من الناس في معناه، فظنوا أن آدم احتج بالقدر / على أن الذنب^(٥) لا يُلام عليه، ثم تفرقوا بعد هذا: بين مكذب بلفظه ومتأول لمعناه تأويلات فاسدة. وهذا فهم

(١) سبق الحديث فيما مضى ٣١٩/٤.

(٢) و، ر، ي: فأذاه مؤذ.

(٣) آدم: كذا في (م)، (ب). وفي سائر النسخ: لآدم.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٧٨/٣ - ٧٩.

(٥) الذنب: كذا في (ن)، (ي)، (ب): وفي سائر النسخ: المذنب.

فاسد وخطأ عظيم، لا يجوز أن يُظن بأقل الناس علماً وإيماناً؛ أن يظن أن كل من أذنب فلا ملام عليه، لكون الذنب مقدراً عليه، وهو يسمع ما أخبر الله به في القرآن من تعذيبه لقوم نوح وعاد وثمود، وقوم فرعون ومدين، و[قوم] لوط^(١) وغيرهم.

والقدر شامل لجميع الخلق، فلو كان المذنب معذورا لم يعذب هؤلاء على ذنوبهم، وهو يعلم ما أرسل الله به رسله - محمداً وغيره - من عقوبات المعتدين / ، كما في التوراة والقرآن^(٢)، وما أمر الله به من إقامة الحدود على المفسدين، ومن قتال الكافرين، وما شرعه الله من إنصاف المظلومين من الظالمين، وما يقضى به يوم القيامة بين عباده من عقوبة الكفار^(٣)، والاقتصاص للمظلوم من الظالم. وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع.

ظ ١٩٠

لكن مقصود الحديث أن ما يصيب العبد من المصائب فهي مقدرة عليه، ينبغي أن يسلم لقدر الله. كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١١]. قال علقمة: هو الرجل^(٤) تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. وروى الوالبي عن ابن عباس: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال ابن السائب وابن قتيبة: إنه إذا ابتلى صبر، وإذا أنعم عليه شكر، وإذا ظلم غفر.

(١) ن، م، و، ي، أ: ومدين ولوط.. (٢) ن (فقط): المعتدين والإنجيل والقرآن..

(٣) ح، ب: الكافرين.

(٤) ح، ر، ب، ي: هو العبد.

وإن كانت المصيبة بسبب فعل الأب أو الجد، فإن آدم قد تاب من الأكل، فما بقى عليه ملام للتوبة، والمصيبة كانت مقدرة، فلا معنى للوم آدم عليها، فليس للإنسان أن يؤذى مؤمنا جرى له على يديه^(١) ما هو مصيبة في حقه.

والمؤمن إما معذور وإما مغفور له. ولا ريب أن كثيرا ممن حصل له مصيبة^(٢) أو فوات غرض ببعض الماضين يُسرع بذمه، كما يظن^(٣) بعض الرافضة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم كانوا هم السبب في منع حقهم ظلما، وهذا كذب عليهم. أو يقولون: بسببهم ظَلَمْنَا غيرهم، وهذا عدوان عليهم؛ فإن القوم كانوا عادلين متبعين لأمر الله ورسوله.

ومن أصابته مصيبة بسبب ما جاء به الرسول فبذنبه أصيب، فليس لأحد أن يعيب الرسول وما جاء به، لكونه فيه^(٤) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد المنافقين، أو لكونه بسبب تقديمه أبا بكر وعمر قدمهما المسلمون بعده، كما يُذكر عن بعض الرافضة أنه آذى الله ورسوله بسبب تقديم الله ورسوله^(٥) لأبي بكر^(٦) وعمر.

وعن بعضهم أنهم كانوا يقرؤون شيئا من الحديث في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فأتوا على فضائل أبي بكر، فلما سمعها قال

(١) ن، أ: على يده.

(٢) ن، ر، م: مصيبة.

(٣) ح، و، ز: يظن.

(٤) ن، م، ر، ح: لكون فيه.

(٥) ح، ب: والرسول.

(٦) (*): ما بين النجمتين ساقط من (و).

لأصحابه: تعلمون والله بلاءكم من صاحب هذا القبر، يقول: مروا
أبا بكر فليصل بالناس، لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت
أبا بكر خليلاً، يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر.

وهذا كما أنه ليس لأحد* أن يقول بسبب نزول القرآن بلسان العرب^(١)
اختلفت الأمة في التأويل واقتلوا، إلى أمثال هذه الأمور التي يجعل الشر
الواقع فيها بسبب ما جاء به الرسول؛ فإن هذا كله باطل، وهو من كلام
الكفار.

قال تعالى عن الكفار الذين قالوا^(٢) لرسولهم: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [سورة يس: ١٨ - ١٩].

وقال عن قوم فرعون: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَلَّا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾
[سورة الأعراف: ١٣١].

وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبطن عنه: ﴿أَيْنَمَا
تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ * قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُؤَلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [سورة النساء: ٧٨ - ٧٩].

(١) ن، م، ر، ي: بسبب نزول القرآن ونزوله بلسان العرب؛ ح: بسبب نزول القرآن ونزوله
بلسان الأعراب.

(٢) و: أنهم قالوا.

والمراد بالحسنات والسيئات هنا النعم والمصائب، كما قد سَمَى الله ذلك حسنات وسيئات في غير هذا الموضع من القرآن كقوله: ﴿وَيَلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [سورة الاعراف: ١٦٨]. وقوله: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٠].

٣٠/٣ / ولهذا قال: ﴿مَا أَصَابَكَ﴾ ولم يقل: ما أصبت. وهكذا قال [السلف]. ففي رواية أبي صالح^(١) عن ابن عباس: أن الحسنه: الخصب^(٢) والمطر، والسيئة: الجذب والغلاء. وفي رواية الوالبي عنه: أن الحسنه: الفتح والغنيمه، والسيئة والهزيمة والجراح ونحو ذلك^(٣). وقال في هذه الرواية: ما أصابك من حسنة: ما فتح الله عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد. وكذلك قال ابن قتيبة: الحسنه: [الغنيمه] و[النعمة]^(٤)، والسيئة البلية. وروى ذلك عن أبي العالیه، وروى عنه أن الحسنه: الطاعة، والسيئة: المعصية.

وهذا يظنه طائفة من المتأخرين، ثم اختلف هؤلاء، فقال مثبتة القدر: هذا حجة لنا، لقوله سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء: ٧٨]. وقال نفاته: بل هو حجة لنا لقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [سورة النساء: ٧٩]. وحجة كل فريق تدل على فساد قول الآخر. والقولان

(١) وهكذا... أبي صالح: كذا في (أ)، (ب). وفي سائر النسخ: وهكذا قال في معنى رواية أبي صالح...

(٢) ر، ح، ي، ب: الحسنه هي الخصب..

(٣) ح، ب: والجراح والهزيمة. وسقطت «نحو ذلك» من (ب) فقط.

(٤) ن، م، و، أ: الحسنه النعمة.

باطلان فى هذه الآية؛ فإن المراد: النعم والمصائب، ولهذا قال: ﴿وإن
تصيبهم﴾ والضمير قد قيل: إنه يعود على المنافقين، وقيل: على اليهود،
وقيل: على الطائفتين.

والتحقيق أنه يعود على من قال هذا من أى صنف كان. ولهذا قيل:
هذا لا يُعَيَّن قائله؛ لأنه دائماً يقوله بعض الناس، فكل من قاله تناولته
الآية؛ فإن الطاعنين فيما جاء به الرسول^(١) من كافر ومنافق، بل ومن فى
قلبه مرض أو عنده جهل يقول مثل ذلك، وكثير من الناس يقول ذلك فى
بعض ما جاء به الرسول، ولا يعلم أنه جاء به، لظنه خطأ صاحبه، ويكون
هو المخطئ، فإذا أصابهم نصر ورزق، قالوا: هذا من عند الله، لا
يضيفه إلى ما جاء به الرسول، وإن كان سبباً له. وإن أصابهم نقص رزق
وخوف من العدو وظهوره، قالوا: هذا من عندك، لأنه أمر بالجهاد فجرى
ما جرى، وأنهم تطيروا بما جاء به، كما تطير قوم فرعون بما جاء به
موسى.

والسلف ذكروا المعنيين، فعن ابن عباس، قال: بشؤمك. وعن ابن
زيد قال: بسوء تدبيرك. قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء:
78]. وعن ابن عباس: الحسنة والسيئة، أما الحسنة فأنعم بها عليك،
وأما السيئة فابتلاك بها. فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً!؟ وقد
قيل فى مثل هذا: لم يفقهوه^(٢) ولم يكادوا، وأن النفى مقابل الإثبات.
وقيل: بل معناه فقهوه^(٣) بعد أن كادوا لا يفقهونه^(٤). كقوله: ﴿فَدَبَّحُوا

(١) ح، ب: الرسل. (٢) ح، ب: لم يفقهوا.

(٣) ح، ب: فقهوا. (٤) ن، م: لا يفقهوه؛ ح: لا يفقهوا؛ ب: لا يفقهون.

وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿ [سورة البقرة: ٧١]، فالمنفى بها مثبت، والمثبت بها منفى^(١)، وهذا هو المشهور، وعليه عامة الاستعمال. وقد يُقال^(٢): يُراد بها هذا تارة وهذا تارة؛ فإذا صرحت بإثبات الفعل فقد وجد، فإذا لم يوث إلا بالنفى المحض كقوله ﴿لم يكذبها﴾ و﴿لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ فهذا نفي مطلق، ولا قرينة معه تدل على الإثبات، فيفرق بين مطلقها ومقيدها.

ص ١٩١

وهذه الأقوال الثلاثة للنحاة، وقال بكل قول طائفة. وقد وصف الله تعالى المنافقين بعدم الفقه في مثل قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

وفي مثل قوله: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦]. فدل على أنهم لم يكونوا يفقهون القرآن.

لكن قوله (حديثاً) نكرة في سياق النفي فتعم، كما قال في الكهف: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [سورة الكهف: ٩٣]. ومعلوم أنهم^(٣) لا بد أن يفقهوا بعض الأقوال، وإلا فلا يعيش الإنسان بدون ذلك، فعلم أن المراد أنهم يفقهون بعد أن كادوا لم يفقهوه^(٤).

(١) ن، م، و، ر، ي: متف.

(٢) ن، م: وقد قيل.

(٣) ن، م، أ: أنه.

(٤) م، أ: كادوا لا يفقهون؛ ح: كادوا لم يفقهوا.

وكذلك فى الرواية^(١)، وهذا أظهر أقوال النحاة^(٢) وأشهرها .
والمقصود أن هؤلاء لو فقهوا القرآن لعلموا أنك ما أمرتهم إلا بخير،
وما نهيتهم إلا عن شر، وأنه لم تكن المصيبة الحاصلة لهم بسببك، بل
بسبب ذنوبهم . ثم قال الله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما
أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ [سورة النساء : ٧٩] . قال ابن عباس : وأنا^(٣)
كتبتها عليك . وقيل : إنها فى حرف عند الله^(٤) وأنا قدرتها عليك .
وهذا كقوله : ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن
كثير ﴾ [سورة الشورى : ٣٠] ، وقوله : ﴿ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم
مثلها فقلتم أئني هذا قل هو من عند أنفسكم ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٥] ،
وقوله : ﴿ وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور ﴾
[سورة الشورى : ٤٨] .

وأما رواية كردم عن يعقوب (فمن / نفسك) فمعناها يناقض القراءة
المتواترة فلا يعتمد عليها .

٣٦/٣

ومعنى هذه الآية كما فى الحديث الصحيح الإلهى : «يا عبادى إنما
هى أعمالكم أحصياها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرا فليحمد
الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»^(٥) .

ومعنى هذه الآية تناول لكل من نسب ما أصابه من المصيبة إلى ما

(١) م، و، أ، ر: الروية؛ ي: الرؤية .

(٢) ح، ر، ب: الأقوال للنحاة .

(٣) ن: فانا .

(٤) عند الله: كذا فى (ن) . والكلمة غير منقوطة فى (م)، (ي) . وفى سائر النسخ: عبد الله .

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٣٩/١ .

أمر الله به ورسوله كائنا من كان^(١). فمن قال: إنه بسبب تقديمه لأبي بكر وعمر، واستخلافه في الصلاة، أو بسبب ولايتهما، حصل لهم^(٢) مصيبة. قيل: مصيبتكم بسبب ذنوبكم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣]، بل هذا كله من أذى المؤمنين بغير ما اكتسبوا. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

و[ثبت] في الصحيح^(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكره». قيل: رأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتته، وإن لم يكن فيه فقد بهته^(٤)». فمن رمى أحداً بما ليس فيه فقد بهته، فكيف إذا كان ذلك في الصحابة؟! ومن قال عن مجتهد: إنه تعمّد الظلم وتعمّد^(٥) معصية الله ورسوله ومخالفة الكتاب والسنة، ولم يكن كذلك فقد بهته، وإذا كان فيه ذلك فقد اغتابه، لكن يباح من ذلك ما أباحه^(٦) الله ورسوله، وهو ما يكون^(٧)

(١) ن: ما كان.

(٢) ن، م: له.

(٣) ن، م: وفي الصحيح.

(٤) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ٢٠٠١/٤ (كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة) وأوله: «أتلدون ما الغيبة». الحديث وهو مع اختلاف فى اللفظ فى: سنن أبى داود ٣٧٠/٤ - ٣٧١ (كتاب الأدب، باب فى الغيبة)؛ سنن الترمذى ٢٢٠/٣ - ٢٢١ (كتاب البر والصلة، باب ما جاء فى الغيبة)؛ سنن الدارمى ٢٩٩/٢ (كتاب الرقاق، باب ما جاء فى الغيبة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣٢/١٢ - ١٣٣. ٧٠/١٩، ١٠٥، ٩٥/١٧.

(٥) ح، ب: أو تعمّد.

(٦) ن: ما كان يكون.

(٧) ن: ما أباح.

على وجه القصاص والعدل، وما يُحتاج إليه لمصلحة الدين ونصيحة المسلمين. فالأول كقول المشتكى المظلوم: فلان ضربني وأخذ مالي ومنعني حقِّي ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ [سورة النساء: ١٤٨]، وقد نزلت فيمن ضاف قوماً فلم يقروه، لأن قري الضيف واجب، كما دلت [عليه]^(١) الأحاديث الصحيحة، فلما منعوه حقه كان له ذكر ذلك، وقد أذن له النبي صلى الله عليه وسلم أن يعاقبهم^(٢) بمثل قراه في زرعهم ومالهم، وقال: «نصره واجب على كل مسلم»^(٣) لأنه قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». قلت: يارسول أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: «تمنعه»^(٤) من الظلم فذلك نصرك إياه»^(٥).

وأما الحاجة فمثل استفتاء هند بنت عتبة، كما ثبت في الصحيح أنها

(١) عليه: زيادة في (ج)، (ب).

(٢) يعاقبهم: كذا في (ج)، (ر)، (ب). وفي سائر النسخ: يعقبهم.

(٣) أورد ابن كثير في تفسيره ٣٩٤/٢ - ٣٩٦ الأحاديث الواردة في تفسير آية ١٤٨ من سورة النساء، ومنها حديث تفرد أحمد به في مسنده (ط. الحلبي) ١٣٣/٤ عن المقدم بن أبي كريمة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيا مسلم أضاف قوماً فأصبح الضيف محروماً، فإن حقاً على كل مسلم نصره حتى يأخذ بقري الليلة - ليلته - من زرعه وماله». والحديث بمعناه عن أبي هريرة في المسند وصحح الألباني حديث أبي هريرة في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ١٩٤/٢.

(٤) ن، م: بمنعه.

(٥) الحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن أنس بن مالك رضى الله عنه في: البخارى

١٢٨/٣ - ١٢٩ (كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً)، ٢٢/٩

(كتاب الإكراه، باب يمين الرجل لصاحبه أنه أخوه...)؛ سنن الترمذى ٣٥٦/٣ - ٣٥٧

قالت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني وبنى ما يكفيني بالمعروف. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «خذى ما يكفيك وولدى بالمعروف» أخرجاه فى الصحيحين من حديث عائشة^(١)، فلم ينكر عليها قولها، وهو من جنس قول المظلوم.

وأما النصيحة فمثل قوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس لما استشارته فيمن خطبها فقالت: خطبنى أبو جهم ومعاوية. فقال: «أما معاوية فصعلوك لا مال له، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» وفى لفظ: «يضرب النساء»، «أنكحى أسامة»^(٢) فلما استشارته حتى تتزوج^(٣) ذكر ما تحتاج إليه.

وكذلك من استشار رجلا فيمن^(٤) يعامله. والنصيحة مأمور بها ولو لم

(كتاب الفتن، باب ٥٩ حدثنا محمد بن حاتم المؤدب...); المسند (ط. الحلبي) ٢٠١، ٩٩/٣.

(١) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ٧٩/٣ (كتاب البيوع، باب من أجرى الأمصار على ما يتعارفون بينهم...). وجاء الحديث بمعناه فى مواضع أخرى كثيرة فى البخارى (فى ط. الدكتور مصطفى البغا: الأرقام: ٢٣٢٨، ٣٦١٣، ٥٠٤٤، ٥٠٤٩، ٥٠٥٥، ٦٢٦٥، ٦٧٤٢، ٦٧٥٨). وأورد مسلم الحديث فى صحيحه بالفاظ مختلفة عن عائشة ١٣٣٨/٣ - ١٣٣٩ (كتاب الأقضية، باب قضية هند). والحديث فى سنن النسائى وابن ماجه والدارمى.

(٢) الحديث عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها فى: مسلم ١١١٤/٢ (كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها); سنن أبى داود ٣٨٣/٢ (كتاب الطلاق، باب فى نفقة المبتوتة); سنن الترمذى ٣٠١/٢ - ٣٠٢ (كتاب النكاح، باب ما جاء أن لا يخطب الرجل على خطبة أخيه); المسند (ط. الحلبي) ٤١١/٦، ٤١٢. والحديث فى سنن النسائى والموطأ.

(٣) ح، ر، ب: فىمن تتزوج.

(٤) ن، م، و، ي: ممن.

يشاوره، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :
«الدين النصيحة، الدين النصيحة» ثلاثا. قالوا: لمن يارسل الله؟ قال:
«الله وكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وكذلك بيان أهل العلم لمن غلط في رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو تعمّد الكذب عليه، أو على من ينقل عنه العلم. وكذلك بيان من غلط في رأى رآه في أمر الدين من المسائل العلمية والعملية؛ فهذا إذا تكلم فيه الإنسان بعلم وعدل، وقصد النصيحة، فالله تعالى يشبهه على ذلك، لا سيما إذا كان المتكلم فيه داعياً إلى بدعة، فهذا يجب بيان أمره للناس، فإن دفع شره عنهم أعظم من دفع شر قاطع الطريق.

وحكم المتكلم باجتهاده في العلم والدين حكم أمثاله من المجتهدين. ثم قد يكون مجتهداً مخطئاً أو مصيباً، وقد يكون كل من الرجلين المختلفين باللسان أو اليد مجتهداً يعتقد / الصواب معه، وقد يكونان جميعاً مخطئين مغفوراً لهما، كما ذكرنا نظير ذلك مما كان يجرى بين الصحابة.

ولهذا ينهى عمّا شجر بين هؤلاء سواء كانوا من الصحابة أو ممن بعدهم^(٢)، فإذا تشاجر مسلمان في قضية، ومضت ولا تعلق للناس بها، ولا يعرفون حقيقتها، كان كلامهم فيها كلاماً^(٣) بلا علم ولا عدل يتضمن أذاهما^(٤) بغير حق، ولو عرفوا أنهما مذنبان أو مخطئان، لكان ذكر ذلك

(١) سبق الحديث فيما مضى ٥٢٨/٤.

(٢) أو ممن بعدهم: كذا في (ن)، (م)، (و). وفي سائر النسخ: أو ممن بعدهم

(٣) ن (فقط): ذكر. (٤) ح، م: أذاهم.

من غير مصلحة راجحة من باب الغيبة المذمومة .

٣٧/٣

لكن الصحابة رضوان الله / عليهم [أجمعين]^(١) أعظم حرمة، وأجل قدرا، وأنزله أعراضا. وقد ثبت من فضائلهم خصوصا وعموما ما لم يثبت لغيرهم، فلهذا كان الكلام الذي فيه ذمهم على ما شجر بينهم أعظم إثما من الكلام في غيرهم.

فإن قيل: فأنتم في هذا المقام^(٢) تسبّون الرافضة وتذمونهم وتذكرون عيوبهم.

قيل: ذكر الأنواع المذمومة غير ذكر الأشخاص المعيّنة؛ فإنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن أنواع كثيرة، كقوله: «لعن الله الخمر وشاربيها، وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها وآكل ثمنها^(٣)» و«لعن الله آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه^(٤)»، و«لعن الله من غير منار الأرض^(٥)» وقال: «المدينة

(١) ن، م، أ: رضى الله عنهم؛ ي، ر: رضوان الله عليهم.

(٢) ن: فأنتم فيه في هذا المقام؛ و: فأنتم في هذا المكان.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٥٦٨/٤ - ٥٦٩.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٥٦٨/٤.

(٥) الحديث عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه بروايات مختلفة في: مسلم ١٥٦٧/٣

(كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله) ونص الرواية الأولى . . .

حدثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة، قال: كنت عند عليّ بن أبي طالب فأتاه رجل فقال: ما

كان النبي صلى الله عليه وسلم يُسِرُّ إليك؟ قال: فغضب وقال: ما كان النبي صلى الله

عليه وسلم يُسِرُّ إليّ شيئا يكتمه الناس، غير أنه حدّثني بكلمات أربع. قال: فقال: ما هن

ياأمير المؤمنين؟ قال: قال: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن

الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض». قال النووي في شرحه على مسلم

١٤١/١٣: «المراد بمنار الأرض بفتح الميم علامات حدودها». والحديث في سنن

حرم^(١) ما بين غير إلى ثور ، فمن أحدث فيها حدثًا ، أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً^(٢) .
 وقال : «لعن الله من عمِلَ عَمَلَ قوم لوط»^(٣) وقال : «لعن الله المخنثين من الرجال والمترجّلات من النساء»^(٤) وقال : «من ادّعى إلى غير^(٥) أبيه ،

النسائي ٢٠٤/٧ - ٢٠٥ (كتاب الضحايا ، باب من ذبح لغير الله عز وجل) ؛ المسند (ط) .
 المعارف) ١٥٦/٢ ، والحديث بمعناه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : المسند (ط) .
 المعارف) ٢٦٦/٣ ، ٢٩٢/٤ ، ٢٩٣ ، ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(١) ح ، م ، ب : حرام .

(٢) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى : البخارى ٢٠/٣ (كتاب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة) وهو فى مواضع أخرى من البخارى (انظر ط . د . البغا : الأرقام ٣٠٠١ ، ٣٠٠٨ ، ٦٣٧٤ ، ٦٨٧٠) . والحديث فى : مسلم ٩٩٤/٢ - ٩٩٩ (كتاب الحج ، باب فضل المدينة ...) ؛ وهو فى مواضع أخرى فى مسلم وفى سنن أبوداود والترمذى والنسائى ومسند أحمد .

(٣) جاء ذلك فى حديث ابن عباس الذى أشرت إليه قبل قليل ، ونصه فى : المسند (ط) .
 المعارف) ٢٦٦/٣ : «ملعون من سبّ أباه ، ملعون من سبّ أمه ، ملعون من ذبح لغير الله ، ملعون من غير تخوم الأرض ، ملعون من كَمَه أعمى عن طريق ، ملعون من وقع على بهيمة ، ملعون من عمِلَ بعمل قوم لوط» . وصحح أحمد شاكر رحمه الله الحديث ، وكذلك الأحاديث الأخرى رقم ٢٨١٧ ، ٢٩١٥ ، ٢٩١٦ ، ٢٩١٧ . وأورد الترمذى فى سننه ٩/٣ (كتاب الحدود ، باب ما جاء فى حد اللوطى) حديثا عن عمرو بن أبى عمرو ونصه : «ملعون من عمِلَ عَمَلَ قوم لوط» .

(٤) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : البخارى ١٥٩/٧ (كتاب اللباس ، باب إخراج المشبهين من الرجال بالنساء ...) ولفظه : «لعن النبى صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال والمترجّلات من النساء وقال : «أخرجوهم من بيوتكم» . قال : فأخرج النبى صلى الله عليه وسلم فلانا وأخرج عمر فلانا . وجاء الحديث مختصرا فى : سنن الترمذى ١٩٤/٤ (كتاب الاستئذان ، باب ما جاء فى المشبهات بالرجال من النساء) . وهو فى : سنن الدارمى ٢٨٠/٢ - ٢٨١ (كتاب الاستئذان ، باب لعن المخنثين والمترجّلات) ؛ المسند (ط) . المعارف) ٣٠٥/٣ - ٣١٤ وفى مواضع أخرى .

(٥) م ، و : لغير ؛ ن : من غير .

أو تولى^(١) غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٢).

وقال الله تعالى في القرآن: ﴿أَنْ لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [سورة الأعراف: ٤٤، ٤٥].

فالقُرآن والسنة مملوءان من ذم الأنواع المذمومة وذم أهلها ولعنهم، تحذيراً من ذلك الفعل، وإخباراً بما يلحق أهله من الوعيد.

ثم المعاصي التي يَعْرِفُ صاحبها أنه عاصٍ [يتوب منها، والمبتدع الذي يظن أنه على حق - كالخوارج والنواصب الذي نصبوا العداوة والحرب]^(٣) لجماعة المسلمين - فابتدعوا بدعة، وكفروا من لم يوافقهم عليها، فصار بذلك ضررهم على المسلمين أعظم من ضرر الظلمة، الذين يعلمون أن الظلم محرّم، وإن كانت عقوبة أحدهم في الآخرة - لأجل التأويل - قد تكون أخف، لكن أمر النبي صلى الله عليه وسلم

(١) ن: وتولى؛ و: ومن تولى.

(٢) ذكر أبو داود في سننه ٤٤٩/٤ - ٤٥٠ (كتاب الأدب، باب في الرجل يتسمى إلى غير مواليه) ثلاثة أحاديث: الأول عن سعد بن أبي وقاص (سعد بن مالك) رضى الله عنه ونصه: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» والثاني عن أبي هريرة: «من تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف» والثالث عن أنس بن مالك: «من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله المتابعة إلى يوم القيامة». والظاهر أن ابن تيمية أدمج هذه الأحاديث الثلاثة. وانظر حديث سعد بن أبي وقاص في المسند (ط. المعارف) ج ٣ الأرقام ١٤٥٤، ١٤٩٧، ١٤٩٩، ١٥٠٤، ١٥٥٣. وانظر المسند (ط. الحلبي) ٢٦٧/٥. وقد صحح الألباني حديث أنس وسعد بن أبي وقاص في «صحيح الجامع الصغير» ٢٣٣/٥ - ٢٣٤.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

بقتالهم، ونهى عن قتال الأمراء الظلمة، وتواترت عنه بذلك الأحاديث الصحيحة.

فقال فى الخوارج: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وقراءته مع قراءتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، أينما لقيتموهم فاقتلوهم»^(١).

وقال فى بعضهم: «يقتلون أهل الإيمان، ويدعون أهل الأوثان»^(٢).

وقال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقونى على الحوض»^(٣) أى تلقون من يستأثر عليكم بالمال ولا ينصفكم، فأمرهم بالصبر، ولم يأذن لهم فى قتالهم.

وقال أيضا: «سيكون عليكم بعدى أمراء يطلبون منكم حقهم ويمنعونكم حقكم». قالوا: فما تأمرنا يارسول الله؟ قال: «أدوا إليهم

(١) انظر ما سبق من الكلام عن أحاديث الخوارج فى هذا الكتاب ٦٦/١.

(٢) هذا جزء من حديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أوله (وهذه رواية البخارى): بعث على رضى الله عنه إلى النبى صلى الله عليه وسلم بذهية فقسمها بين الأربعة... الحديث وفيه: إن من ضئضىء هذا - أو فى عقب هذا - قوم يقرأون القرآن... إلخ والحديث فى: البخارى ١٣٧/٤ (كتاب الأنبياء، باب قول الله عز وجل وأما عاد فأهلكوا... الآية)، ١٢٧/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه)؛ مسلم ٧٤١/٢ - ٧٤٢ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)؛ سنن أبى داود ٣٣٥/٤ (كتاب السنة، باب فى قتال الخوارج)؛ سنن النسائى (بشرح السيوطى) ٦٥/٥ - ٦٦ (كتاب الزكاة، باب المؤلفة قلوبهم)، ١٠٨/٧ - ١٠٩ (كتاب تحريم العلماء، من شهر سيفه ثم وضعه فى الناس)؛ المسند (ط. المعارف) ٣٠٨/٧ (عن عبد الله بن عمر وهو جزء من الحديث مع اختلاف فى اللفظ).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٢٤٠/٤.

حقهم وسلوا الله حقكم»^(١).

وقال: «من رأى من أميره شيئاً فليصبر عليه؛ فإنه من فارق الجماعة قيّد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»^(٢).

وقال: «من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية»^(٣).

وقال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا»^(٤).

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيح، إلى أحاديث أمثالها.

فهذا أمره بقتال الخوارج، وهذا نهيه عن قتال الولاة الظلمة. وهذا مما يُستدل به على أنه ليس كل ظالم باغ يجوز قتاله.

ومن أسباب ذلك أن الظالم [الذى]^(٥) يستأثر بالمال والولايات لا يُقاتل فى العادة إلا لأجل [الدنيا]^(٦)، يقاتله^(٧) الناس حتى يعطيهم المال والولايات، وحتى لا يظلمهم، فلم يكن أصل قتالهم ليكون الدين كله لله، ولتكون كلمة الله هى العليا، ولا كان قتالهم من جنس قتال المحاربين قطاع الطريق، الذين قال فيهم^(٨): «من قُتل دون ماله فهو

(١) سبق الحديث فيما مضى ١١٨/١.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ١١٣/١.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ١١٢/١ - ١١٣.

(٤) سبق الحديث فيما مضى ١١٦/١.

(٥) الذى: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٦) الدنيا: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٧) ن، م: يقاتل، وهو خطأ.

(٨) ن، م: الذين قتل فيهم، وهو تحريف.

شهيد، ومن قتل دون [دينه فهو شهيد، ومن قتل دون]^(١) حرمة فهو شهيد^(٢) لأن أولئك معادون لجميع الناس، وجميع الناس يعينون على قتالهم، ولو قُدِّرَ أنه ليس كذلك العداوة والحرب، فليسوا ولاية أمر قادرين على الفعل والأخذ، بل هم بالقتال يريدون أن يأخذوا أموال الناس ودماءهم، فهم مبتدؤون الناس بالقتال، بخلاف ولاية الأمور فإنهم لا يبتدؤون بالقتال للرعية.

وفرق [بين]^(٣) من تقاتله دفعا وبين من تقاتله ابتداءً. ولهذا هل يجوز في حال الفتنة قتال الدفع؟ فيه عن أحمد روايتان / لتعارض الآثار والمعاني.

٣٨ / ٣

وبالجملة العادة المعروفة أن الخروج على ولاية الأمور يكون لطلب ما في أيديهم من المال والإمارة، وهذا قتال على الدنيا.

- (١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ح)، (ب)، (أ)، وفي (ر): دون دمه.
- (٢) لم أجد عبارة «ومن قتل دون حرمة فهو شهيد» ولكن وجدت حديثا في قوله صلى الله عليه وسلم «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد» والحديث عن سعيد بن زيد رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٣٩ (كتاب السنة، باب فى قتال اللصوص)؛ سنن الترمذى ٢/٤٣٥، ٤٣٦ (كتاب الديات، باب ما جاء من قتل دون ماله فهو شهيد) (زاد فى بعض الأحاديث: ومن قتل دون دمه فهو شهيد - وجاء الحديث مختصرا عن عبدالله ابن عمرو رضى الله عنه)؛ سنن النسائى ٧/١٠٥-١٠٧ (كتاب تحريم الدم، باب من قتل دون ماله (عن عبدالله بن عمرو وعن سليمان بن بريده)، باب من قاتل دون أهله، باب من قاتل دون دينه، باب من قاتل دون مظلّمته (عن سويد بن مقرن)؛ سنن ابن ماجه ٢/٨٦١ (كتاب الحدود، باب من قتل دون ماله فهو شهيد). وجاء حديث عبدالله بن عمرو (من قتل دون ماله فهو شهيد) فى: البخارى ٣/١٣٦ (كتاب المظالم، باب من قاتل دون ماله)؛ مسلم ١/١٢٤، ١٢٥ (كتاب الإيمان، باب عن أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق...؛ المسند (ط. المعارف) ٣/١١٩، ٤٣/١٠، ١٥٣/١١، ١٥٤.
- (٣) بين: ساقطة من (ن).

ولهذا قال أبو برزة الأسلمي عن فتنة ابن الزبير، وفتنة القرءاء مع الحجاج، وفتنة مروان بالشام: هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء إنما يقاتلون على الدنيا، وأما أهل البدع كالخوارج فهم يريدون إفساد دين الناس، فقتالهم قتال [على] ^(١) الدين.

والمقصود بقتالهم أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله. فلهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا، ونهى عن ذلك.

ولهذا كان قتال عليّ رضي الله عنه للخوارج ^(٢) ثابتاً بالنصوص الصريحة، وبإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر علماء المسلمين. وأما قتال الجمل وصفين فكان قتال فتنة، كرهه فضلاء الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر العلماء، كما دلت عليه النصوص. حتى الذين / حضروه كانوا كارهين له، فكان كارهه في الأمة أكثر وأفضل من حامده.

ص ١٩٢

وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه أنه صلى الله عليه وسلم كان يقسم مالاً فجاء ذو الخويصرة التميمي، وهو مخلوق الرأس، كثر اللحية، ناتئ الجبين، بين عينيه أثر السجود، فقال: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل. فقال: «ويحك ومن ^(٣) يعدل إذا لم أعدل؟» ثم قال: «أيا منى ^(٤) من في السماء ولا تأمنوني ^(٥)؟» فقال له بعض الصحابة: دعني

(١) علي: ساقطة من (ن)، (م). وفي (و)، (ب)، (ج): عن.

(٢) م، ب: الخوارج.

(٣) ن، م: فمن.

(٤) ب (فقط): ويحك أيا منى..

(٥) م: ولا تأمنوني في الأرض.

أضرب عنقه. فقال: «يخرج من ضئضىء هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم..» الحديث^(١).

فهذا كلامه في هؤلاء العباد لما كانوا مبتدعين. وثبت عنه في الصحيح أن رجلاً كان يشرب الخمر، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما أتى به إليه جلده الحد، فأتى به إليه مرة فلعنه رجل، وقال: ما أكثر ما يؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: «لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله»^(٢) فنهى عن لعن هذا المعين المدمن الذي يشرب الخمر، وشهد له بأنه يحب الله ورسوله، مع لعنة شارب الخمر عموماً.

فعلم الفرق بين العام المطلق والخاص المعين، وعلم أن أهل الذنوب الذين يعترفون بذنوبهم أخف ضرراً على المسلمين من أمر أهل البدع الذين يبتدعون بدعة يستحلون بها عقوبة من يخالفهم.

والرافضة أشد بدعة من الخوارج، وهم يكفرون من لم تكن الخوارج تكفّره، كأبي بكر وعمر، ويكذبون على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة كذباً ما كذب أحد مثله، والخوارج لا يكذبون، لكن الخوارج كانوا أصدق وأشجع منهم، وأوفى بالعهد منهم، فكانوا أكثر قتلاً منهم، وهؤلاء أكذب وأجبن وأغدر وأذل.

(١) الحديث عن أبي سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله رضى الله عنهما مع اختلاف فى الألفاظ فى البخارى ٢٠٠/٤ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة)؛ مسلم ٧٤٤/٢ - ٧٤٥ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣/٦٥، ٦٨، ٧٣، ٣٥٣، ٣٥٤ - ٣٥٥. وانظر جامع الأصول لابن الأثير ١٠/٤٣٦ - ٤٤٠؛ سنن ابن ماجه ٦٠/١ - ٦١ (المقدمة، باب فى ذكر الخوارج).

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٤/٤٥٧ - ٤٥٨.

وهم يستعينون بالكفار على المسلمين، فقد رأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلى المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، كما جرى لجنكزخان^(١) ملك التتر^(٢) الكفار، فإن الرفضة أعانته على المسلمين^(٣).
 وأما إعاتهم لهولاكو ابن ابنه لما جاء إلى خراسان والعراق والشام فهذا أظهر وأشهر من أن يخفى على أحد، فكانوا بالعراق وخراسان من أعظم أنصاره ظاهراً وباطناً^(٤) وكان وزير الخليفة [بيغداد]^(٥) الذي يقال له ابن العلقمي منهم^(٦)، فلم يزل يمكر بالخليفة والمسلمين، ويسعى في قطع أرزاق عسكر المسلمين وضعفهم، وينهى العامة عن قتالهم، ويكيد أنواعاً من الكيد، حتى دخلوا فقتلوا من المسلمين ما يُقال: إنه بضعة عشر ألف إنسان، أو أكثر أو أقل، ولم ير في الإسلام ملحمة مثل ملحمة الترك الكفار المسمين بالتتر، وقتلوا الهاشميين وسبوا نساءهم من العباسيين وغير [العباسيين]^(٧)، فهل يكون موالياً لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم من يسلم الكفار على قتلهم وسيبهم وعلى سائر المسلمين؟

(١) ن: لجنكسخان؛ ي، ر، أ، م: لجنكسخان.

(٢) ملك التتر: كذا في (ن)، (م). وفي سائر النسخ: ملك الترك.

(٣) انظر عن غزو جنكزخان لمناطق من العالم الإسلامي أحداث سنة ٦١٧هـ في: تاريخ ابن الأثير ١٢/١٣٧-١٥٣؛ البداية والنهاية ١٣/٨٦-٩١. وقد توفي جنكزخان سنة ٦٢٤ وانظر عنه: البداية والنهاية ١٣/١١٧-١٢١؛ دائرة المعارف الإسلامية مقالة بارتولد.

(٤) ح، ب: باطنا وظاهراً. (٥) بيغداد: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٦) الذي يقال له ابن العلقمي منهم: كذا في (أ)، (ب). وفي سائر النسخ: منهم يقال له ابن العلقمي.

(٧) ن، م: وغيرهم. وانظر ما سبق أن ذكرته عن ذلك في المقدمة، ص ٢١ (م). وانظر ما ذكره الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله في تعليقه على «المنتقى من منهاج الاعتدال»

وهم يكذبون على الحجاج وغيره أنه قتل الأشراف، ولم يقتل الحجاج هاشمياً قط، مع ظلمه وغشمه؛ فإن عبد الملك نهاه عن ذلك، وإنما قتل ناساً من أشراف العرب غير بني هاشم، وقد تزوج هاشمية، وهي بنت عبد الله بن جعفر، فما مكَّنه بنو أمية من ذلك، وفرَّقوا بينه وبينها وقالوا ليس الحجاج كفواً لشريفة هاشمية.

وكذلك من كان^(١) بالشام من الرافضة الذين لهم كلمة أو سلاح يعينون الكفار من المشركين و[من] النصارى^(٢) أهل الكتاب على المسلمين، على قتلهم وسيبهم وأخذ أموالهم.

والخوارج / ما عملت من هذا شيئاً، بل كانوا هم^(٣) يقاتلون الناس، لكن ما كانوا يسلطون الكفار من المشركين وأهل الكتاب على المسلمين.

٣٩ / ٣

ص ٣٢٥ - ٣٢٦ حيث نقل عن الخوانساري في كتابه «روضات الجنات» ص ٥٧٨ عند ترجمة نصير الدين الطوسي قوله عنه: «... ومجيئه في موكب السلطان المؤيد (هولاكو) مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد لإرشاد العباد وإصلاح العباد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد نائرة الجور والإلباس، بإيادته دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام، من أتباع أولئك الطغمان، إلى أن أسال من دمائهم الأقدار، كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار». وانظر تعليق الأستاذ محب الدين في هذا الموضع وفي ص ٢٠ من الكتاب، وانظر تعليقه في هامش ص ٣٢٦ - ٣٢٧ على ابن العلقمي وكلامه على دوره في تحريض هولاكو على الزحف على بغداد وخذاعه للخليفة المستعصم... الخ.

(١) ن: وكان كذلك من كان.

(٢) ن: والنجارية.

(٣) هم: في (ن)، (م)، (أ) فقط..

ودخل في الرافضة من الزنادقة [المنافقين] (١): الإسماعيلية والنصيرية وغيرهم ممن (٢) لم يكن يجترىء أن يدخل عسكر الخوارج، لأن الخوارج كانوا عبّادا متورعين، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم [وصيامه مع صيامهم]» (٣) الحديث (٤)، فأين هؤلاء الرافضة من الخوارج!؟

والرافضة فيهم من هو متعبّد متورّع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدّين، والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة. والزيدية من الشيعة خير منهم: أقرب إلى الصدق والعدل والعلم (٥)، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والانصاف ولا يظلمونهم؛ فإن الظلم حرام مطلقا كما تقدم، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض.

وهذا مما يعترفون هم به، ويقولون: أنتم تنصفوننا (٦) ما لا ينصف

(١) المنافقين: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٢) أ، ب: من.

(٣) ما بين المعقوتين ساقط من (ن)، (م)، (أ)، (و). وسبق الكلام على أحاديث الخوارج في الصفحات السابقة.

(٤) مضى هذا الحديث من قبل في هذا الجزء، ص ١٥٠، ١٥٤.

(٥) ن، م، أ: والعلم والعدل.

(٦) أنتم تنصفوننا: كذا في (ج)، (ب). وفي (أ)، (ي)، (و)، (ر) أنتم تنصفوننا. وفي (ن)، (م): أنهم ينصفوننا.

بعضنا بعضا. وهذا لأن الأصل الذى اشتروا فيه أصل فاسد مبنى على جهل وظلم، وهم مشتركون فى ظلم سائر المسلمين، فصاروا بمنزلة قطاع الطريق المشتركين فى ظلم الناس. ولا ريب أن المسلم العالم العادل أعدل عليهم وعلى بعضهم من بعض.

والخوارج تكفّر أهل الجماعة، وكذلك أكثر المعتزلة يكفّرون من خالفهم، وكذلك أكثر الرافضة، ومن لم يكفّر فسق. وكذلك أكثر أهل الأهواء يبتدعون رأيا، ويكفّرون^(١) من خالفهم فيه، وأهل السنة يتبعون الحق من ربهم الذى جاء به الرسول، ولا يكفّرون من خالفهم فيه، بل هم أعلم بالحق وأرحم بالخلق، كما وصف الله به المسلمين بقوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قال أبو هريرة: كتتم خير الناس للناس^(٢).

وأهل السنة نقاوة المسلمين، فهم خير الناس للناس. وقد علم أنه كان بساحل الشام جبل كبير، فيه ألوف من الرافضة يسفكون دماء / الناس، ويأخذون أموالهم، وقتلوا خلقا عظيما وأخذوا أموالهم، ولما انكسر المسلمون سنة غازان^(٣)، أخذوا الخيل والسلاح

ظ ١٩٢

(١) ويكفّرون: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: فيكفرون.

(٢) ورد هذا الأثر فى: البخارى ٣٧/٦ - ٣٨ (كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب كتتم خير أمة أخرجت للناس) ونصه فيه: «... عن أبى هريرة رضى الله عنه: كتتم خير أمة أخرجت للناس قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام» وانظر تفسير ابن كثير للآية ٧٧/٢ (ط. دار الشعب).

(٣) ن، م: فى غازان؛ و: سنة قازان؛ أ: سنة عازاب (وهو تحريف). وذكر الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله فى تعليقه على «المتقى من منهاج الاعتدال» ص ٣٢٩ ت ٢ ما يلى: «سنة غازان هى سنة ٦٩٩. وغازان (٦٧٠ - ٧٠٣) هو أخو خدابنده

والأسرى^(١) وباعوهم للكفار النصارى^(٢) بقبرص، وأخذوا من مرّ بهم من الجند، وكانوا أضرباً على المسلمين من جميع الأعداء، وحمل بعض أمرائهم راية النصارى، وقالوا له: أيما^(٣) خير: المسلمون أو النصارى؟ فقال: بل النصارى. فقالوا له: مع من تُحشر يوم القيامة؟ فقال: مع النصارى. وسلّموا إليهم^(٤) بعض بلاد المسلمين.

(٦٨٠ - ٧١٦) الذي ألف له الرافضى الكتاب المردود عليه، وقد تقدم التعريف به وبأسلافه فى التعليق على خطبة هذا الكتاب (ص ١٨). والواقعة التى أشار إليها شيخ الإسلام هى أن دمشق كانت فى ذلك الحين تابعة للمملكة المصرية، وكان ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون الذى عاد من منفاه بالكرك بعد قتل المنصور لاجين فى السنة الماضية (٦٩٨)، وكان نائب السلطان المصرى فى دمشق وبلاد الشام أقوش الأفرم بعد أن فر سلفه سيف الدين قبجق المنصورى إلى إيران والتحق بملكها غازان المذكور، فوردت الأخبار فى أواخر سنة ٦٩٨ بزحف غازان من إيران نحو حلب، وعلم بذلك الناصر محمد بن قلاوون فخرج من مصر إلى غزة فى محرم ٦٩٩ ولبث فيها شهرين يستعد ويراقب حركات غازان. وفى ربيع الأول ٦٩٩ وصل الناصر إلى دمشق، وكان الوقت شتاء (ديسمبر ١٢١٩م) فتموّن من دمشق بالرجال والأموال والعتاد حتى اقترضوا أموال الأيتام، وزحف إلى الشمال، فالتقى بالتتار فى وادى سلمية يوم ٢٧ ربيع الأول ٦٩٩ وكانت ملحمة انكسرت فيها جيوش الناصر محمد بن قلاوون، وواصل غازان زحفه فاستولى على بعلبك والبقاع، فنتزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون الملك الناصر فى انسحابه، وبقيت دمشق بلا رعاة، والتف الشاميون حول شيخ الإسلام ابن تيمية يطلبون منه الخروج لمقابلة غازان وطلب الأمان منه للشعب. وذكر الأستاذ محب الدين بعد ذلك ما جرى بين ابن تيمية وغازان فى لقاء بينهما. ثم ذكر ما جرى من التتار بعد ذلك حتى أواسط شعبان سنة ٦٩٩ (انظر هامش ص ٣٣٠ - ٣٣٢). وانظر عن سنة غازان أو وقعة غازان: البداية والنهاية ٦/١٤ - ١١.

(١) ح، ب: والأسارى.

(٢) ح، ب: للكفار والنصارى.

(٤) ح: لهم.

(٣) ن، م: من.

ومع هذا فلما استشار [بعض]^(١) ولاية الأمر في غزوهم، وكتبت جوابا مبسوطا في غزوهم، وذهبنا إلى ناحيتهم، وحضر عندي جماعة منهم، وجرت بيني وبينهم مناظرات ومفاوضات يطول وصفها، فلما فتح المسلمون بلادهم^(٢)، وتمكّن المسلمون منهم، نهيتهم عن قتلهم وعن سبيهم^(٣)، وأنزلناهم في بلاد المسلمين متفرقين لئلا يجتمعوا.

فما أذكره في هذا الكتاب من^(٤) ذم الرافضة وبيان كذبهم وجهلهم قليل من كثير مما أعرفه منهم، ولهم شرّ كثير لا أعرف تفصيله.

ومصنّف هذا الكتاب وأمثاله من الرافضة، إنما نقابلهم ببعض ما فعلوه بأمة محمد صلى الله عليه وسلم: سلفها وخلفها؛ فإنهم عمدوا إلى خيار أهل الأرض من الأوّلين والآخرين بعد النبيين والمرسلين، وإلى خيار أمة أخرجت للناس، فجعلوهم شرار الناس، واقتروا عليهم العظام، وجعلوا حسناتهم سيئات^(٥)، وجاؤوا إلى شر من انتسب إلى الإسلام من أهل الأهواء - وهم الرافضة بأصنافها: غاليها وإماميها وزيديها - والله يعلم، وكفى بالله عليما^(٦)، ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شرّ منهم: لا أجهل ولا أكذب، ولا أظلم، ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق

(١) بعض: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٢) و: فلما فتح الله بلادهم.

(٣) ح: وسبيهم.

(٤) ح، ب: في.

(٥) ح، ب: سيئاتهم.

(٦) ن، م، أ، و: وكفى به عليما.

الإيمان منهم، فزعموا أن هؤلاء هم صفوة الله من عباده؛ فإن ما سوى أمة محمد كفار، وهؤلاء كفروا الأمة كلها أو ضللوها، سوى طائفتهم التي^(١) يزعمون أنها الطائفة المحقة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، فجعلوهم صفوة بنى آدم.

٤٠ / ٣ فكان مثلهم كمن جاء إلى غنم / كثيرة، فقيل له: أعطنا خير هذه الغنم لنضحى بها، فعمد إلى شر تلك الغنم: إلى شاة عوراء عجفاء عرجاء مهزولة لا نقي لها^(٢)، فقال: هذه خيار هذه الغنم لا تجوز الأضحية إلا بها، وسائر هذه الغنم ليست غنماً، وإنما هي خنازير يجب قتلها، ولا تجوز الأضحية^(٣) بها.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من حَمَى مؤمناً من منافق حَمَى الله لحمه من نار جهنم يوم القيامة»^(٤). وهؤلاء الرافضة: إما منافق وإما جاهل، فلا يكون رافضى ولا جهمى إلا منافقاً أو جاهلاً بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يكون فيهم أحد عالماً بما جاء به الرسول مع الإيمان به؛ فإن مخالفتهم لما جاء

(١) أ، ح، ر، و: الذين.

(٢) في «اللسان»: «التقاوة: أفضل ما انتقيت من الشيء... قال اللحياني: وجمع التقاوة نقاً ونقاً».

(٣) ن، م: التضحية.

(٤) الحديث عن معاذ بن أنس الجهني رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٣٧٣/٤ (كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبته) ولفظه: «من حَمَى مؤمناً من منافق» أراه قال: بعث الله ملكاً يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلماً بشيء يريد شيئاً به حَسَبَهُ الله على جسره جهنم حتى يخرج مما قال. والحديث في: المسند (ط. الحلبي) ٤٤١/٣. وضعف الألباني الحديث في «ضعيف الجامع الصغير» ١٩٣/٦.

به الرسول وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط فى الجهل والهوى .
وشيوخهم المصنّفون فيهم طوائف يعلمون أن كثيرا مما يقولونه
كذب، ولكن يصنّفون لهم لرياستهم عليهم .

وهذا المصنّف يتهمه الناس بهذا، ولكن صنّف لأجل أتباعه؛ فإن
كان أحدهم يعلم أن ما يقوله باطل ويظهره ويقول: إنه حق من عند الله،
فهو من جنس علماء اليهود الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل
لهم مما يكسبون . وإن كان يعتقد أنه حق، دلّ ذلك على نهاية جهله
وضلاله:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة . . . وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وهم فى دينهم لهم عقليات وشرعيات، فالعقليات متأخروهم فيها
أتباع المعتزلة، إلا من تفلسف منهم^(١)، فيكون إما فيلسوفا، وإما ممتزجا
من فلسفة واعتزال، ويضمّ إلى ذلك الرفض، مثل مصنف هذا الكتاب
وأمثاله، فيصيرون بذلك من أبعد الناس عن الله ورسوله، وعن دين
المسلمين^(٢) المحض .

وأما شرعياتهم فعمدتهم فيها على ما يُنقل عن بعض أهل البيت^(٣)،
مثل أبى جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق وغيرهما .

(١) ن، م: فيهم .

(٢) ح، ب: الإسلام .

(٣) ن، م: أهل العلم .

ولا ريب أن هؤلاء من سادات المسلمين ، وأئمة الدين ،
ولأقوالهم من الحرمة والقدر ما يستحقه أمثالهم ، لكن كثير مما
ينقل عنهم كذب ، والرافضة لا خبرة لها بالأسانيد ، والتمييز بين
الثقات وغيرهم ، بل هم في ذلك من أشباه أهل الكتاب ، كل ما^(١)
يجدونه في الكتب منقولاً عن أسلافهم قبلوه ، بخلاف أهل
السنة ؛ فإن لهم من الخبرة بالأسانيد ما يميّزون به بين
الصدق والكذب .

وإذا صح النقل عن علي بن الحسين^(٢) فله أسوة نظرائه
كالقاسم بن محمد ، وسالم بن عبدالله وغيرهما ، كما كان علي
ابن أبي طالب مع سائر الصحابة . وقد قال تعالى :

﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾
[سورة النساء : ٥٩] . فأمر برد ما تنازع فيه المسلمون إلى الله
والرسول .

والرافضة لا تعتنى بحفظ القرآن ، ومعرفة معانيه وتفسيره ،
وطلب الأدلة الدالة على معانيه . ولا تعتنى أيضاً بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة صحيحه من
سقيميه ، والبحث عن معانيه ، ولا تعتنى بآثار الصحابة
والتابعين ، حتى تعرف مأخذهم ومسالكهم ، ويُرد^(٣) ما

(١) ب (فقط) : فكل .

(٢) ن : علي بن الحسن ، وهو خطأ .

(٣) ح ، ب : وترد .

تنازعوا فيه إلى الله والرسول ، بل عمدتها آثار تنقل عن بعض
أهل البيت فيها صدق وكذب .

وقد أصلت لها ثلاثة أصول : أحدها : أن كل واحد من
هؤلاء إمام معصوم بمنزلة النبي ، لا يقول إلا حقاً ولا يجوز
لأحد أن يخالفه ، ولا يرد ما ينازعه فيه / غيره إلى الله
والرسول ، فيقولون عنه ما كان هو وأهل بيته يتبرؤون
منه .

ص ١٩٣

والثاني : أن كل ما يقوله واحد من هؤلاء فإنه قد علم منه
أنه قال : أنا أنقل كل ما أقوله عن النبي صلى الله عليه
وسلم ، وباليتمهم قنعوا بمراسيل التابعين كعلی بن الحسين ،
بل يأتون إلى من تأخر زمانه كالعسكريين فيقولون : كل ما قاله
واحد من أولئك فالنبي قد قاله .

وكل من له عقل يعلم أن العسكريين بمنزلة أمثالهما
ممن كان في زمانهما من الهاشميين ، ليس عندهم من العلم
ما يمتازون به عن غيرهم ، ويحتاج إليهم فيه أهل العلم ،
ولا كان أهل العلم يأخذون عنهم ، كما يأخذون عن علماء
زمانهم ، وكما كان أهل العلم في زمن علي بن الحسين ،
وابنه أبي جعفر ، وابن ابنه جعفر بن محمد ؛ فإن هؤلاء الثلاثة
رضى الله عنهم قد أخذ أهل العلم عنهم ، كما كانوا يأخذون

٤١ / ٣

عن أمثالهم ، بخلاف العسكريين ونحوهما^(١)؛ فإنه لم يأخذ أهل العلم المعروفون بالعلم عنهم شيئا، فيريدون أن يجعلوا ما قاله الواحد من هؤلاء هو قول الرسول الذي بعثه الله إلى جميع العالمين، بمنزلة القرآن والمتواتر من السنن. وهذا مما لا يبنى عليه دينه إلا من كان من أبعد الناس عن طريقة أهل العلم والإيمان.

وأصلوا أصلا ثالثا: وهو أن إجماع الرافضة هو إجماع العترة، وإجماع العترة معصوم. والمقدمة الأولى كاذبة بيقين، والثانية فيها نزاع، فصارت الأقوال التي فيها صدق وكذب على أولئك بمنزلة القرآن لهم، وبمنزلة السنة المسموعة من الرسول، وبمنزلة إجماع الأمة وحدها.

وكل عاقل يعرف دين الإسلام وتصور هذا، فإنه يمجّه أعظم مما يمجّ الملح الأجاج والعلقم، لا سيما من كان له خبرة بطرق أهل العلم، لا سيما مذاهب أهل الحديث وما عندهم من الروايات الصادقة التي لا ريب فيها عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى؛ فإن هؤلاء جعلوا الرسول الذي بعثه الله إلى الخلق هو إمامهم المعصوم، عنه يأخذون دينهم، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرّمه، والدين ما شرعه، وكل قول يخالف قوله فهو مردود عندهم، وإن كان الذي قاله من خيار المسلمين وأعلمهم، وهو ماجور فيه على اجتهاده، لكنهم لا يعارضون قول الله وقول رسوله بشيء أصلا: لا نقل نقل عن غيره، ولا رأى رأى غيره.

ومن سواه من أهل العلم فإنما هم وسائط في التبليغ عنه: إما للفظ حديثه، وإما لمعناه. فقوم بلّغوا ما سمعوا منه من قرآن وحديث، وقوم

(١) ر، ي: وأمثالهما.

زعم الرافضة أن
إجماعهم هو
إجماع العترة وأن
إجماع العترة
معصوم

تفقهوا في ذلك وعرفوا معناه، وما تنازعوا فيه ردّوه إلى الله والرسول.

الحق لا يخرج
عن أهل السنة
لأن كل ما
اجتمعوا عليه
فهو مما جاء
به الرسول

فلهذا لم يجتمع قط أهل الحديث على خلاف قوله في كلمة واحدة،
والحق لا يخرج عنهم قط، وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول،
وكل من خالفهم من خارجي ورافضي ومعتزلي وجهمي وغيرهم من أهل
البدع، فإنما يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل من خالف
مذاهبهم في الشرائع العملية كان مخالفا للسنة الثابتة، وكل من هؤلاء
يوافقهم فيما خالف فيه الآخر، فأهل الأهواء معهم بمنزلة أهل الملل مع
المسلمين؛ فإن أهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل، كما
قد بسط في موضعه.

فإن قيل: فإذا كان الحق لا يخرج عن أهل الحديث، فلم لم يُذكر
في أصول الفقه أن إجماعهم حجة، وذكر الخلاف في ذلك، كما تكلم
على إجماع أهل المدينة وإجماع العترة؟.

قيل: لأن أهل الحديث لا يتفقون إلا على ما جاء عن الله ورسوله^(١)
وما هو منقول عن الصحابة، فيكون الاستدلال بالكتاب والسنة وإجماع
الصحابة مغنيا^(٢) عن دعوى إجماع ينازع في كونه حجة بعض الناس،
وهذا بخلاف من يدعى إجماع المتأخرين من أهل المدينة إجماعا؛
فإنهم يذكرون ذلك في مسائل لا نصّ فيها، بل النصّ على خلافها.
[وكذلك المدّعون إجماع العترة يدعون ذلك في مسائل لا نصّ معهم

الاستدلال
بالكتاب والسنة
وإجماع الصحابة
يفنى عن دعوى
أى إجماع آخر

(١) ح، ب: ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ و: ما جاء به الرسول.

(٢) ن، م، أ: معينا، وهو تحريف.

فيها، بل النص على خلافها^(١)، فاحتاج هؤلاء إلى دعوى ما يدعون من الإجماع الذي يزعمون أنه حجة.

وأما أهل الحديث فالنصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هي عمدتهم، وعليها يجمعون إذا أجمعوا، لا سيما وأئمتهم يقولون: لا يكون قط إجماع صحيح على خلاف نص إلا ومع الإجماع نص ظاهر معلوم، يُعرف أنه معارض لذلك النص الآخر. فإذا كانوا لا يسوِّغون أن تُعارض النصوص بما يدعى من إجماع الأمة، لبطان تعارض النص والإجماع عندهم، فكيف إذا عارضت النصوص بما يدعى من إجماع العترة أو أهل المدينة؟!

وكل من سوى أهل السنة والحديث من الفرق فلا ينفرد عن أئمة الحديث بقول صحيح، بل لا بد أن يكون معه من دين الإسلام ما هو حق. وبسبب ذلك وقعت الشبهة، وإلا فالباطل المحض لا يشتبه على أحد، ولهذا سُمى أهل البدع أهل الشبهات، وقيل فيهم: إنهم يلبسون الحق بالباطل.

أهل الكتاب
معهم حق
وباطل

وهكذا أهل الكتاب معهم حق وباطل، ولهذا قال تعالى لهم: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٢]، وقال: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٨٥]، وقال عنهم: ﴿وَيَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٥٠]، وقال عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م).

بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ ﴿سورة البقرة: ٩١﴾.

وذلك لأنهم ابتدعوا بدعا خلطوها بما جاءت به الرسل، وفرقوا دينهم
وكانوا^(١) شيعة، فصار^(٢) في كل فريق منهم حق وباطل، وهم يكذبون
بالحق الذي مع الفريق الآخر، ويصدقون / بالباطل الذي معهم.

[وهذا حال أهل البدع كلهم؛ فإن معهم^(٣) حقًا وباطلًا^(٤)، فهم فرقوا
دينهم وكانوا شيعة، كل فريق يكذب بما مع الآخر من الحق، ويصدق
بما معه من الباطل، كالخوارج والشيعة؛ فهؤلاء يكذبون بما ثبت من
فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويصدقون بما
روى في فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويصدقون بما ابتدعوه
من تكفيره وتكفير من يتولاه ويحبه. وهؤلاء يصدقون بما روى في فضائل
علي بن أبي طالب، ويكذبون بما روى في فضائل أبي بكر وعمر،
ويصدقون بما ابتدعوه من التكفير والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان.

ودين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة. فالمسلمون وسط في
التوحيد بين اليهود والنصارى، فاليهود^(٥) تصف الرب بصفات النقص
التي يختص بها المخلوق، ويشبهون الخالق بالمخلوق. كما قالوا: إنه
بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب. وهو سبحانه

(١) أ، ي، ر، و: وصاروا. (٢) ح، ب: فكان.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) حقًا وباطلًا: كذا في (ب) فقط وهو الصواب. وفي سائر النسخ: حق وباطل.

(٥) ن (فقط): فالنصارى، وهو خطأ.

الجواد الذى لا يبخل والغنى الذى لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذى لا يمسه لغوب. والقدرة والإرادة والغنى عمّا^(١) سواه هى صفات الكمال التى تستلزم سائرهما.

والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التى يختص بها، ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة. وقالوا المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إنهما واحداً لا إله إلا هو سبحانه عمّا يشركون.

فالمسلمون وحدوا الله ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شىء من المخلوقات فى شىء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثل شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله.

وكذلك فى النبوات؛ فاليهود تقتل بعض الأنبياء، وتستكبر عن اتباعهم، وتكذبهم^(٢) وتتهمهم بالكبائر. والنصارى يجعلون من ليس بنبي ولا رسول نبياً ورسولاً، كما يقولون فى الحواريين: إنهم رسل، بل يطيعون أحبارهم ورهبانهم كما تطاع الأنبياء. فالنصارى تصدق بالباطل، واليهود تكذب بالحق.

ولهذا كان فى مبتدعة أهل الكلام شبه^(٣) من اليهود، وفى مبتدعة أهل

(١) ب (فقط): عمن.

(٢) وتكذبهم: كذا فى (ن)، (ب). وفى سائر النسخ: وتكذب بهم.

(٣) ن، م: شبهة.

التعبد شبه^(١) من النصارى؛ فأخر أولئك الشك والريب، وآخر هؤلاء الشطح والدعاوى الكاذبة، لأن أولئك كذبوا بالحق فصاروا إلى الشك، وهؤلاء صدقوا بالباطل فصاروا إلى الشطح، فأولئك كظلمات فى بحر لجى، [يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض]^(٢)، وهؤلاء كسراب بقية يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فمبتدعة أهل العلم والكلام طلبوا العلم بما ابتدعوه، ولم يتبعوا العلم المشروع ويعملوا به، فانتهوا إلى الشك المنافى للعلم، بعد أن كان لهم علم بالمشروع، لكن زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وكانوا مغضوباً عليهم. ومبتدعة العباد^(٣) طلبوا القرب من الله بما ابتدعوه فى العبادة، فلم يحصل لهم إلا البعد منه؛ فإنه ما ازداد مبتدع اجتهاداً إلا ازداد من الله تعالى بعداً.

والبعد عن رحمته^(٤) هو اللعنة، وهو غاية النصارى. وأما الشرائع فاليهود منعوا الخالق أن يعث رسولا بغير شريعة الرسول الأول، وقالوا: لا يجوز أن ينسخ ما شرعه. والنصارى جوزوا لأخبارهم أن يغيروا من الشرائع ما أرسل الله بهم رسوله^(٥)، فأولئك عجزوا الخالق، ومنعوه ما

(١) ن، م: شبهة.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (أ)، (ى). وفى (ر) . . . لجرى إلى قوله:

بعضها فوق بعض.

(٣) ن، أ، ر: العبادة.

(٤) ن، م: عن رحمة الله.

(٥) ن، م: رسله.

تقتضيه قدرته وحكمته فى النبوات والشرائع. وهؤلاء جُوزوا للمخلوق أن يغير ما شرعه الخالق، فضاهاوا المخلوق بالخالق^(١).

وكذلك فى العبادات؛ فالنصارى يعبدونه ببدع ابتدعوها ما أنزل الله بها من سلطان. واليهود مُعرضون عن العبادات، حتى فى يوم السبت الذى أمرهم الله أن / يتفرغوا فيه لعبادته، إنما يشتغلون فيه بالشهوات. فالنصارى مشركون به، واليهود مستكبرون عن عبادته.

٤٣ / ٣

والمسلمون عبدوا الله وحده بما شرع، ولم يعبدوه بالبدع. وهذا هو دين الإسلام الذى بعث الله به جميع النبيين، وهو أن يستسلم العبد لله لا لغيره، وهو الحنيفية دين إبراهيم. فمن استسلم له ولغيره كان مشركا، ومن لم يستسلم له فهو مستكبر.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨]

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾

[سورة غافر: ٦٠].

وكذلك فى أمر الحلال والحرام: فى الطعام واللباس وما يدخل فى ذلك من النجاسات؛ فالنصارى لا تحرم ما حرمه الله ورسوله، ويستحلون الخبائث المحرمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، حتى أنهم يتعبدون بالنجاسات كالبول والغائط، ولا يغتسلون من جنابة، ولا يتطهرون للصلاة، وكلما كان الراهب عندهم أبعد عن الطهارة، وأكثر ملابسة للنجاسة. كان معظماً عندهم.

(١) ح: المخلوقات بالخالق؛ و: الخالق بالمخلوق.

واليهود^(١) حُرِّمَتْ عليهم طَيِّبَاتُ أَحْلَتْ لَهُمْ ، فهم يَحْرَمُونَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ مَا هُوَ مَنْفَعَةٌ لِلْعِبَادِ ، وَيَجْتَنِبُونَ الْأُمُورَ الطَّاهِرَاتِ^(٢) مَعَ النِّجَاسَاتِ ، فَالْمَرْأَةُ الْحَائِضُ لَا يَأْكُلُونَ مَعَهَا وَلَا يَجَالِسُونَهَا ، فَهُمْ فِي آصَارٍ وَأَغْلَالٍ عُدُّبُوا بِهَا .

فَأَوْلَثُكَ^(٣) يَتَنَاوَلُونَ الْخَبَائِثَ الْمَضْرَّةَ ، مَعَ أَنَّ الرَّهْبَانَ يَحْرَمُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ ، فَيَحْرَمُونَ الطَّيِّبَاتِ وَيَبَاشِرُونَ النِّجَاسَاتِ ، وَهَؤُلَاءِ يَحْرَمُونَ الطَّيِّبَاتِ النَّافِعَةَ ، مَعَ أَنَّهُمْ مِنْ أَحْبَبِّ النَّاسِ قُلُوبًا ، وَأَفْسَدِهِمْ بَوَاطِنًا .

وَطَهَارَةُ الظَّاهِرِ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا طَهَارَةُ الْقَلْبِ ، فَهُمْ يَطْهَرُونَ ظَوَاهِرَهُمْ وَيَنْجِسُونَ قُلُوبَهُمْ .

وَكَذَلِكَ أَهْلُ السَّنَةِ فِي الْإِسْلَامِ مَتَوَسِّطُونَ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ . فَهُمْ فِي عِلَى^{ص ١٩٤} وَسَطٍ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ / . وَكَذَلِكَ فِي عَثْمَانَ وَسَطٍ بَيْنَ الْمُرَوَّانِيَّةِ وَبَيْنَ الزُّيْدِيَّةِ . وَكَذَلِكَ فِي سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَسَطٍ بَيْنَ الْغَلَاةِ فِيهِمُ وَالطَّاعِنِينَ عَلَيْهِمْ . وَهُمْ فِي الْوَعِيدِ وَسَطٍ بَيْنَ الْخَوَارِجِ وَالْمَعْتَزِلَةَ وَبَيْنَ الْمَرْجِئَةَ . وَهُمْ فِي الْقَدْرِ وَسَطٍ بَيْنَ الْقَدْرِيَّةِ مِنَ الْمَعْتَزِلَةَ وَنَحْوِهِمْ وَبَيْنَ الْقَدْرِيَّةِ الْمَجْبُورَةَ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ . وَهُمْ فِي الصِّفَاتِ وَسَطٍ بَيْنَ الْمَعْظَلَّةِ وَبَيْنَ الْمُمَثَّلَةِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كُلَّ طَائِفَةٍ سِوَى أَهْلِ السَّنَةِ وَالْحَدِيثِ الْمُتَّبِعِينَ آثَارَ

(١) ح ، ر ، ي ، ب : قال يهود .

(٢) ح ، ب : الطاهرة .

(٣) ب (نقط) : وأولئك .

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة^(١) إلا بقول فاسد، لا ينفردون قط بقول صحيح. وكل من كان عن السنة أبعد، كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر. وليس في الطوائف المنتسبين إلى السنة أبعد عن آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرافضة.

فلهذا تجد فيما انفردوا به عن الجماعة أقوالاً في غاية الفساد، مثل تأخيرهم صلاة المغرب حتى يطلع الكوكب مضاهاة لليهود، وقد تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بتعجيل المغرب^(٢). ومثل صومهم قبل الناس بيومين، وفطرمهم قبل الناس بيومين، مضاهاة لمبتدعة^(٣) أهل الكتاب الذين عدلوا عن الصوم بالهلال إلى الاجتماع، وجعلوا الصوم بالحساب.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنا أمة أمية لا تحسب ولا تكتب، إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا؛ فإن غم عليكم فاقدروا له». وفي رواية «فأكملوا العدة»^(٤).

(١) ن، م: عن طولثف أهل السنة.

(٢) انظر ما ذكره الشيخ السيد سابق في كتابه «فقه السنة» (ط ١٣٦٥) في الجزء الأول، باب وقت صلاة المغرب (ص ١٧٤ - ١٧٦)، عن تعجيل صلاة المغرب والأحاديث الواردة في ذلك - وانظر ما أورده الألباني في «إرواء الغليل» ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨ في ذلك.

(٣) ب (فقط): للمبتدعة.

(٤) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما في: البخارى ٢٧/٣ - ٢٨ (كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا نكتب ولا نحسب) ولفظه فيه: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا». يعنى مرة تسعة وعشرين، ومرة ثلاثين. والحديث فى:

ومثل تحريمهم بعض أنواع السمك، مضاهاة لليهود في تحريم^(١) الطيآت ومثل معاونة الكفار على قتال المسلمين، وترغيب الكفار في قتال المسلمين. وهذا لا يُعرف لأحد من فرق الأمة.

ومثل تنجيس المائعات التي يباشرها أهل السنة، وهذا من جنس دين السامرة وهم رافضة اليهود، هم في اليهود كالرافضة في المسلمين، والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة؛ فإن السامرة لا تؤمن بنبي بعد موسى وهارون غير يوشع، وكذلك الرافضة لا تقر لأحد من الخلفاء والصحابة بفضل ولا إمامة إلا لعلّي. والسامرة تنجس وتحرم ما باشره غيرهم من المائعات، وكذلك الرافضة. والسامرة لا يأكلون إلا ذبائح أنفسهم، وكذلك الرافضة فإنهم يحرمون ذبائح أهل الكتاب، ويحرم أكثرهم ذبائح الجمهور لأنهم مرتدون عندهم، وذبيحة^(٢) المرتد لا تباح. والسامرة / فيهم كبر ورعونة وحمق ودعاوٍ كاذبة، مع القلة والذلة، وكذلك الرافضة.

٤٤ / ٣

مسلم ٧٦١/٢ (كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال...); سنن أبي داود ٣٩٨/٢ (كتاب الصوم، باب الشهر يكون تسعا وعشرين); المسند (ط. المعارف) الأرقام: ٥٠١٧، ٥١٣٧، ٥٥٣٦، ٦٠٤١. وجمع ابن تيمية في كلامه بين هذا الحديث وحديث آخر عن ابن عمر نصح في: مسلم ٧٥٩/٢ - ٧٦٠ - مع اختلاف في الألفاظ والروايات - «الشهر تسع وعشرون، فإذا رأيت الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غم عليكم فاقلدوا له». وهو في البخاري عن ابن عمر ٢٦/٣ - ٢٧ (كتاب الصوم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا رأيت الهلال فصوموا...). ولفظه: «الشهر تسع وعشرون ليلة، فلا تصوموا حتى تروه، فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين». وجاء الحديث بألفاظ مقاربة عن أبي هريرة في نفس الصفحة.

(١) ن: تحريمهم.

(٢) ح، ب: لأنهم مرتدون وعندهم ذبيحة... الخ.

والرافضة تجعل الصلوات الخمس ثلاث صلوات ، فيصلون دائما الظهر والعصر جميعا، والمغرب والعشاء جميعا، وهذا لم يذهب إليه غيرهم من فرق الأمة، وهو يشبه دين اليهود؛ فإن الصلوات عندهم ثلاث^(١).

وغلاة العباد يوجبون على أصحابهم صلاة الضحى والوتر وقيام الليل، فتصير الصلاة عندهم سبعا، وهو دين النصارى. والرافضة لا تصلى جمعة ولا جماعة، لا خلف أصحابهم ولا غير أصحابهم، ولا يصلون إلا خلف المعصوم، ولا معصوم عندهم. وهذا لا يوجد في سائر الفرق أكثر مما يوجد [في الرافضة]. فسائر أهل البدع^(٢) سواهم، لا يصلون الجمعة والجماعة إلا خلف أصحابهم، كما هو دين الخوارج والمعتزلة وغيرهم. وأما أنهم لا يصلون ذلك بحال، فهذا ليس إلا للرافضة.

ومن ذلك أنهم لا يؤمنون في الصلاة - هم^(٣) أو بعضهم - وهذا ليس لأحد من فرق الأمة، بل هو دين اليهود؛ فإن اليهود حسدوا المؤمنين على التأمين. وقد حكى طائفة عن بعضهم أنه يحرم لحم الإبل، وكان ذلك^(٤) لركوب عائشة على الجمل. وهذا من أظهر الكفر؛ وهو^(٥) من جنس دين اليهود.

(١) انظر عن السامرة: الملل والنحل ١/١٩٩ - ٢٠٠؛ الفصل في الملل والنحل

١٧٧/١ - ١٧٨، ٢٠٢.

(٢) ن، م، و، ي: أكثر مما يوجد في سائر أهل البدع؛ أ: أكثر مما يوجد في أهل البدع.

(٣) هم: ساقطة من (ح)، (أ)، (ب).

(٤) ح، ب: وذلك.

(٥) ح، ب: فهو.

وكثير من عوامهم يقول^(١): إن الطلاق لا يكون إلا برضا المرأة،
وعلمائهم ينكرون هذا. وهذا لم يقله أحد غيرهم^(٢).

وهم يقولون بإمام منتظر موجود غائب لا يُعرف له عين ولا أثر، ولا
يُعلم^(٣) بحس ولا خبر، لا يتم الإيمان إلا به.

ويقولون: أصول الدين أربعة: التوحيد، والعدل، والنبوة، والإمامة.
وهذا منتهى الإمام عندهم: الإيمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار،
كائن^(٤) في الأمصار، سيُخرج^(٥) الدينار من قعر البحار، يطبع الحصى،
ويورق العصا. دخل سرداب سامراً سنة ستين ومائتين، وله [من
العمر]^(٦): إما سنتان، وإما ثلاث، وإما خمس، أو نحو ذلك؛ فإنهم
مختلفون في قدر عمره، ثم إلى الآن لم يُعرف له خبر. ودين الخلق
مسلم إليه؛ فالحلال ما حلَّه، والحرام ما حرَّمه، والدين ما شرعه، ولم
يتنفع به أحد من عباد الله.

وكذلك كراحتهم لأسماء نظير أسماء من يبغضونه^(٧)، ومحبتهم لأسماء
نظير أسماء من يحبونه، من غير نظر إلى المسمَّى، وكراحتهم لأن يُتكلم
أو يُعمل بشيء^(٨) عدده عشرة لكراحتهم نفراً عشرة، واشتقاؤهم^(٩) ممن

(١) ح، ب: يقولون.

(٢) ح، أ، ب، ي، ر، و: أحد من غيرهم.

(٣) و: ولا يعرف.

(٤) أ، ب: حاضر.

(٥) و: يستخرج.

(٦) من العمر: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ).

(٧) أ: يبغضونهم.

(٨) ن، ر، و، ي: شيء؛ ح، أ: شيئاً.

(٩) واشتقاؤهم: كذا في (ب) وهو الصواب. وفي سائر النسخ: واشتقاقهم.

يغضونه كعمر وعائشة وغيرهما، بأن^(١) يقَدِّروا جمادا كالحيس^(٢)، أو حيوانا كالشاة الحمراء، أنه هو الذى يعادونه، ويعذَّبون تلك الشاة تشفيا من العدو، من الجهل البليغ الذى لم يُعرف عن غيرهم.

وكذلك إقامة المآتم والنوائح، ولطم الخدود، وشق الجيوب، وفرش الرماد، وتعليق المسوح، وأكل المالح حتى يعطش، ولا يشرب ماء، تشبها بمن ظلم وقُتل، وإقامة مأتم^(٣) بعد خمسمائة أو ستمائة سنة من قتله، لا يعرف لغيرهم من طوائف الأمة.

ومفاريد الرافضة التى تدل على غاية الجهل والضلال كثيرة لم نقصد ذكرها هنا. لكن المقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين لأثار النبى صلى الله عليه وسلم لا ينفردون عن سائر الطوائف بحق، والرافضة أبلغ / فى ذلك من غيرهم.

ظ ١٩٤

وأما الخوارج والمعتزلة والجهمية فإنهم أيضا لم ينفردوا^(٤) عن أهل السنة والجماعة^(٥) بحق، بل كل ما معهم من الحق ففى أهل السنة^(٦) من يقول به، لكن لم يبلغ^(٧) هؤلاء من قلة العقل وكثرة الجهل ما بلغت الرافضة.

(١) أ: بل، وهو تحريف.

(٢) ب (فقط): كالجيس. وفى «اللسان»: «هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن».

(٣) و: مأتمه.

(٤) ح، ب: لا ينفردون.

(٥) (*): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٥) ب (فقط): أهل السنة والجماعة.

(٦) ح، ر: لكن ما يبلغ؛ ب: ولكن ما يبلغ.

الأقوال التي
انفردت بها
طوائف المنتسبة
إلى السنة من
أهل الكلام
والرأى لا تكون
صواباً إلا إذا
وافقت السنة
وأقوال الصحابة

٤٥ / ٣

وكذلك الطوائف المنتسبون إلى السنة من أهل الكلام والرأى، مثل
الكُلابية والأشعرية والكرامية والسلمية، ومثل طوائف الفقه من الحنفية
والمالكية والسفيانية والأوزاعية والشافعية والحنبلية والداوودية وغيرهم،
مع تعظيم الأقوال المشهورة عن أهل السنة والجماعة^(١)، لا يوجد لطائفة
منهم قول انفردوا به عن سائر الأمة وهو صواب، بل ما مع كل طائفة منهم
من الصواب يوجد عند غيرهم^(٢) من الطوائف، وقد ينفردون بخطأ لا
يوجد عند غيرهم، لكن قد تنفرد طائفة بالصواب عمّن يناظرها من
الطوائف، كأهل المذاهب الأربعة: قد يوجد لكل واحد^(٣) منهم أقوال
انفرد بها، وكان الصواب الموافق للسنة معه دون الثلاثة، لكن يكون قوله
قد قاله غيره من الصحابة والتابعين / وسائر علماء الأمة، بخلاف ما
انفردوا به ولم ينقل عن غيرهم، فهذا لا يكون إلا خطأ. وكذلك أهل
الظاهر كل قول انفردوا به عن سائر الأمة فهو خطأ، وأما ما انفردوا به عن
الأربعة وهو صواب فقد قاله غيرهم من السلف.

وأما الصواب الذي ينفرد به كل طائفة من الثلاثة فكثير^(٤)، لكن الغالب
أنه يوافقه عليه بعض أتباع الثلاثة. وذلك كقول أبي حنيفة بأن المحرم
يجوز له أن يلبس الخف المقطوع وما أشبهه كالجمجم والمداس، وهو
وجه في مذهب أحمد^(٥) وغيره، وقوله: [بأن]^(٦) الجد يسقط الإخوة، وقد
وافقه عليه بعض أصحاب الشافعي وأحمد، وكقوله بأن طهارة المسح

(١) ح، ب، ر، ي، و: غيرها.

(٢) واحد: في (ن)، (م) فقط.

(٣) ح، ب: فهو كثير.

(٤) ح، ب: الشافعي.

(٥) بأن: ساقطة من (ن)، (م). وفي (ح)، (ب): إن.

يشترط لها دوام الطهارة دون ابتدائها، وقوله: إن النجاسة تزول بكل ما يزيلها، وهذا أحد الأقوال الثلاثة في مذهب أحمد ومذهب مالك، وكذلك قوله بأنها تطهر بالاستحالة.

ومثل قول مالك بأن الخمس مصرفة مصرف الفىء، وهو قول في مذهب أحمد، فإنه عنه روايتان في خمس الركاز^(١): هل يُصرف مصرف الفىء أو [مصرف] الزكاة^(٢)؟ وإذا صرف مصرف الفىء فإنها هو تابع لخمس الغنيمة.

ومثل قوله بجواز أخذ الجزية من كل كافر جازت معاهدته، لا فرق بين العرب والعجم، ولا بين أهل الكتاب وغيرهم، فلا يُعتبر قط أمر النسب، بل الدين^(٣) في الذمة والاسترقاق وحل الذبائح والمناكح، وهذا أصح الأقوال في هذا الباب، وهو أحد القولين في مذهب أحمد؛ فإنه لا يخالفه إلا في أخذ الجزية من مشركى العرب، ولم يبق من مشركى العرب أحد بعد نزول^(٤) آية الجزية، بل كان جميع مشركى العرب قد أسلموا.

ومثل قول مالك: إن أهل مكة يقصرون الصلاة بمنى وعرفة، وهو قول في مذهب أحمد وغيره.

ومثل مذهبه في الحكم بالدلائل^(٥) والشواهد، وفي إقامة الحدود

(١) أ: الزكاة.

(٢) ن، م: الفىء والزكاة.

(٣) أ، ر، ح، ي: الذين.

(٤) بعد عبارة «بعد نزول» توجد ورقة ناقصة من مصورة (م).

(٥) ن: ومثل حكمه بالدلائل...

ورعاية مقاصد الشريعة، وهذا من محاسن مذهبه، ومذهب أحمد قريب من مذهبه فى أكثر ذلك .

ومثل قول الشافعى بأن الصبى إذا صلى فى أول الوقت ثم بلغ لم يعد الصلاة . وكثير من الناس يعيب هذا على الشافعى ، وغلطوا فى ذلك ، بل الصواب قوله ، كما بسط فى موضعه ، وهو وجه^(١) فى مذهب أحمد .

وقوله بفعل^(٢) ذوات الأسباب فى وقت النهى وهو إحدى الروايتين عن أحمد . وكذلك قوله بطهارة المنى ، كقول أحمد فى أظهر الروايتين .

ومثل قول أحمد فى نكاح البغى : لا يجوز حتى تتوب . وقوله بأن الصيد إذا جرح ثم غاب أنه يؤكل ما لم يوجد فيه أثر آخر، وهو قول فى مذهب الشافعى . وقوله بأن صوم النذر يُصام عن الميت، بل وكل المنذورات تفعل عن الميت، ورمضان يطعم عنه . وبعض الناس يضعف هذا القول، وهو قول [الصحابة]^(٣) : ابن عباس وغيره، ولم يفهموا غوره^(٤) .

وقوله : إن المحرم إذا لم يجد النعلين والإزار لبس الخفين والسراويل بلا قطع ولا فتق ؛ فإن هذا [كان]^(٥) آخر الأمرين من النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) ن : وهذا وجه .

(٢) أ ، ر ، ي ، ح ، ب : تفعل .

(٣) الصحابة : ساقطة من (ن) .

(٤) أ : غيره .

(٥) كان : ساقطة من (ن) ، (و) .

وقوله بأن مرور المرأة والكلب الأسود والحمار يقطع الصلاة .
وقوله بأن الجدة ترث وابنها حي . وقوله بصحة المساقاة والمزارعة وما
أشبه ذلك ، وإن كان البذر من العامل ، على إحدى الروايتين عنه ،
وكذلك طائفة من أصحاب الشافعي .

وقوله في إحدى الروايتين : إن طلاق السكران لا يقع ، وهو قول بعض
أصحاب أبي حنيفة والشافعي .

وقوله بأن الوقف إذا تعطل نفعه بيع واشترى به ما يقوم مقامه .
وفي مذهب أبي حنيفة ما هو أقرب إلى قول^(١) أحمد من غيره ، وكذلك
[في]^(٢) مذهب مالك .

وكذلك قوله في إبدال الوقف ، كإبدال مسجد بغيره ، ويُجعل الأول
غير مسجد ، كما فعل^(٣) عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وفي مذهب
أبي حنيفة ومالك جواز^(٤) الإبدال للحاجة في مواضع .

وقوله بقبول شهادة العبد ، وقوله بأن صلاة المنفرد خلف الصف يجب
عليه فيها الإعادة ، وقوله : إن فسخ الحج إلى العمرة جائز مشروع ، بل
هو أفضل ، وقوله بأن القارن إذا ساق الهدى فقرانه أفضل^(٥) من التمتع
والإفراد ، كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم . ومثل قوله : إن صلاة
الجماعة فرض على الأعيان .

(٢) في : ساقطة من (ن) .

(١) ح ، ب : مذهب .

(٣) و : كما أمر بذلك .

(٤) ح ، ب ، ر : يجوز .

(٥) و : الهدى فهو أفضل . .

وبالجملة فما اختص به كل إمام من المحاسن والفضائل كثير / ليس هذا موضع استقصائه؛ فإن المقصود أن الحق دائما مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره الصحيحة، وإن كان كل^(١) طائفة تضاف إلى غيره إذا انفردت بقول عن سائر الأمة، لم يكن القول الذي انفردوا به^(٢) إلا خطأ، بخلاف المضافين إليه أهل السنة والحديث؛ فإن الصواب معهم دائما، ومن وافقهم كان الصواب معه دائما لموافقته إياهم، ومن خالفهم فإن الصواب معهم دونه في جميع أمور الدين؛ فإن الحق مع الرسول، فمن كان أعلم بسنته / وأتبع لها كان الصواب معه.

ص ١٩٥

وهؤلاء هم الذين لا ينتصرون إلا لقوله، ولا يضافون إلا إليه، وهم أعلم الناس بسنته وأتبع لها. وأكثر سلف الأمة كذلك، لكن التفرق والاختلاف كثير في المتأخرين. والذين رفع الله قدرهم في الأمة هو بما أحيوه من سنته ونصرته. وهكذا سائر طوائف الأمة، بل سائر طوائف الخلق، كل حير معهم فيما جاءت به الرسل عن الله، وما كان معهم من خطأ أو ذنب فليس من جهة الرسل.

ولهذا كان الصحابة إذا تكلموا في مسألة باجتهادهم، قال أحدهم: أقول فيها برأى؛ فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمضى ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه. كما قال أبو بكر رضى الله عنه في الكلاله، وكما قال ابن مسعود في المفوضة إذا مات عنها زوجها، وكلاهما^(٣) أصاب فيما قاله برأيه، لكن قال الحق؛ فإن القول إذا كان

(١) أ، ب، ح، ر، ي: وأن كل..

(٢) ح، ب: الذي انفردت به. (٣) و: وكل منهما.

صواباً فهو مما جاء به الرسول عن الله ، فهو من الله ، وإن كان خطأ فالله لم يبعث الرسول بخطأ ، فهو من نفسه ومن الشيطان ، لا من الله ورسوله . والمقصود بالإضافة إليه^(١) الإضافة إليه من جهة إلهيته ، من جهة الأمر والشرع والدين ، وأنه يحبه ويرضاه ، ويشب فاعله عليه . وأما من جهة الخلق ، فكل الأشياء منه . والناس لم يسألوا الصحابة عمّا من الله خلقا وتقديرا ، فقد علموا أن كل ما وقع فمناه . والعرب كانت في جاهليتها تقرّ بالقضاء والقدر . قال ابن قتيبة وغيره : ما زالت العرب في جاهليتها وإسلامها مقرّة بالقدر^(٢) . [وقد^(٣) قال عنترة :

يا عبّل أين من المنية مهرب . . . إن كان ربي في السماء قضاها
 وإنما كان سؤال الناس عمّا من الله من جهة أمره ودينه وشرعه الذي يرضاه ويحبه ويشب أهله .

وقد علم الصحابة أن ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان ، وإن كان بقضاء الله وقدره ، وإن كان يُعفى عن صاحبه ، كما يُعفى عن النسيان والخطأ .

ونسيان الخير يكون من الشيطان ، كما قال تعالى : ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٦٨] . وقال فتى موسى صلى الله عليه وسلم : ﴿وَمَا أَنْسَانِيَةَ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكَرَهُ﴾ [سورة الكهف : ٦٣] وقال : ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ [سورة يوسف : ٤٢] .

(١) ر، ح، ي، ب : والمقصود هنا بالإضافة إليه .

(٢) ب (فقط) : مقرّة بالقضاء والقدر .

(٣) وقد : ساقطة من (ن) .

ولما نام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الوادى عن الصلاة قال: «هذا وادٍ حضرنا فيه الشيطان»^(١). وقال: «إن الشيطان أتى بلالا فجعل يهدّيه»^(٢) كما يهدّى الصبى حتى نام»^(٣) فإنه كان وكّل بلالا أن يكلاً لهم الصبح»^(٤)، مع قوله: «ليس فى النوم تفريط»^(٥) وقال: «إن الله قبض

(١) و: شيطان. والحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ٤٧١/١ - ٤٧٢ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها): ولفظه: «عُرِّسنا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم فلم نستيقظ حتى طلعت الشمس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ليأخذ كل رجل برأس راحلته، فإن هذا منزل حضرنا فيه الشيطان» قال: ففعلنا، ثم دعا بالماء فتوضأ، ثم سجد سجدةً». (التعريس: نزول المسافرين آخر الليل للنوم والاستراحة). والحديث فى: سنن النسائى ٢٤٠/١ (كتاب المواقيت، باب كيف يقضى الفائت من الصلاة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٥٢/١٨. وأما لفظ: «هذا وادٍ حضرنا فيه الشيطان» فانظر عنه التعليق التالى.

(٢) ح: يهدّه.

(٣) الحديث عن زيد بن أسلم رضى الله عنه فى: الموطأ ١٤/١ - ١٥ (كتاب وقوت الصلاة، باب النوم عن الصلاة): ونصه: «عُرِّس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة، ووكل بلالا أن يوقظهم للصلاة، فرقد بلال ورددوا، حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم الشمس، فاستيقظ القوم وقد فزعوا. فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادى، وقال: «إن هذا وادٍ به شيطان» فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادى. الحديث وفيه: ثم التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر فقال: «إن الشيطان أتى بلالاً وهو قائم يصلى، فأضجعه، فلم يزل يهدّئه كما يهدّأ الصبى حتى نام... الخ. وفى التعليق: «هذا مرسل باتفاق رواة الموطأ».

(٤) يكلاً لهم الصبح: أى يرقبه ويحفظه ويحرسه، ومصدره الكلاء.

(٥) هذه عبارة جاءت فى حديث رواه أبو قتادة رضى الله عنه فى: مسلم ٤٧٢/١ (كتاب المساجد... باب قضاء صلاة الفائتة...) ولفظه: «أما أنه ليس فى النوم تفريط» وأول الحديث: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إنكم تسرون عشيبتكم وليلتكم الحديث.

أرواحنا»^(١). [وقال له بلال: «أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك»] ^(٢) وقال: «من نام عن صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك». ومع قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦]. قال تعالى: «قد فعلت»^(٣).

وكذلك الخطأ فى الاجتهاد من النفس والشيطان وإن كان مغفورا لصاحبه. وكذلك الاحتلام فى المنام من الشيطان. وفى الصحيحين عنه أنه قال: «الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه فى اليقظة فيراه فى المنام»^(٤). فالنائم يرى فى منامه ما يكون من الشيطان، وهو كما قال صلى الله عليه وسلم «رفع

(١) جاءت هذه العبارة فى حديث الموطأ المشار إليه قبل قليل. وجاءت عبارة مماثلة فى

حديث ذى مخمر الحبشى فى المسند (ط. الحلبي) ٩٠/٤-٩١.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (أ). وفى (و). أخذ بنفسك يارسول الله. وهذه العبارة والعبارة التالية: «من نام عن صلاة.. الخ. جاءت فى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى مسلم فى الموضع السابق ٤٧١/١ وانظر ما يلى بعد صفحات (ص ٢١١).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤٥٨/٤.

(٤) هذا جزء من حديث عن أبى هريرة - وفى رواية عن عوف بن مالك - رضى الله عنهما فى:

مسلم ١٧٧٣/٤ (كتاب الرؤيا، أول الكتاب)؛ سنن الترمذى ٣٦٣/٣ (كتاب الرؤيا،

باب أن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة)؛ سنن أبى داود ٤١٦/٤، ٤١٧

(كتاب الأدب، باب ما جاء فى الرؤيا)؛ سنن ابن ماجه ١٢٨٥/٢ (كتاب تعبير الرؤيا،

باب الرؤيا ثلاث)؛ المسند (ط. المعارف) ٦٠/١٤، ٦١.

واختلفت ألفاظ هذا الحديث، والرواية عن أبى هريرة فى مسلم أولها: «إذا اقترب

الزمان لم تكدر رؤيا المسلم تكذب... الحديث.. وفيه: الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة

(فى سنن أبى داود: فالرؤيا الصالحة) بشرى من الله، ورؤيا تخزين من الشيطان، ورؤيا

مما يحدث المرء به نفسه».

القلم عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم^(١). وأعذرهم النائم، ولهذا لم يكن لشيء من أقواله التي تسمع منه^(٢) في المنام حكم باتفاق العلماء، فلو طلق أو أعتق أو تبرع أو غير ذلك في منامه كان لغواً، بخلاف الصبي المميز، فإن أقواله قد تعتبر، إما بإذن الولي، وإما بغير إذنه، في مواضع بالنص، وفي مواضع بالإجماع.

٤٧ / ٣

وكذلك الوسواس في النفس يكون من الشيطان / تارة ومن النفس تارة. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [سورة ق: ١٦]. وقال: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ [سورة طه: ١٢٠]^(٣)، وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٠].
والوسوسة من جنس الوشوشة بالشين المعجمة^(٤)، ومنه وسوسة^(٥) الحلبي، وهو الكلام الخفي والصوت الخفي.

(١) الحديث عن عائشة وعلی رضي الله عنهما في: سنن أبي داود ٤/١٩٧-١٩٩ (كتاب الحدود، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً) في أكثر من موضع؛ سنن الترمذي ٢/٤٣٨ (كتاب الحدود، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد)؛ سنن ابن ماجه ١/٦٥٨ (كتاب الطلاق، باب طلاق المعتوه والصغير والنائم)؛ سنن الدارمي ٢/١٧١ (كتاب الحدود، باب رفع القلم عن ثلاثة)؛ المسند (ط. الحلبي) ٦/١٠٠ / ١٠١ / ١٤٤. وجاء الحديث موقوفاً عن علی رضي الله عنه في: البخاري ٧/٤٦ (كتاب الطلاق، باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران والمجنون وأمرهما...)، ٨/١٦٥ (كتاب الحدود، باب لا يرحم المجنون والمجنونة).

(٢) عند عبارة «التي تسمع منه» تعود نسخة (م).

(٣) آية سورة طه في (أ)، (ب) فقط.

(٤) المعجمة: ساقطة من (و).

(٥) ن، ر: وشوشة.

وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ٦-١]. وقد قيل: إن المعنى: من الذي يوسوس في صدور الناس: من الجنة ومن الناس، وأنه جعل الناس أولاً تتناول الجنة والناس، فسماهم ناساً، كما سماهم رجلاً. قاله الفراء. وقيل: المعنى: من شر الموسوس في صدور الناس من الجن، ومن شر الناس مطلقاً. قاله الزجاج. ومن المفسرين كأبي الفرج بن الجوزي من لم يذكر غيرهما، وكلاهما ضعيف. والصحيح أن المراد القول الثالث، وهو [أن] ^(١) الاستعاذة من شر الموسوس من الجنة ومن الناس في صدور الناس، فأمر بالاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن ^(٢).

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وفي حديث أبي ذر الطويل الذي رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه

(١) أن: زيادة في (أ)، (ب).

(٢) انظر القولين الأول والثاني في تفسير ابن الجوزي «زاد المسير» ٢٧٩/٩. وذهب إلى القول الثالث الذي ذكره ابن تيمية ابن كثير في تفسيره فذكر آية ١١٢ من سورة الأنعام ثم ذكر حديث أبي ذر رضي الله عنه. وذهب إلى هذا التفسير القرطبي قبل ابن تيمية فقال: «أخبر أن الموسوس قد يكون من الناس. قال الحسن: هما شيطانان؛ أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية. وقال قتادة: إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين، فتعودوا بالله من شياطين الإنس والجن». ثم ذكر القرطبي حديث أبي ذر (رواية مخالفة للحديث هنا) وأورد آية ١١٢ من سورة الأنعام.

بطوله قال: «يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن». فقال: يارسول الله أول للإنس شياطين؟ قال: «نعم، شر من شياطين الجن»^(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٤]. والمنقول عن عامة المفسرين أن المراد شياطين الإنس، وما علمت أحدا قال: إنهم شياطين الجن^(٢). فعن ابن مسعود وابن عباس والحسن والسدي: أنهم رؤوسهم^(٣) في الكفر. وعن أبي العالية ومجاهد: إخوانهم من المشركين. وعن الضحاك وابن السائب: كهنتهم^(٤).

والآية تتناول هذا كله وغيره، ولفظها يدل على أن المراد شياطين الإنس، لأنه قال: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٤]. ومعلوم أن شيطان^(٥) الجن معهم لما لقوا الذين آمنوا، لا يحتاج أن يخلوا به^(٦)، وشيطان الجن هو

(١) الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه فى: سنن النسائى ٢٤٢/٨ (كتاب الاستعاذة، باب

الاستعاذة من شر شياطين الإنس). وهو عنه فى: المسند (ط. الحلبي) ١٧٨/٥، ١٧٩،

٢٦٥ وأوله: يا أبا ذر... هل صليت؟ قلت: لا. قال: قم فصل. قال: فقامت فصليت

ثم جلست. فقال: يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس... الحديث.

(٢) إنهم شياطين الجن: كذا فى (أ)، (ب). وفى سائر النسخ: إنهم من الجن.

(٣) ح، ب: رؤوسهم.

(٤) انظر تفسير ابن كثير (ط. الشعب) للآية ١/٧٦-٧٧؛ زاد المسير لابن الجوزى

٣٤/١-٣٥.

(٥) شيطان: كذا فى (و) فقط. وفى سائر النسخ: شياطين.

(٦) ن، م، ح، ب: أن يخلوه؛ و: أن يخلونه.

الذي أمرهم بالنفاق، ولم يكن ظاهرا حتى يخلو^(١) معهم، ويقول: إنا معكم، لا سيما إذا كانوا يظنون أنهم على حق.

ظ ١٩٥ / كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣]، ولو علموا أن الذي يأمرهم^(٢) بذلك شيطان لم يرضوه.

وقد قال الخليل بن أحمد: كل متمرّد عند العرب شيطان. وفي اشتقاقه قولان أصحهما أنه من شَطَنَ يَشْطُنُ إذا بعد عن الخير، والنون أصلية. قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام: أيما شاطن^(٣) عَصَاهُ عَكَاهُ . . . ثُمَّ يُلْقَى فِي السَّجْنِ وَالْأَغْلَالِ^(٤) عَكَاه: أوثقه. وقال النابغة:

نأت بسُعاد عنكَ نَوَى شَطُون . . . فبانَت والفؤاد بها رهين^(٥)

ولهذا قرنت به^(٦) اللعنة؛ فإن اللعنة هي البعد من الخير، والشيطان بعيد من الخير، فيكون وزنه «فيعالا»، و«فيعال»^(٧) نظير فعّال، وهو من صفات المبالغة، مثل القيام والقوام، فالقيام فيعال، والقوام فعّال، ومثل العياذ والعواذ^(٨). وفي قراءة عمر: (الحى القيام).

(١) أ، ر: حتى يخلوا. (٢) ن: أمرهم.

(٣) و، أ: شيطان.

(٤) البيت في تفسير الطبري (ط. المعارف) ١١٢/١ وهو في ديوانه تحقيق د. عبدالحفيظ السطلي ص ٤٤٥.

(٥) في ديوان النابغة (تحقيق الدكتور شكري فيصل) ص ٢٥٦.

(٦) ح: قارنته، ر: قرنته. (٧) وفيعال: ساقطة من (أ)، (ب)

(٨) و: العياد والعواد؛ أ: العباد والقواد.

فالشیطان المتصف بصفة ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير، بخلاف من بعد عنه مرة وقرب منه أخرى؛ فإنه لا يكون شيطاناً. ومما يدل على ذلك قولهم: تشيطن بتشيطن شيطنة، ولو كان من شاط يشيط لقيط تشيط يشيط. والذي قال: هو من شاط يشيط إذا احترق والتهب، جعل النون زائدة، وقال: وزنه فعلان. كما قال الشاعر:

وقد يَشِيطُ على أرمَاحنا البَطَلُ^(١)

وهذا يصح في الاشتقاق الأكبر الذي يعتبر فيه الاتفاق في جنس الحروف، كما يُروى عن أبي جعفر أنه قال: العامة مشتق من العمى، ما رضى الله أن يشبههم^(٢) بالأنعام، حتى قال: ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وهذا كما يقال: السرية مأخوذة من السر، وهو النكاح. ولو جرت على القياس لقيط: / سريرة^(٣) فإنها على وزن فعيلة^(٤). ولكن العرب تعاقب بين الحرف المضاعف والمعتل، كما يقولون تقضى البازى وتقضض.

٤٨/٣

قال الشاعر: تقضى البازى إذا^(٥) البازى كسر^(٦)

ومنه قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩]، وهذه الهاء تحتمل أن تكون أصلية فجزمت بلم، ويكون من سانهت، وتحتمل أن تكون هاء السكت، كالهاء من «كتابه»

(١) البيت للأعشى في ديوانه (ط. جايز) ص ٤٠ وصلده: قَدْ نَظَعْنَ العَيْرَ فِي مَكُونِ فَائِلِهِ

(٢) أ، و: أن يشبههم.

(٣) أ: سرية.

(٤) ن، أ، ر: فعيلة.

(٥) ن، و، ح: إن.

(٦) البيت للعجاج في ديوانه (ط. د. عزة حسن) ص ٢٨.

و«حسابيه» و«اقتده» و«ماليه» و«سلطانيه». وأكثر القراء يشنون الهاء وصلا ووقفا، وحمزة والكسائي يحذفانها من الوصل هنا ومن «اقتده» فعلى قراءتهما يجب أن تكون هاء السكت، فإن الأصلية لا تُحذف، فتكون لفظة «لم يتسن» كما تقول: لم يتغن، وتكون مأخوذة من قولهم: تسنى يتسنى. وعلى الاحتمال الآخر تكون من: تسنه يتسنه، والمعنى واحد. قال ابن قتيبة: أى لم يتغير بمرّ السنين عليه. قال: واللفظ مأخوذ من السنه، يُقال^(١): سانهت النخلة إذا حملت عاما وحالت عاما. فذكر ابن قتيبة لغة من جعل الهاء أصلية، وفيها لغتان: يقال: عاملته مسانهة ومسانة. ومن الشواهد لما ذكره ابن قتيبة قول الشاعر:

فليست بسنهاء ولا رُجِيَّة^(٢) . . . ولكن عرايا^(٣) فى السنين الجوائح^(٤)
 يمدح النخلة، والمقصود مدح صاحبها بالجدود، فقال: إنه^(٥) يعريها
 لمن يأكل ثمرها، لا يرجيها^(٦) لتخليه^(٧) ثمرها^(٨)، ولا هى بسنهاء^(٩).
 والمفسرون من أهل اللغة يقولون فى الآية: معناه: لم يتغير. وأما لغة
 من قال: إن أصله سنة فهى مشهورة، ولهذا يُقال فى جمعها: سنوات،

(١) م، ر، ي: يقول؛ ح، ب: تقول.

(٢) و: ولا رحيه؛ ب، ر: ولا رحية. وفى سائر النسخ: ولا عربية.

(٣) ن، م، و، أ: عرايا

(٤) أ: الحوايج. وذكر ابن منظور البيت فى «اللسان» كما أثبتته هنا، وقال إنه لبعض الأنصار، وهو سويد بن الصامت.

(٥) أ: بالجدود وأنه.

(٦) أ، ر، ي، ح: لا يرجيها.

(٧) أ، ر: لتخليه؛ و: لنحليته.

(٨) أ: ولا هى منها.

(٩) و: الثمرة.

ويشابهه في الاشتقاق الأكبر الماء الأسن، وهو المتغير المتن، ويشابهه في الاشتقاق الأصغر الحمأ المسنون، فإنه من سَن، يقال: سنت الحجر على الحجر إذا حككته، والذي يسيل بينهما^(١) سنن^(٢)، ولا يكون إلا منتنا^(٣). وهذا أصح من قول من يقول: المسنون المصبوب على سنة الوجه، أو المصبوب^(٤) المفرغ، أى أبدع صورة الإنسان؛ فإن هذا إنما كان بعد أن خُلق من الحمأ^(٥) المسنون، ونفس الحمأ لم يكن على صورة الإنسان ولا صورة وجه، ولكن المراد المتن.

فقوله: ﴿لَمْ يَتَسَّنْهُ﴾ بخلاف قوله: ﴿مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ [سورة محمد: ١٥]، فإنه من قولهم: أسن يأسن؛ فهذا من جنس الاشتقاق الأكبر، لاشتراكهما في السين والنون [والنون]^(٦) الأخرى، والهمزة والهاء متقاربتان فإنهما حرفا حلق، وهذا باب واسع.

والمقصود أن اللفظين إذا اشتركا في أكثر الحروف وتفاوتا في بعضها، قيل: أحدهما مشتق من الآخر، وهو الاشتقاق الأكبر، والأوسط أن يشتركا في الحروف لا في ترتيبها، كقول الكوفيين: الاسم مشتق من السمة. والاشتقاق الأصغر الخاص الاشتراك في الحروف وترتيبها وهو المشهور، كقولك: عَلِمَ يَعْلَمُ فهو عَالِمٌ.

(١) و: منهما.

(٢) ب (فقط): سنين.

(٣) أ: مبنيا؛ ر: ستنا؛ و: مستنا.

(٤) ن: والمصبوب؛ و: أى المصبوب.

(٥) أ، ب، ن: الحمأ.

(٦) والنون: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

وعلى هذا فالشيطان مشتق من شَطَنَ، وعلى الاشتقاق الأكبر هو من باب^(١) شاط يشيط، لأنهما اشتركا في الشين والطاء. والنون والياء متقاربتان.

فهو سبحانه^(٢) أمر في سورة الناس بالاستعاذة من: شر الوسواس من الجنة والناس، الذي يوسوس في صدور الناس. ويدخل في ذلك وسوسة نفس الإنسان له، ووسوسة غيره له.

والقول في معنى الآية مبسوط في مصنف مفرد^(٣).

والمقصود هنا أنه قد ثبت^(٤) في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وابن عباس: «أن العبد إذا همَّ بخطيئة لم تكتب عليه، فإن تركها لله كتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، وأنه إذا^(٥) همَّ بحسنة كتبت له حسنة كاملة، فإن عملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة»^(٦).

(١) باب: زيادة في (ن)، (م)

(٢) ح، ب: فالله سبحانه.

(٣) و: في غير هذا الموضع. وقول ابن تيمية: «والقول في معنى الآية... الخ» يفهم منه أن له مصنفا مفردا عن آية ٢٥٩ من سورة البقرة، ولم أجد فيما بين يدي من مراجع ومخطوطات ما يدل على ذلك. ولعل الصواب «والقول في معنى السورة مبسوط في مصنف مفرد» ويكون مقصود ابن تيمية سورة الناس فإن له رسالة خاصة في تفسيرها نشرت في مجموع فتاوى الرياض ١٧/٥٠٩-٥٣٦.

(٤) ن: فإن قيل إنه قد ثبت.

(٥) ن، م: وإذا.

(٦) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن ابن عباس رضي الله عنهما في: البخاري ٨/١٠٣

(كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة)؛ مسلم ١/١١٧-١١٨ (كتاب الإيمان، =

وفى الصحيحين [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم] أنه قال: ^(١) «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به» ^(٢).

وفى الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى التأذين أقبل، فإذا تُوِّب بالصلاة أدبر - يعني الإقامة - فإذا قضى الشيوب أقبل حتى يخطر ^(٣) بين المرء ونفسه، يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يضل ^(٤) الرجل إن يدري كم صلى، فإذا وجد ذلك أحدكم فليسجد سجدةين». ^(٥)

باب إذا هم العبد بحسنة كتب...؛ سنن الترمذى ٤/٣٣٠ (كتاب التفسير، سورة الأنعام). والحديث فى سنن الدارمى وفى سنن أحمد فى مواضع كثيرة.

(١) ن، م، و: وفى الصحيحين عنه أنه قال.

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٤٦/٧ (كتاب الطلاق، باب الطلاق فى الإغلاق والكراهة والسكران...) وأوله: «إن الله تجاوز عن أمتي... الحديث. وفى رواية مسلم: لأمتي. وهو فى: مسلم ١١٦/١ (كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس...)؛ سنن أبى داود ٢/٣٥٥ (كتاب الطلاق، باب فى الوسوسة بالطلاق)؛ سنن النسائى ٦/١٢٧-١٢٨ فى موضعين (كتاب الطلاق، باب من طلق فى نفسه)؛ سنن ابن ماجه (كتاب الطلاق، باب من طلق فى نفسه ولم يتكلم)؛ المسند (ط. الحلبي) ٤٢٥/٢.

(٤) ح، ي، ب، و: يظلم.

(٣) ن: حتى يحضر.

(٥) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١٢١/١ (كتاب الأذان، باب فضل التأذين) وأوله: «إذا نوى للصلاة...؛ مسلم ٢٩١/١ - ٢٩٢ (كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه)؛ سنن النسائى ٢/١٩ (كتاب الأذان، باب فضل التأذين)؛ المسند (ط. المعارف) ١٦/٤٢-٤٣، (ط. الحلبي) ٤٦٠/٢، ٥٢٢.

فقد أخبر أن / هذا التذكير والوسواس من الشيطان، وأنه ينسيه حتى
لا يدري كم صلى، وأمره بسجدة السهو، ولم يؤتممه بذلك. والوسواس
الخفيف لا يبطل الصلاة باتفاق العلماء. وأما إذا كان / هو الأغلب،
فقليل: عليه الإعادة، وهو اختيار أبي عبدالله بن حامد. والصحيح الذي
عليه الجمهور، وهو المنصوص عن أحمد وغيره، أنه لا إعادة عليه. فإن
حديث أبي هريرة عام مطلق في كل وسواس، ولم يأمر^(١) بالإعادة، لكن
ينقص أجره بقدر ذلك.

ص ١٩٦

٤٩ / ٣

قال ابن عباس: ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها. وفي السنن
عن عمار بن ياسر أنه صلى صلاة فخففها، فقليل له في ذلك، فقال:
هل نقصت منها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: فإني بدرت الوسواس، وإن النبي
صلى الله عليه وسلم قال: «إن الرجل لينصرف من صلاته ولم يكتب له
منها إلا عشرها، إلا تسعها، إلا ثمنها، حتى قال: إلا نصفها»^(٢).

وهذا الحديث حجة على ابن حامد؛ فإن أدنى ما ذكر نصفها، وقد
ذكر إنه يكتب له عشرها. وأداء الواجب له مقصودان: أحدهما: براءة
الذمة، بحيث يندفع عنه الدم والعقاب المستحق بالترك، فهذا لا تجب
معه الإعادة، فإن الإعادة يبقى مقصودها حصول ثواب مجرد، وهو شأن

(١) ب (فقط): ولم يؤمر.

(٢) الحديث عن عمار بن ياسر رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٢٩٤/١ (كتاب الصلاة،
باب ما جاء في نقصان الصلاة) ولفظه: «إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته،
تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها». وحسن الألباني
الحديث في «صحيح الجامع الصغير» ٦٥/٢.

التطوعات، لكن حصول الحسنات الماحية للسيئات^(١) لا يكون إلا مع القبول الذي عليه الثواب، فبقدر ما يكتب له من الثواب يكفر عنه [به]^(٢) من السيئات الماضية، وما لا ثواب فيه لا يكفر وإن برئت به الذمة.

كما في الحديث المأثور: «رُبُّ صائم ليس حظه من صيامه إلا الجوع والعطش^(٣)، ورب قائم حظه من قيامه السهر^(٤)» يقول: إنه تعب ولم يحصل له منفعة، لكن برئت ذمته^(٥)، فسلم من العقاب، فكان على حاله لم يزد بذلك خيرا.

والصوم إنما شرع لتحصيل التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ * أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ ﴿ [سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الصيام^(٦) جنة، فإذا كان أحدكم

(١) ن، م، أ: السيئات؛ و: بالسيئات.

(٢) به: ساقطة من (ن)، (م). وفي (و): به عنه.

(٣) إلا الجوع والعطش: كذا في (ب) فقط. وفي (و): حظه من صيامه العطش. وفي سائر النسخ: إلا العطش.

(٤) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن أبي هريرة رضى الله عنه في: سنن ابن ماجه ٥٣٩/١ (كتاب الصيام، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم)، وجاء الحديث فيه بلفظ «رب صائم ليس له من صيامه.. الخ. وهو في: سنن الدارمي ٣٠١/٢ (كتاب الرقاق، باب في المحافظة على الصوم) ولفظه: «كم من صائم... وجاء الحديث في المسند (ط. المعارف) ٣٥/١٧ وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: إسناده صحيح، ٢٠٤/١٨ وصححه أيضا. وصحح الألباني الحديث بروايتين له في «صحيح الجامع الصغير» ١٧٤/٣.

(٥) ح، ب: لكن ذمته برئت وإن برئت ذمته..

(٦) ح، ب: الصوم.

صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمته أو قاتله فليقل: إني صائم». وفيها ثلاثة أقوال في مذهب أحمد وغيره. قيل: يقول^(١) في نفسه فلا يردّ عليه. وقيل: يقول^(٢) بلسانه. وقيل: يفرّق بين الفرض فيقول^(٣) بلسانه والنفل يقول في نفسه؛ فإن صوم الفرض مشترك، والنفل يخاف عليه من الرياء. والصحيح أنه يقول^(٤) بلسانه، كما دل عليه الحديث؛ فإن القول المطلق لا يكون إلا باللسان، وأما [ما]^(٥) في النفس فمقيد، كقوله: «عمّا حدثت به أنفسها» ثم قال: «ما لم تتكلم أو تعمل به» فالكلام المطلق إنما هو الكلام المسموع. وإذا قال بلسانه: إني^(٦) صائم، بيّن عذره في إمساكه عن الرد، وكان أجزر لمن بدأه بالعدوان.

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»^(٧). بين^(٨)

(١) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٢٤/٣ - ٢٥ (كتاب الصوم، باب فضل الصوم)، ١٤٣/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: يريدون أن يبدلوا كلام الله)؛ مسلم ٨٠٦/٢ - ٨٠٧ (كتاب الصيام، باب فضل الصيام)؛ سنن أبى داود ٤١٢/٢ (كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم). وجاء الحديث - مع اختلاف الألفاظ - فى باقى كتب السنن الأربعة وسنن الدارمى والموطأ والمسنَد فى مواضع كثيرة.

(٢) ح، ب: يقوله. (٣) ح، ب، ر: فيقوله. (٤) ح، ب: يقوله.

(٥) ما: ساقطة من (ن)، (م). (٦) ن، م: أنا.

(٧) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٢٦/٣ (كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور...)، ١٧/٨ - ١٨ (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: واجتنبوا قول الزور)؛ سنن أبى داود ٤١٢/٢ (كتاب الصوم، باب الغيبة للصائم). والحديث فى سنن الترمذى وابن ماجه والمسنَد.

(٨) ح، ب، ر، ي: فيين.

صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى لم يحرم على الصائم الأكل لحاجته إلى ترك الطعام والشراب، كما يحرم السيد على عياله بعض ماله، بل المقصود محبة الله تعالى، وهو حصول التقوى، فإذا لم يأت به فقد أتى بما ليس فيه محبة ورضا، فلا يثاب عليه، ولكن لا يعاقب^(١) عقوبة التارك.

والحسنة المقبولة تكفر السيئات، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في [الحديث] الصحيح^(٢): «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينهن إذا اجتبت الكبائر»^(٣) ولو كفر الجميع بالخمس^(٤) لم يحتج إلى الجمعة، لكن التكفير بالحسنة المقبولة. وغالب الناس لا يكتب له من الصلاة إلا بعضها، فيكفر ذلك بقدره، والباقي يحتاج إلى تكفير.

ولهذا جاء من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من أعماله الصلاة؛ فإن أكملت وإلا قيل: انظروا هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع أكملت به»^(٥) الفريضة، ثم يصنع في سائر الأعمال^(٦) كذلك^(٧).

(١) ب (قط): ولكن لا يعاقب عليه. (٢) ن، م: في الصحيح.

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضى الله عنه في: مسلم ٢٠٩/١
بخبر الطيارة، باب الصلوات الخمس...؛ سنن الترمذ، ١٣٨/١ (كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس) وقال الترمذ: «وفي الباب عن جابر وأنس وحظلة الأسدي، حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح».

(٤) أ: بالجنس. (٥) و: كملت به. (٦) أ: الأعمال؛ ح، ب: أعماله.

(٧) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضى الله عنه في: سنن الترمذ =

وتكميل الفرائض^(١) بالتطوع مطلق، فإنه يكون يوم القيامة يوم
الجزاء، فإنه إذا ترك بعض الواجبات استحق العقوبة، فإذا كان له من
جنسه^(٢) تطوع سدّ مسدّه فلا يعاقب، وإن^(٣) كان ثوابه ناقصاً وله تطوع سدّ
مسدّه فأكمل ثوابه. وهو في الدنيا يُؤمر بأن يعيد حيث تمكن إعادة ما
فعله^(٤) ناقصاً [من] الواجبات^(٥)، أو يجبره / بما يجبر به، كسجدتي
السهو في الصلاة، وكالدم الجابر لما تركه من واجبات الحج، ومثل
صدقة الفطر التي فرضت طهرة للصائم من اللغو والرفث. وذلك لأنه إذا
أمكنه^(٦) أن يأتي بالواجب كان ذلك عليه، ولم يكن قد برىء من عهده،
بل هو مطلوب به^(٧) كما لو لم يفعله، بخلاف ما إذا تعذر فعله يوم^(٨)
الجزاء؛ فإنه لم يبق هناك إلا الحسنات.

ولهذا كان جمهور العلماء على أن من ترك واجبا من واجبات الصلاة

٢٥٨/١ - ٢٥٩ (كتاب الصلاة، باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة
الصلاة) وأوله: «إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة . . الحديث. وقال الترمذي:
«حديث أبي هريرة حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روى هذا الحديث من غير
هذا الوجه عن أبي هريرة. والحديث في: سنن أبي داود ٣١٧/١ (كتاب الصلاة، باب
قول النبي صلى الله عليه وسلم: كل صلاة لا يتمها صاحبها. .)؛ سنن النسائي
١٨٧/١ - ١٨٩ (كتاب الصلاة، باب المحاسبة على الصلاة)؛ سنن ابن ماجه ٤٥٨/١
(كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة)،
المسند (ط. المعارف) ١٩/١٥ - ٢٦. وقال أحمد شاكر رحمه الله: وإسناده صحيح،
وتكلم على الحديث. والحديث في المسند في مواضع أخرى كثيرة.

(١) ن، م: الفرض. (٢) أ: من حسنة. (٣) ن: فإن.

(٤) ر، ي: إلا ما فعله. (٥) ن، م، و، ي، ر: ناقص الواجبات.

(٦) ر، ح، ي: إذا أمكن. (٧) ن: مطلوب منه به. (٨) و: ليوم.

عمدا فعليه إعادة الصلاة مادام يمكن فعلها، وهو إعادتها في الوقت. هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد، لكن مالك وأحمد يقولان: قد يجب فيها ما يسقط بالسهو، ويكون سجود السهو عوضا عنه، وسجود السهو واجب عندهما. وأما الشافعي فيقول: كل ما وجب بطلت الصلاة بتركه عمدا أو سهوا. وسجود السهو عنده^(١) ليس بواجب؛ فإن ما صحت الصلاة مع السهو عنه^(٢) لم يكن واجبا ولا مبطلا. والأكثر يوجبون سجود السهو، كمالك وأبي حنيفة وأحمد، ويقولون: قد أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر يقتضى الإيجاب، ويقولون: الزيادة فى الصلاة لو فعلها عمدا بطلت الصلاة بالاتفاق، مثل أن يزيد ركعة خامسة عمداً، أو يسلم عمدا قبل إكمال الصلاة، ثم إذا فعله سهوا سجد للسهو بالسنة والإجماع.

فهذا سجود لما تصح الصلاة مع سهوه دون عمد. وكذلك ما نقصه منها؛ فإن السجود يكون للزيادة تارة وللنقص أخرى، كسجود النبي صلى الله عليه وسلم لما ترك التشهد الأول، ولو فعل ذلك أحد عمدا بطلت / صلاته عند مالك وأحمد. وأما أبو حنيفة فيوجب^(٣) فى الصلاة ما لا تبطل بتركه^(٤) [لا]^(٥) عمدا ولا سهوا، ويقول: هو مسيء بتركه، كالطمأنينة وقراءة الفاتحة.

ظ ١٩٦

(١) ن، م، ر، ح، و، ي: عندهم.

(٢) ن، م: عن السهو عنه، وهو تحريف.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(٣) و: ما لا يبطل تركه.

(٤) لا: ساقطة من (ن)، (م).

وهذا مما نازعه فيه الأكثرون، وقالوا: من ترك الواجب عمدا فعليه الإعادة الممكنة، لأنه لم يفعل ما أمر به، وهو قادر على فعله، فلا يسقط عنه.

وقد أخرجنا^(١) في الصحيحين حديث المسيء في صلاته، لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم*: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل» وأمره بالصلاة التي فيها طمأنينة^(٢)، فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله صلاة، بل يؤمر بالصلاة. والشارع [صلى الله عليه وسلم]^(٣) لا ينفي الاسم إلا لانتفاء بعض واجباته، فقوله: «فإنك^(٤) لم تصل» لأنه ترك بعض واجباتها، ولم تكن صلاته تامة مقامة الإقامة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [سورة النساء: ١٠٣]، فقد أمر بإتمامها.

ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمرة بقوله: ﴿وَأَتِمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾

(١) ن، م، ر: وقد أخرجه.

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو حديث مطول أوله عبارة: «ارجع فصل فإنك لم تصل» في: البخارى ١٣٥/٨ - ١٣٦ (كتاب الأيمان والنور، باب إذا حثت ناسيا في الأيمان)؛ مسلم ٢٩٨/١ (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة...)؛ سنن الترمذى ١٨٥/١ - ١٨٧ (كتاب الصلاة، باب ما جاء في وصف الصلاة) والحديث فيها عن رفاعه بن رافع وعن أبي هريرة؛ سنن النسائي ٩٦/٢ (كتاب الافتتاح باب فرض التكبيرة الأولى)؛ سنن ابن ماجه ٣٣٦/١ - ٣٣٧ (كتاب إقامة الصلاة، باب إتمام الصلاة).

(٣) صلى الله عليه وسلم: زيادة في (ح)، (ب).

(٤) ر، ح، ب: إنك؛ ن: لأنك.

[سورة البقرة: ١٩٦] ألزم^(١) الشارع فيهما فعل جميع الواجبات، فإذا^(٢) ترك بعضها فلا بد من الجبران. فعلم أنه [إن] لم يأت^(٣) بالمأمور به تماماً التمام الواجب^(٤) وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران.

وكذلك أمر الذي رآه يصلي خلف الصف وحده أن يعيد. وقال: «لا صلاة لفذ خلف الصف»^(٥). وقد صححه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث.

فإن قيل: ففي حديث المسيء الذي رواه أهل السنن من حديث

(١) ألزم: كذا في (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: لزم.

(٢) فإذا: كذا في (أ)، (ب). وفي سائر النسخ: وإذا.

(٣) إن: ساقطة من (ن)، (م)، (أ)، (ى). وفي (و): من لم يأت.

(٤) ح، ب: المأمور به بإتمام الواجب.

(٥) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن جاء الحديث عن علي بن شيبان رضى الله عنه فى:

سنن ابن ماجه ١/٣٢٠ (كتاب إقامة الصلاة...، باب صلاة الرجل خلف الصف وحده)

ولفظه: خرجنا حتى قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم فبايعناه وصلينا خلفه، ثم صلينا

وراءه صلاة أخرى، ففضى الصلاة، فرأى رجلاً فرداً يصلى خلف الصف. قال: فوقف

عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف، قال: «استقبل صلاتك، لا صلاة للذي

خلف الصف». وجاء فى التعليق: «فى الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات». والحديث

فى: المسند (ط. الحلبي) ٤/٢٣؛ موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، ص ١١٦

(حديث رقم ٤٠١، ٤٠٢) ط. السلفية. وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع

الصغير» ١/٣٢٢ وفى «إرواء الغليل» ٢/٣٢٨-٣٢٩ وتكلم طويلاً على صلاة المنفرد

خلف الصف ٢/٣٢٣-٣٣٠ وتكلم على حديث وابصة بن معبد أن النبي صلى الله عليه

وسلم رأى رجلاً يصلى خلف الصف فأمره أن يعيد. وهو فى سنن أبى داود والترمذى

والمسند.

رفاعة بن رافع أنه جعل ما تركه^(١) من ذلك يؤخذ بتركه^(٢) فقط،
ويحسب له ما فعل، ولا يكون كمن لم يصل.

قيل: وكذلك نقول^(٣): من فعلها وترك بعض واجباتها لم يكن بمنزلة
من لم يأت بشيء منها، بل يُثاب على ما فعل، ويُعاقب على ما ترك،
وإنما يؤمر بالإعادة لدفع عقوبة ما ترك، وترك الواجب سبب للعقاب،
فإذا^(٤) كان يعاقب على ترك البعض لزمه أن يفعلها، فإن كان له جبران
أو أمكن فعله وحده، وإلا فعله مع غيره، فإنه لا يمكن فعله مفردا.

فإن قيل: فإذا^(٥) لم يكن فعله مفردا طاعة لم يُثب عليه أولا.

قيل: هو أولا فعله ولم يكن يعلم أنه لا يجوز، أو كان ساهيا، كالذي
يصلى بلا وضوء، أو يسهو عن القراءة والسجود المفروض، فيثاب على
ما فعل، ولا يعاقب بنسيانه وخطئه، لكن يؤمر بالإعادة، لأنه لم يفعل ما
أمر به أولا، كالتائم إذا استيقظ في الوقت، فإنه يؤمر بالصلاة لأنها واجبة
عليه في وقتها إذا أمكن، وإلا صلاها أي وقت^(٦) استيقظ؛ فإنه حينئذ يؤمر
بها. وأما إذا أمر بالإعادة، فقد علم أنه لا يجوز فعل ذلك^(٧) مفردا^(٨)، فلا
يؤمر به مفردا^(٩).

(١) ن، م، ر، ي، و: ما ترك؛ ح: من ترك.

(٢) أ: بما يتركه؛ و: بما تركه.

(٣) ن، م، و، أ: يقول.

(٤) ب (فقط): فإن.

(٥) ن، م: فإن.

(٦) (**): ما بين النجمتين ساقط من (أ).

(٧) ح، ب: مفردا.

فإن قيل : فلو تعمد أن يفعلها مع ترك الواجبات / التي يعلم وجوبها .

قيل : هذا مستحق للعقاب ؛ فإنه عاص بهذا الفعل ، وهذا قد يكون
إثمه كإثم التارك . وإن قُدِّرَ أن هذا قد^(١) يثاب ، فإنه لا يثاب [عليه]^(٢)
ثواب من فعله مع غيره كما أمر به ، بل أكثر ما يُقال : إن له عليه ثوابا
بحسبه^(٣) ، لكن الذي يعرف أنه إذا لم يكن يعرف أن هذا واجب أو منهي
عنه فإنه يثاب على ما فعله . قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [سورة الزلزلة : ٧ ، ٨] .

والقرآن وذكر الله ودعاؤه خيرا . وإلا فالمسلم لا يصلى إلى غير قبلة ،
أو بغير وضوء أو ركوع أو سجود ، ومن فعل ذلك كان مستحقا للذم
والعقاب . ومع هذا فقد يمكن إذا فعل ذلك ، مع^(٤) اعترافه بأنه مذنب ،
لا على [طريق]^(٥) الاستهانة^(٥) والاستهزاء والاستخفاف ، بل على طريق
الكسل ، أن يثاب على ما فعله ، كمن ترك واجبات الحج المجبورة بدم ،
لكن لا يكون ثوابه كما إذا فعل ذلك مع^(٦) غيره على الوجه المأمور به .
وبهذا يتبين الجواب عن شبهة أهل البدع من الخوارج والمرجئة
وغيرهم ، ممن يقول : إن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل ولا ينقص .
قالوا : لأنه إذا ذهب منه جزء ذهب كله ، لأن الشيء المركب من أجزاء

(١) قد : ساقطة من (ح) ، (ب) .

(٢) عليه : زيادة في (أ) ، (ب) .

(٣) ن ، م ، أ ، ي : يحسبه .

(٤) هـ : ما بين النجمتين ساقط من (أ) .

(٤) طريق : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) الاستهانة : ساقطة من (ن) .

متى^(١) ذهب منه جزء ذهب كله، كالصلاة إذا ترك منها واجبا بطلت. ومن هذا الأصل تشعبت بهم الطرق^(٢).

وأما الصحابة وأهل السنة والحديث فقالوا: إنه يزيد وينقص. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل^(٣) من إيمان»^(٤).

(١) ن، م: إذا.

(٢) يقول الأشعري في «مقالات الإسلاميين» ١٩٨/١ - ٢٠١ إن الجهمية من المرجئة يقولون: «إن الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه» والإيمان عند الصالحة من المرجئة «لا يزيد ولا ينقص» ويقول الأشعري إن السمرية أصحاب يونس السمرى يزعمون أن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له، فمن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو مؤمن وقد يكون كافرا لو ترك خصلة منها، وقول السمرية أصحاب أبى شمر واليونسية أصحاب يونس قريب من هذا فهم يقولون إن الإيمان هو المعرفة بالله والخضوع له والمحبة له بالقلب والإقرار بأنه واحد ليس كمثلته شيء والاقرار بالأنبياء والتصديق بهم، ولا يسمون كل خصلة من هذه الخصال إيمانا ولا بعض إيمان حتى تجتمع هذه الخصال، مثل الفرس لا تسمى بلقاء حتى يجتمع فيها السواد والبياض، والشبيبة من مرجئة الخوارج يقولون إن الإنسان لا يكون مؤمنا إلا بإصابة كل خصال الإيمان، وأن الخصلة من الإيمان قد تكون طاعة وبعض إيمان ولكن يكون صاحبها كافرا بترك بعض الإيمان.

(٣) أ، و: حبة من خردل...

(٤) الحديث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فى: مسلم ٩٣/١ (كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيان) ولفظه: «لا يدخل النار أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء». والحديث - مع اختلاف يسير فى الألفاظ - فى: سنن أبى داود ٨٤/٤ (كتاب اللباس، باب ما جاء فى الكبر)؛ سنن ابن ماجه ٢٢/١ - ٢٣ (المقدمة، باب فى الإيمان). وجاء حديث آخر عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ١١٣/٤ (كتاب صفة جهنم، باب ما جاء أن للنار نفسين...) ولفظه: «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الإيمان» قال أبو

وعلى هذا فنقول: إذا نقص شيء من واجباته فقد ذهب ذلك الكمال والتمام، ويجوز نفي الاسم إذا أُريد به نفي ذلك الكمال، وعليه أن يأتي بذلك الجزء: إن كان تركُّ واجبا فعلة، أو كان ذنبا استغفر منه، وبذلك يصير من المؤمنين المستحقين لثواب الله المحض الخالص عن العقاب. وأما إذا ترك واجبا منه أو فعل محرما؛ فإنه يستحق العقاب على ذلك، ويستحق الثواب على ما فعل. والمنفى إنما هو المجموع، لا كل جزء من أجزائه، كما إذا ذهب واحد من العشرة، لم تبق العشرة عشرة، لكن بقي أكثر أجزائها.

وكذلك جاءت السنة في سائر الأعمال كالصلاة وغيرها، أنه يُثاب على ما فعله^(١) منها، ويُعاقب على الباقي، حتى إنه^(٢) إن كان له تطوع جُبر ما ترك بالتطوع، ولو كان ما فعل باطلا وجوده كعدمه لا يُثاب عليه لم يجبر بالنوافل شيء. وعلى ذلك دل حديث المسيء الذي في السنن^(٣): أنه إذا نقص منها شيئا أثيب على ما فعله.

فإن قلت: فالفقهاء يطلقون أنه قد بطلت صلاته وصومه وحجه إذا ترك منه ركنا.

قيل: لأن الباطل في عرفهم ضد الصحيح، والصحيح في عرفهم ما

سعيد: «فمن شك فليقرأ: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة). قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح». وذكره السيوطى. وقال الألبانى فى «صحيح الجامع الصغير»: صحيح وهو فى مسند أحمد وسنن النسائى.

(١) ح، ب: على ما فعل.

(٢) إنه: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣) و: حديث النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى السنن فى المسيء...

حصل به مقصوده، وترتب عليه حكمه، وهو براءة الذمة. ولهذا يقولون:
الصحيح ما أسقط القضاء. فصار قولهم: بطلت، بمعنى: وجب
القضاء، لا بمعنى: أنه لا يثاب عليها بشيء في الآخرة.

وهكذا جاء النفي في كلام الله ورسوله، كقوله صلى الله عليه وسلم:
«لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»^(١)، وقوله: «لا إيمان لمن لا أمانة
له، ولا دين لمن لا عهد له»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾
[سورة الأنفال: ٢]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ
يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾
[سورة الحجرات: ١٥]؛ فإن نفي الإيمان عن ترك واجباً منه أو فعل محرماً

(١) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخارى ١٣٦/٣ (كتاب المظالم،
باب النهي بغير إذن صاحبه)، ١٠٤/٧ (كتاب الأشربة، باب إنما الخمر والميسر...)،
١٥٧/٨ (كتاب الحدود، باب لا يشرب الخمر)، ١٦٤/٨ (كتاب الحدود، باب إثم
الزناة)؛ مسلم ٧٧، ٧٦/١ (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي...)
سنن أبي داود ٣٠٦/٤ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)؛ سنن
الترمذى ١٢٧/٤ (كتاب الإيمان، باب لا يزني الزانى وهو مؤمن)؛ سنن ابن ماجه
١٢٩٨/٢ - ١٢٩٩ (كتاب الفتن، باب النهي عن النهية)؛ سنن الدارمى ١١٥/٢ (كتاب
الأشربة، باب فى التغليظ لمن شرب الخمر)؛ المسند (ط. المعارف) ٤١/١٣. ونص
الحديث فى: البخارى ١٣٦/٣: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر
حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يتهب نهبه يرفع الناس إليه
فيها أبصارهم حين يتهبها وهو مؤمن».

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه فى المسند (ط. الحلبي) ١٣٥/٣ وأوله: «...
عن أنس بن مالك قال: ما خاطبنا نبي الله صلى الله عليه وسلم إلا قال: «لا إيمان لمن
لا أمانة له...» وهو أيضا فيه ١٥٤/٣، ٢١٠، ٢٥١.

فيه كنفى غيره، كقوله: «لا صلاة إلا بأَم القرآن»^(٣). وقوله للمسيء: «ارجع فصل فإنك لم تصل»^(٤). وقوله للمتفرد خلف الصف لما أمره بالإعادة: «لا صلاة لعد خلف الصف»^(٥). وقوله: «من سمع النداء ثم لم يُجب من غير عذر فلا صلاة له»^(٦).

ومن قال من الفقهاء: إن هذا لنفي الكمال.

قيل له: إن أردت الكمال المستحب؛ فهذا باطل لوجهين: أحدهما: أن هذا لا يوجد قط في لفظ الشارع: أنه ينفي عملا فعله العبد على الوجه الذي وجب عليه، ثم ينفيه لترك بعض المستحبات. بل الشارع لا ينفي عملا إلا إذا لم يفعله العبد كما وجب عليه.

(١) و: إلا بفاتحة الكتاب. وجاء الحديث بلفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» ولفظ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأَم القرآن» عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه فى: البخارى ١٤٧/١ - ١٤٨ (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم...); مسلم ٢٩٥/١ (كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة...); سنن أبى داود ٣٠١/١ (كتاب الصلاة، باب من ترك القراءة فى صلاته بفاتحة الكتاب) ولفظه: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب فصاعدا». والحديث فى سنن الترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى والموطأ والمسند. وتكلم عليه الألبانى كلاما مفصلا فى «إرواء الغليل» ١٠/٢ - ١٢ (حديث رقم ٣٠٢).

(٢) سبق الحديث قبل صفحات. (٣) سبق الحديث قبل صفحات.

(٤) جاء الحديث بلفظ «من سمع النداء فلم يأتها فلا صلاة له إلا من عذر» عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: سنن ابن ماجه ٢٦٠/١ (كتاب المساجد والجماعات، باب التغليظ فى التخلف عن الجماعة). وجاء الحديث بهذا اللفظ مرة ولفظ: «من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له فى الاستدراك للحاكم ٢٤٥/١ (كتاب الصلاة) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجه» ووافقه الذهبى. وصحح الألبانى الحديث فى «إرواء الغليل» ٢٣٧/٢ - ٢٣٨ وتكلم عليه وعلى روايات أخرى له.

الثانى : أنه لو نفى بترك مستحب ، لكان عامة الناس لا صلاة لهم ولا صيام . فإن الكمال المستحب متفاوت ، ولا أحد يصلى كصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أفكل من لم يكملها كتكميل الرسول يُقال : لا صلاة له ؟

فإن قيل : فهؤلاء الذين يتركون فرضا من الصلاة أو غيرها / يؤمرون بإعادة الصلاة ، والإيمان إذا ترك بعض فرائضه لا يؤمر باعادته ؟
قيل : ليس الأمر بالإعادة مطلقا ، بل يؤمر بالممكن ؛ فإن أمكن الإعادة أعاد ، وإن لم يمكن أمر أن يفعل حسنات غير ذلك ، كما لو ترك الجمعة ؛ فإنه وإن أمر بالظهر فلا تسد مسد الجمعة ، بل الإثم الحاصل بترك الجمعة لا يزول جميعه بالظهر .

وكذلك من ترك واجبات الحج عمدا ؛ فإنه يؤمر بها ما دام يمكن فعلها فى الوقت ، فإذا فات الوقت أمر بالدم الجابر ، ولم يكن ذلك مسقطا عنه إثم التفويت* مطلقا ، بل هذا الذى يمكنه من البدل ، وعليه أن يتوب توبة تغسل إثم التفويت* ، كمن فعل محرما فعليه أن يتوب منه توبة تغسل إثمه ، ومن ذلك أن يأتى بحسنات تمحوه . وكذلك من فوت واجبا لا^(١) يمكنه استدراكه ، وأما إذا أمكنه استدراكه فعله بنفسه .

وهكذا نقول^(٢) فيمن ترك بعض واجبات الإيمان ، بل كل ما مور تركه فقد ترك جزءا من إيمانه ، فيستدركه بحسب الإمكان ، فإن فات وقته تاب وفعل حسنات آخر غيره .

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (ح) .

(٢) ن ، م ، و : يقول .

(١) ح ، ب : لم .

ولهذا كان الذى اتفق عليه العلماء أنه يمكن إعادة الصلاة فى الوقت الخاص والمشارك^(١)، كما يصلى الظهر بعد دخول العصر، ويؤخر^(٢) العصر إلى الإصفرار؛ فهذا تصح صلاته وعليه إثم التأخير، وهو من المذمومين فى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون: ٤، ٥]، وقوله: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ [سورة مريم: ٥٩]، فإن تأخيرها^(٣) عن الوقت الذى يجب فعلها فيه هو إضاعة لها وسهو عنها بلا نزاع أعلمه [بين العلماء]^(٤). وقد جاءت الآثار بذلك عن الصحابة والتابعين.

وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الأمراء الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها: «صلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة»^(٥). وهم إنما كانوا يؤخرون الظهر إلى وقت العصر، والعصر

(١) و: أو المشترك.

(٢) و: أو يؤخر.

(٣) فإن تأخيرها: كذا فى (ب) فقط. وفى سائر النسخ: فإن إضاعتها تأخيرها. وفى (ن): فإن إضاعتها تأخرها.

(٤) بين العلماء: ساقطة من (ن)، (م).

(٥) الحديث فى: مسلم ٤٤٩/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة...) ونصه... عن أبى العالية البراء، قال: قلت لعبدالله بن الصامت: نصلى يوم الجمعة خلف أمراء، فيؤخرون الصلاة. قال فضرب فخذى ضربة أوجعتنى. وقال: سألت أبا ذر عن ذلك، فضرب فخذى، وقال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: «صلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا صلاتكم معهم نافلة». قال: وقال عبدالله: ذكر لى أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ضرب فخذى أبى ذر. والحديث عن أبى ذر رضى الله عنه أيضا فى: سنن الدارمى ٢٧٩/١ (كتاب الصلاة، باب الصلاة خلف من يؤخر الصلاة عن وقتها)؛ المسند (ط. الحلبي) ١٥٩/٥. وانظر ٣٣٨/٤.

إلى وقت الاصفرار. وذلك مما هم مذمومون عليه. ولكن ليسوا كمن تركها أو فوتها حتى غابت الشمس؛ فإن هؤلاء أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتالهم، ونهى عن قتال أولئك. فإنه لما ذُكر أنه سيكون أمراء يفعلون ويفعلون. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال «لا، ما صلوا»^(١) وقد أُخبر عن هذه الصلاة التي يؤخرونها، وأمر أن تُصلى في الوقت، وتعاد معهم نافلة؛ فدل على صحة صلاتهم، ولو كانوا لم يصلوا لأمر بقتالهم. وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك [العصر]»^(٢) مع قوله أيضا في [الحديث] الصحيح^(٣): «تلك صلاة المنافق، تلك صلاة المنافق، يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا»^(٤).

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١١٦/١.

(٢) العصر: في (و)، (ب) فقط. والحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ «من أدرك من الصبح ركعة قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر» في: البخارى ١١٦/١ (كتاب مواقيت الصلاة وفضلها، باب من أدرك من الفجر ركعة)؛ مسلم ٤٢٤/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة). وجاء الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه بلفظ: «إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته..» الحديث. وهو في البخارى ١١٢/١ (كتاب مواقيت الصلاة، باب من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب)؛ مسلم ٤٢٥/١ (الموضع السابق) وتكلم الألبانى على الحديثين في «إرواء الغليل» ٢٧٢/١ - ٢٧٥ (رقم ٢٥٢، ٢٥٣).

(٣) ن، م: في الصحيح.

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في: مسلم ٤٣٤/١ (كتاب المساجد...، باب استحباب التكبير بالعصر)؛ سنن الترمذى ١٠٧/١ (كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء

وثبت عنه في الصحيحين^(١) أنه قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما
وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»^(٢). وثبت عنه في الصحيحين^(٣) أنه قال: «من ترك صلاة
العصر فقد حبط عمله»^(٤). وقال أيضا: «إن هذه الصلاة عرضت على
من كان قبلكم فضيَعوها، فمن حافظ عليها كان له الأجر مرتين»^(٥).

وقد اتفق العلماء على ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من قوله
«من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها فإن ذلك وقتها»^(٦). فاتفقوا

في تعجيل العصر؛ سنن النسائي ٢٠٣/١ (كتاب المواقيت، باب التشديد في تأخير
العصر). وقد سبق الحديث ٣١/٤.

(١) ن، م: وفي الصحيحين.

(٢) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما بلفظ: «الذي تفوته صلاة العصر... الخ في:
البخارى ١١١/١ (كتاب المواقيت، باب إثم من فاتته العصر؛ مسلم ٤٣٥/١ (كتاب
المساجد...، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر)، ٤٣٦/١ (بلفظ: من فاتته...)
والحديث في مواضع أخرى في البخارى ومسلم وفي كتب السنن وفي الموطأ والمسند.

(٣) ن، م: وفي الصحيحين.

(٤) الحديث عن بريده رضي الله عنه في: البخارى ١١١/١ (كتاب مواقيت الصلاة، باب
من ترك العصر؛ سنن النسائي ١٩١/١ (كتاب الصلاة، باب من ترك صلاة العصر).
وتكلم الألبانى على الحديث في (إرواء الغليل) رقم ٢٥٥.

(٥) الحديث عن أبي بصرة الغفارى رضي الله عنه في: مسلم ٥٦٨/١ (كتاب صلاة
المسافرين، باب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها) وأوله: صلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم العصر بالمخمس فقال... وآخره:.. كان له أجره مرتين، ولا صلاة بعدها
حتى يطلع الشاهد (والشاهد: النجم). والحديث في: سنن النسائي ٢٠٨/١ (كتاب
المواقيت، باب تأخير المغرب؛ المسند (ط. الحلبي) ٣٩٦/٦ - ٣٩٧.

(٦) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه - مع اختلاف في الألفاظ - في: البخارى
١١٨/١ - ١١٩ (كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها...)
مسلم ٤٧٧/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة...).

على أن النائم يصلي إذا استيقظ، والناسي إذا ذكر، وعليه قضاء الفائتة على الفور عند جمهورهم، كمالك وأحمد بن حنبل وأبي حنيفة وغيرهم. وأما الشافعي فيجعل قضاء النائم والناسي على التراخي، ومن^(١) نسي بعض واجباتها فهو كمن نسيها، فلو صلى ثم ذكر بعد خروج الوقت أنه كان على غير وضوء أعاد، كما أعاد عمر وعثمان وغيرهما لما صلوا بالناس، ثم ذكروا بعد الصلاة أنهم كانوا جنباً فأعادوا، ولم يأمروا المأمومين بالإعادة.

وفي حديث عمر أنه لم يذكر إلا بعد طلوع الشمس^(٢). وكذلك إذا أخرها تأخيراً يرى أنه جائز. كما أخرها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب وصلّاها بعد مغيب الشمس^(٣) فإن ذلك التأخير إما أن يكون لنسيان منه، أو لأنه كان جائزاً إذا كانوا مشغولين بقتال العدو أن يؤخروا الصلاة.

والحديث في: سنن أبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه والدارمي والمسند والموطأ، وانظر «إرواء الغليل» ٢٩١/١ - ٢٩٣.

(١) ن، م: فمن.

(٢) لعن ابن تيمية يقصد بذلك حديث ابن مسعود رضى الله عنه، وهو في المسند (ط. المعارف) ٢٤٠/٥ (رقم ٣٦٥٧) ولفظه.. أقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا، فنزلنا دهاسا (أى سهلا) من الأرض، فقال: «من يكلؤنا؟» فقال بلال: أنا. قال: «إذن تنام». قال: لا. فنام حتى طلعت الشمس، فاستيقظ فلان وفلان، فيهم عمر، فقال: اهضبوا. فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «افعلوا ما كنتم تفعلون» فلما فعلوا، قال: «هكذا فافعلوا، لمن نام منكم أو نسي». وضح أحمد شاكر الحديث. وانظر «إرواء الغليل» ٢٩٣/١. وجاء الحديث مختصراً في: سنن أبي داود ١٧٩/١ (كتاب الصلاة، باب من نام عن الصلاة أو نسيها).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤١١/٣.

والعلماء لهم في ذلك ثلاثة أقوال: قيل: يصلى حال القتال ولا يؤخر [الصلاة]^(١)، وتأخير الخندق منسوخ. وهذا مذهب مالك والشافعي والإمام أحمد / في المشهور عنه.

٥٣ / ٣

وقيل: يختير بين تقديمها وتأخيرها. لأن الصحابة لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، كانت طائفة منهم أخرت^(٢) الصلاة فصلوا بعد غروب الشمس، وكانت منهم طائفة / قالوا: لم يُرد منا إلا المبادرة إلى العدو لا تفويت^(٣) الصلاة. فصلوا في الطريق، فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم أحداً من الطائفتين. والحديث في الصحيحين من حديث ابن عمر^(٤). وهذا قول طائفة من الشاميين وغيرهم، وهو إحدى الروايتين عن أحمد.

ظ ١٩٧

وقيل: بل يؤخرونها كما فعل يوم الخندق. وهو مذهب أبي حنيفة. ففي الجملة كل من أخرها تأخيراً يُعذر به إما لنسيان أو لخطأ في الاجتهاد فإنه يصلها بعد الوقت، كمن ظن أن الشمس لم تطلع فأخرها حتى طلعت، أو ظن أن وقت العصر باقٍ فأخرها حتى غربت فإن هذا يصلى. وعلى قول الأكثرين ما بقي تأخيرها جائزاً حتى تغرب الشمس، ومن قال: إنه يجوز التأخير فإنه يصلها، ولو أخرها باجتهاده فإنه يصلها. وإن قيل: إنه أخطأ في اجتهاده^(٥)، وليس هذا من أهل الوعيد

(١) الصلاة: زيادة في (ح)، (ب).

(٢) ب (فقط): أخرها.

(٣) أ: ولا تفوت؛ م: لا تفوت؛ ن: ولا تفويت.

(٤) وهو الحديث الذي أشرت إليه قبل قليل وسبق فيما مضى ٤١١/٣.

(٥) ح، ب: أخطأ باجتهاده.

المذكور في قوله: «من ترك صلاة العصر [فقد]»^(١) حبط عمله»^(٢) فإن هذا مجتهد متأول مخطيء. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان»^(٣). وهو حديث حسن، وقد دل عليه القرآن والحديث الصحيح^(٤).

وأما من فوتها عمدا عالما بوجوبها، أو فوت بعض واجباتها الذى يعلم وجوبه منها؛ فهذا مما تنازع فيه العلماء. فقيل فى الجميع: يصح أن يصلّيها بعد التفويت، ويجب ذلك عليه، ويثاب على ما فعل، ويعاقب على التفويت، كمن آخر الظهر إلى وقت العصر، والمغرب والعشاء إلى آخر الليل من غير عذر.

وهذا قول أبى حنيفة والشافعى وأحمد يقولون^(٥): هو^(٦) فى كل صلاة وجب إعادتها فى الوقت فيجب إعادتها بعد الوقت. وأما مالك وغيره من أهل المدينة فيفرقون بين ما يعاد فى الوقت وما يعاد بعد خروج الوقت، فما لم يكن فرضا بل واجبا - وهو الذى يسمونه سنة - أمروا بإعادة الصلاة إذا تركه فى الوقت، كمن صلى بالنجاسة. وأما ما كان فرضا، كالركوع والسجود والطهارة، فإنه بمنزلة من لم يصل، فيعيد بعد الوقت.

(١) فقد: ساقطة من (ن)، (م)، (أ).

(٢) مضى الحديث قبل صفحات.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل ٤٥٨/٤.

(٤) الصحيح: ساقطة من (ح)، (ى)، (ن).

(٥) أ، ح، و، ر، ى: يقولونه.

(٦) هو: زيادة فى (ن)، (م).

(٧) ب (فقط): وجبت.

وقد أنكر عليهم كثير من الناس التفريق بين الإعادة في الوقت وبعده .
وصنّف المزنّي مصنّفًا ردّ فيه على مالك ثلاثين مسألة منها هذه . وقد ردّ
على المزنّي الشيخ أبو بكر الأبهري^(١) وصاحبه القاضي عبد الوهاب .
وعمدتهم أن الصلاة إن^(٢) فعلت - كما أمر بها العبد - فلا إعادة عليه في
الوقت ولا بعده، وإن لم تفعل كما أمر بها العبد فهي في ذمته، فيعيدها
في الوقت وبعده . وأهل المدينة يقولون : فعلها في الوقت واجب ليس
لأحد قط أن يؤخرها عن الوقت، فإن كان الوقت أوكد مما ترك لم يعد بعد
الوقت، لأنه ما بقي بعد الوقت يمكنه تلافيها؛ فإن الصلاة مع النجاسة
أو عريانا خير من الصلاة بلا نجاسة بعد الوقت، فلو أمرناه أن يعيدها بعد
الوقت لكننا نأمره بأنقص مما صلّى، وهذا لا يأمر به الشارع، وهذا
بخلاف من ترك ركنا منها، فذاك بمنزلة من لم يصل، فيعيد بعد الوقت .

وهذا الفرق مبنى على أن الصلاة من واجباتها^(٣) ما هو ركن لا تتم إلا
به، ومنها ما هو واجب تتم بدونه^(٤)، إما مع السهو وإما مطلقا . وهذا قول
الجمهور، وأبو حنيفة يوجب فيها ما لا يجب بتركه الإعادة بحال . فإذا

(١) ن، م : البهري، وهو تحريف . وهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن صالح التميمي
الأبهري، ولد سنة ٢٨٩ وتوفي سنة ٣٧٥، له تصانيف في شرح مذهب مالك والرد على
مخالفيه . انظر ترجمته في : تاريخ بغداد ٥/٤٦٢ - ٤٦٣ ؛ الأعلام ٧/٩٨ .

(٢) ن، م : إذا .

(٣) بعد عبارة «من واجباتها» يوجد سقط طويل في نسخة (ي) يظهر أنه كان نتيجة ضياع أوراق
من المخطوطة إذ أن الكلام في الصفحة التالية يبدأ بعبارة «به الشرك بل أرادت التقى الذي
لا يقدم على الفجور» ووجدت هذه العبارة في ص ٧٣/٣ (ب) .

(٤) ر، ح : تتم به .

أوجب أهل المدينة فيها ما يجب بتركه الإعادة في الوقت، كان أقرب إلى الشرع. وأحمد - مع مالك - يوجبان فيها ما يسقط بالسهو ويُجبر بالسجود، ثم ذلك الواجب إذا تركه عمدا أمره أحمد في ظاهر مذهبه بالإعادة كما لو ترك فرضا، وأما مالك ففي مذهبه قولان فيمن ترك ما يجب السجود لتركه سهوا، كترك التشهد الأول، وترك تكبيرتين فصاعدا، أو قراءة^(١) السورة والجهر والمخافتة في موضعهما.

وقد اتفق الجميع على أن واجبات الحج منها ما يُجبر الحج مع تركه، ومنها ما يفوت الحج مع تركه فلا يجبر، كالوقوف بعرفة، فكذلك^(٢) الصلاة.

وقالت طائفة ثالثة: ما أمر الله به في الوقت إذا ترك لغير عذر حتى فات وقته لم يمكن فعله بعد الوقت، كالجمعة، والوقوف بعرفة، ورمى الجمار؛ فإن الفعل / بعد الوقت عبادة لا تُشرع إلا إذا شرعها الشارع، فلا تكون مشروعة إلا بشرعه، ولا واجبة إلا بأمره. وقد اتفق المسلمون على أن من فاته الوقوف بعرفة لعذر أو لغيره^(٣) لا يقف بعرفة بعد طلوع الفجر، وكذلك رمى الجمار لا تُرمى بعد أيام منى، سواء فاتته^(٤) لعذر أو لغير عذر^(٥). كذلك الجمعة لا يقضيها الإنسان سواء فاتته بعذر أو بغير

(١) أو قراءة: كذا في (م)، (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: وقراءة.

(٢) ن، م: وكذلك.

(٣) ن، م، و: أو غيره.

(٤) أ: فاتته؛ ن، م: فاتت.

(٥) ن، م: لعذر أو غيره؛ ح: لعذر أو بغير عذر؛ و، ر: بعذر أو بغير عذر.

عذر^(١)، وكذلك لو فوتها^(٢) أهل المصر كلهم لم يصلوها^(٣) يوم السبت .
وأما الصلوات الخمس فقد ثبت أن المعذور يصلها إذا أمكنه، كما
قال النبي صلى الله عليه وسلم «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا
ذكرها، فإن ذلك وقتها لا كفارة لها إلا ذلك»^(٤). وكذلك صوم رمضان أمر
الله المسافر والمريض والحائض أن يصوموا^(٥) نظيره في أيام آخر.
والوقت المشترك بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء [وقت^(٦)] لجواز
فعلها^(٧) جميعاً عند العذر، وإن فعلنا لغير عذر ففعلها آثم، لكن هذه
قد فعلت في وقت هو وقتها في الجملة .

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة خلف الأمراء الذين
يؤخرون الصلاة، ونهى عن قتالهم، مع ذمهم وظلمهم . وأولئك كانوا
يؤخرون الظهر إلى العصر، فجاءت طائفة من الشيعة^(٨) فصاروا
يجمعون بين الصلاتين في وقت الأولى دائماً من غير عذر، فدخل في
الوقت المشترك من جواز الجمع للعذر، من تأويل الولاة وتصحيح
الصلاة مع إثم التفويت، ما لم يدخل في التفويت المطلق؛ كمن يفطر
شهر رمضان عمداً ويقول: أنا أصوم في شوال، أو يؤخر الظهر والعصر

(١) ن: بعذر أو بغيره؛ م: بعذر ولا بغيره.

(٢) ح: لوسهى .

(٣) و: وكذلك لو فوت أهل المصر كلهم صلاة الجمعة يوم الجمعة لم يصلوها .

(٤) سبق الحديث قبل صفحات (ص ٢١٢) .

(٥) أ، و، ز: أن يصوم؛ ح، ب: أن تصوم .

(٦) وقت: ساقطة من (ن)، (م)، (و) .

(٧) ن، م: فعلها . (٨) و: طائفة ثالثة من الشيعة .

عمداً، ويقول: أصليهما بعد المغرب، ويؤخر^(١) / المغرب والعشاء ويقول: ص ١٩٨
أصليهما بعد الفجر، أو يؤخر الفجر ويقول: أصليها بعد طلوع
الشمس، فهذا تفويت محض بلا عذر.

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر
فكانما وتر أهله وماله»، وقال: «من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله»^(٢)،
فلو كان يمكنه الاستدراك لم يحبط عمله. وقوله: «وتر أهله وماله» أى
صار وترًا لأهل له ولا مال، ولو كان فعلها ممكناً بالليل لم يكن موتوراً.

وقال: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك»^(٣)
فلو كان فعلها بعد المغرب صحيحاً مطلقاً، لكان مدرِكاً، سواء أدرك
ركعة أو لم يدرك؛ فإنه لم يرد أن من أدرك ركعة صحت صلاته بلا إثم،
بل يآثم بتعمد ذلك، كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، فإنه أمر بأن
تُصلى الصلاة لوقتها الذى حدّه، وأن لا يؤخر العصر إلى ما بعد
الاصفرار، ففعلها قبل الاصفرار واجب بأمره، وقوله «صلوا الصلاة
لوقتها»^(٤)، فعلم أن هذا الإدراك لا يرفع الإثم عن غير المعذور، بل يكون

(١) ب (فقط): أو يؤخر.

(٢) مضى هذان الحديثان قبل صفحات (ص ٢١٢).

(٣) ب (فقط): فقد أدرك العصر. وسبق الحديث قبل صفحات (ص ٢١١).

(٤) سبق هذا الحديث مطولاً قبل صفحات ٢٠٩/٥. وهذه العبارة جزء من عدة أحاديث
وجاءت أحياناً بلفظ «صل الصلاة لوقتها» وأحياناً بلفظ «صلوا الصلاة لوقتها» وجمع مسلم
هذه الأحاديث فى صحيحه ٤٤٨/١ - ٤٤٩ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب
كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار. . .) وهى أحاديث عن أبى ذر رضى الله عنه جاء
فى أولها: قال لى رسول الله: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها،
==

قد صلاها مع الإثم، فلو كانت أيضا تصلى بعد المغرب مع الإثم، لم يكن فرق بين من يصلّيها عند الاصفرار أو يصلّيها بعد الغروب، إلا أن يُقال: ذاك أعظم إثما. ومعلوم أنه كلما أخرها كان أعظم إثما، فحيث جاز القضاء مع وجوب التقديم كلما أخر القضاء كان أعظم لإثمه.

ومن نام عن صلاة أو نسيها فعليه أن يصلّيها إذا ذكرها؛ [فإن ذلك وقتها]^(١). وإذا أخرها من غير عذر أثم، كما يَأثم من أخر الواجب على الفور، ويصح فعلها بعد ذلك، فلو كانت العصر بعد المغرب بهذه المنزلة، لم يكن لتحديد وقتها بغروب الشمس، وقوله: «من أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس»^(٢) فائدة، بل كانت تكون كالواجب على الفور إذا أخره، أو كانت تكون كالمغرب إذا أخرها إلى وقت العشاء. ومعلوم أن هذا قد يجوز - بل يُسنّ - كما في ليلة المزدلفة، كما يُسنّ تقديم العصر إلى وقت الظهر يوم عرفة بالسنة المتواترة واتفاق المسلمين.

أو يمتنون الصلاة عن وقتها؟ قال: قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة»، وفي آخر حديث (رقم ٢٤٤) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «صلو الصلاة لوقتها واجعلوا صلاتكم معهم نافلة». وجاء الحديث عن أبي ذر وبمعناه عن ابن مسعود وعبادة بن الصامت رضى الله عنهم فى: سنن أبى داود ١٧٣/١ - ١٧٤ (كتاب الصلاة، باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت)؛ سنن الترمذى ١١٣/١ - ١١٤ (كتاب مواقيت الصلاة، باب ما جاء فى تعجيل الصلاة إذا أخرها الإمام)؛ سنن ابن ماجة ٣٩٨/١ - ٣٩٩ (كتاب إقامة الصلاة...، باب ما جاء فيما إذا أخروا الصلاة عن وقتها).

(١) ما بين المعرفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٢) سبق هذا الحديث قبل صفحات فى هذا الجزء ١٢/٥.

وأما فعل العصر بعد المغرب^(١)، فلم يؤذن فيه قط لغير المعذور، كما لم يؤذن في صلاة المغرب قبل غروب الشمس. قال هؤلاء: والصلاة في الوقت واجبة على أى حال بترك جميع الواجبات لأجل الوقت، فإذا أمكنه أن يصلى في الوقت بالتييم، أو بلا قراءة، أو بلا إتمام ركوع وسجود، أو إلى غير القبلة، أو يصلى عريانا، أو كيفما أمكن - وجب ذلك عليه، ولم يكن له أن يصلى بعد الوقت مع تمام الأفعال. وهذا مما ثبت بالكتاب والسنة وعامة مجمع عليه.

٣ / ٥٥
فَعُلِمَ أن الوقت مقدّم على جميع / الواجبات. وحينئذ فمن صلى في الوقت بلا قراءة، أو عريانا متعمدا، ونحو ذلك، إذا أمر أن يصلى بعد الوقت بقراءة وسترة، كان ما أمر به دون ما فعله. ولهذا إذا لم يمكن إلا أحدهما، وجب أن يصلى في الوقت بلا قراءة ولا سترة، ولا يؤخرها ويصلى بعد الوقت بقراءة وسترة.

فَعُلِمَ أن ذلك التفويت^(٢) ما بقى استدراكه ممكنا، وأما المعذور فالله تعالى جعل الوقت في حقه متى أمكنه، فمن نسى الصلاة - أو بعض واجباتها - صلاها متى ذكرها^(٣)، وكان ذلك هو الوقت في حقه. وإذا قيل: صلاته في الوقت كانت أكمل.

قيل: نعم، لكن تلك لم تجب عليه لعجزه بالنوم والنسيان، وإنما وجب عليه أن يصلى إذا استيقظ وذكر، كما نقول في الحائض إذا طهرت

(١) ح، ب: بعد الغروب.

(٢) ح، ب: التوقيت.

(٣) ن، م، و: متى ذكر.

فى وقت العصر فهى حيثئذ مأمورة بالظهر والعصر، وتكون مصلية للظهر فى وقتها أداءً، وكذلك إذا طهرت آخر الليل صلت المغرب والعشاء، وكانت المغرب فى حقها أداءً، كما أمرها بذلك أصحاب رسول الله^(١) صلى الله عليه وسلم: عبدالرحمن بن عوف، وابن عباس، وأبو هريرة رضى الله عنهم، ولم يُنقل عن صحابى خلافه.

وهذا يدل على أن هذا من السنة التى كان الصحابة يعرفونها؛ فإن مثل هذا يقع على عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، حيث جعل الله المواقيت ثلاثة فى حق المعذور، وهذه معذورة. وهذا مذهب مالك والشافعى وأحمد [بن حنبل]^(٢)، وهويدل على أن الوقت مشترك فى حق المعذور، فلا يحتاج أن ينوى الجمع، كما هو قول الأكثرين: أبى حنيفة ومالك والإمام أحمد وقدماء أصحابه.

لكن الشافعى، وطائفة من أصحاب أحمد، كالخرقى ومن وافقه، قالوا: تجب النية فى القصر والجمع. وجمهور العلماء على أنه لا تجب النية لا لهذا ولا لهذا. وهذا مذهب مالك وأبى حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه^(٣)، وهو الصواب، كما بسط فى غير هذا الموضع^(٤).

وقضية^(٥) الحائض مما يبين أن فعل الصلاة فى غير وقتها الذى أمر بها

(١) ح، ب: النبى.

(٢) بن حنبل: زيادة فى (ح)، (ب).

(٣) عبارة «وقدماء أصحابه»: ساقطة من (ب) فقط.

(٤) ن، م: فى موضعه. (٥) وقضية: كذا فى (أ) وفى سائر النسخ: قصة.

فيه غير ممكن؛ فإن ذلك لو كان ممكنا لكانت الحائض تؤمر بقضاء الصلاة أمر إيجاب أو [أمر] استحباب^(١).

فإذا قيل: يسقط القضاء عنها تخفيفا.

قيل: فلو أرادت أن تصلى قضاء لتحصل^(٢) ثواب الصلاة التي فاتتها، لم يكن هذا مشروعا باتفاق العلماء، وكان لها أن تصلى من النوافل ما شاءت؛ فإن تلك الصلاة لم تكن مأمورة بها في وقتها. والصلاة المكتوبة لا يمكن فعلها إلا في الوقت الذي أمر به العبد، فلم يجز فعلها بعد ذلك. وكل من كان معذورا من نائم وناسٍ ومخطيء، فهؤلاء مأمورون بها في الوقت الثاني، فلم يصلوا إلا في وقت الأمر، كما أمرت الحائض والمسافر والمريض بقضاء رمضان، وقيل في المتعمد لفطره: لا يجزيه صيام الدهر ولو صامه.

قالوا: والناسي إنما أمر بالصلاة إذا ذكرها، لم يؤمر بها قبل ذلك. وذلك هو الوقت في حقه، فلم يصل إلا في وقتها، وكذلك النائم إذا استيقظ إنما صلى في الوقت.

قالوا: ولم يجوز الله لأحد أن يصلى الصلاة لغير وقتها، ولا يقبلها منه في غير وقتها البتة. وكذلك شهر رمضان. وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أفطر يوما من رمضان لم يقضه صيام الدهر وإن صامه»^(٣) قالوا: وإنما يقبل الله صيامه في غير الشهر من المعذور،

(١) ن، م، و، أ: إيجاب أو استحباب.

(٢) ن، م: لتحصيل.

(٣) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في: البخارى ٣٢/٣ (كتاب الصوم، باب إذا جامع =

كالمريض والمسافر والحائض ، ومن اشتبه عليه الشهر فتحرى فصام بعد ذلك ، فإنه يجزيه الصيام ، أما المعتمد للفطر فلا .

١٩٨ ظ قالوا : ولهذا لم يأمر / النبي صلى الله عليه وسلم الذي جامع أهله في رمضان بصوم ، بل أمره بالكفارة فقط . وقد جاء ذكر أمره بالقضاء في حديث ضعيف ضعفه العلماء : أحمد بن حنبل وغيره^(١) . وكذلك جاء في الذي يستقئ عمدا أنه يعيد ، وهذا لم يثبت رفعه ، وإنما ثبت أنه موقوف على أبي هريرة . ويتقدير صحته فيكون المراد به المعذور الذي اعتقد أنه يجوز له الاستقئ ، أو المريض الذي احتاج إلى أن يستقئ فاستقئ ؛ فإن الاستقئ لا تكون في العادة إلا لعذر ، وإلا فلا يقصد العاقل أن يستقئ بلا حاجة^(٢) ، فيكون المستقئ متداويا بالاستقئ ، كما يتداوى

في رمضان)؛ سنن أبي داود ٤٢٢/٢ - ٤٢٣ (كتاب الصوم ، باب التغلظ فيمن أفطر عمدا)؛ سنن الترمذى ١١٣/٢ (كتاب الصوم ، باب ما جاء في الإفطار متعمداً) .
(١) انظر كلام ابن قدامة في «المغنى» ١٠٩/٣ - ١١٠ عن حكم من جامع أهله في رمضان ، ورأى فقهاء المذاهب فيها . ورأى وجوب القضاء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمجامع «وصم يوماً مكانه» رواه أبو داود بإسناده وابن ماجه والأثرم . وأما الكفارة فتلزمه للحديث المتفق عليه عن أبي هريرة قال : بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله هلكت . قال : «مالك؟» . قال : وقعت على امرأتى في رمضان وأنا صائم . . الحديث . وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالعق أو بصيام شهرين متتابعين أو بإطعام ستين مسكيناً ، فلم يستطع ، فأعطاه عرق فيه تمر وأمره بالتصدق به ، فقال الرجل إنه لا يوجد من هو أفقر من أهل بيته ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : «أطعمه أهلك» . وانظر ما ذكره الألباني في «إرواء الغليل» ٨٨/٤ - ٩٣ وكلامه على الحديثين ومخالفته لابن تيمية في مسألة القضاء فانه استشهد بكلام ابن حجر في المنتح (١٥٠/٤) حيث قال «والمجموع هذه الطرق تعرف أن لهذه الزيادة (وهي قول النبي : وأمره أن يصوم يوماً مكانه) أصلاً» .

(٢) ن ، م : لغير حاجة .

بالأكل، وهذا يُقبل منه القضاء ويؤمر به. وهذا الحديث ثابت عن أبي هريرة، وإنما اختلف في رفعه، وبكل حال هذا معناه^(١).

٥٦ / ٣ فإن أبا هريرة هو الذي / روى حديث الأعرابي، وحديث: «من أفطر يوماً من رمضان لم يقضه صيام الدهر» فتحمل أحاديثه على الاتفاق لا على الاختلاف. وهذا قول طائفة من السلف والخلف، وهو قول أبي عبد الرحمن صاحب الشافعي، و[هو] قول^(٢) داود بن عليّ، وابن حزم^(٣)، وغيرهم.

قالوا: والمنازعون لنا ليس لهم قط حجة يردّ إليها عند التنازع، وأكثرهم يقولون: لا يجب القضاء إلا بأمر ثانٍ، وليس معهم هنا أمر. ونحن لا ننازع في وجوب القضاء فقط، بل ننازع في قبول القضاء منه وصحة الصلاة في غير وقتها، فنقول: الصلوات الخمس في غير وقتها المختص والمشارك، المضيق والموسع، كالجمعة في غير وقتها، وكالحج في غير وقته، وكرمى الجمار في غير وقتها. والوقت صفة للفعل، وهو من أكد واجباته، فكيف تُقبل العبادة بدون صفاتها^(٤) الواجبة فيها؟

(١) انظر كلام الألباني على هذا الحديث في «إرواء الغليل» ٥١/٤ - ٥٣ وقد صححه مرفوعاً ونصه: عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء فليقض». على أن للحديث وجهاً آخر ضعيف (انظر ٥٣/٤).

(٢) ن، م: وقول.

(٣) انظر ما ذكره ابن حزم في وجوب القضاء على من استقاء وعدم وجوب القضاء على المتعمد

للجماع في رمضان في «المحلى» ١٧٥/٦ - ١٧٧، ١٨٠ - ١٨٥.

(٤) ح، ب: صفتها.

وهو لو صَلَّى إلى غير القبلة بغير عذر لم تكن صلاته إلا باطلة، وكذلك إذا صَلَّى قبل الوقت المشترك لغير عذر، مثل أن يصلي الظهر قبل الزوال، والمغرب قبل المغيب، ولو فعل ذلك متأولاً، مثل الأسير إذا ظن دخول شهر رمضان فصام، ومثل المسافر في يوم الغيم وغيرهما إذا اجتهدوا فصلوا الظهر: قبل الزوال أو المغرب قبل الغروب؛ فهؤلاء في وجوب الإعادة عليهم قولان معروفان للعلماء. والنزاع في ذلك في مذهب مالك والشافعي. والمعروف من مذهب أحمد أنه لا يُجزئهم، ولو فعلوا ذلك في الوقت المشترك، كصلاة العصر في وقت الظهر، والعشاء قبل مغيب الشفق، فقياس الصحيح من مذهب أحمد أن ذلك يجزىء، فإنه جَمَعَ لعذر، وهو لا يشترط النية، وقد نصَّ على أن المسافر إذا صَلَّى العشاء قبل مغيب الشفق أجزاءه لجواز الجمع له، وإن كان لم يصلها مع المغرب، ولهذا يستحب له مع أمثاله تأخير الظهر وتقديم العصر، وتأخير المغرب وتقديم العشاء، كما نُقل عن السلف. فدل على أن الثانية إذا فُعلت هنا قبل الوقت الخاص أجزأته.

قالوا: فالنزاع في صحة مثل هذه الصلاة، كالنزاع في رمي الجمار [لا يُفعل بعد الوقت] (١).

قال لهم الأولون: ما قسمت عليه من الجمعة والحج ورمي الجمار لا يفعل بعد الوقت المحدود في الشرع بحالٍ، لا لمعدورٍ ولا لغير معدور (٢). فَعُلم أن هذه الأفعال مختصة بزمان كما هي مختصة بمكان.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و).

(٢) ن، م، و: ولا لغيره.

وأما الصلوات الخمس فيجوز فعلها للمعذور بعد انقضاء الأوقات، فعلم أنه يصح فعلها في غير الوقت، وأن الوقت ليس شرطا فيها، كما هو شرط في تلك العبادات.

قال الآخرون: الجواب من وجهين: أحدهما: أن يُقال: هب أنه يجوز فعل الصلاة بعد وقتها للمعذور، توسعةً من الله ورحمة^(١)، وأما النائم والناسي فلا^(٢) ذنب لهما، فوسّع الله لهما عند الذكر والانتباه، إذ كان لا يمكنهما الصلاة إلا حينئذ. فأى شيء في هذا مما يدل على جواز ذلك لمرتكب الكبيرة الذي لا عذر له في تفويتها؟ والحج إذا فاته في عام أمكنه أن يحج في عام قابل، ورمى الجمار إذا فاته جعل له بدل عنها وهو النسك. والجمعة إذا فاتت صلى الظهر. فكان^(٣) المعذور إذا فاتته هذه العبادات المؤقتة شرع له أن يأتي ببدلها، ولا إثم عليه، رحمة من الله في حقه. وأما غير المعذور فجعل له البدل أيضا في الحج، لأن الحج يقبل النيابة؛ فإذا مات الإنسان جاز أن يحج عنه، وإن كان مفرطاً^(٤)، فإذا جاز أن يحج عنه غيره فلأن يجوز أن يأتي هو بالبدل بطريق الأخرى والأولى؛ فإن الدم الذي يخرج هو أولى من فعل غيره عنه.

وأما الجمعة إذا فاتته، فإنما يصلى الظهر، لأنها الفرض المعتاد في كل يوم، لا لأنها بدل عن الجمعة، بل الواجب على كل أحد: إما

(١) ح، ر: ورحمة لهما.

(٢) أ، ب: لأن النائم والناسي لا...

(٣) ن، م، و: وكان.

(٤) ح: مفروضا.

الجمعة وإما الظهر؛ فإذا أمكنه^(١) الجمعة وجبت عليه، وإن لم يمكن
صلى الظهر، فإذا فاتت الجمعة أمكنه أن يصلى الظهر، فوجب عليه
صلاة الظهر. ولهذا لا يجوز فعلها عند أكثر العلماء إلا إذا فاتت
الجمعة.

وأما الصلاة المكتوبة فلا تدخلها النيابة بحال، وكذلك صوم رمضان
إن^(٢) كان قادرا عليه والإسقاط عنه الصوم، وأطعم هو عن كل يوم مسكينا
عند الأكثرين، وعند مالك لا شيء عليه. وأما ما وردت به السنة من صيام
الإنسان عن وليه، فذاك في النذر، كما فسرتة الصحابة الذين رووه بهذا،
كما يدل عليه لفظه؛ فإنه قال: «من مات وعليه صيام صام / عنه وليه»^(٣)
والنذر في ذمته وهو^(٤) عليه، وأما صوم رمضان فليس في ذمته ولا هو
عليه، بل هو ساقط عن العاجز عنه.

فلما كانت الصلوات الخمس وصيام رمضان لا يفعله أحد عن أحد
أصلا، لم يكن لهما بدل، بخلاف الحج وغيره، فلهذا وسع الشارع في
قضائهما للمعذور لحاجته إلى ذلك توسعةً منه ورحمة، وغيرهما لم يوسع
في قضائهما لأحد، لأنه لا حاجة [به]^(٥) إلى قضائهما لما شرع من البديل،

(١) ن، م: أمكنته؛ ح: أمكنت.

(٢) ح، ب: إذا.

(٣) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: البخارى ٣/٣٥ (كتاب الصوم، باب من مات

وعليه صوم)؛ مسلم ٢/٨٠٣ (كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت)؛ سنن أبى

داود ٢/٤٢٣ - ٤٢٤ (كتاب الصوم، باب فيمن مات وعليه صيام) وقال أبو داود: «هذا

في النذر، وهو قول أحمد بن حنبل».

(٥) به: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) ن، م، و: فهو.

ص ١٩٩ إما عبادة أخرى كالظهر عن الجمعة، والدم / عن واجبات الحج، وإما فعل الغير، كالحج عن المغصوب والميت.

فهذا يبين الفرق بين الصلاة والصوم وغيرهما، ويبين المعذور وغيره، ويبين أن من وسّع [فيهما] لغير المعذور^(١) كما يوسع للمعذور فقد أخطأ القياس.

الجواب الثاني: أنا لم نقس قياساً استفدنا به حكم الفرع من الأصل؛ فإن ما ذكرناه ثابت بالأدلة الشرعية التي لا تحتاج إلى القياس معها كما تقدم، لكن ذكرنا القياس ليتصور الإنسان ما جاء به الشرع في هذا، كما يضرب الله الأمثال للتفهيم والتصوير، لا لأن ذلك هو الدليل الشرعي.

والمراد بهذا القياس أن يُعرف أن فعل الصلاة بعد الوقت، حيث حرّم الله ورسوله تأخيرها، بمنزلة فعل هذه العبادات. والمقصود تمثيل الحكم بالحكم، لا تمثيل الفعل بالفعل، فيُعرف^(٢) أن المقصود أن الصلاة ما بقيت تُقبل ولا تصح، كما لا تقبل هذه ولا تصح؛ فإن من الجهال من يتوهم أن المراد بذلك تهوين^(٣) أمر الصلاة، وأن من فوّتها سقط عنه القضاء، فيدعو ذلك السفهاء إلى تفويتها.

وهذا لا يقوله مسلم، بل من قال: إن من فوّتها فلا إثم عليه، فهو كافر مرتد يُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل. ولكن تفويت الصلاة عمداً مثل تفويت شهر رمضان عمداً بإجماع المسلمين، فأجمع المسلمون كلهم من

(١) ن، م: أن من وسّع لغيره.

(٢) ن: فيعلم.

(٣) ح، ب: توهمين.

جميع الطوائف على أن من قال: لا أصلي صلاة النهار إلا بالليل، فهو كمن قال: لا أصوم رمضان^(١) إلا في شوال، فإن كان يستجيز تأخيرها ويرى ذلك جائزا له، فهو كمن يرى تأخير رمضان جائزا. وهذا وهذا يجب^(٢) استتابتهما باتفاق العلماء، فإن تابا واعتقدا وجوب فعل الصلاة والصوم في وقتها وإلا قتلا.

وكثير من العامة والجهال يعتقدون جواز تأخيرها إلى الليل بأدنى شغل، ويرى أن صلاتها بالليل خير من أن يصلّيها بالنهار مع الشغل، وهذا باطل بإجماع المسلمين، بل هذا كفر^(٣). وكثير منهم لا يرى جوازها في الوقت إلا مع كمال الأفعال، وأنه إذا صلاها بعد الوقت مع كمال الأفعال كان أحسن، وهذا باطل، بل كفر باتفاق العلماء.

ومن أسباب هذه الاعتقادات الفاسدة تجويز القضاء لغير المعذور، وقول القائل: إنها تصح وتقبل وإن أثم بالتأخير، فجعلوا فعلها بعد الغروب كفعل العصر بعد الاصرار، وذلك جمع بين ما فرق الله ورسوله بينه. فلو علمت العامة أن تفويت الصلاة كتفويت شهر رمضان باتفاق المسلمين، لاجتهدوا في فعلها في الوقت.

ومن جملة أسباب ذلك أن رمضان يشترك في صومه جميع الناس، والوقت مطابق للعبادة لا يُفصل^(٤) عنها، وليس له شروط كالصلاة. والصلاة وقتها موسّع، فيصلّي بعض الناس في أول الوقت وبعضهم في

(١) ن: لا أصوم شهر رمضان.

(٢) ح: وهذا قد يجب؛ ر، م: وهذا يجب؛ ب: وهذا يجب..

(٤) ح، ب: لا يفصل.

(٣) ن، م: بل هو كفر.

آخره، وكلاهما جائز، وفيها واجبات يظن الجهال أنه لا يجوز فعلها إلا مع تلك الواجبات مطلقاً، فيقولون: نفعلها بعد الوقت، فهو خير من فعلها في الوقت بدون تلك الواجبات.

فهذا الجهل أوجب تفويت الصلاة [التفويت] ^(١) المحرم بالإجماع، ولا يجوز أن يُقال لمن فوتها: لا شيء عليك، أو تسقط عنك الصلاة، وإن قال هذا فهو كافر، ولكن يبين له أنك بمنزلة من زنى وقتل النفس، وبمنزلة من أفطر في رمضان عمداً، إذ أذنبت ذنباً ما بقي له جبران يقوم مقامه، فإنه من الكبائر. بل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: الجمع بين الصلاتين من غير عذر من الكبائر.

فإذا كان هذا في الجمع من غير عذر، فكيف بالتفويت من غير عذر. وحيثُذ فعليك بالتوبة والاجتهاد في أعمال صالحة أكثر من قضائها، فصل صلوات كثيرة، لعله أن يكفر بها عنك ما فوته، وأنت مع ذلك على خطر، وتصدق فإن بعض الصحابة ألهاه بستانه عن صلاة المغرب فتصدق ببستانه.

وسليمان بن داود لما فاتته صلاة / العصر بسبب الخيل، طفق مسحاً بالسوق والأعناق، فعقرها كفارة لما صنع.

فمن فوت صلاة واحدة عمداً فقد أتى كبيرة عظيمة، فليستدرك بها أمكن من توبة وأعمال صالحة. ولو قضاها لم يكن مجرد ^(٢) القضاء رافعا إثم ما فعل بإجماع المسلمين. والذين يقولون: لا يُقبل منه القضاء، يقولون: تأمره بأضعاف القضاء، لعل الله أن يعفو عنه. وإذا قالوا: لا يجب القضاء إلا بأمر جديد، فلأن القضاء تخفيف ورحمة، كما في حق المريض والمسافر في رمضان. والرحمة والتخفيف تكون للمعذور والعاجز، لا تكون

(١) التفويت: ساقطة من (ن)، (م). (٢) مجرد: ساقطة من (ح)، (ر).

لأصحاب الكبائر المتعمدين لها، المفرطين في عمود الإسلام.
 والصلاة عمود الإسلام، ألا ترى إلى ما ثبت في الصحيح عن النبي
 صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه لما سُئِلَ عَمَّنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْحَجُّ
 فَعَجَزَ عَنْهُ، أَوْ نَذَرَ صِيَاماً أَوْ حَجًّا فَمَاتَ، هَلْ يُفْعَلُ عَنْهُ؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ
 لَوْ كَانَ عَلَى أَبِيكَ أَوْ أَمِّكَ دِينَ فَقَضَيْتَهُ، أَمَا كَانَ يُجْزَى عَنْهُ؟» قَالَ: بَلَى.
 قَالَ: فَاللَّهُ^(١) أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ^(٢). ومراده بذلك أن الله أحق بقبول القضاء عن
 المعذور من بنى آدم؛ فإن الله أرحم وأكرم، فإذا كان الأدميون يقبلون
 القضاء عمن مات، فالله أحق بقبوله أيضاً، لم يرد بذلك أن الله يحب
 أن تُقضى حقوقه التي كانت على الميت، وهي أوجب ما يُقضى من
 الدين، فإن دين الميت لا يجب على الورثة قضاؤه، لكن يقضى من
 تركته، ولا يجب على أحد فعل ما يجب على الميت من نذر.

والسائل إنما سأل عن الإجزاء والقبول، لم يسأل عن الوجوب، فلا بد
 أن يُجاب عن سؤاله، فعُلم أن الأمر بقضاء العبادات وقبول القضاء من
 باب الإحسان والرحمة^(٣)، وذلك مناسب للمعذور^(٤). وأما صاحب
 الكبيرة المفوت عمداً^(٥) فلا يستحق تخفيفاً ولا رحمة، لكن إذا تاب فله

(١) ح، ب: إن الله.

(٢) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن ابن عباس رضى الله عنهما في: مسلم ٨٠٤/٢
 (كتاب الصيام، باب قضاء الصيام عن الميت)؛ سنن الترمذى ١١٠/٢ (كتاب الصوم،
 باب ما جاء في الصوم عن الميت). قال الترمذى: «وفى الباب عن بريدة وابن عمر
 وعائشة... حديث ابن عباس حديث حسن صحيح».

(٣) والرحمة: ساقطة من (ح)، (ر). (٤) ح، ر: للمعرفة.

(٥) ح، ب: .. الكبيرة المتعمد. وسقطت عبارة «المفوت عمداً» من (و).

أسوة بسائر التائبين من الكبائر، فيجتهد في طاعة^(١) الله / وعباداته بما
 أمكن، والذين أمروه بالقضاء [من العلماء]^(٢) لا يقولون: إنه بمجرد
 القضاء [يسقط عنه الإثم، بل يقولون: بالقضاء]^(٣) يخف عنه الإثم، وأما
 إثم التفويت وتأخير الصلاة عن وقتها فهو كسائر الذنوب التي تحتاج: إما
 إلى توبة، وإما إلى حسنات ماحية، وإما غير ذلك مما يسقط به العقاب.

وهذه المسائل لبسطها موضع آخر. والمقصود هنا أن ما كان من
 الشيطان مما لا يدخل تحت الطاقة فهو معفو عنه، كالنوم والنسيان
 والخطأ في الاجتهاد ونحو ذلك، وأن كل من مُدح من الأمة^(٤) - أولهم
 وآخرهم - على شيء أثابه الله عليه ورفع به قدره، فهو مما جاء به الرسول
 صلى الله عليه وسلم، فالثواب على ما جاء به [الرسول]^(٥)، والنصرة لمن
 نصره، والسعادة لمن اتبعه، وصلوات الله وملائكته^(٦) على المؤمنين به
 والمعلمين للناس دينه، والحق يدور معه حيثما دار، وأعلم الخلق بالحق
 وأتبعهم له أعملهم بسنته وأتبعهم لها، وكل قول خالف قوله فهو إما دين
 منسوخ وإما دين مبدل لم يُشرع قط.

وقد قال عليّ رضي الله عنه في مفاوضة جرت بينه وبين عثمان رضي
 الله عنه: «خيرنا أتبعنا لهذا الدين» وعثمان يوافقه على ذلك، وسائر
 الصحابة [رضي الله عنهم أجمعين]^(٧).

(١) ح، ب: طاعات. (٢) من العلماء: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ر، ح: الأئمة.

(٥) الرسول: ساقطة من (ن)، (م)، (و)، (أ).

(٦) ن: وسلامه؛ أ: والملائكة.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م).

﴿فصل﴾

ولما قال السلف: إن الله أمر بالاستغفار لأصحاب محمد فسبهم الرافضة^(١)، كان هذا كلاماً حقا. وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لا تسبوا أصحابي»^(٢) يقتضى تحريم سبهم، مع أن الأمر بالاستغفار للمؤمنين والنهى عن سبهم عام.

ففى الصحيحين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»^(٣). وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١] فقد نهى عن السخرية واللمز والتنابز بالألقاب.

واللمز: العيب والظعن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة: ٥٨] أى يعيبك ويطعن عليك، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [سورة التوبة: ٧٩] وقوله ﴿لَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ٤٩] أى: لا يلمز بعضكم بعضا، كقوله ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [سورة

(١) و: أمرنا بالاستغفار لأصحاب محمد فسبهم ..

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٢١/٢ .

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤٩٩/٤ .

النور: ١٢] وقوله: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٥٤] وقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ الآية [سورة الهمزة: ١] والهمز: العيب^(١) والطعن بشدة وعنف، ومنه هَمَزَ الأرض بعقبه، ومنه الهمزة وهي نبرة من الصدر.

وأما الاستغفار للمؤمنين عموماً فقد قال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [سورة محمد: ١٩].

وقد أمر الله بالصلاة على من يموت. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر للمنافقين حتى نهى عن ذلك^(٢). فكل مسلم لم يعلم أنه منافق جاز الاستغفار له والصلاة عليه، وإن كان فيه بدعة أو فسق، لكن لا يجب على كل أحد أن يصلى عليه. وإذا كان في ترك الصلاة على الداعي إلى البدعة والمظهر للفجور مصلحة من جهة انزجار الناس، فالكف عن الصلاة كان مشروعاً لمن [كان]^(٣) يؤثر ترك صلاته في الزجر بأن لا يصلى عليه. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيمن قتل نفسه:

(١) ب (فقط): لعيب.

(٢) في: البخارى ٩٦/٢ - ٩٧ (كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة على المنافقين . . .) عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم أنه لما مات عبد الله بن أبى بن سلول جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه رجاء عمر ألا يفعل فقال له: «أخر عنى يا عمر» فلما أكثر عليه قال: «إني خيبت فاخترت لو أعلم أنى زدت على السبعين فغفر له لزدت عليها». قال: فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الأيتان من براءة: (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً) إلى (وهم فاسقون) [سورة التوبة: ٨٤]. . الحديث وهو فى سنن الترمذى والنسائى وأحمد وانظر كلام الألبانى عليه فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ١٢٣/٣ - ١٢٤.

(٣) كان: زياده فى (ح)، (ب).

«صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»^(١) وكذلك قال في الغَالِ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»^(٢) وقد قيل لسمره بن جندب: إن ابنك لم ينم البارحة. فقال: أَبَشْمًا^(٣)؟ قالوا: بَشْمًا. قال: لو مات لم أصل عليه. يعني: لأنه يكون قد قتل نفسه.

وللعلماء هنا نزاع: هل يَتْرُكُ^(٤) الصلاة على مثل هذا الإمام^(٥) فقط، لقوله صلى الله عليه وسلم: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»؟ أم هذا الترك يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ أم مشروع لمن تطلب صلاته؟ وهل الإمام هو الخليفة أو الإمام الراتب؟ وهل هذا مختص بهذين أم هو ثابت لغيرهما؟ فهذه كلها مسائل تذكر في غير هذا الموضوع.

لكن بكل حال المسلمون المظهرون للإسلام قسمان: إما مؤمن،

(١) الحديث عن جابر بن سمره في: سنن الترمذى ٢٦٥/٢ (كتاب الجنائز، باب ما جاء فيمن يقتل نفسه لم يصل عليه) ونصه: «أن رجلاً قتل نفسه، فلم يصل عليه النبي صلى الله عليه وسلم» قال الترمذى «هذا حديث حسن» وذكر الترمذى اختلاف العلماء في هذا وأن أحمد قال: لا يصلّى الإمام على قاتل النفس، ويصلّى عليه غير الإمام. والحديث - مع اختلاف في اللفظ - في: سنن النسائى ٥٣/٤ (كتاب الجنائز، باب ترك الصلاة على من قتل نفسه).

(٢) الحديث عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه في: سنن أبى داود ٩١/٣ (كتاب الجهاد، باب في تعظيم الغلول)؛ سنن النسائى ٥٢/٤ (كتاب الجنائز، باب الصلاة على من غل)؛ سنن ابن ماجه ٩٥٠/٢ (كتاب الجهاد، باب الغلول). والحديث فى المسند (ط. الحلبي) ١٩٢/٥؛ المستدرک ١٢٧/٢. وقال الحاکم: صحيح على شرط الشيخين. وضعف الألبانى الحديث فى «إرواء الغليل» ١٧٤/٣ - ١٧٥ وتكلم عليه.

(٣) قال ابن الأثير فى «النهاية»: «البشّم: التخمّة من الدّسم».

(٤) ن، م، و: ترك؛ أ: تترك.

(٥) الإمام: ساقطة من (ح)، (و).

وإما منافق . فمن علم نفاقه لم تجز الصلاة عليه والاستغفار له . ومن لم يُعلم ذلك منه ^(١) صَلَّى عليه . وإذا عَلِمَ شخص نفاق شخص لم يصل هو عليه ، وصلى ^(٢) عليه من لم يعلم نفاقه .

وكان عمر رضى الله عنه لا يصلى على من لم يصل عليه حذيفة ، لأنه كان فى غزوة تبوك قد عرف المنافقين ، الذين عزموا على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم .

واعلم أنه لا منافاة بين عقوبة الإنسان فى الدنيا على ذنبه وبين الصلاة عليه والاستغفار له ؛ فإن الزانى والسارق والشارب وغيرهم من العصاة تُقام عليهم الحدود ، ومع هذا فيُحسن إليهم ^(٣) بالدعاء لهم فى دينهم وديناهم ؛ فإن العقوبات الشرعية إنما شرعت رحمة من الله بعباده ، فهى صادرة عن رحمة الله ^(٤) وإرادة الإحسان إليهم ^(٥) .

ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على الذنوب أن يقصد بذلك الإحسان إليهم والرحمة لهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده ، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا لكم بمنزلة الوالد » ^(٦) . وقد قال تعالى : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ

(١) ح ، ب : عنه . وسقطت الكلمة من (و) .

(٢) ب (فقط) : ويصلى . (٣) ح ، ب : عليهم .

(٤) عن رحمة الله : كذا فى (أ) ، (ب) . وفى سائر النسخ : عن رحمة الخلق .

(٥) ح ، ب ، ر : أ : لهم .

(٦) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ٣٠ / ١ (كتاب الطهارة ، باب

كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة) ونصه : «إنما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم ، فإذا

أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها ولا يستطب بيمينه» وكان يأمر بثلاثة

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦] وفي قراءة أبي: وهو أب لهم^(١).
 والقراءة المشهورة تدل على ذلك: فإن نساءه إنما كن أمهات المؤمنين
 تبعاله، فلولا أنه كالأب لم يكن نساؤه كالأمهات. والأنبياء أطباء الدين،
 والقرآن أنزله الله شفاء لما في الصدور، فالذي يعاقب الناس عقوبة
 شرعية إنما هو نائب عنه^(٢) وخليفة له، فعليه أن يفعل كما يفعل على
 الوجه الذي فعل.

ولهذا قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
 وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] قال أبو هريرة:
 كنتم خير الناس للناس^(٣) تأتون بهم في الأقياد والسلاسل تدخلونهم
 الجنة^(٤). أخبر أن هذه الأمة خير الأمم لبني آدم: فإنهم يعاقبونهم
 بالقتل^(٥) والأسر، ومقصودهم بذلك الإحسان إليهم، وسوقهم إلى كرامة

أحجار، وينهى عن الروث والرثمة. والحديث في: سنن النسائي ١/٣٦-٣٧ (كتاب
 الطهارة، باب النهي عن الاستطابة بالروث) وأوله فيه: «إنما أنا لكم مثل الوالد... وهو
 أيضا في: سنن ابن ماجه ١/١١٤ (كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالحجارة...);
 المسند (ط. المعارف) ١٣/١٠٠، ١٣٩، وصح أحمد شاكر الحديثين.
 (١) أورد هذه القراءة الطبري في تفسيره ٧٧/٢١، والقرطبي في تفسيره ١٤/١٢٣، وابن كثير
 (٢) ح، ب: نائب له.
 ٣٨٢/٦.

(٣) أ، ب: كنتم خير أمة أخرجت للناس؛ ح: كنتم خيرا للناس.
 (٤) ورد هذا الأثر في: البخاري ٦/٣٧-٣٨ (كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب كنتم خير
 أمة أخرجت للناس) ونصه فيه: «... عن أبي هريرة رضي الله عنه كنتم خير أمة أخرجت
 للناس. قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في
 الإسلام». وانظر تفسير ابن كثير للآية ٧٧/٢ (ط. دار الشعب).
 (٥) ن، م، و، أ، ر: بالقتال.

الله ورضوانه، وإلى دخول الجنة .

وهكذا الرد على أهل البدع من الرافضة وغيرهم : إن لم يَقْصُد فيه بيان الحق وهدى / الخلق [ورحمتهم] والإحسان إليهم ، لم يكن عمله صالحا . وإذا غَلَطَ [فى] ذم [بدعة و] معصية^(١) كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد، كما فى نصوص الوعيد وغيرها . وقد يهجر الرجل عقوبة وتعزيزا، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمة والإحسان، لا للتشفى والانتقام .

كما هجر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الثلاثة الذى خَلَفُوا لما جاء المتخلفون عن الغزاة يعتذرون ويحلفون وكانوا يكذبون . وهؤلاء الثلاثة صدقوا وعُوقبوا بالهجر، ثم تاب الله عليهم ببركة / الصدق^(٢) .

٦٠/٣

وهذا مبنى على مسألتين : إحداهما : أن الذنب لا يوجب كفر صاحبه، كما تقوله الخوارج، بل ولا تخليده فى النار ومنع الشفاعة فيه، كما يقوله المعتزلة .

الثانى : أن المتأول الذى قصده متابعة الرسول لا يكفر، [بل]^(٣) ولا يفسق إذا اجتهد فأخطأ . وهذا مشهور عند الناس فى المسائل العملية . وأما مسائل العقائد فكثير من الناس كَفَرُ^(٤) المخطئين فيها .

وهذا القول لا يعرف عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا عن^(٥) أحد من أئمة المسلمين، وإنما هو فى الأصل من أقوال أهل

(٢) انظر ذلك فيما سبق ٦٥/١ ، ٤٥٩/٤ .

(١) ن، م : وإذا غَلَطَ ذم معصية .

(٣) ب : زيادة فى (ر) ، (و) .

(٥) ح ، ب : ولا يعرف عذر .

(٤) ح ، ب : كفروا .

البدع، الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم، كالخوارج والمعتزلة والجهمية، ووقع ذلك في كثير من أتباع الأئمة، كبعض أصحاب مالك والشافعي وأحمد وغيرهم.

وقد يسلكون في التكفير ذلك؛ فمنهم من يكفر أهل البدع مطلقا، ثم يجعل كل من خرج عما هو عليه من أهل البدع. وهذا بعينه قول الخوارج والمعتزلة والجهمية. وهذا القول أيضا يوجد^(١) في طائفة من أصحاب الأئمة الأربعة، "وليس هو قول الأئمة الأربعة" ولا غيرهم^(٢)، وليس فيهم من كفر كل مبتدع، بل المنقولات الصريحة عنهم تناقض ذلك، ولكن قد يُنقل عن أحدهم^(٣) أنه كفر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل؛ فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين، كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع، كما بسطناه في موضعه.

وإذا لم يكونوا في نفس الأمر كفارا لم يكونوا منافقين، فيكونون من المؤمنين، فيستغفر لهم ويترحم عليهم. وإذا قال المؤمن^(٤): ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [سورة الحشر: ١٠] يقصد كل^(٥) من

(١) ب (فقط): لا يوجد، وهو خطأ.

(٢-٢): ساقط من (أ)، (ب).

(٣) و: وهذا القول يوجد في طائفة من أصحاب الأئمة: مالك والشافعي والإمام أحمد، وليس هذا قول هؤلاء الأئمة ولا غيرهم.

(٤) ر: قد ينقل أحد عنهم..

(٦) كل: ساقطة من (ر)، (ح).

(٥) ح، ب، ر، و: المسلم.

سبقة من قرون الأمة بالإيمان، وإن كان قد أخطأ في تأويل تأويله فخالف السنة، أو أذنب ذنبا، فإنه من إخوانه الذين سبقوه بالإيمان، فيدخل في العموم، وإن كان من الثنتين والسبعين فرقة، فإنه ما من فرقة إلا وفيها خلق كثير ليسوا كفارا، بل مؤمنين فيهم ضلال وذنوب يستحقون به الوعيد، كما يستحقه عصاة المؤمنين.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يخرجهم من الإسلام، بل جعلهم من أمته، ولم يقل: إنهم يخلدون في النار. فهذا أصل عظيم ينبغى مراعاته؛ فإن كثيرا من المنتسبين إلى السنة فيهم بدعة، من جنس بدع الرافضة والخوارج. وأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب وغيره - لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراء، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا^(١) ولا حقكم من الفىء. ثم أرسل إليهم ابن عباس فناظرهم فرجع نحو نصفهم، ثم قاتل الباقي وغلبهم، ومع هذا لم يسب لهم ذرية، ولا غنم لهم مالا، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين، كمسيلمة الكذاب وأمثاله، بل كانت سيرة عليّ والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في أهل الردة، ولم ينكر أحد على عليّ ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن [دين] الإسلام^(٢).

قال الإمام محمد بن نصر المروزي^(٣): «وقد وليّ عليّ رضي الله عنه

(١) أ، ب: من مساجدنا.

(٢) ن، م: عن الإسلام.

(٣) سبقت ترجمته فيما سبق ١٠٦/٢.

قتال أهل البغي، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى،
وسمّاهم مؤمنين، وحكم فيهم بأحكام المؤمنين. وكذلك عمّار بن
ياسر».

وقال محمد بن نصر أيضا: «حدثنا إسحاق بن راهويه، حدثنا
يحيى بن آدم، عن مفضل^(١) بن مهلهل، عن الشيباني، عن قيس بن
مسلم، عن طارق بن شهاب قال: «كنت عند عليّ حين فرغ من قتال
أهل النهروان، ف قيل له: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا. ف قيل:
فمنافقون^(٢)؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟
قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم».

*وقال محمد بن نصر أيضا: «حدثنا إسحاق - حدثنا وكيع، عن
مسعر، عن عامر بن سفيان^(٣)، عن أبي وائل، قال: قال رجل: من
دُعِيَ^(٤) إلى البغلة الشهباء يوم قتل المشركون؟ فقال علي: من الشرك
فروا. قال: المنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا.
قال: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنصرنا عليهم.
قال: [حدثنا]^(٥) إسحاق، حدثنا وكيع عن أبي / خالدة^(٦)، عن

٦١ / ٣

(١) ن، م، و، أ: حدثنا مفضل...

(٢) ح، ب: أمنافقون.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) أ، ب: عن عامر بن شفيق.

(٤) أ، ر، و: من دعا.

(٥) حدثنا: زيادة في (و) فقط.

(٦) و: عن ابن أبي حلد.

حكيم بن جابر، قال: قالوا لعلّى حين قتل أهل النهروان: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فرّوا. قيل: فمنافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم؟ قال قوم: حاربونا فحاربناهم، وقتلونا فقاتلناهم*.

قلت: الحديث^(١) الأول وهذا الحديث صريحان في أن علياً قال هذا القول في الخوارج الحرورية أهل النهروان، الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذمهم والأمر بقتالهم، وهم يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاها، فمن لم يكن معهم كان عندهم كافراً ودارهم دار كفر، فإنما دار الإسلام عندهم هي دارهم.

قال الأشعري وغيره: «أجمعت الخوارج على تكفير عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه^(٢)». / ومع هذا عليّ قاتلهم لما بدؤوه بالقتال فقتلوا عبدالله بن خباب، وطلب عليّ منهم قاتله، فقالوا: كلنا قتله، وأغاروا على ماشية الناس^(٣). ولهذا قال فيهم: «قوم قاتلونا فقاتلناهم، وحاربونا فحاربناهم» وقال: «قوم بغّوا علينا فقاتلناهم».

وقد اتفق الصحابة والعلماء بعدهم على قتال هؤلاء؛ فإنهم بغاة على جميع المسلمين، سوى من وافقهم على مذهبهم؛ وهم يبدؤون المسلمين بالقتال، ولا يندفع شرهم إلا بالقتال؛ فكانوا أضمر على المسلمين من قطاع الطريق. فإن أولئك إنما مقصودهم المال،^(٤) فلو

(١) ح. ر: وأما الحديث.

(٢) قال الأشعري في «مقالات الإسلاميين» ١/١٥٦: «أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب رضوان الله عليه أن حكم...».

(٣) ح، ب: على ماشية فقتلوا الناس. (* - *) : ما بين النجمتين ساقط من (أ).

أعطوه لم يقاتلوا، وإنما يتعرضون لبعض الناس*، وهؤلاء يقاتلون الناس على الدين حتى يرجعوا عما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة إلى ما ابتدعه هؤلاء بتأويلهم الباطل وفهمهم الفاسد للقرآن. ومع هذا فقد صرح عليّ رضي الله عنه بأنهم مؤمنون ليسوا كفّارا ولا منافقين.

وهذا بخلاف ما كان يقوله بعض الناس، كأبي إسحاق الاسفراييني ومن اتبعه، يقولون: «لا نكفر إلا من يكفر^(١)» فإن الكفر ليس حقا لهم، بل هو حق لله^(٢)، وليس للإنسان أن يكذب على من يكذب^(٣) عليه، ولا يفعل الفاحشة بأهل من فعل الفاحشة بأهله، بل ولو استكرهه [رجل] على اللواط^(٤)، لم يكن له أن يستكرهه على ذلك، ولو قتله بتجريب خمر أو تلوط به^(٥) لم يجوز قتله بمثل ذلك^(٦)، لأن هذا حرام لحق الله تعالى. ولو سب النصارى نبينا، لم يكن لنا أن نسب المسيح.

والرافضة إذا كفّروا أبا بكر وعمر، فليس لنا أن نكفر عليا. وحديث أبي وائل يوافق دينك الحديثين. فالظاهر أنه كان يوم النهروان أيضا. وقد روى عنه في أهل الجمل وصفين قول أحسن من هذا. قال إسحاق بن راهويه: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: سمع عليّ يوم الجمل أو يوم^(٧) صفين رجلا يغلو في القول، فقال:

(١) ح، ب، ر، و: إلا من يكفرنا. (٢) ح: الله.

(٣) أ، و: كذب.

(٤) ن، م: ولو استكرهه على اللوطية؛ و، ر: ولو استكرهه رجل على اللوطية.

(٥) به: ساقطة من (أ)، (ب)، (ح)، (ر).

(٦) و: لم يكن له أن يقتله بمثل ذلك. (٧) ح، ب: ويوم.

لا تقولوا إلا خيرا، إنما هم قوم زعموا إنا بغينا عليهم، وزعمنا أنهم بغوا علينا فقاتلناهم. فذكر لأبي جعفر أنه أخذ منهم السلاح. فقال: ما كان أغناه عن ذلك.

وقال محمد بن نصر: حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد بن راشد، عن مكحول: أن أصحاب عليّ سألوه عمّن قُتل من أصحاب معاوية ما هم؟ قال: هم مؤمنون^(١). وبه قال أحمد بن خالد، حدثنا عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن عبدالواحد بن أبي عون، قال: مرّ عليّ - وهو متكىء^(٢) على الأستر - على قتلى صفين، فإذا حابس اليماني مقتول، فقال الأستر: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذا حابس اليماني معهم يا أمير المؤمنين، عليه علامة معاوية، أما والله لقد عهدته^(٣) مؤمنا. قال عليّ: والآن هو مؤمن.

قال: وكان حابس رجلا من أهل اليمن، من أهل العبادة والاجتهاد. قال محمد بن يحيى، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا مختار بن نافع، عن أبي مطر، قال: قال عليّ: متى ينبعث أشقاها؟ قيل: من أشقاها؟ قال: الذي يقتلني. فضربه ابن ملجَم بالسيف فوق برأس عليّ رضى الله عنه، وهم المسلمون بقتله. فقال: لا تقتلوا الرجل، فإن برئتُ فالجروح قصاص، وإن مت فاقتلوه. فقال: إنك ميت. قال: وما يدريك؟ قال: كان سيفي مسموما^(٤).

(١) مؤمنون: كذا في (ن). وفي سائر النسخ: المؤمنون.

(٢) ن، ح: وهو يركب. وهو تحريف. (٣) ن: علمته.

(٤) انظر خبر مقتل عليّ رضى الله عنه في: تاريخ الطبرى ١٤٣/٥ - ١٤٧.

وبه قال محمد بن عبيد^(١)، حدثنا الحسن - وهو ابن الحكم النخعي -
عن رباح^(٢) بن الحارث^(٣)، قال: إنا لبوادٍ، وإن ركبتى لتكاد تمس^(٤) ركة
عمّار بن ياسر، إذ أقبل رجل فقال: كفر والله أهل الشام^(٥). فقال عمّار:
لا تقل / ذلك، فقبلتنا واحدة، ونبينا واحد، ولكنهم قوم مفتونون، فحق
علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق.

٦٢ / ٣

وبه قال ابن يحيى، حدثنا قبيصة، حدثنا سفيان، عن الحسن بن
الحكم، عن رباح^(٦) بن الحارث، عن عمّار بن ياسر، قال: ديننا واحد،
وقبلتنا واحدة، ودعوتنا واحدة، ولكنهم قوم بغوا علينا فقاتلناهم. قال ابن
يحيى، حدثنا يعلى، حدثنا مسعر عن عبدالله بن رباح، عن رباح بن
الحارث، قال: قال عمّار بن ياسر: لا تقولوا: كفر أهل الشام، قولوا:
فسقوا، قولوا: ظلموا.

قال محمد بن نصر: «وهذا يدل على أن الخبر الذي روى عن عمّار
ابن ياسر، أنه قال لعثمان بن عفان: هو كافر، خبر باطل لا يصح، لأنه
إذا أنكر كفر أصحاب معاوية، وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون في
دم عثمان، فهو لتكفير عثمان أشد إنكاراً».

قلت: والمرورى في حديث عمّار أنه لما قال ذلك، أنكر عليه عليّ

(١) و: وبه قال حدثنا محمد بن عبيد. (٢) ح، ب: رباح.

(٣) و: بن الحرب.

(٤) ن، م، أ: لتمس.

(٥) ب (فقط): الشام.

(٦) ب (فقط): رباح.

رضى الله عنه . وقال : أتكفربربّ آمن به عثمان ؟ . وحّدثه بما يبين بطلان ذلك القول . فيكون عمار : إن كان قال ذلك متأوّلاً فقد رجع عنه حين بيّن له علىّ رضى الله عنه أنه^(١) قول باطل .

ومما يدل على أن الصحابة لم يكفّروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم ، وكان عبدالله بن عمر رضى الله عنه - وغيره [من الصحابة]^(٢) يصلون^(٣) خلف نجدة الحرورى ، وكانوا أيضا يحدّثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم ، كما يخاطب المسلم المسلم ، كما كان عبدالله بن عباس يجيب نجدة الحرورى لما أرسل إليه يسأله عن مسائل ، وحديثه فى البخارى^(٤) . وكما أجاب نافع بن الأزرق عن مسائل مشهورة^(٥) ، وكان نافع يناظره فى أشياء بالقرآن ، كما يتناظر المسلمان .

وما زالت سيرة المسلمين على هذا ، ما جعلوهم مرتدين كالذين

(١) ر ، ح ، ب ، ن ، م : حين تبين له أنه . (٢) من الصحابة : ساقطة من (ن) ، (م) ، (أ) . (٣) ح ، ب : كانوا يصلون .

(٤) ذكر مسلم فى صحيحه ١٤٤٤/٣ - ١٤٤٥ (كتاب الجهاد والسير ، باب النساء الغازيات يرضح لهن . . .) . . . عن يزيد بن هرمز أن نجدة كتب الى ابن عباس يسأله عن خمس خلال ، فقال ابن عباس لولا أن أكنم علما ما كتبت إليه . . . الحديث . وذكره الإمام أحمد فى مسنده (ط . المعارف) الأرقام : ١٩٦٧ ، ٢٢٣٥ ، ٢٦٨٥ ، ٢٨١٢ ، ٢٩٤٣ وذكر أحمد شاكر رحمه الله أن الحديث فى سنن أبى داود والنسائى والبيهقى والترمذى والشوكانى ، ولم أعرف مكان الحديث فى البخارى .

(٥) ذكر سزكين فى موضعين ١م ، ح١ ، ص ١٣٠ ، ١م ، ح٣ ، ص ٧ : أن نجدة بن عامر الحرورى (المتوفى سنة ٦٩) كتب إلى عبدالله بن عباس وسأله عن مسائل فقهية متنوعة (أشار سزكين إلى أن هذه الواقعة ذكرت فى الأنساب للبلاذرى ٧١٥/١ ، ولسان الميزان لابن حجر ١٤٨/٦) وإنه قد وصل إلينا قسم من هذه المراسلات فى المدونة ٦/٣ ، كما كتب نافع بن الأزرق إليه يسأله عن أمور (انظر العلل لابن أبى حاتم الرازى ٣٠٧/١) .

قاتلهم الصديق رضى الله عنه . هذا مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم^(١) فى الأحاديث الصحيحة، وما روى من أنهم «شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتيل^(٢) من قتلوه» فى الحديث الذى رواه أبو أمامة، رواه الترمذى وغيره^(٣)؛ أى أنهم شر على المسلمين من غيرهم، فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى؛ فإنهم كانوا مجتهدين فى قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفرين لهم، وكانوا متدينين / بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة.

ص ٢٠١

ومع هذا فالصحابا رضى الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم، ولا جعلوهم مرتدين، ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل، بل اتقوا الله فيهم، وساروا فيهم السيرة العادلة. وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم؛ فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة

(١) مع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتالهم: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: مع أمر الله ورسوله بقتالهم..

(٢) ن، م، و، أ: قتلى.

(٣) الحديث عن أبى أمامة رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ٢٩٤/٤ (كتاب التفسير، من سورة آل عمران) ونصه: عن أبى غالب، قال: رأى أبو أمامة رؤوساً منصوبة على درج دمشق، فقال أبو أمامة: «كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خير قتلى من قتلوه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية». قلت لأبى أمامة: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثاً أو أربعاً حتى عد سبعمائة ما حدثكموه». قال الترمذى: «هذا حديث حسن». وجاء الحديث مختصراً فى: سنن ابن ماجه ٦٢/١ (المقدمة، باب فى ذكر الخوارج)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٥٣/٥، ٢٥٦ (مطولا).

كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث الثنتين والسبعين فرقة ليس في الصحيحين، وقد ضعفه ابن حزم وغيره - لكن حسنه غيره أو صححه، كما صححه الحاكم وغيره، وقد رواه أهل السنن، ورؤى من طرق^(١).

وليس قوله: «ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٠]، وقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة النساء: ٣٠]، وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار.

(١) تكلمت على هذا الحديث في مقدمة الجزء الأول، ص ٥٢ (م) من الطبعة الأولى. وجاء الحديث بلفظ: «افتقرت اليهود على إحدى - أو اثنتين - وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى - أو اثنتين - وسبعين فرقة، وتفرقت أمي على ثلاث وسبعين فرقة» عن أبي هريرة رضي الله عنه. وتكلم عليه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول (حديث رقم ٢٠٣) كلاماً مفصلاً. والحديث بهذا اللفظ في: سنن أبي داود ٢٧٦/٤ (كتاب السنة، باب شرح السنة)؛ سنن الترمذى ١٣٤/٤ - ١٣٥ (كتاب الإيمان، باب افتراق هذه الأمة) وقال الترمذى: «حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح»؛ سنن ابن ماجه ١٣٢١/٢ (كتاب الفتن، باب افتراق الأمم)؛ المسند (ط. المعارف) ١٦٩/١٦ (وصححه أحمد شاکر وأشار إلى تصحيح السيوطى له)؛ المستدرك للحاكم ١٢٨/١. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي. وجاء الحديث بالفاظ أخرى عن معاوية بن سفيان وأنس بن مالك وعوف بن مالك وعبدالله بن عمرو رضي الله عنهم. وانظر ما ذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» المجلد الأول الحديث رقم ٢٠٤. وانظر: سنن أبي داود ٢٧٦/٤ - ٢٧٧؛ سنن الترمذى ١٣٥/٤؛ سنن ابن ماجه ١٣٢٢/٢؛ سنن الدارمى ٢٤١/٢ (كتاب السير، باب في افتراق هذه الأمة)؛ المستدرك للحاكم ١٢٨/١؛ المسند (ط. الحلبي) ١٤٥/٣. وانظر إلى ما ذكره ابن حزم عن الحديث في الفصل ٢٩٢/٣.

ومع هذا فلا نشهد لمعيّن بالنار لإمكان أنه تاب، أو كانت له حسنات محت سيئاته، أو كفر الله عنه بمصائب أو غير ذلك كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطنا وظاهرا، الذى قصد اتباع الحق وما جاء به الرسول، إذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولى أن يعذره الله فى الآخرة من المتعمد العالم بالذنب؛ فإن هذا عاصٍ مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس متعمداً للذنب بل هو مخطىء، والله قد تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان.

والعقوبة فى الدنيا تكون لدفع ضرره عن المسلمين، وإن كان فى الآخرة خيراً ممن لم يُعاقب، كما يُعاقب المسلم المتعدى للحدود، ولا يُعاقب أهل الذمة من اليهود والنصارى. والمسلم فى الآخرة خير منهم.

وأيضا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل لهواه لا ديانة، ويصدر عن الحق الذى يخالفه هواه، فهذا يعاقبه الله على هواه، ومثل هذا يستحق العقوبة / فى الدنيا والآخرة. ومن فسق من السلف الخوارج

٦٣ / ٣

ونحوهم - كما روى عن سعد بن أبى وقاص أنه قال فيهم قوله تعالى:

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ * الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ

الْخَاسِرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٦، ٢٧] - فقد يكون هذا قصده، لا سيما إذا

تفرق الناس، فكان ممن يطلب^(١) الرياسة له ولأصحابه.

وإذا كان المسلم الذى يقاتل الكفار قد يقاتلهم شجاعة وحمية ورياء،

وذلك ليس فى سبيل الله، فكيف بأهل البدع الذين يخاصمون ويقاتلون

(١) أ، ب: فكان منهم من يطلب..

عليها؟ فإنهم يفعلون ذلك شجاعة وحمية، وربما يُعاقبون لما اتبعوا أهواءهم بغير هدى من الله، لا لمجرد^(١) الخطأ الذي اجتهدوا فيه.

ولهذا قال الشافعي: «لأن أتكلم في علم يُقال لي فيه: أخطأت، أحب إليّ من أن أتكلم في علم يُقال لي فيه: كُفرت». فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً، ومن مباح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون. وسبب ذلك أن أحدهم قد يظن ما ليس بكفر كُفراً، [وقد يكون كُفراً]^(٢) لأنه تبيين له أنه تكذيب للرسول وسبب للخالق، والآخر لم يتبين له ذلك، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكُفّر إذا قاله، أن يكُفّر من لم يعلم بحاله.

والناس لهم فيما يجعلونه^(٣) كُفراً طرق [متعددة]^(٤)؛ فمنهم من يقول: الكفر تكذيب ما عُلم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك.

ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفيًا وإثباتًا.

ومنهم من لا يحده بحدّ، بل كل ما تبيين أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جعله كُفراً، إلى طرق آخر. ولا ريب أن الكفر متعلق بالرسالة، فتكذيب الرسول كفر، وبغضه

(١) لمجرد: كذا في (أ)، (و)، (ب). وفي سائر النسخ: بمجرد.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٣) ح، ر: يجعلون. (٤) متعددة: ساقطة من (ن)، (م).

وسبه وعداوته مع العلم بصدقه في الباطن كفر عند الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة العلم وسائر الطوائف، إلا الجهم ومن وافقه كالصالحى والأشعري وغيرهم؛ فإنهم قالوا: هذا كفر في الظاهر، وأما في الباطن فلا يكون كفراً إلا إذا استلزم الجهل، بحيث^(١) لا يبقى في القلب شيء من التصديق بالرب، وهذا بناء على أن الإيمان في القلب لا يتفاضل، ولا يكون في القلب بعض من الإيمان. وهو خلاف النصوص الصريحة، وخلاف الواقع، ولبسط هذا موضع آخر.

والمقصود هنا أن كل من تاب من أهل البدع تاب الله عليه، وإذا كان الذنب متعلقاً بالله ورسوله فهو حق محض لله، فيجب أن يكون الإنسان في هذا الباب^(٢) قاصداً لوجه الله، متبعاً لرسوله، ليكون عمله خالصاً صواباً.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١١، ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ [سورة النساء: ١٢٥]. قال المفسرون وأهل اللغة: معنى الآية: أخلص دينه [وعمله]^(٣) لله وهو محسن في عمله.

(١) ن: حتى. (٢) ح، ب: فيجب على الإنسان أن يكون في هذا الباب..

(٣) وعمله: ساقطة من (ن) فقط.

/ وقال الفراء فى قوله: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران: ٢٠١ ظ
[٢٠]: أخلصت عملى . وقال الزجاج: قصدت بعبادتى إلى الله . وهو كما
قالوا، كما قد ذكر توجيهه فى موضع آخر .

وهذا المعنى يدور عليه القرآن؛ فإن الله تعالى أمر أن لا يُعبد إلا إياه،
وعبادته فعل ما أمر، وترك ما حظر. والأول هو إخلاص الدين والعمل لله .
والثانى هو الإحسان، وهو العمل الصالح . ولهذا كان عمر يقول فى
دعائه: «اللهم اجعل عملى كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا
تجعل لأحد فيه شيئا» .

وهذا هو الخالص الصواب، كما قال الفضيل بن عياض فى قوله:
﴿لِيَلْبُوكُمْ آيُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة هود: ٧] . قال: أخلصه وأصوبه .
قالوا: يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم
يكن صوابا لم يُقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل: حتى
يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على
السنة .

والأمر بالسنة والنهى عن البدعة هو^(١) أمر بالمعروف ونهى عن منكر،
وهو من أفضل الأعمال الصالحة، فيجب أن يبتغى به / وجه الله، وأن
يكون مطابقا للأمر .

وفى الحديث: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فينبغى أن يكون
علیما^(٢) بما يأمر به؛ علیما^(٣) بما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، [رفيqa فيما

(١) ح، ب: هما .

(٢) ح، ب: عالما .

ينهى عنه^(١)، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه^(٢). فالعلم قبل الأمر، والرفق مع الأمر، والحلم بعد^(٣) الأمر؛ فإن لم يكن عالماً لم يكن له أن يقفو ما^(٤) ليس له به علم، وإن كان عالماً ولم يكن رفيقاً، كان كالطبيب الذى لا رفق فيه، فيُغْلِظ على المريض فلا يقبل منه، وكالمؤدب الغليظ الذى لا يقبل منه الولد.

وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه: ٤٤].

ثم إذا أمر ونهى^(٥) فلا بد أن يؤذى فى العادة، فعليه أن يصبر ويحلم. كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين فى غير موضع، وهو إمام الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر. فإن الإنسان عليه أولاً أن يكون أمره لله، وقصده طاعة الله فيما أمره [به]^(٦). وهو يجب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حَمِيَّةً^(٧) لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطاً. ثم إذا رُدُّ عليه ذلك وأوذى^(٨) أو

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط. (٢) لم أجد هذا الحديث.

(٣) أ، ب: مع.

(٤) ح، ر: فيما.

(٥) ح، ر، ب: أو نهى.

(٦) به: ساقطة من (ن)، (م). وفى (ح)، (ب)، (ر): فيما أمر به.

(٧) ح، ب، ر: خطيئة. (٨) ح، ب: أو أوذى.

نسب إلى أنه مخطيء وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذى.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهداً معذوراً لا يغضب الله عليه، ويرضون عن يوافقهم^(١)، وإن كان جاهلاً سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضى هذا إلى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله. ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله.

وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون: هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغه المغل: هذا بال، هذا باغى، لا ينظرون إلى موالاته الله ورسوله، ومعاداته الله ورسوله.

ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس. قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال: ٣٩]، فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة.

وأصل الدين أن يكون الحب لله، والبغض لله، والموالات لله، والمعادات لله، والعبادة لله، والاستعانة بالله، والخوف من الله، والرجاء

(١) ح، ب: عن كان يوافقهم؛ و: عن وافقهم.

الله، والإعطاء لله، والمنع لله. وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله، الذي أمره أمر الله، ونهيه نهى الله، ومعاداته معادة الله، وطاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله.

وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه، فلا يستحضر ما لله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى لرضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه، ويكون مع ذلك معه شبهة دين: أن الذى يرضى له ويغضب له أنه^(١) السنة، وهو الحق، وهو الدين، فإذا قدر أن الذى معه هو الحق المحض دين الإسلام، ولم يكن قصده أن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هى العليا، بل قصد الحمية لنفسه وطائفته أو الرياء، ليعظم هو ويثنى عليه، أو فعل ذلك شجاعةً وطبعاً، أو لغرض من الدنيا - لم يكن لله، ولم يكن مجاهداً فى سبيل الله. فكيف إذا كان الذى يدعى الحق والسنة هو كظيره، معه حق وباطل، وسنة وبدعة، ومع خصمه حق وباطل، وسنة وبدعة؟!

وهذا حال المختلفين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وكفر بعضهم بعضا، وفسق بعضهم بعضا. ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة البينة: ٤، ٥].

وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة: ٢١٣]، يعنى:

(١) ح، ب، و، ر، أ: هو.

فاختلفوا، كما في سورة يونس، وكذلك في قراءة بعض الصحابة. وهذا
 على قراءة / الجمهور من الصحابة والتابعين: أنهم كانوا على دين /
 الإسلام. وفي تفسير ابن عطية عن ابن عباس: أنهم كانوا على الكفر^(١).
 وهذا ليس بشيء. وتفسير ابن عطية عن ابن عباس ليس بثابت عن ابن
 عباس، بل قد ثبت عنه أنه قال: كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على
 الإسلام.

وقد قال في سورة يونس: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾
 [سورة يونس: ١٩] فذمهم على الاختلاف بعد أن كانوا على دين واحد،
 فعلم أنه كان حقاً.

والاختلاف في كتاب الله على وجهين: أحدهما: أن يكون كله
 مذموماً، كقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾
 [سورة البقرة: ١٧٦].

والثاني: أن يكون بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل، كقوله:
 ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ
 دَرَجَاتٍ وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

(١) انظر تفسير ابن كثير (ط. الشعب) للآية ١/٣٦٤ - ٣٦٥ وفيه: . . . عن قتادة في قوله
 (كان الناس أمة واحدة) قال: كانوا على الهدى جميعاً (فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين
 ومنذرين) فكان أول نبي بعث نوحاً. وهكذا قال مجاهد: كما قال ابن عباس أولاً. وقال
 العوفي، عن ابن عباس (كان الناس أمة واحدة) يقول: كانوا كفاراً (فبعث الله النبيين
 مبشرين ومنذرين). والقول الأول عن ابن عباس أصح سنداً ومعنى، لأن الناس كانوا على
 ملّة آدم عليه السلام حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، فكان أول
 رسول بعثه الله إلى أهل الأرض.

مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ
 مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿
 [سورة البقرة: ٢٥٣]. لكن إذا أُطلق الاختلاف فالجميع مذموم، كقوله:
 ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود:
 ١١٨، ١١٩]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما هلك من كان قبلكم
 بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم»^(١).

ولهذا فسروا الاختلاف في هذا الموضع بأنه كله مذموم. قال الفراء:
 في اختلافهم وجهان: أحدهما: كفر بعضهم بكتاب بعض، والثاني:
 تبديل ما بدلوا. وهو كما قال؛ فإن المختلفين كل منهم يكون معه حق
 وباطل، فيكفر بالحق الذي مع الآخر، ويصدق بالباطل الذي معه، وهو
 تبديل ما بدل.

فالاختلاف لا بد أن يجمع النوعين. ولهذا ذكر كل من السلف
 أنواعاً^(٢) من هذا: أحدها: الاختلاف في اليوم الذي يكون فيه
 الاجتماع، فاليوم الذي أمروا به [يوم]^(٣) الجمعة، فعدلت عنه الطائفتان؛
 فهذه أخذت السبت، وهذه أخذت الأحد.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «نحن
 الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٤/٤.

(٢) أنواعا: كذا في (ب) فقط. وفي سائر النسخ: نوعا.

(٣) يوم: زيادة في (أ)، (ب).

بعدهم ، فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له ، الناس لنا فيه تبع ،
اليوم لنا ، وغداً لليهود ، وبعد غد للنصارى»^(١).

وهذا الحديث يطابق قوله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة: ٢١٣].

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه
وسلم كان إذا قام من الليل يصلى يقول : «اللهم رب جبريل وميكائيل
وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم
بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلفوا فيه من الحق
بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٢).

والحديث الأول يبين أن الله تعالى هدى المؤمني لغير ما كان فيه
المختلفون ؛ فلا كانوا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، وهو مما يبين أن
الاختلاف كله مذموم .

والنوع الثانى : القبلة . فمنهم من يصلى إلى المشرق ، ومنهم من
يصلى إلى المغرب . وكلاهما مذموم لم يشرعه الله .

والثالث : إبراهيم . قالت اليهود كان يهوديا ، وقالت النصارى كان

(١) جاء هذا الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وفى بعض رواياته هذه الزيادة : «حق على
كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام يوما يغتسل فيه رأسه وجسده» الحديث وهو فى :
البخارى ٢/٢ ، ٦ (كتاب الجمعة ، باب فرض الجمعة ، باب هل على من لم يشهد
الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم) ، ١٧٧/٤ (كتاب الأنبياء ، باب حدثنا أبو
اليمان ، أخبرنا شعيب . .) ؛ مسلم ٥٨٥/٢ - ٥٨٦ (كتاب الجمعة ، باب هداية هذه الأمة
ليوم الجمعة) ؛ المسند (ط . المعارف) الأرقام ٧٢١٣ ، ٧٣٠٨ ، ٧٣٩٥ ، ٨٤٨٤ ،
١٠٥٣٧ . وجاء الحديث فى سنن النسائى أيضا .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٩/١

نصرانيا. وكلاهما كان من الاختلاف المذموم ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا
نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:
. [٦٧]

والرابع: عيسى. جعلته اليهود لغية^(١)، وجعلته النصرارى إنها.
والخامس: الكتب المنزلة. آمن هؤلاء ببعض، وهؤلاء ببعض.
والسادس: الدين. أخذ هؤلاء بدين، وهؤلاء بدين. ومن هذا الباب
قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى
لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [سورة البقرة: ١١٣]. وقد روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما أنه قال: اختصمت يهود المدينة ونصارى نجران عند
النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت اليهود: ليست النصرارى على شيء،
ولا يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وكفروا بالإنجيل وعيسى. وقالت
النصارى: ليست اليهود على شيء، وكفروا بالتوراة وموسى، فأنزل الله
هذه الآية والتي قبلها^(٢).

واختلاف أهل البدع هو من هذا النمط؛ فالخارجى يقول: ليس
الشيعى على شيء. والشيعى يقول: ليس الخارجى على شيء.
والقدرى النافى يقول: ليس المثبت على شيء. والقدرى / الجبرى
المثبت يقول: ليس النافى على شيء. والوعيدية تقول: ليست المرجئة
على شيء. والمرجئة تقول: ليست الوعيدية على شيء.
بل ويوجد شيء من هذا بين أهل المذاهب الأصولية والفروعية

(١) ح: ابن بغيّة؛ ر: بغيّة.

(٢) انظر تفسير الآية فى تفسير ابن كثير ١/٢٢٣ - ٢٢٤؛ زاد المسير ١/١٣٣.

المنتسبين إلى السنة. فالكلّابي يقول: ليس الكرامى على شىء. والكرامى يقول: ليس الكلّابي على شىء. والأشعري يقول: ليس السالمى على شىء. والسالمى يقول: ليس الأشعري على شىء.

ويصنّف^(١) السالمى كأبى على الأهوازي كتاباً فى «مثالب الأشعري»^(٢) ويصنّف^(٣) الأشعري كابن عساكر كتاباً يناقض ذلك من كل وجه، وذكر فيه مثالب السالمية^(٤).

وكذلك أهل المذاهب الأربعة وغيرها، لا سيما وكثير منهم قد تلبّس ببعض المقالات الأصولية، وخلط هذا بهذا. فالحنبلى والشافعى والمالكي يخلط بمذهب مالك والشافعى وأحمد شيئاً من أصول الأشعرية والسالمية وغير ذلك. ويضيفه إلى مذهب مالك والشافعى وأحمد. وكذلك الحنفى يخلط بمذهب أبى حنيفة شيئاً من أصول المعتزلة والكرامية والكلّابية، ويضيفه إلى مذهب أبى حنيفة.

ظ ٢٠٢

وهذا من جنس الرفض والتشيع، لكنه تشيع فى تفضيل بعض الطوائف والعلماء، لا تشيع فى تفضيل بعض الصحابة. والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

(١) ح، ب: وصنّف.

(٢) ذكر هذا الكتاب سزكين (م ١٤، ص ٣٦) ومؤلفه هو أبو على الحسن بن على بن إبراهيم الأهوازي المتوفى سنة ٤٤٦ و ذكر سزكين أنه توجد نسخة خطيه منه فى الظاهرية بدمشق.

(٣) ب (فقط): وصنّف.

(٤) وهو كتاب «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبى الحسن الأشعري» لأبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقى المتوفى سنة ٥٧١. وطبع الكتاب بدمشق عام ١٣٤٧.

أن يكون أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله ،
يدور على ذلك ، ويتبعه أين وجدته ، ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء
هم الصحابة ، فلا ينتصر لشخص انتصاراً مطلقاً عاماً ، إلا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عاماً ، إلا للصحابة رضی
الله عنهم أجمعين . فإن الهدى يدور مع الرسول حيث دار ، ويدور مع
أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ؛ فإذا أجمعوا لم يجمعوا^(١) على
خطأ قط ، بخلاف أصحاب عالم من العلماء ، فإنهم قد يجمعون^(٢) على
خطأ ، بل كل قول قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة^(٣) لا يكون إلا خطأ ؛
فإن الدين الذي بعث الله به رسوله^(٤) ليس مسلماً إلى عالم واحد
وأصحابه ، ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وهو شبيه بقول الرافضة فى الإمام المعصوم .

ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذى بعث
[الله]^(٥) به الرسول ، قبل وجود المتبوعين الذين تُنسب إليهم المذاهب
فى الأصول والفروع ، ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء
به الرسول ، فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل ، ويمتنع أن يكون
أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم
بإحسان ، فإن أولئك لم يجمعوا على ضلالة ، فلا بد أن يكون قوله إن

(١) ح ، ب : اجتمعوا لم يجمعوا ؛ ر : أجمعوا لم يجمعوا .

(٢) ح ، ر ، و ، أ ، ب : يجمعون .

(٣) ب (فقط) : من الأمة .

(٤) ن ، م : رسوله .

(٥) الله : فى (ح) ، (ب) فقط .

كان حقاً مأخوذاً عما جاء به الرسول، موجوداً فيمن قبله، وكل قول قيل في دين الإسلام، مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون، لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافة، فإنه قول باطل.

والمقصود هنا أن الله تعالى ذكر أن المختلفين جاءتهم البيّنة، وجاءهم العلم، وإنما اختلفوا بغياً. ولهذا ذمهم الله وعاقبهم؛ فإنهم لم يكونوا مجتهدين مخطئين^(١)، بل كانوا قاصدين البغي، عالمين بالحق، [معرضين عن القول وعن العمل به]^(٢).

ونظير هذا قوله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٩] قال الزجاج: اختلفوا للبغي لا لقصد البرهان.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة يونس: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعَهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ

(١) ن: مخلصين.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (أ).

الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ
وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴿ [سورة الجاثية : ١٦-٢٠].

فهذه المواضع من القرآن تبين أن المختلفين ما اختلفوا حتى جاءهم العلم والبيّنات، فاختلفوا للبغي والظلم، لا لأجل / اشتباه الحق بالباطل عليهم. وهذا حال أهل الاختلاف المذموم من أهل الأهواء كلهم؛ لا يختلفون إلا من بعد أن يظهر [لهم] ^(١) الحق؛ ويجيئهم [العلم] ^(٢)، فيبغى بعضهم على بعض. ثم المختلفون المذمومون كل منهم يبغى على الآخر، فيكذب بما معه من الحق، مع علمه أنه حق، ويصدّق بما مع نفسه من الباطل، مع العلم ^(٣) أنه باطل.

وهؤلاء كلهم مذمومون. ولهذا كان أهل الاختلاف [المطلق] ^(٤) كلهم مذمومين في الكتاب والسنة؛ فإنه ما منهم إلا من خالف حقا واتبع باطلا. ولهذا أمر الله الرسل أن تدعوا إلى دين واحد، وهو دين الإسلام، ولا يتفرقوا فيه، وهو دين الأولين والآخرين من الرسل وأتباعهم.

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

وقال في الآية الأخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ

(١) لهم: زيادة في (ح)، (ب).

(٢) العلم: زيادة في (أ)، (ب).

(٣) أ، ب: مع علمه. (٤) المطلق: ساقطة من (ن).

فَاتَّقُونَ * فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿ [سورة
المؤمنون: ٥١-٥٣] أى كتبنا، اتبع كل قوم كتابا مبتدعا غير كتاب الله فصاروا
متفرقين مختلفين، لأن أهل التفرق والاختلاف ليسوا على الحنيفية
المحضة، التى هى الإسلام المحض، الذى هو إخلاص الدين لله الذى
ذكره الله فى قوله: ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ
وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [سورة البينة: ٥]. وقال فى
الآية الأخرى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ
عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
* مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [سورة الروم: ٣٠-٣٢]،
فنهاه أن يكون من المشركين، الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا، وأعاد
حرف «من» ليبين أن الثانى بدل من الأول. والبدل هو المقصود بالكلام،
وما قبله توطئة له.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة هود: ١١٠] إلى قوله / : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ
جَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ
خَلَقَهُمْ ﴾ [سورة هود: ١١٨-١١٩] فأخبر أن أهل الرحمة لا يختلفون.

وقد ذكر فى غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام. كما قال تعالى
عن نوح: ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل: ٩١]، وقال عن
إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا

إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿سورة البقرة: ١٣١-١٣٢﴾. وقال يوسف: ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [سورة يوسف: ١٠١]. ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [سورة يونس: ٨٤] وقال عن السحرة: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٦].

وقال عن بلقيس: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ٤٤].

وقال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ [سورة المائدة: ٤٤]. وقال: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ١١١].

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»^(١). وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين واحداً وهو

(١) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن روى البخارى في صحيحه ١٦٧/٤ (كتاب الأنبياء باب واذكر في الكتاب مريم) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد». وروى حديثاً آخر يقاربه في اللفظ في نفس الصفحة. وروى مسلم الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه بالفاظ مقاربة من ثلاثة طرق في صحيحه ١٨٣٧/٤ (كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى عليه السلام). وقال ابن حجر في «فتح الباري» (ط. السلفية) ٤٨٩/٦: «والعلات بفتح المهملة: الضرائر. وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها. والعلل: الشرب بعد الشرب. وأولاد العلات: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى». والحديث بمعناه في: سنن أبي داود ٣٠٢/٤ (كتاب السنة، باب في التخيير بين الأنبياء)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣١٩/٢، ٤٠٦، ٤٦٣، ٤٨٢، ٥٤١؛ ترتيب مسند الطيالسي ٨٤/٢.

الإسلام، كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم؛ فإنه هو دين الإسلام أولا وآخرا.

وكانت القبلة في أول الأمر بيت المقدس، ثم صارت القبلة الكعبة، وفي كلا الحالين الدين واحد، وهو دين الإسلام.

فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا. ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحداً، وجعل الباطل متعدداً.

كقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

وقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٦-٧].

وقوله: ﴿اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ١٢١].

وقوله: ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢].

وقوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٧].

٦٨ / ٣

وهذا يطابق ما في / كتاب الله من أن الاختلاف المطلق كله مذموم، بخلاف المقيد الذي قيل فيه: ﴿وَلَكِنْ اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اٰقْتَتَلُوْا﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]. فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل، كما قال: ﴿هٰذَانِ حَصْمَانِ اٰخْتَصَمُوْا فِي رَبِّهِمْ﴾ [سورة الحج: ١٩].

وقد ثبت في الصحيحين^(١) أنها نزلت المقتلين يوم بدر: في حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليّ ابن عمه، وعبيدة بن الحارث ابن عمه^(٢)، والمشركين الذين بارزهم: عتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة^(٣). وقد تدبرت كتب الاختلاف التي يذكر فيها مقالات الناس إما نقلاً مجرداً، مثل كتاب «المقالات» لأبي الحسن الأشعري، وكتاب «الملل والنحل» للشهرستاني، ولأبي عيسى الورّاق، أو مع انتصار لبعض الأقوال، كسائر ما صنّفه أهل الكلام على اختلاف طبقاتهم - فرأيت عامة الاختلاف الذي فيها من الاختلاف المذموم. وأما الحق الذي بعث الله به رسوله، وأنزل به كتابه، وكان عليه سلف الأمة - فلا يوجد فيها في جميع مسائل الاختلاف، بل يذكر أحدهم في المسألة عدة أقوال، والقول الذي جاء به الكتاب والسنة لا يذكرونه، وليس ذلك لأنهم يعرفونه ولا يذكرونه، بل لا يعرفونه.

ولهذا كان السلف والأئمة يذّمون هذا الكلام. ولهذا يوجد الحاذق

(١) في الصحيحين: كذا في (ح)، (ر)، (و). وفي سائر النسخ: في الصحيح.

(٢) ح، ب: وعليّ وعبيدة بن الحارث ابني عميه.

(٣) الحديث عن أبي ذر رضى الله عنه وعن قيس بن عباد عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه بالفاظ مختلفة: البخارى ٩٨/٦ (كتاب التفسير، سورة الحج)؛ مسلم ٢٣٢٣/٤ (كتاب التفسير، باب في قوله تعالى: هذان خصمان اختصموا في ربهم) وحديث أبي ذر رضى الله عنه - وهذه رواية البخارى - أنه كان يقسم فيها إن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر. وأما حديث قيس بن عباد عن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه قال: أنا أول من يجتوبين يَدَى الرَّحْمَنِ لِلْخِصْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قال قيس: وفيهم نزلت: (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: عليّ وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وانظر تفسير ابن كثير ٤٠١/٥.

منهم المنصف^(١) الذي غرضه الحق في آخر عمره يصرح بالحيرة والشك، إذ لم يجد في الاختلافات التي نظر فيها وناظر ما هو حق محض. وكثير منهم يترك الجميع ويرجع إلى دين العامة الذي عليه العجائز والأعراب.

كما قال أبو المعالي وقت السياق: «لقد خضت البحر الخضم، وخلّيت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه. والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أُمي».

وكذلك أبو حامد في آخر عمره استقر أمره على الوقف والحيرة، بعد أن نظر فيما كان عنده من طرق النظائر: أهل الكلام والفلسفة، وسلك ما تبين^(٢) له من طرق العبادة والرياضة والزهد، وفي آخر عمره اشتغل بالحديث: بالبخارى ومسلم.

وكذلك الشهرستاني، مع أنه [كان]^(٣) من أخبر هؤلاء المتكلمين بالمقالات والاختلاف، وصنّف فيها كتابه المعروف «بنهاية الإقدام في علم الكلام» وقال^(٤): «قد^(٥) أشار على^(٦) من إشارته غنم، وطاعته حتم، أن أذكر له من مشكلات^(٧) الأصول ما أشكل على ذوى العقول^(٨)، ولعله

(١) ن، م، ر، و: المصنّف؛ أ: المتصّف. (٢) أ، ب: تيسر.

(٣) كان: زيادة في (أ)، (ب).

(٤) ص ٣ (تحقيق الفرد جيوم).

(٥) نهاية الإقدام: أما بعد فقد...

(٦) نهاية الإقدام: إلَى ..

(٧) نهاية...: أن أجمع له

(٨) نهاية... الأصول، وأحل له ما أتت من غوامضها على أرباب العقول..

استسمن^(١) ذا ورم، ونَفَخَ في غير ضَرَمٍ، لعمرى:

لقد طفت^(٢) المعاهد كلها وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاكف حائر على ذقن أو قارعا سنّ نادم
فأخبر أنه لم يجد إلا حائراً شاكاً مرتاباً، أو من اعتقد ثم ندم لما تبين
له خطؤه. فالأول في الجهل البسيط: كظلمات بعضها فوق بعض إذا
أخرج يده لم يكن يراها، وهذا دخل في الجهل المركب، ثم تبين له أنه
جهل فندم، ولهذا تجده في المسائل يذكر أقوال الفرق وحججهم^(٣)، ولا
يكاد يرجح شيئاً للحيرة.

وكذلك الأمدى الغالب عليه الوقف والحيرة.

وأما الرازى فهو في الكتاب الواحد، بل في الموضوع الواحد / منه،
ينصر قولاً، وفي موضع آخر منه - أو من كتاب آخر - ينصر نقيضه. ولهذا
استقر أمره على الحيرة والشك. ولهذا لما ذكر أن أكمل العلوم العلم
بالله^(٤) وبصفاته وأفعاله، ذكر أن على كل منها إشكال^(٥). وقد ذكرت
(١) نهاية: .. العقول لحسن ظنه بى أنى وقفت على نهايات النظر، وفزت بغايات مطارح
الفكر، ولعله استسمن...

(٢) فى جميع النسخ: لعمرى لقد طفت... والصواب ما أثبتته، وهو الذى فى «نهاية
الإقدام» وجاءت العبارات السابقة فى «درء تعارض العقل والنقل» ١/١٥٩. وذكرت فى
تعليقى هناك: «فى هامش (ص ٢ ط)... رد عليه الفقيه محمد بن إسماعيل الأمير عفى
الله عنهما فقال:

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن لاقاه من كل عالم
فما حار من يهدى بهدى محمد ولست تراه قارعا سن نادم
(٣) ح، ر: أقوالها وحججهم؛ ب: أقوال الفرق وحججها.

(٤) و: فقال لما ذكر أن العلم بالله...؛ أ: ولهذا لما ذكر أن العلم بالله.

(٥) أ: ذكر على أن كل منها إشكال؛ ب، ح: ذكر على أن كلا منها إشكال.

كلامه، وبينت ما أشكل عليه وعلى هؤلاء في مواضع.

فإن الله قد أرسل رسله بالحق، وخلق عباده على الفطرة، فمن كمل فطرته بما أرسل الله به رسله، وجد الهدى واليقين الذي لا ريب فيه، ولم يتناقض. لكن هؤلاء أفسدوا فطرتهم العقلية وشرعتهم السمعية، بما حصل لهم من الشبهات والاختلاف، الذي لم يهتدوا معه إلى الحق، كما قد ذكر تفصيل ذلك في موضع غير هذا.

والمقصود هنا أنه لما ذكر ذلك قال: ومن الذي وصل إلى هذا الباب،

ومن الذي ذاق هذا^(١) الشراب

٦٩ / ٣

/ نهاية إقدام العقول عقل وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسمنا وحاصل ديانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

[وقال]^(٢): «لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما

رأيتها تشفى عليلا، ولا تروى غليلا. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛

اقرأ في الإثبات^(٣): ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾

(١) أ، ب: من هذا .. وكذا جاء النص في «درء... ١٦٠/١». وذكرت هناك أنني لم أجد

هذا الكلام والكلام التالي فيما بين يدي من كتب الرازي المطبوعة أو المخطوطة، وأن ابن

تيمية يذكر أن الرازي كان يتمثل بهذا الكلام في كتابه «أقسام اللذات». وهذا الكتاب

مخطوط بالهند، ولم يذكره بروكلمان ضمن مؤلفات الرازي. وذكرت في تعليقي على

«درء...» أن ابن تيمية يذكر هذا النص كثيرا في كتبه، مثل مجموع فتاوى الرياض

٧١/٤؛ الفرقان بين الحق والباطل، ص ٩٧ من مجموعة الرسائل الكبرى، ط. صبيح؛

معارج الوصول، ص ١٨٥ من المجموعة السابقة.

(٢) وقال: في (ح)، (ر)، (ب) فقط.

(٣) و، م: الآيات، وهو تحريف.

[سورة فاطر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه: ٥] ^(١) وقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى: ١١] ^(٢)، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [سورة طه: ١١٠] ^(٣) ومن جرب مثل تجربتي ، عرف مثل معرفتي .

وهو صادق فيما أخبر به أنه لم يستفد من بحوثه في الطرق الكلامية والفلسفية سوى أن جمع قيل وقالوا، وأنه لم يجد فيها ما يشفى غليلا، ولا يروى غليلا، فإن من تدبر كتبه [كلها] ^(٤) لم يجد فيها مسألة واحدة من مسائل أصول الدين موافقة للحق [الذي يدل عليه] ^(٥) المنقول والمعقول، بل يذكر في المسألة عدة أقوال، والقول الحق لا يعرفه فلا يذكره. وهكذا غيره من أهل الكلام والفلسفة، ليس هذا من خصائصه، فإن الحق واحد، ولا يخرج عما جاءت به الرسل، وهو الموافق لصريح العقل: فطرة الله التي فطر الناس عليها ^(٦).

وهؤلاء لا يعرفون ذلك، بل هم من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا، وهم مختلفون في الكتاب ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٦].

(١) والعمل الصالح يرفعه: في (و) فقط. وجاء آية سورة طه قبل آية سورة فاطر في «درء...» ١٦٠/١.

(٢) وهو السميع البصير: في (ح)، (ر)، (ب) فقط، وليست في «درء...».

(٣) في «درء...» جاءت بعد هاتين الآيتين آية سورة مريم: (هل تعلم له سميا).

(٤) كلها: ساقطة من (ن)، (أ).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٦) ح، ب، ر: فطر عليها عباده. و: فطر الله عليها عباده.

وقال الإمام أحمد في خطبة مصنفه الذي صنّفه في محبسه^(١) في «الرد على الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من مشابه القرآن وتأولته على غير تأويله» قال^(٢): «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى^(٣)، ويبصرون بنور الله أهل الضلالة والعمى^(٤)، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضال^(٥) [قد]^(٦) هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقيح أثر^(٧) الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان^(٨) الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون^(٩) على مفارقة الكتاب، *يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم*، يتكلمون بالمشابهة من الكلام، ويخدعون جهّال الناس بما يلبسون^(١٠) عليهم».

(١) ن: حبسه.

(٢) ص ٥٢، تحقيق النشار، مجموعة عقائد السلف، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١،

ص ٨٥، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار اللواء: الرياض، ١٣٩٧/١٩٧٧.

(٣) نسخة النشار، و: يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون منهم على الأذى.

(٤) ح: الضلال والعمى. وسقطت كلمة «الضلالة» من النسختين المطبوعتين.

(٥) نسختنا النشار وعميرة: ضال تائه. . . (٦) قد: ساقطة من (ن).

(٧) نسختنا الرد: وأقيح أثر. . .

(٨) نسختنا الرد: عقال.

(٩) نسختنا الرد: مجمعون.

(١٠) ما بين النجمتين ساقط من (و). (١٠) نسختنا الرد: بما يشبهون.

وهو كما وصفهم رحمه الله؛ فإن المختلفين أهل المقالات المذكورة في كتب الكلام: إما نقلا مجردا للأقوال، وإما نقلا وبحثا وذكرًا للجدال^(١) - مختلفون في الكتاب، كل منهم يوافق بعضا ويرد بعضا، ويجعل ما يوافق رأيه هو المحكم الذي يجب اتباعه، وما يخالفه^(٢) هو المتشابه الذي يجب تأويله أو تفويضه.

وهذا موجود في كل من صنف^(٣) في الكلام وذكر^(٤) النصوص التي^(٥) يحتج^(٦) بها ويحتج بها عليه؛ تجده يتأول النصوص التي تخالف قوله تأويلات لو فعلها غيره لأقام القيامة عليه، ويتأول الآيات بما يُعلم بالاضطرار أن الرسول لم يرده، وبما لا يدل عليه اللفظ أصلا^(٧)، وبما هو خلاف^(٨) التفسير المعروف عن الصحابة والتابعين، وخلاف نصوص أخرى.

(١) ح: للجدل. (٢) ن، م، و، أ: وما خالفه.

(٣) في مكان عبارة «من صنف» بياض في (ح)، (ر). وفي (أ): في كل مصنف؛ وفي (ن)، (م): في كل صنف.

(٤) وذكر: كذا في (و). وفي سائر النسخ: ويذكر.

(٥) و: الذي.

(٦) عبارة «التي يحتج» مكانها بياض في (ح)، (ر).

(٧) ح: لم يرده (وبعدها بياض بمقدار كلمة) العلم، وبما لا يدل عليه اللفظ أصلا من الجهل. وشابهت (ر) نسخة (ح) إلا أنه لا يوجد فيها بياض بعد عبارة «لم يرده». وفي (أ): لم يرده ويدل عليه اللفظ أصلا. وفي (ن)، (م)، (و): لم يرده، وما لم يدل عليه اللفظ أصلا. ولعل الصواب ما أثبتته. وبعد هذه العبارات يوجد كلام استغرق حوالى أربع صفحات جاء في غير موضعه في (ب)، (ح)، (ر)، (أ) وسأشير إلى مكانه فيما بعد إن شاء الله.

(٨) ن، م: وهو خلاف؛ ر، ب: وإنما هو خلاف التفسير. وهذه العبارات موجودة في (ب)

في منتصف الصفحة التالية ٧٠/٣.

ولو ذكرت ما أعرفه من ذلك لذكرت خلقا، ولا استثنى أحداً من أهل البدع^(١): لا من المشهورين بالبدع الكبار من معتزلى ورافضى ونحو ذلك، ولا من المنتسبين إلى السنة والجماعة من كرامى وأشعري وسالمى ونحو ذلك.

وكذلك من صنّف على طريقهم من أهل المذاهب الأربعة وغيرها. هذا كله رأته فى كتبهم، وهذا موجود فى بحثهم فى مسائل الصفات، والقرآن، ومسائل القدر، ومسائل الأسماء والأحكام، والإيمان^(٢) والإسلام، ومسائل الوعد والوعيد، وغير ذلك.

وقد بسطنا الكلام على ذلك^(٣) فى مواضع من كتبنا غير هذا الكتاب^(٤)؛ «درء تعارض العقل والنقل» وغيره. ومن أجمع الكتب التى رأيتها فى مقالات الناس المختلفين^(٥) فى أصول الدين كتاب أبى الحسن الأشعري، وقد ذكر فيه من المقالات وتفصيلها^(٦) ما لم يذكره غيره، وذكر فيه مذهب أهل الحديث والسنة بحسب ما فهمه عنهم. وليس فى جنسه أقرب إليهم منه، ومع هذا نفس القول الذى جاء به الكتاب والسنة، وقال به الصحابة^(٧) والتابعون لهم بإحسان: فى القرآن، والرؤية^(٨)،

(١) و: من أهل الكلام.

(٢) أ، ب: الأسماء وأحكام الإيمان، وهو تحريف.

(٣) و: وقد بسط الكلام فى ذلك.

(٤) ح، ب: فى غير موضع فى كتبنا غير هذا الكتاب؛ و: فى مواضع غير هذا. وسقط الكلام فى (و) بعد ذلك إلى قوله: ومن أجمع الكتب..

(٥) ن: فى المقالات للناس المختلفين.

(٦) ح، ب: وتفصيلها.

(٧) و: وقالت الصحابة.. (٨) ب (فقط): وفى الرؤية.

والصفات، والقدر، وغير ذلك من مسائل أصول الدين ليس في كتابه، وقد استقصى ما عرفه من كلام المتكلمين.

وأما معرفة ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة وآثار الصحابة، فعلم آخر لا يعرفه أحد من هؤلاء / المتكلمين، المختلفين في أصول الدين. ص ٢٠٤

ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها متفقين على ذم أهل الكلام: فإن كلامهم لا بد أن يشتمل على تصديق بباطل، وتكذيب بحق^(١)، ومخالفة الكتاب^(٢) والسنة، فذموه لما فيه من الكذب والخطأ والضلال. ولم يذم السلف من كان كلامه حقاً، [فإن ما كان حقاً]^(٣) فإنه هو الذي جاء به الرسول،^(٤) وهذا لا يذمه السلف العارفون بما جاء به الرسول^(٥)، ومع هذا فيستفاد من / كلامهم^(٦) نقض بعضهم على بعض وبيان فساد قوله، فإن المختلفين كل كلامهم فيه شيء من الباطل^(٧)، وكل طائفة تقصد بيان [بطلان]^(٨) قول^(٩) الأخرى، فيبقى الإنسان عنده دلائل كثيرة تدل على فساد قول كل طائفة من الطوائف المختلفين في الكتاب.

وهذا مما مدح به الأشعري؛ فإنه بين من فضائح المعتزلة وتناقض

(١) ح: على تصديق باطل وتكذيب حق؛ ر: على تصديق باطل وتكذيب بحق.

(٢) و: للكتاب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (أ).

(٤-٤) : ساقط من (ح)، (و)، (أ)، (ب).

(٥) كلمة «كلامهم» في أول ص ٧١. وهنا اضطراب في ترتيب الصفحات في (ب) أشرت إليه من قبل.

(٦) و: فيه باطل؛ أ: فيه قول من الباطل.

(٧) بطلان: ساقطة من (ن)، (ح)، (و).

(٨) قول: ساقطة من (أ).

أقوالهم وفسادها ما لم يبينه غيره، لأنه كان منهم، وكان قد درس الكلام على أبي عليّ الجبائي أربعين سنة، وكان ذكياً، ثم إنه رجع عنهم، وصنّف في الرد عليهم، ونصر في الصفات طريقة ابن كُلاب، لأنها أقرب إلى الحق والسنة من قولهم، ولم يعرف غيرها، فإنه لم يكن خبيراً بالسنة والحديث، وأقوال الصحابة والتابعين وغيرهم، وتفسير السلف للقرآن. والعلم بالسنة المحضة إنما يستفاد من هذا^(١).

ولهذا يذكر^(٢) في «المقالات» مقالة المعتزلة مفصلة: يذكر^(٣) قول كل واحد منهم، وما بينهم من النزاع في الدق والجل، كما يحكى ابن^(٤) أبي زيد^(٥) مقالات أصحاب مالك، وكما يحكى أبو الحسن القُدوري^(٦) اختلاف أصحاب أبي حنيفة. ويذكر أيضاً مقالات الخوارج والروافض^(٧)، لكن نقله لها^(٨) من كتب أرباب المقالات، لا عن مباشرة

(١) ن، م، و، أ: من هنا. (٢) ح، ر، ب: ذكر. (٣) يذكر: ساقطة من (و).

(٤) م، ر، ح: كما يحكى عن..

(٥) أبو زيد عبدالله بن عبدالرحمن أبي زيد النفزاوي القيرواني، إمام المالكية في عصره، يلقب بمالك الأصغر. قال الذهبي: كان على أصول السلف في الأصول، لا يدرى الكلام ولا يتأول. أشهر كتبه «الرسالة» في اعتقاد أهل السنة، طبعت وشرحها كثيرون. ولد سنة ٣١٠ وتوفي سنة ٣٨٦. انظر ترجمته في: شذرات الذهب ١٣١/٣؛ الديات المذهب لابن فرحون، ص ١٣٦-١٣٨؛ الأعلام ٢٣٠/٤ - ٢٣١.

(٦) أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القُدوري، انتهت إليه رئاسة الحنفية في العراق، وصنّف المختصر المعروف باسمه «القُدوري» في فقه الحنفية، وقد طبع. ولد ببغداد سنة ٣٦٢ وتوفي بها سنة ٤٢٨. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ١/٦٠ - ٦١؛ الجواهر المضية ١/٩٣ - ٩٤؛ النجوم الزاهرة ٥/٢٤ - ٢٥؛ الأعلام ١/٢٠٦.

(٧) و: والرافضة.

(٨) أ: لكن نقلها؛ ب، و: لكن نقلها؛ ر: لكن يعلم؛ ح، لا لأن يعلم..

منه للفائزين، ولا عن خبرة بكتبهم، ولكن فيها تفصيل عظيم، ويذكر مقالة ابن كلاب عن خبرة بها ونظر في كتبه، ويذكر اختلاف الناس في القرآن من عدة كتب^(١).

فإذا جاء إلى^(٢) مقالة أهل السنة والحديث^(٣) ذكر أمراً مجملاً، يلقي^(٤) أكثره عن زكريا بن يحيى الساجي^(٥)، وبعضه عمّن أخذ عنه من حنبلية بغداد ونحوهم. وأين العلم المفصل من العلم المجمل؟!^(٦) وهو يشبه^(٧) من بعض الوجوه علمنا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم تفصيلاً^(٨)، وعلمنا بما في التوراة والإنجيل مجملاً، لما نقله الناس عن^(٩) التوراة والإنجيل، وبمنزلة علم الرجل الحنفى أو الشافعى أو المالكى أو الحنبلى بمذهبه الذى عرف أصوله وفروعه، واختلاف أهله وأدلته، بالنسبة إلى ما يذكرونه من خلاف المذهب الآخر^(١٠)، فإنه إنما يعرفه معرفة مجملة.

(١) عبارة «من عدة كتب» ساقطة من (ح) ومكانها بياض فى (ر).

(٢) إلى: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣ - ٣) : ساقطة من (ح)، (ر).

(٤) أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبدالرحمن بن محمد بن عدى الضبى البصرى الساجى، من فقهاء الشافعية ومن الحفاظ الثقات ولد سنة ٢٢٠ وتوفى سنة ٣٠٧، له كتاب «اختلاف الفقهاء». انظر ترجمته فى: طبقات الشافعية ٢/٢٩٩ - ٣٠١، الأعلام ٨١/٣.

(٥) عبارة «من العلم المجمل»: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (أ)، (ب): من الأمر المجمل.

(٦) عند عبارة «وهو يشبه» نعود إلى صفحة ٦٩/٣ من نسخة (ب) حيث يوجد الخطأ فى ترتيب الكلام، ويوجد خطأ مماثل فى (ح)، (ر)، (أ).

(٧) أ، ب: مفصلاً.

(٨) ح، ب: من. (٩) ح، ب: المذاهب الأخرى.

فهكذا^(١) معرفته بمذهب أهل السنة والحديث، مع أنه من أعرف المتكلمين المصنِّفين في الاختلاف بذلك، وهو أعرف به من جميع أصحابه: من القاضي أبي بكر، وابن فورك، وأبي اسحاق. وهؤلاء أعلم به من أبي المعالي وذويه، ومن الشهرستاني، [ولهذا كان ما يذكره الشهرستاني]^(٢) من مذهب أهل السنة والحديث ناقصاً عما يذكره الأشعري؛ فإن الأشعري أعلم من هؤلاء كلهم بذلك نقلاً وتوجيهاً.

٧٠ / ٣

وهذا كالفقيه الذي يكون أعرف من غيره من الفقهاء بالحديث، وليس هو من علماء الحديث. أو المحدث / الذي يكون أفقه من غيره من المحدثين، وليس هو من أئمة الفقه. والمقرئ الذي يكون أخبر من غيره بالنحو والإعراب، وليس هو من أئمة النحاة. والنحوي الذي يكون أخبر من غيره بالقرآن، وليس هو من أئمة القراء. ونظائر هذا متعددة. والمقصود هنا بيان ما ذكره الله في كتابه من ذم الاختلاف في الكتاب. وهذا الاختلاف القولي، وأما الاختلاف العملي - وهو الاختلاف باليد والسيف والعصا والسوط - فهو داخل في الاختلاف.

والخوارج والروافض والمعتزلة ونحوهم^(٣) يدخلون في النوعين. والملوك الذين يتقاتلون^(٤) على محض الدنيا يدخلون في الثاني. والذين يتكلمون في العلم، ولا يدعون إلى قول ابتدعوه، ويحاربون عليه من خالفهم لا بيد، ولا بلسان، هؤلاء هم أهل العلم، وهؤلاء خطوهم مغفور

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) فقط.

(١) ح، ر، ب: وهكذا.

(٣) ن، م: وغيرهم.

(٤) ن، م: يقاتلون.

لهم، وليسوا مذمومين، إلا أن يدخلهم هوى وعدوان أو تفريط في بعض الأمور، فيكون ذلك من ذنوبهم؛ فإن العبد مأمور بالتزام الصراط المستقيم في كل أموره، وقد شرع الله تعالى أن نسأله ذلك في كل صلاة، وهو أفضل الدعاء وأفضله وأجمعه لكل خير، وكل أحد محتاج إلى الدعاء به، فهذا أوجه الله تعالى على العبد في كل صلاة.

فإنه وإن كان قد هدى هدى مجملا، مثل إقراره بأن الإسلام حق والرسول حق، فهو محتاج إلى التفصيل في كل ما يقوله ويفعله ويعتقده، فيثبته أو ينفيه، ويحبه أو يبغضه، ويأمر به أو ينهى عنه، ويحمده أو يذمه. وهو محتاج في جميع ذلك إلى أن يهديه الله الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا. فإن كثيرا ممن سمع ذم الكلام مجملا، أو [سمع]^(١) ذم الطائفة الفلانية مجملا، وهو لا يعرف تفاصيل الأمور: من الفقهاء وأهل الحديث والصوفية والعامّة، ومن كان متوسطا في الكلام، لم يصل إلى الغايات التي منها تفرقوا واختلفوا - تجده يذم القول وقائله بعبارة، ويقبله بعبارة^(٢)، ويقرأ كتب التفسير والفقّه وشروح / الحديث، وفيها تلك المقالات التي كان يذمها، فيقبلها من أشخاص آخر يُحسن الظن بهم، وقد ذكروها^(٣) بعبارة أخرى، أو في ضمن تفسير آية أو حديث أو غير ذلك.

ظ ٢٠٤

(١) سمع: زيادة في (ح)، (ب).

(٢) عبارة ويقبله بعبارة: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣) وقد ذكروها: كذا في (أ)، (ب). وفي سائر النسخ: وذكروها.

وهذا مما يوجد كثيرا، والسالم من سلمه الله، حتى أن كثيرا من هؤلاء^(١) يعظم أئمة، ويذم أقوالا، قد يلعن قائلها أو يكفره، وقد قالها أولئك الأئمة الذين يعظمهم، ولو علم أنهم قالوها لما لعن القائل، وكثير منها يكون قد قاله النبي صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعرف ذلك.

فإن كان ممن قبلها من المتكلمين^(٢) تقليداً، فإنه يتبع من يكون في نفسه أعظم، فإن ظن أن المتكلمين حققوا ما لم يحققه أئمتهم قلدهم، وإن ظن أن الأئمة أجلّ قدراً [وأعرف بالحق]^(٣) وأتبع للرسول قلدهم، وإن كان قد عرف الحجة الكلامية على ذلك القول وبلغه أن أئمة يعظمهم قالوا بخلافه أو جاء^(٤) الحديث بخلافه^(٥) بقى في الحيرة، وإن رجح أحد الجانبين رجح على مضمض، وليس عنده ما يبنى عليه، وإنما يستقر قلبه بما يعرف صحة أحد القولين جزماً؛ فإن التقليد لا يورث الجزم، فإذا جزم بأن الرسول قاله، وهو عالم بأنه لا يقول إلا الحق، جزم بذلك وإن خالفه بعض أهل الكلام.

وعلم الإنسان باختلاف هؤلاء ورد بعضهم على بعض، وإن لم يعرف بعضهم فساد مقالة بعض، هو من^(٦) أنفع الأمور؛ فإنه ما منهم إلا من [قد]^(٧) فضل مقاله طوائف، فإذا عرف رد الطائفة الأخرى على هذه

(١) عند عبارة «حتى أن كثيرا من هؤلاء» تنتهى العبارات التى جاءت فى غير موضعها فى نسخ (ح)، (و)، (أ)، (ب). ونعود هنا إلى صفحة ٧١/٣ (ب) فى ثلثها الأول تقريبا.

(٢) ن، م، و: عن المتكلم؛ ر: عن المتكلمين.

(٣) وأعرف بالحق: ساقطة من (ن).

(٤) ح، و، ب: وجاء.

(٥) أ: بخلافها.

(٦) ر: ما قاله بعضهم وهذا من.. (٧) قد: زيادة فى (ح)، (ب).

المقالة عرف فسادها، فكان في ذلك نهى عما فيها من المنكر والباطل . وكذلك إذا عرف رد هؤلاء على أولئك^(١)، فإنه أيضا يعرف ما عند أولئك من الباطل، فيتقى الباطل الذي معهم . ثم من بين الله له الذي جاء به الرسول : إما بأن يكون قولاً ثالثاً خارجاً عن القولين ، وإما بأن يكون بعض قول هؤلاء وبعض قول هؤلاء، وعرف أن هذا هو الذي كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وعليه دلّ الكتاب والسنة - كان الله قد أتم عليه النعمة، إذ هداه الصراط المستقيم، وجنبه صراط أهل البغي والضلال .

وإن لم يتبين له، كان امتناعه من موافقة هؤلاء على ضلالهم، وهؤلاء على ضلالهم، نعمة في حقه، واعتصم بما عرفه من الكتاب والسنة مجملاً، وأمسك عن الكلام في تلك المسألة، وكانت من جملة ما لم يعرفه؛ فإن الإنسان لا يعرف الحق في كل ما تكلم الناس به، وأنت تجدهم يحكون أقوالاً متعددة في التفسير وشرح الحديث في مسائل الأحكام، بل والعربية والطب وغير ذلك، ثم كثير من الناس يحكى الخلاف ولا يعرف الحق .

وأما الخلاف الذي بين الفلاسفة فلا يحصيه أحد لكثرتة ولتفرقهم^(٢)، فإن الفلسفة التي^(٣) عند المتأخرين - كالفارابي وابن سينا ومن نسج على منوالهما - هي فلسفة أرسطو وأتباعه، وهو صاحب التعاليم : المنطق، والطبيعي، وما بعد / الطبيعة^(٤) . والذي^(٥) يحكيه [الغزالي

٧٢ / ٣

(١) ح : على هؤلاء . (٢) ح ، و ، ب : وتفرقهم .

(٣) التي : ساقطة من (ب) فقط .

(٤) أ ، ب : وما بعد الطبيعي ؛ ح ، و : وما بعد الطبيعية .

(٥) ن ، م : هو الذي .

و[الشهرستاني^(١) والرازي وغيرهم من مقالات الفلاسفة هو من كلام ابن سينا.

والفلاسفة أصناف مصنفة غير هؤلاء. ولهذا يذكر القاضي أبو بكر في «دقائق الكلام»^(٢) وقبله أبو الحسن الأشعري في كتاب «مقالات غير الإسلاميين»^(٣) - وهو كتاب كبير أكبر من «مقالات الإسلاميين» - أقوالا كثيرة للفلاسفة لا يذكرها هؤلاء الذين يأخذون عن ابن سينا. وكذلك غير الأشعري مثل أبي عيسى الورأق^(٤) والنوبختي^(٥) وأبي علي^(٦) وأبي هاشم^(٧) وخلق كثير من أهل الكلام والفلسفة.

والمقصود أن كتب أهل الكلام يستفاد منها رد بعضهم على بعض. وهذا لا يحتاج إليه من لا يحتاج إلى رد المقالة الباطلة لكونها لم تخطر بقلبه، ولا هناك من يخاطبه بها، ولا يطالع كتابا هي فيه. ولا ينتفع به من لم يفهم الرد، بل قد يستضر به من عرف الشبهة ولم يعرف فسادها. ولكن المقصود هنا أن هذا هو العلم الذي في كتبهم؛ فإنهم يردون باطلا بباطل، وكلا القولين باطل، ولهذا كان مذموما ممنوعا منه عند السلف والأئمة، وكثير منهم - أو أكثرهم - لا يعرف أن الذي يقوله باطل.

(١) ن: يحكيه الشهرستاني ..

(٢) ن، م: دقيق الكلام. وذكرت من قبل في ترجمة الباقلاني ٣٩٤/١ أن كتاب «الدقائق» مفقود وانظر سزكين ١م ح٤ ص٤٧ - ٥١.

(٣) وهو كتاب مفقود أيضا. وانظر سزكين ١م، ح٤، ص٣٥ - ٣٩.

(٤) سبقت ترجمته ٥٠١/٢.

(٥) سبقت ترجمته ٧٢/١.

(٦) أبو علي الجبائي سبقت ترجمته ٣٩٥/١.

(٧) أبو هاشم الجبائي سبقت ترجمته ٢٧٨/١.

وبكل حال فهم يذكرون من عيوب باطل غيرهم وذمه ما قد يُنتفع به .
 مثال ذلك تنازعهم في مسائل الأسماء والأحكام، والوعد والوعيد .
 فالخوارج والمعتزلة يقولون : صاحب الكبائر الذي لم يتب منها مخلد في
 النار، ليس معه شيء من الإيمان . ثم الخوارج تقول : هو كافر،
 والمعتزلة توافقهم على الحكم لا على الاسم . والمرجئة تقول : هو مؤمن
 تام^(١) الإيمان، لا نقص في إيمانه، بل إيمانه كإيمان الأنبياء والأولياء .
 وهذا نزاع في الاسم . ثم تقول فقهاؤهم ما تقوله الجماعة في أهل
 الكبائر : فيهم من يدخل النار، وفيهم من لا يدخل . كما دلت على ذلك
 الأحاديث الصحيحة، واتفق عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان .

فهؤلاء لا ينازعون أهل السنة والحديث في حكمه في الآخرة، وإنما
 ينازعونهم في الاسم . وينازعون أيضا فيمن قال ولم يفعل . وكثير من
 متكلمة المرجئة تقول : لا نعلم [أن] أحدا^(٢) من أهل القبلة من أهل
 الكبائر يدخل النار، ولا أن أحدا منهم لا يدخلها، بل يجوز أن يدخلها
 جميع الفساق، ويجوز أن لا يدخلها أحد منهم، ويجوز دخول بعضهم .
 ويقولون : من أذنب وتاب لا يقطع بقبول توبته، بل يجوز أن يدخل النار
 أيضا، / فهم يقفون في هذا كله، ولهذا سُموا الواقفة . وهذا قول

ص ٢٠٥

القاضي أبي بكر وغيره من الأشعرية وغيرهم .
 فيحتج أولئك بنصوص الوعيد وعمومها، ويعارضهم هؤلاء بنصوص
 الوعد وعمومها . فقال أولئك : الفساق لا يدخلون في الوعد، لأنهم^(٣) لا

(١) ن، م : كامل . (٢) ن، م : لا نعلم أحدا .

(٣) م، و : لأنه .

حَسَنَاتٍ لَهُمْ^(١)، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ . وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] . وقال تعالى : ﴿ لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٤] . وقال : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ٢] . وقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [سورة محمد: ٢٨] .

فهذه النصوص وغيرها تدل على أن الماضي من العمل قد يحبط بالسيئات، وأن العمل لا يقبل إلا مع التقوى . والوعد إنما هو للمؤمن . وهؤلاء ليسوا مؤمنين^(٢)؛ بدليل قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، وقوله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات: ١٥]، ويقوله :^(٣) ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ [سورة السجدة: ١٨] . والفاسق ليس بمؤمن فلا يتناوله الوعد .

وبما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»^(٤) وقوله : «من غشنا فليس منا، ومن حمل علينا السلاح فليس منا»^(٥)، ونحو ذلك .

(١) ن : لا حساب لهم . (٢) ب، و : ليسوا بمؤمنين .

(٣) ح، ر، و : الصادقون . ونحو ذلك ويقوله ؛ ب : الصادقون . وقوله . .

(٤) مضى هذا الحديث من قبل في هذا الجزء ص ٢٠٧ .

(٥) جاء الحديث بلفظ : «من حمل علينا السلاح فليس منا، ومن غشنا فليس منا» عن أبي =

وتقول المرجئة: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] المراد به: من اتقى الشرك. ويقولون: الأعمال لا تحبط إلا بالكفر، قال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [سورة الزمر: ٦٥] وقال: / ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ [سورة المائدة: ٥].

٧٣ / ٣

ويقولون: قد قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ * جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [سورة فاطر: ٣٢ - ٣٣] فقد أخبر أن الثلاثة يدخلون الجنة. وقد حكي عن بعض غلاة المرجئة أن أحدا من أهل التوحيد لا يدخل النار. ولكن هذا لا أعرف به قائلا معينا فأحكيه عنه. ومن الناس من يحكيه^(١) عن مقاتل بن سليمان، والظاهر أنه غلط عليه.

هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ١/٩٩ (كتاب الإيمان، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا)؛ المسند (ط. المعارف) ١٨/١٠٠. وجاء قسم من الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «من حمل علينا السلاح فليس منا» عن ابن عمر وأبى موسى الأشعري وسلمة رضى الله عنهم فى: البخارى ٩/٤ (كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ومن أحياءها)، ٩/٤٩ (كتاب الفتن، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا السلاح فليس منا)؛ مسلم ١/٩٨ (كتاب الإيمان، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم: من حمل علينا السلاح فليس منا). وجاء الحديث بلفظ «من غشنا فليس منا» أو «ليس منا من غش» فى مواضع كثيرة فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه والمسند، فهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٣/٣٧٠ (كتاب البيوع، باب فى النهى عن الغش)؛ سنن الترمذى ٢/٣٨٩ (كتاب البيوع، باب ما جاء فى كراهية الغش فى البيوع). وقال الترمذى وحديث أبى هريرة حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا الغش وقالوا: الغش حرام.

(١) ن، م، و، أ: من يذكره.

وهؤلاء قد يحتجون بهذه الآية، ويحتجون بقوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [سورة الليل: ١٤ - ١٦] وقد يحتج بعض الجهال بقوله: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [سورة الزمر: ١٦] قال: فالوعيد شيء يخوفكم به.

ويقولون: أما قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٩]؛ فهذه في الكفار؛ فإنه قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلٌ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٨، ٩]. وكذلك قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥ - ٢٨]، فقد أخبر سبحانه أن هؤلاء ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، وأن الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ، أي: وسَّعَ لَهُمْ فِي الْعَمْرِ، وكان هذا بسبب وعدهم للكفار^(١) بالموافقة، فقال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾.

ولهذا فسّر السلف هؤلاء الذين كرهوا ما نزل الله الذين كانوا سبب نزول هذه الآية بالمنافقين واليهود. قالت الوعيدية: الله^(٢) تعالى إنما

(١) ح، ب: وعدهم الكفار.

(٢) و: فالله.

وصفهم بمجرد كراهة ما نزل الله، والكراهة^(١) عمل القلب. وعند
الجهمية الإيمان مجرد تصديق القلب^(٢) وعلمه^(٣)، هذا قول جهم
والصالحى والأشعري فى المشهور عنه وأكثر أصحابه..

وعند فقهاء المرجئة: هو قول اللسان مع تصديق القلب. وعلى
القوليين أعمال القلوب ليست من الإيمان عندهم كأعمال الجوارح،
فيمكن أن يكون الرجل مصدقاً بلسانه وقلبه^(٤) مع كراهة ما نزل^(٥) الله،
وحيثئذ فلا يكون هذا كافراً عندهم. والآية تتناوله، وإذا دلت على كفره
دلت على فساد قولهم.

قالوا: وأما قولكم: المتقون الذين اتقوا الشرك. فهذا خلاف القرآن؛
فإن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهِ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾
[سورة المرسلات: ٤١، ٤٢]، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ﴾ [سورة القمر:
٥٤]..

وقال: ﴿أَلَمْ * ذَلِكِ الْكِتَابُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [سورة البقرة: ١ - ٤].

وقالت مريم: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ [سورة مريم:

(١) ب (فقط): والكراهية.

(٢) ح، ب: التصديق بالقلب.

(٣) ن، م، أ: وعمله، وهو تحريف.

(٤) ح، ب: مصدقاً بقلبه ولسانه؛ أ: مصدقاً وقلبه..

(٥) ن، م: انزل.

[١٨] ولم ترد به الشرك^(١)، بل أرادت التقى الذى يتقى فلا يقدم^(٢) على الفجور.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ١].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال يوسف: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿تُبَلَّوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البجائية: ١٨، ١٩].

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠، ٧١]، فهم قد آمنوا واتقوا الشرك، فلم يكن الذى أمرهم به بعد ذلك مجرد ترك الشرك.

وقال / تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [سورة آل

(١) عند عبارة «ولم ترد به الشرك» تعود نسخة (ى) بعد السقط الطويل الذى أشرت من قبل إلى أوله.

(٢) ح، ب، ي، ر: أرادت التقى الذى لا يقدم؛ أ، و: أرادت الذى يتقى فلا يتقدم..

عمران: ١٠٢]. أفيقول مسلم: إن قطاع الطريق الذين يسفكون دماء الناس
ويأخذون أموالهم اتقوا الله حق تقاته لكونهم لم يشركوا، وإن أهل
الفواحش وشرب الخمر وظلم الناس اتقوا الله حق تقاته؟!!

وقد قال [السلف]: ابن مسعود^(١) وغيره: كالحسن، وعكرمة، وقتادة،
ومقاتل: «حق تقاته: أن يُطاع فلا يعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر
فلا يُنسى»^(٢). وبعضهم / يرويه عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم. وفي تفسير الوالبي عن ابن عباس قال: هو أن يجاهد العبد في
الله حق جهاده، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، وأن يقوموا له بالقسط
ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم^(٣).

٧٤ / ٣

وفي الآية^(٤) أخرى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [سورة التغابن: ١٦] وهذه
مفسرة لتلك. ومن قال من السلف هي ناسخة لها، فمعناه أنها رافعة لما
يُظن من أن المراد من حق تقاته: ما يعجز البشر عنه؛ فإن الله لم يأمر
بهذا قط. ومن قال: إن الله أمر به، فقد غلط. ولفظ النسخ في عُرف
السلف يدخل فيه كل ما فيه نوع رفعٍ لحكم، أو ظاهر، أو ظن دلالة
حتى يسموا تخصيص العام نسخاً^(٥)، ومنهم من يسمي الاستثناء نسخاً
إذا تأخر نزوله.

(١) ن، م: وقال ابن مسعود؛ أ: وقال السلف ابن مسعود...

(٢) ن، م: وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

(٣) أورد هذه العبارات ابن كثير في تفسيره ٧٢/٢.

(٤) ب (فقط): وفي آية..

(٥) عند عبارة تخصيص العام (وفي أسفل الصفحة كلمة: نسخاً) تنتهي نسخة (أ) كما أشرت

إلى ذلك في المقدمة.

وقد قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٥٢]، فهذا رفع لشيء ألقاه الشيطان ولم ينزله الله، لكن غايته أن يظن أن الله أنزله، وقد أخبر أنه نسخه.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ [سورة الاعراف: ٢٠١، ٢٠٢]، فمن كان الشيطان لا يزال يمدده في الغي، وهو لا يتذكر ولا يبصر، كيف يكون من المتقين؟

وقد قال تعالى في آية الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢، ٣]. وفي حديث أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يا أبا ذر لو عمل الناس كلهم بهذه الآية لكفتهم»^(١) وكان ابن عباس وغيره من الصحابة إذا تعدى الرجل حد الله في الطلاق يقولون له: لو اتقيت الله لجعل لك مخرجا وفرجا.

ومعلوم أنه ليس المراد بالتقوى هنا مجرد تقوى الشرك. ومن أواخر^(٢)

(١) الحديث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه في: سنن ابن ماجه ١٤١١/٢ (كتاب الزهد، باب الورع والتقوى) ونصه «حدثنا هشام بن عمار وعثمان بن أبي شيبة... عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لأعرف كلمة (وقال عثمان: آية) لو أخذ الناس كلهم بها لكفتهم». قالوا: يا رسول الله، آية آية؟ قال: «ومن يتق الله يجعل له مخرجا». قال المعلق: «في الزوائد: هذا الحديث رجاله ثقات، غير أنه منقطع، وأبو السليل لم يدرك أبا ذر، قاله في التهذيب». وذكر ابن كثير الحديث في تفسير الآية وزاد: «قال: فجعل يتلوها ويردها على حتى نعست. ثم قال: «يا أبا ذر كيف تصنع إذا خرجت من المدينة؟... الحديث».

(٢) ن، م: ومن آخر.

ما نزل من القرآن وقيل : إنها آخر آية نزلت قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٨١]، فهل اتقاء ذلك هو مجرد ترك الشرك، وإن فعل كل ما حرم الله عليه، وترك كل ما أمر الله به؟ وقد قال طلق بن حبيب - ومع هذا كان سعيد بن جبير ينسبه إلى الإرجاء - قال : التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وبالجملة فكون المتقين هم الأبرار الفاعلون^(١) للفرائض، المجتنبون^(٢) للمحارم، هو من العلم العام الذي يعرفه المسلمون خلفا عن سلف، والقرآن والأحاديث [تقتضى ذلك]^(٣) .

قالت المرجئة : أما احتجاجكم بقوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة: ١٨] فلا يصح، لأن تمام الآية يدل على أن المراد بالفاسق المكذب؛ فإنه قال : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة السجدة: ٢٠]، فقد وصفهم بالتكذيب بعذاب الآخرة، وهذا وصف المكذب لا العاصي .

وقالوا مع الجمهور للخوارج : لو كان صاحب الكبيرة كافراً لكان مرتداً ووجب قتله . والله تعالى قد أمر بجلد الزاني و [أمر بجلد] القاذف و [أمر]

(١) ب (فقط): الفاعلين .

(٢) ب (فقط): المجتنبين .

(٣) تقتضى ذلك : ساقطة من (ن) .

بقطع السارق^(١)، ومضت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بجلد الشارب. فهذه النصوص صريحة بأن الزانى والشارب والسارق والقاذف ليسوا كفارا مرتدين يستحقون القتل، فمن جعلهم كفارا فقد خالف نص القرآن والسنة المتواترة.

وقالوا لهم وللمعتزلة: [قد]^(٢) قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٩، ١٠] قالوا: فقد سماهم مؤمنين مع الاقتتال والبغى، وقد أمر الله تعالى بالإصلاح بينهم، وجعلهم إخوة المصلح^(٣) بينهم الذى لم يقاتل. فَعُلم أن البغى لا يخرج عن الإيمان ولا عن أخوة الإيمان.

قالت المرجئة وقوله^(٤): «ليس منا» أى ليس مثلنا، أو ليس من خيارنا. فقيل لهم: فلو لم^(٥) يغش ولم يحمل السلاح، أكان يكون مثل النبي صلى الله عليه وسلم؟ أو كان يكون / من خيارهم بمجرد هذا للكلام؟

وقالت المرجئة: نصوص الوعيد عامة، ومنا من ينكر صيغ العموم.

(١) ن، م: أمر بجلد الزانى والقاذف ويقطع السارق.

(٢) قد: زيادة فى (و)، (ب).

(٣) ب (فقط): للمصلح.

(٤) أى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٥) ح، ب: لولم.

ومن أثبتها قال: لا يُعلم^(١) تناولها^(٢) لكل فرد من أفراد العام^(٣)، فمن لم يعذب^(٤) لم يكن اللفظ قد شمله.

ف قيل للواقفة منهم: عندكم يجوز أن لا يحصل الوعيد بأحد من أهل القبلة، فيلزم تعطيل نصوص الوعيد، ولا تبقى لا خاصة ولا عامة.

وليس مقصودنا هنا استيفاء الكلام في المسألة، وإنما الغرض التمثيل بالمناظرات من الطرفين. وأهل السنة والحديث، وأئمة الإسلام

المتبعون للصحابة، متوسطون بين هؤلاء وهؤلاء. لا يقولون بتخليد أحد من أهل القبلة في النار، كما تقوله الخوارج / والمعتزلة. لما ثبت عن

النبي صلى الله عليه وسلم في^(٥) الأحاديث الصحيحة أنه «يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٦) وإخراجه من النار من يخرج بشفاعة

نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن يشفع له من أهل الكبائر من أمته^(٧).

(١) ن، م: لا نعلم.

(٢) م: بتناولها؛ ن: بتأويلها، وهو تحريف.

(٣) ح، م: العالم، وهو تحريف.

(٤) ح، ر: فمن لم يكن يعذب.

(٥) ح، ر، ب، و: من.

(٦) مضى هذا الحديث من قبل في هذا الجزء، ص ٢٠٥.

(٧) عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «شفاعتي لأهل

الكبائر من أمتي». والحديث في: سنن أبي داود ٣٢٥/٤ (كتاب السنة، باب في

الشفاعة)؛ سنن الترمذى ٤٥/٤ (كتاب صفة القيامة، باب رقم ١١) وقال الترمذى: «وفي

الباب عن جابر، هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»؛ المسند (ط. الحلبي)

٢١٣/٣. والحديث بمعناه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه في: سنن الترمذى (في

الموضع السابق)؛ سنن ابن ماجه ١٤٤١/٢ (كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة). وانظر:

شرح العقيدة الطحاوية (تحقيق شعيب الأرنؤوط ١٤٠١/١٤٨١) ص ١٩٨ - ٢٠٠.

[وهذه أحاديث كثيرة مستفيضة متواترة عند أهل العلم بالحديث، ولا يقولون: إنا نقف في الأحكام المطلقة، بل نعلم أن الله يدخل النار من يدخله من أهل الكبائر^(١)، وناس آخرون لا يدخلونها لأسباب. لكن تنازعوا: هل يكون الداخلون بسبب اقتضى ذلك، كعظم^(٢) الذنوب وكثرتها، والذين لم يدخلوها بسبب منع ذلك، كالحسنات المعارضة ونحوها؟ وأنه سبحانه وتعالى يفعل ما يفعله بحكمة وأسباب؟ أم قد يفرق بين المتماثلين بمحض المشيئة، فيعذب الشخص ويعفو عمن هو مثله من كل وجه بمحض المشيئة؟ هذا لهم فيه قولان والنصوص وأقوال السلف توافق الأول.

وإنما قد نقف في الشخص المعين؛ فلا نشهد له بجنة ولا نار إلا عن علم، لأن حقيقة باطنه وما مات عليه لا نحيط به، لكن نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء.

ولهم في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال: منهم من لا يشهد بالجنة لأحد إلا للأنبياء. وهذا قول محمد بن الحنفية والأوزاعي. والثاني: أنه يشهد بالجنة لكل مؤمن جاء فيه نص. وهذا قول كثير من أهل الحديث.

والثالث: يشهد بالجنة لهؤلاء وللمن شهد له المؤمنون. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم شهداء الله في الأرض»^(٣). وقال «يوشك أن

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٢) كعظم: كذا في (ب) فقط، وهو صواب، وفي سائر النسخ: لعظم.

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٤٩٨/٣ وأوله: «وجبت».

تعلموا أهل الجنة من أهل النار» قالوا: بم يارسول الله؟ قال: «بالثناء الحسن والثناء السيء»^(١) فأخبر أن ذلك مما يُعلم به أهل الجنة وأهل النار. وكان أبو ثور يقول: «أشهد أن أحمد بن حنبل في الجنة» ويحتج بهذا. ويسط هذه المسألة له موضع آخر.

والإيمان عندهم يتفاضل، فيكون إيمانُ أكمل من إيمان. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»^(٢). فيقولون: قوله: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة: ٢٧] أى ممن اتقاه فى ذلك العمل، ليس المراد به الخلو من الذنوب، ولا مجرد الخلو من الشرك، بل من اتقاه فى عمل قبله منه وإن كانت له ذنوب أخرى، بدليل قوله ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [سورة هود: ١١٤] فلو كانت الحسنة لا تقبل من صاحب السيئة لم تمحها.

وقد ثبت بالكتاب والسنة [المتواترة]^(٣) الموازنة بين الحسنات والسيئات، فلو كانت الكبيرة تحبط الحسنات لم تبق حسنة توزن معها.

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤٩٨/٣.

(٢) الحديث عن أبى هريرة وعائشة رضى الله عنهما فى: سنن أبى داود ٣٠٤/٤ (كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)؛ سنن الترمذى ٣١٥/٢ (كتاب الرضاع، باب ما جاء فى حق المرأة على زوجها)، ١٢٢/٤ (كتاب الإيمان، باب فى استكمال الإيمان وزيادة والنقصان) وقال الترمذى عن حديث أبى هريرة: «وفى الباب عن عائشة وابن عباس، حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح». والحديث أيضا فى: سنن الدارمى ٣٢٣/٢ (كتاب الرقاق، باب فى حسن الخلق)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣/١٣٣، (ط. الحلبي) ٤٧٢/٢، ٥٢٧، ٤٧/٦، ٩٩.

(٣) المتواترة: زيادة فى (ب) فقط.

وقد ثبت في الصحيحين أن بغيًا سقت كلبا فغفر الله^(١) لها بسقيه^(٢).
 قالوا: وابنا آدم لم يكن أحدهما مشركا، ولكن لم يقصد التقرب إلى
 الله بالطيب من ماله، كما جاء في الأثر. فلهذا لم يتقبل الله قربانه.
 وقد قال تعالى في حق المنافقين: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ
 إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ
 إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤] فجعل هذه موانع قبول النفقة دون
 مطلق الذنوب.

قال أهل الحديث والسنة^(٣): ومن نفى عنه الإيمان فلأنه ترك بعض
 واجباته. والعبادة يُنفى اسمها بنفى بعض واجباتها، لأنها لم تبق كاملة،
 ولا يلزم من ذلك أن لا يبقى منه شيء، بل قد دلت النصوص على أنه
 يبقى بعضه، ويخرج من النار من بقي معه بعضه.

ومعلوم أن العبادات فيها واجب كالحج، فيه واجب إذا تركه كان حجة
 ناقصة، يأثم بما ترك، ولا إعادة عليه، بل يجبره بدم، كرمى الجمار، وإن
 لم يجبره بقي في ذمته. فكذلك الإيمان ينقص بالذنوب، فإن تاب عاد،
 وإلا بقي ناقصا نقصا / يأثم به. وقد يحرم في الحج أفعال إذا فعلها

(١) الله: في (ن)، (م) فقط.

(٢) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن أبي هريرة رضى الله عنه في: البخارى ١٧٣/٤
 (كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان . . .) ونصه فيه: «بينما كلب يطيف بركبة كاد يقتله
 العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به» والموق:
 الخف. والحديث في: مسلم ١٧٦١/٤ (كتاب السلام، باب فضل ساقى المحترمة
 وإطعامها) وأوله فيه: «إن امرأة بغي. . . الخ»؛ المسند (ط. الحلبي) ٥٠٧/٢.

(٣) السنة: ساقطة من (ح)، (ب).

نقص حجة ولم يبطل ، كالتطيب ولبس الثياب ، بل يجبر ذلك ولا يفسده من المحرمات إلا الجماع .

فكذلك لا يزيل الإيمان كله إلا الكفر المحض ، الذي لا يبقى مع صاحبه شيء من الإيمان . قالوا : وهذا هو الذي يحبط جميع الأعمال . وأما ما دون ذلك فقد يحبط بعض العمل ، كما في آية المن والأذى ؛ فإن ذلك يبطل تلك الصدقة ، لا يبطل سائر أعماله^(١) .

والذين كرهوا ما أنزل الله كفار ، وأعمال القلوب ، مثل حب الله ورسوله ، وخشية الله ، ونحو ذلك ، كلها من الإيمان . وكرهه ما أنزل الله كفر . وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله . وقد قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .

وقوله في السابق والمقتصد والظالم لنفسه : ﴿جَنَاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [سورة الرعد : ٢٣] لا يمنع أن يكون الظالم لنفسه قد عذّب قبل هذا ثم يدخلها .

وقوله ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ [سورة الليل : ١٥] لا يخلو إما أن يكون المراد بالصلي نوعاً من التعذيب ؛ كما قيل : إن الذي تصلية النار هو الذي تحيط به ، وأهل القبلة لا تحرق النار منهم مواضع السجود ، أو تكون ناراً مخصوصة .

وقوله : ﴿يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ [سورة الزمر : ١٦] ، كقول النبي صلى الله

(١) الإشارة هنا إلى آية ٢٦٤ من سورة البقرة : (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى . . . الآية .)

عليه وسلم في الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده»^(١).

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٩] والآيات التي خوف الله بها [عباده]^(٢) تكون سبباً في شر ينزل بالناس، فمن اتقى الله بفعل ما أمر به وقى ذلك الشر. ولو كان مما لا حقيقة له أصلاً لم يخف أحد إذا علم أنه لا شر في الباطن، وإنما يبقى التخويف للجاهل / القدم^(٣) كما يفزع الصبيان بالخيال.

وقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة الزمر: ١٦] فخوف العباد مطلقاً، وأمرهم بتقواه، لئلا ينزل المخوف، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين، والإنذار هو الإعلام بما يخاف منه، وقد وجدت المخوفات في الدنيا، وعاقب الله على الذنوب أمماً كثيرة، كما قصه في كتابه، وكما شوهد من الآيات، وأخبر عن دخول أهل النار النار في غير موضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] ولو كان الأمر كما يتوهمه الجاهل لكان إنما يخشاه من عباده الجهال الذين

(١) الحديث بلفظ مقارب عن أبي بكر وأبي مسعود الأنصاري رضي الله عنهما في: البخاري ٣٦/٢ (كتاب الكسوف، باب يخوف الله عباده بالكسوف)؛ مسلم ٦٢٨/٢ (كتاب الكسوف، باب ذكر النداء بصلاة الكسوف...). وجاء الحديث بمعناه عن عدد من الصحابة وبألفاظ مختلفة في كتاب «الكسوف» في كل من البخاري ومسلم، وفي مواضع أخرى في البخاري، وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه والدارمي والمسند والموطأ.

(٢) عباده: زيادة في (ج)، (ب).

(٣) في «اللسان»: «القدم من الناس: العبيء عن الحججة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم».

يتخيلون ما لا حقيقة له . وهذا [كله]^(١) مبسوط في موضعه، وإنما الغرض هنا التمثيل بأقوال المختلفين^(٢) التي كلها باطلة .

ومثال ذلك : إذا تنازع في القدر القدرية من المعتزلة وغيرهم، والقدرية المجبرة^(٣) من الجهمية وغيرهم، فقالوا جميعاً: إرادة الله هي محبته وهي رضاه^(٤). ثم قالت المعتزلة: وهو سبحانه يحب الإيمان والعمل الصالح، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، فلا يكون مريداً له .

قالوا: والدليل على ذلك قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧]، وقوله: ﴿إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٠]، وقوله ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥] .

والفقهاء متفقون على أن أفعال البر تنقسم إلى واجب ومستحب، والمستحب هو ما أحبه الله ورسوله، وأن المنهى [عنه]^(٥) كله مكروه، كرهه الله ورسوله . والكرهية نوعان: كراهة تحريم، وكرهية تنزيه .

وقد قال تعالى لما ذكر المحرمات: ﴿كُلُّ ذَلِكُمْ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٨] . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله يكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة

(١) كله : ساقطة من (ن)، (م) .

(٢) ن، م : التمثيل بين أقوال المختلفين ؛ ي : التمثيل وأقوال المختلفين .

(٣) ن : والجهمية المجبرة . . .

(٤) ب : هي محبته ورضاه ؛ و : هي تحببه وهي رضاه .

(٥) عنه : زيادة في (ب) فقط .

المال»^(١). وفي الصحيح أيضا عنه أنه قال: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب»^(٢).

قالوا: فهذا دليل على أنه يكون في العالم ما هو مكروه لله، [فلا يكون مراداً لله]^(٣)، فيكون في العالم ما لا يريده الله، وهو ما لم يأمر الله به أو ينه عنه^(٤).

قالوا: والأمر لا يعقل أمراً إلا بإرادة الأمر لما أمر به من الأمور، ومن قدر أن الأمر يطلب الأمور به طلباً لا يكون إرادة ولا مستلزماً للإرادة، فهذا قد ادعى ما يُعلم فسادَه بالضرورة، وما يحتاج به من التمثيل بأمر الممتحن، فذاك لم يكن طالباً^(٥) للمأمور به، ولا مريداً له في الباطن، بل أظهر أنه مريد طالب.

[وقالوا]^(٦): قد قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ

الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة ١٨٥].

- (١) سبق الحديث فيما مضى ١٥٩/٣ ولفظه: «إن الله كره...».
- (٢) هذا جزء من حديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ٤٩/٨ (كتاب الأدب، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب) ولفظه فيه: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، فإذا عطس فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يشتمه. وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فليردّه ما استطاع، فإذا قال: ها، ضحك منه الشيطان». وجاء الحديث مرة أخرى فى البخارى ٥٠/٨ (كتاب الأدب، باب إذا ثأب فليضع يده على فيه). وهو فى: سنن الترمذى ٤/١٨٠ - ١٨١ (كتاب الأدب، باب ما جاء فى خفض الصوت وتخيم الوجه عند العطاس)؛ المسند (ط. المعارف) ٣١/١٤ - ٣٣ (وانظر تعليق المحقق)، ١٥١/١٨، (ط. الحلبي) ٥٧١/٢.
- (٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).
- (٤) ن، م: أو نهى عنه.
- (٥) م: طلباً.
- (٦) وقالوا: ساقطة من (ن)، (م).

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء: ٢٦ - ٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣].

فهذه المرادات كلها قد أمر بها عباده؛ فمنهم من أطاع ومنهم من عصى. فعلم أنه قد يريد من العباد ما لا يفعلونه، كما يأمرهم^(١) بما لا يفعلونه.

قالت القدرية الجبرية من الجهمية، ومن اتبعهم: بل إرادته تعالى تتناول ما وجد دون ما لم يوجد، فإن المسلمين متفقون على قولهم: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولأن إرادة ما علم أنه لا يكون تمن. وقد قال سبحانه: ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٧]، فكل ما يشاؤه فقد فعله.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة: ١٣].
فعلم أنه لم يشأ ذلك، فلم يرد هدى كل أحد، وإن كان قد أمر به.

(١) ح، ر، ي: كما أمرهم.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام:

١٢٥]، فعلم أنه يريد الإضلال، كما يريد شرح الصدر للإسلام.

وقال نوح: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [سورة هود: ٣٤]، فدل على أنه يريد إغواء من غوى.

وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الرعد: ١٦]، فكل ما وُجد

من أفعال [العباد]^(١) وغيرها فإن الله خالقه.

[قالوا]^(٢): وما أَرَادَهُ فَقَدْ أَحَبَهُ وَرَضِيَهُ، وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾

[سورة البقرة: ٢٠٥]: أَي مِمَّنْ لَمْ يُفْسِدْ، أَوْ لَا يَحِبُّهُ دِينًا^(٣).

وكذلك قوله: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [سورة الزمر: ٧] أَي مِمَّنْ لَمْ

يَكْفُرْ، أَوْ لَا يَرْضَاهُ^(٤) دِينًا، كَمَا أَنَّهُ لَا يَحِبُّ الْإِيمَانَ مِمَّنْ لَمْ يُؤْمِنْ، أَوْ لَا

يَحِبُّهُ غَيْرَ دِينٍ.

قال المنازعون لهم من المعتزلة وغيرهم: فقد قال: ﴿إِذْ يَبْيِتُونَ مَا لَا

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٠٨]. وَأَوْلَتْكَ مَنَاقِقُونَ، وَذَلِكَ الْقَوْلُ

مَحْرَمٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ وَاقَعٌ مِنْهُمْ، وَقَدْ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يَرْضَاهُ، فَعُلِمَ أَنَّهُ^(٥) مَا وَقَع

مِنَ الْمَعَاصِي لَا يَرْضَاهُ.

وكذلك قوله: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ

(١) العباد: ساقطة من (ن).

(٢) قالوا: ساقطة من (ن).

(٣) ن: ولا يحبه.

(٤) ن: ولا يرضاه.

(٥) ب (فقط): أن.

الْكُفْرُ ﴿سورة الزمر: ٧﴾: أخبر أنه لا يرضاه بتقدير وقوعه، ولا يقال: إنه يرضى كل موجود.

ص ٢٠٧

وقولكم: لا يرضاه دينا، فالرضا في كتاب الله متعلق بنفس / الفعل، [لا بشيء^(١)] محذوف، وكونه لا يرضاه دينا عندكم، معناه: لا يريد أن يثيب صاحبه عليه. ومعلوم أن إبليس والشياطين لا يرضونه دينا بهذا الاعتبار؛ مع أن إبليس يرضى الكفر ويختاره؛ فإنه قد يحب ما يبغضه الله ويبغض ما يحبه [الله]^(٢) ليغوى الناس بذلك.

قال الله تعالى عنه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [سورة الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة يس: ٦٠، ٦١]. قالوا: والأمة متفقة على أن الله سبحانه يحب الإيمان والعمل الصالح، ويحب المتقين والمحسين، ويحب التوايين، ويحب المتطهرين، ويحب المقسطين، ولا يحب المعاصي ولا يرضاهما.

واحتجاجنا بهذا الإجماع أقوى من احتجاجكم بقولهم^(٣): «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» فإنهم كلهم يقولون: إن الصلاة والصدقة والأعمال الصالحة يرضاهم الله ورسوله، ويحبها الله ورسوله، ويقولون عن الفواحش والظلم: هذا لا يرضاه الله ورسوله، ولا يحبه الله ورسوله.

(١) لا بشيء: ساقطة من (ن).

(٢) لفظ الجلالة ليس في (ن).

(٣) ح، ب: بقول؛ و: بقوله.

فأنتم خالفتم الكتاب والسنة والإجماع فى قولكم: إن كل ما وقع من الكفر [والفسوق]^(١) والعصيان فإن الله يحبه ويرضاه.

قالت القدريّة المجبرة من الجهمية وغيرهم: أنتم تقولون: إن الله لم يختص المؤمنين بنعمة اهتدوا بها، بل نعمته على الكفار والمؤمنين فى الإيمان سواء. وهذا خلاف الشرع [والعقل]^(٢)؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [سورة الأنعام: ٥٣] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [سورة النور: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٨].

٧٨ / ٣

وقال ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّوا كَثِيرًا مَنْ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥، ٣٦]. وقال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة التكويد: ٢٨، ٢٩].

(١) والفسوق: ساقطة من (ن)، (م). وفى (و): الفسق. (٢) والعقل: ساقطة من (ن) فقط.

وقال: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [سورة المزمل: ١٩].
[وقال]: ^(١) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾

[سورة الإنسان: ٣٠].

وقال: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ
وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [سورة المدثر: ٥٥ - ٥٦].

وقد أمرنا أن نقول في الصلاة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ
الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة:
٧، ٦].

والذين أنعم الله عليهم هم ^(٢) المذكورون في قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ
مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

والإنعام المطلق إنما يدخل فيه المؤمنون؛ فدل ذلك على [أن]
الطاعة ^(٣) الحاصلة من المؤمنين هو الذي أنعم بها، ولو كانت نعمته
عليهم كنعمته على الكفار، لكان الجميع من المنعم عليهم، أهل
الصراط المستقيم.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] صفة لا
استثناء ^(٤)، لأنه خفض «غير» كما تقول العرب: إني لأمر بالصادق غير

(١) وقال: في (ح)، (ب) فقط.

(٢) هم: ساقطة من (ح)، (ب).

(٣) ن: فدل ذلك على الطاعة؛ م: فدل ذلك إنما الطاعة.

(٤) ن، م: صفة الاستثناء.

الكاذب. فالمغضوب عليهم والضالون لم يدخلوا في المنعم عليهم حتى يخرجوا، بل بين أن هؤلاء مغايرون لأولئك، كمغايرة الصادق للكاذب.

وقد قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [سورة الكهف: ١٧] فدل على أن كل من هداه الله اهتدى، ولو هدى الكافر كما هدى المؤمن لاهتدى.

وقال الخليل: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [سورة ابراهيم: ٤٠، ٤١] فتبين أنه سبحانه هو الذى يجعله مقيم الصلاة.

[وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾] ^(١) [سورة الانبياء: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [سورة القصص: ٤١] فهو الذى جعل هؤلاء أئمة هدى وهؤلاء أئمة ضلال.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩] فبين أن لينه برحمة من الله.

وقال أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الاعراف: ٤٣].

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ * ذلك هدى الله يهذى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ إلى قوله:

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) فقط.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [سورة الأنعام: ٨٧ - ٩٠] فأخبر أنه يخص بهذا الهدى من يشاء من عباده، وأخبر أن هؤلاء هم الذين هداهم الله، فعلم أنه خصّ بهذا الهدى من اهتدى به دون من لم يهتد به^(١)، ودل على تخصيص المهتدين بأنه هداهم ولم يهد من لم يهتد. والهدى يكون بمعنى البيان والدعوة، وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر. كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [سورة فصلت: ١٧].

ويكون بمعنى جعله^(٢) مهتديا، وهذا يختص بالمؤمنين، وهو المطلوب بقوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] وبقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢]. وذلك أن هدى / بمعنى دَلَّ وأرشد قد يكون بالقوة، فهذا مشترك، وقد يكون بالفعل، فهذا مختص. كما تقول^(٣): عَلَّمْتُهُ فتعلم، وعلمته فما تعلم. وكذلك: هديته فاهتدى، وهديته فما اهتدى. فالأول مختص بالمؤمنين، والثاني مشترك.

وليس تعليمه وهداه كتعليم البشر بعضهم بعضا؛ فإن المعلم يقول والمتعلم يتعلم بأسباب لا يقدر عليها المعلم. والله تعالى هو الذى يجعل العلم فى قلوب^(٤) من علمه. ولهذا يُطلب منه ذلك فيُقال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ولا يقال ذلك للبشر^(٥)؛ فإنهم لا يقدرُونَ عليه.

(١) و: من هدى به دون من لم يهده.

(٢) ن، م: وهذا مختص بقوله...

(٣) ن، م: جعلته.

(٤) ن، م: لبشر.

(٥) ح، ب، ي: فى قلب.

ويطلب العبد من الله أن يفهمه ويعلمه^(١) ويشرح صدره، وأن يحجب إليه الإيمان والعمل الصالح، ولا يطلب هذا من غير الله. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [سورة الزمر: ٢٢].

وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام: ١٢٥].

وقال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]، فخص سليمان بالتفهم مع أنهما كانا حاكمتين، لم يخص أحدهما بعلم ظاهر. وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٧]. [٨].

وكانت أكثر يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ومقلب القلوب»^(٢).

وقال: «ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين إصبعين من أصابع

(١) ح، ب: أن يعلمه ويفهمه.

(٢) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى: البخارى ١٢٨/٨ - ١٢٩ (كتاب الأيمان، باب كيف كانت يمين النبى صلى الله عليه وسلم) ١١٨/٩ (كتاب التوحيد، باب مقلب القلوب)؛ سنن الترمذى ٤٨/٣ (كتاب النذور، باب كيف كان يمين النبى صلى الله عليه وسلم)؛ سنن النسائى ٣/٧ (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بمصرف القلوب) فى موضعين؛ سنن ابن ماجه ٦٧٦/١ (كتاب الكفارات، باب يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم التى كان يحلف بها)؛ سنن الدرهمى ١٨٧/٢ (كتاب النذور والأيمان، باب بأى أسماء الله حلفت لزمك)؛ الموطأ ٤٨٠/٢ (كتاب النذور والأيمان، باب جامع الأيمان)؛ المسند (ط. المعارف) ١٧/٧، ٢١٥.

الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه^(١).
 و[قد] قال [تعالى] في دعاء^(٢) المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ
 هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨].
 وقال تعالى: ﴿وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَأَقْوَىٰ إِلَّا بِاللَّهِ﴾
 [سورة الكهف: ٣٩].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾
 [سورة يونس: ٩٩].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة هود: ١١٨].
 وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُمْ
 الْبَيِّنَاتِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣].

وقال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة: ١٣].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

وقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٠٧].

وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ
 * وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا

(١) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن النّوّاس بن سمعان الكلابي رضى الله عنه فى:
 سنن ابن ماجه ٧٢/١ (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية) وفى التعليق: «فى الزوائد:
 إسناده صحيح» والحديث فى: المسند (ط. الحلبي) ١٨٢/٤. وصححه الألبانى فى
 تخريج كتاب «السنة» لابن أبى عاصم ٩٨/١ - ٩٩، ط. المكتب الاسلامى،
 ١٩٨٠/١٤٠٠ وتكلم عليه.

(٢) ن: وقال فى دعاء...

يُبْصِرُونَ ﴿ [سورة يس : ٩، ٨] .

والآيات والنصوص المثبتة للقدر كثيرة جدا . وهذا كله حجة على بطلان قول المعتزلة، وغيرهم من القدرية النافية . فصار مع هؤلاء نصوص يقولون بها، ومع هؤلاء نصوص . وكل من الطائفتين يتأول نصوص الأخرى بتأويلات فاسدة، ويضم إلى النصوص التي يحتج^(١) بها أمورا لا تدل عليها النصوص .

وأما أهل السنة والحديث، من الصحابة والتابعين [لهم بإحسان، وأئمة المسلمين] وعلماء أهل السنة والحديث رضی الله عنهم فأمنوا^(٢) بالكتاب كله، ولم يحرفوا شيئا من النصوص، وقالوا: نحن نقول: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» ونقول: إن الله خالق كل شيء وربهم ومليكه، فكل ما سوى الله مخلوق له^(٣)، حادث بمشيئته وقدرته، ولا يكون في ملكه ما لا يشاؤه ويخلقه، فلا يقدر أحد أن يمنع الله عما أراد أن يخلقه ويكوّنه؛ فإن الواحد القهار ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده، [﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾] ^(٤) [سورة فاطر: ٢] .

وقالوا: إن الله يأمر بالإيمان والعمل الصالح، وينهى عن الكفر والفسوق والعصيان، ويحب كل ما أمر به ويرضاه، ويكره ما نهى عنه

(١) ن، م: التي احتج .

(٢) ن، م: والتابعين وعلماء المسلمين فأمنوا . .

(٣) ن، م: فكل ما سواه مخلوق له .

(٤) ما بين المعقوفتين زيادة في (ج)، (ب) .

ويسخطة . وهو سبحانه لا يحب الفساد، ولا يرضى لعباده الكفر.
قالوا: وليس كل ما أمر العباد به وأراد منهم أن يفعلوه، أراد هو أن
يخلقه لهم ويعينهم عليه، بل إعانتة على الطاعة لمن أمره بها فضل منه
كسائر النعم، وهو يختص برحمته من يشاء.

والطائفتان غلطوا من حيث أنهم [لم]^(١) يميزوا بين إرادته لما يخلقه
في عباده، وإرادته لما يأمر به عباده. وقد قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤]؛ فالرب خالق كل شيء، وكل ما خلقه بإرادته
خَلَقَهُ؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فما لم يكن لم يرد أن
يخلقه، وما كان فقد أراد أن يخلقه. وهو لا يريد [أن يخلق]^(٢) إلا ما سبق
علمه بأنه سيخلقه، فإن العلم يطابق المعلوم.

وقد أمر العباد^(٣) بالحسنات التي تنفعهم، ونهاهم عن السيئات التي
تضرهم. والحسنات محبوبة لله مرضية^(٤)، والسيئات مكروهة له
يسخطها ويسخط على أهلها، وإن كان الجميع مخلوقاً له. فإنه خلق
جبريل وإبليس، وهو يحب جبريل ويبغض إبليس. وخلق الجنة والنار،
وجعل الظلمات والنور، وخلق الظل والحرور، وخلق الموت والحياة،
و[خلق] الذكر والأنثى، و[خلق] الأعمى^(٥) والبصير.

(١) لم: ساقطة من (ن).

(٢) أن يخلق: ساقطة من (ن)، (م)، (و).

(٣) ن، م: عباده.

(٤) ح، ب: محبوبة مرضية لله.

(٥) ن، م: الذكر والأنثى والأعمى...

وقد قال: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢٠].

وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر: ١٩-٢٢].

وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [سورة القلم: ٣٥، ٣٦].

وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [سورة صر: ٢٨].

وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الجاثية: ٢١].

ص ٢٠٨

وقد خلق الطيبات والخباث، وليس^(١) / الطيبات كالخباث، ولا الفواكه والحبوب كالبؤل والعدرة. وهو سبحانه إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، وهو طيب لا يقبل إلا طيبا، وهو نظيف يحب النظافة، وجميل يحب الجمال، وليس كل ما خلقه يصعد إليه، ويكون [طيبا]^(٢) محبوبا له مرضيا عنده، بل إنما يسكن في جنته من يناسبها ويصلح لها، وكذلك النار. قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

(١) ب (فقط): وليست.

(٢) طيبا: ساقطة من (ن) فقط.

وفى الصحيح أنه إذا عبر أهل الجنة الصراط، وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم^(١) من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى / دخول الجنة، فلا يدخلون الجنة إلا بعد التهذيب والتنقية^(٢). كما قال تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

٨٠ / ٣

ولما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ قال فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢، ١٣]؛ فبين سبحانه أنه ليس لمن فى الجنة أن يتكبر.

وفى صحيح مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»^(٣). قال رجل: يارسول الله: الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا^(٤) أفمن الكبر ذاك؟ قال: «لا، إن الله جميل يحب

(١) ح، ب: لبعض؛ م: بعضهم.

(٢) الحديث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى: البخارى ١٢٨/٣ (كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظالم) ونصه: «إذا خلص المؤمنون من النار حُجِسُوا بقنطرة بين الجنة والنار فيتقاصون مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا نُقُوا وهُدُّبُوا أذن لهم بدخول الجنة، فوالذى نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لأحدهم بمسكنه فى الجنة أدل بمنزله كان فى الدنيا». وجاء الحديث مرة أخرى فى: البخارى ١١١/٨ (كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة). وهو فى: المسند (ط. الحلبي) ١٣/٣، ٥٧، ٦٣، ٧٤.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء ص ٣٠٥.

(٤) ثوبه حسنا ونعله حسنا: كذا فى (ح)، (ب). وفى سائر النسخ: نعله حسنا وثوبه حسنا.

الجمال. الكبر بظر الحق وغمط الناس»^(١). وقوله: «جميل يحب الجمال» أى يحب أن يتجمل العبد له ويتزين، كما قال تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

وهو يكره أن يصلى العبد له عريانا، بل يكره سبحانه أن تصلى المرأة له مكشوفة الرأس. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة حائضٍ إلا بخمار»^(٢).

ولهذا [لما]^(٣) كان المشركون يطوفون بالبيت عُراة، ويقولون: إن الله أمرنا بهذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ اتَّقُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة: الأعراف: ٢٨].

فتحسين النعل والثوب لعبادة الله هو من التجمل الذى يحبه الله، ولو تزين [به]^(٤) لمعصية^(٥) لم يحب ذلك. والمؤمن الذى نور الله قلبه بالإيمان يظهر نور الإيمان على وجهه، ويكسى محبة ومهابة، والمنافق

(١) جمع ابن تيمية بين الحديث السابق وهذا الحديث، والرواية الصحيحة فيها قطعة من الحديث السابق فقط هي: «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر». وسبق الحديث فيما مضى ١٦١/٣.

(٢) الحديث بلفظ «لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار» عن عائشة رضى الله عنها فى: سنن الترمذى ٢٣٤/١ (كتاب الصلاة، باب ما جاء لا تقبل صلاة الحائض إلا بخمار) وقال الترمذى: «وفى الباب عن عبدالله بن عمرو. حديث عائشة حديث حسن». وجاء الحديث بلفظ: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» فى: سنن ابن ماجه ٢١٣/١ - ٢١٤ (كتاب الطهارة، باب إذا حاضت الجارية لم تصل إلا بخمار). والحديث فى المسند (ط. الحلبي) ٢١٨/٦، ٢٥٩. (٣) لما: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) به: ساقطة من (ب) فقط. وفى (و): ولو تجمل به.

(٥) ح، ر، ي: لمعصيته؛ ب: لمعصية له.

بالعكس .

وأما الصورة المجردة، سواء كانت حسنة مشتهاة، كشهوة الرجال للنساء، والنساء للرجال، أو لم تكن مشتهاة، فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(١) ويقال: ولا إلى لباسكم .

وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَتَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَرِثِيًّا﴾ [سورة مريم: ٧٣، ٧٤] . والأثاث: اللباس والمال .
والرثى: المنظر والصورة .

وقال تعالى [عن المنافقين]^(٢): ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٤] ، فبين أن لهم أجساما ومناظر . قال ابن عباس: كان ابن أبي جسيما فصيحاً طلق^(٣) اللسان . قال المفسرون: وصفهم الله بحسن الصورة وإبانة المنطق، ثم أبان أنهم في عدم الفهم والاستغفار بمنزلة الخشب المسندة الممالة إلى الجدار . والمراد أنها ليست بأشجار ثمر^(٤)، [بل هي خشب مسندة إلى

(١) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى : مسلم ١٩٨٧/٤ (كتاب البر، باب تحريم ظلم المسلم)؛ سنن ابن ماجه ١٣٨٨/٢ (كتاب الزهد، باب القناعة)؛ المسند (ط . المعارف) ٢٧٧/١٤ (رقم ٧٨١٤)، (ط . الحلبي) ٥٣٩/٢ .

(٢) عن المنافقين: ساقطة من (ن) .

(٤) م: مشمرة؛ و: وثمر .

(٣) و: ذلق .

حائط^(١)، ثم عابهم بالجبن فقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أى: لا يسمعون صوتا إلا ظنوا أنهم قد أتوا، لما فى قلوبهم من الرعب أن يكشف الله أسرارهم .
فصاحب الصورة الجميلة إذا كان من أهل هذه الأعمال التى يبغضها الله، كان الله يبغضه ولا يحبه لجماله؛ فإن الله لا ينظر إلى صورته، وإنما ينظر إلى قلبه وعمله .

ويوسف الصديق، وإن كان أجمل من غيره من الأنبياء، وفى الصحيح: «أنه أعطى شطر الحسن»^(٢)، فلم يكن بذلك أفضل من غيره، بل غيره أفضل منه، كإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى ومحمد، صلوات الله عليهم أجمعين . ويوسف، وإن كانت صورته أجمل، فإن إيمان هؤلاء وأعمالهم كانت أفضل من إيمانه وعمله، وهؤلاء أودوا على نفس الإيمان والدعوة إلى الله، فكان الذين عادوهم معادين لله ورسوله، وكان صبرهم صبرا على توحيد الله وعبادته

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ر).

(٢) فى حديث الإسراء الذى رواه مسلم: ١٤٥/١ - ١٤٧ (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم . . . عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: . . . فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم إذا هو قد أعطى شطر الحسن . . . وجاء الحديث عن أنس رضى الله عنه بلفظ: «أعطى يوسف عليه الصلاة والسلام شطر الحسن» فى: المسند (ط . الحلبي) ٢٨٦/٣؛ المستدرک للحاكم ٥٧٠/٢ وقال: . . . يوسف وأمه شطر الحسن . وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» . وتكلم الألبانى على الحديث فى «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٤٧٠/٣ وقال: «صحيح على شرط مسلم» .

وطاعته، وهكذا سائر قصص الأنبياء التي في القرآن.

ويوسف عليه السلام إنما آذاه إخوته لتقريب أبيه له، حسداً على حظ من حظوظ الأنفس، لا على دين. ولهذا كان صبره على التي راودته، وحبس الذين حبسوه على ذلك، أفضل له من صبره على أذى إخوته؛ فإن هذا صبر على تقوى الله باختياره حتى لا يفعل المحرّم، وذلك صبر على أذى الغير الحاصل بغير اختياره. فهذا من جنس صبر المصاب على مصيبته، وذاك من جنس صبر المؤمن على الذين يأمرونه بالمعاصي ويدعونه إليها، فيصبر على طاعة الله وعن معصيته، ويغلب / هواه وشهوته، وهذا أفضل.

٨١ / ٣

فأما صبر إبراهيم وموسى وعيسى ونبينا، صلوات الله وسلامه عليهم، على أذى الكفار، وعداوتهم على الإيمان بالله ورسوله، فذاك أفضل من هذا^(١) كله، كما أن التوحيد والإيمان أفضل من مجرد ترك الزنا، وكما أن [تلك]^(٢) الطاعات / أعظم، فالصبر عليها وعلى معاداة أهلها أعظم.

ظ ٢٠٨

وأيضاً فهؤلاء كانوا يطلبون قتل من يؤمن وإهلاكه بكل طريق، لا يحبون المؤمنين أصلاً، بخلاف يوسف فإنه إنما ابتلى بالحبس^(٣)، وكانت المرأة تحبه فلم تعاقبه بأكثر من ذلك.

وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف: ٣]، سواء كان القصص مصدر قَصَّ يَقْصُّ قَصْصاً، أو كان مفعولاً: أي أحسن

(١) ن، م: ذلك.

(٢) تلك: ساقطة من (ن).

(٣) ن: بالحسن.

المقصود، فذاك لا يختص بقصة يوسف، بل قصة موسى أعظم منها قدرا وأحسن، ولهذا [كرر] ^(١) ذكرها في القرآن وبسطها. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ﴾ [سورة القصص: ٢٥] ولهذا قال: ﴿بِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ [سورة يوسف: ٣] وقد قرىء: ﴿أحسن القصص﴾ بالكسر، ولا تختص بقصة يوسف، بل كل ما قصه الله فهو أحسن القصص، فهو أحسن مقصوص، وقد قصه الله أحسن قصص.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال» قاله جوابا للسائل في بيان ما يحبه الله من الأفعال وما يكرهه؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان» ^(٢). ومعلوم أن هذا الكبر من كسب العبد الداخلة تحت قدرته ومشيئته، وهو منهى عنه ومأمور بضده. فخاف السائل أن يكون ما يتجمل به ^(٣) الإنسان، فيكون أجمل به ممن لم يعمل مثله من الكبر المذموم؛ فقال: إني أحب أن يكون ثوبى حسنا [ونعلى حسنا] ^(٤)، أفمن الكبر ذلك؟

وحسن ثوبه ونعله هو مما حصل بفعله وقصده، ليس هو شيئا مخلوقا فيه بغير كسبه كصورته. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله جميل يحب الجمال» ففرق بين الكبر الذى يمقته الله، وبين الجمال

(١) كسر: ساقطة من (ن). وفي (م): أكثر.

(٢) سبق هذا الحديث قبل صفحات (ص ٣١٤).

(٣) ن: ما يتحلى به.

(٤) ونعلى حسنا: ساقطة من (ن)، (م).

الذي يحبه الله .

ومعلوم أن الله إذا خلق شخصا أعظم من شخص ، وأكبر منه في بعض الصفات : إما في جسمه ، وإما في قوته ، و [إما في] عقله^(١) وذكائه ونحو ذلك ، لم يكن هذا مبغضا ؛ فإن هذا ليس باختيار العبد ، بل هذا خلق فيه بغير اختياره . بخلاف ما إذا كان هو متكبرا على غيره ، بذلك أو بغيره ، فيكون هذا من عمله الذي يمقته الله عليه . كما قال لإبليس : ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [سورة الأعراف : ١٣] .

كذلك من خلقه الله حَسَنَ اللون معتدل القامة جميل الصورة ، فهذا ليس من عمله الذي يُحمد عليه أو يذم ، أو يُثاب^(٢) أو يعاقب^(٣) ، ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه [عليه ، كما أنه إذا كان أسود أو قصيرا أو طويلا ونحو ذلك ، لم يكن هذا من عمله الذي يُحمد عليه أو يذم ، ويثاب أو يعاقب^(٤) ، ويحبه الله ورسوله عليه أو يبغضه]^(٥) . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربيّ على عجمي ، ولا لعجمي على عربيّ ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى »^(٦) . ولهذا [لما]^(٧) كان المنافقون لهم جمال في الصورة ، وليس في

(١) ن ، م : قوته وعقله .

(٢) ب (فقط) : ويثاب .

(٣) ن ، م ، ر ، ي : ويعاقب .

(٤) ي ، و ، ر : ويذم ويثاب ويعاقب .

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) .

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٠٦/٤ .

(٧) لما : ساقطة من (ن) ، (م) .

قلوبهم إيمان، شبههم الله سبحانه بالخشب المسندة اليابسة التي لا تثمر، فالخشبة [اليابسة] إذا كانت [لا ثمر فيها] لا تُمدح^(١) ولو كانت عظيمة، وهكذا الصورة مع القلب^(٢). نعم قد تكون الصورة عوناً على الإيمان والعمل الصالح، [كما تكون القوة] والمال^(٣) وغير ذلك، فيُحمد صاحبها إذا استعان بها^(٤) في طاعة الله وعفٍّ عن معاصيه، ويكون حينئذ فيه الجمال الذي يحبه الله ولو كان أسود. وفعل ما يحبه الله من الجمال كان أيضاً فيه الجمال الذي يحبه الله.

والمقصود هنا ذكر ما يحبه الله ويرضاه، وهو الذي يثاب أصحابه عليه ويدخلون الجنة. ومن المعلوم أن الفرق بين مطلق الإدارة وبين المحبة موجود في الناس وغيرهم؛ فالإنسان يريد كل ما يفعله باختياره، وإن كان في ذلك ما هو بغض إليه مكروه له، يريد له لأنه وسيلة إلى ما هو محبوب له، كما يريد المريض تناول^(٥) الدواء الذي يكرهه ويتألم منه، لأنه وسيلة إلى ما يحبه من العافية، وإلى زوال ما هو أبغض إليه من الآلام^(٦).

والجهمية والقدرية إنما لم تفرق بين ما يشاؤه وما يحبه؛ لأنهم لا يثبتون لله محبة لبعض الأمور / المخلوقة دون بعض، وفرحاً بتوبة التائب. وكان أول من أنكر هذا الجعد بن درهم، فضحى به خالد بن

(١) ن: فالخشبة إذا كانت لا تمدح..

(٢) و: الصور مع القلب.

(٣) ن، م: والعمل الصالح والمال..

(٤) ن، م: إذا اشتغل بها..

(٦) ح، ب: من الألم.

(٥) و: بتأوله.

عبدالله [القسرى] (١)، وقال: «ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني (٢) مضحٍ بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً (٣)، تعالى الله عما يقول الجعد [بن درهم] (٤) علواً كبيراً» ثم نزل [عن المنبر] (٥) فذبحه (٦). فإنه الخلة من توابع المحبة، فمن كان من أصله أن الله لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، لم يكن للخلة عنده معنى (٧). والرسول صلوات الله عليهم أجمعين إنما جاءوا بإثبات هذا الأصل، وهو أن الله يحب بعض الأمور المخلوقة (٨) ويرضاها (٩)، ويسخط بعض الأمور ويمقتها، وأن أعمال العباد ترضيه [تارة] (١٠) وتسخطه أخرى.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقال: ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥]. عن ابن عباس: أغضبونا، قال ابن قتيبة: الأسف الغضب، [يقال: أسفتُ

(١) القسرى: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ن: يقبل الله ضحاياكم فإني؛ و: تقبل الله منكم فإني.

(٣) ن، م، و: لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً.

(٤) بن درهم: ساقطة من (ن)، (و).

(٥) عن المنبر: في (ح)، (ر)، (ب) فقط.

(٦) سبق الكلام على الجعد بن درهم وعلى هذه الواقعة فيما مضى ٣٠٩/١.

(٧) ن، م: المختلفة.

(٨) ن: للخلة له معنى.

(٩) م، ن: المختلفة.

(١٠) و: ويرضى بها.

أَسْفَاً، أَى غَضِبْتَ] (١).

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَصِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٩٣].

و[قد ثبت] فى الصحيح (١) من غير وجه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الله أشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دُوَيْبَةَ (٢) مهلكة / عليها طعامه وشرابه، فطلبها فلم يجدها، فقال (٣) تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه. فالله أشد فرحاً بتوبة عبده من هذا براحلته » (٤).

والفرح إنما يكون بحصول المحبوب، والمذنب كالعبد الأبق من مولاة الفار منه، فإذا تاب فهو كالعائد إلى مولاة وإلى طاعته. وهذا المثل (٥) الذى ضربه النبى صلى الله عليه وسلم يبين من محبة الله وفرحه بتوبة العبد، ومن كراهته لمعاصيه، ما يبين أن ذلك أعظم من التمثيل بالعبد الأبق؛ فإن الإنسان إذا فقد الدابة التى عليها طعامه وشرابه فى الأرض المهلكة (٦)، فإنه يحصل عنده ما الله به عليم من التأذى، من جهة فقد الطعام والشراب والمركب، وكون الأرض مفازة لا يمكن الخلاص منها، وإذا طلبها فلم يجدها يشس واطمأن إلى الموت، وإذا استيقظ فوجدها كان عنده من الفرح ما لا يمكن التعبير عنه بوجود (٧) ما يحبه

-
- (١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن).
(٢) ن، م : وفى الصحيح .
(٣) ب (فقط) : داوية .
(٤) ب : فنام ؛ م : فمال .
(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٣٠ / ٢ .
(٦) و : لكن هذا المثل .
(٧) و : ... وشرابه فى الهلكة ..
(٨) و : بوجوده .

ويرضاه، بعد فقد المنافع لذلك .

وهذا يبين من محبة الله للتوبة، المتضمنة للإيمان والعمل الصالح، ومن كراهته لخلاف ذلك، ما يرد على منكرى الفرق من الجهمية والقدرية؛ فإن الطائفتين تجعل جميع الأشياء بالنسبة إليه سواء. [ثم^(١)] القدرية يقولون: هو يقصد نفع العبد لكون ذلك حسنا، ولا يقصد الظلم لكونه قبيحا. والجهمية يقولون: إذا كان لا فرق بالنسبة إليه بين هذا وهذا، امتنع أن يكون عنده شيء حسن وشيء قبيح، وإنما يرجع ذلك إلى أمور إضافية للعباد.

فالحسنُ بالنسبة إلى العبد ما يلائمه وما ترتب^(٢) عليه ثواب يلائمه، والقبيح^(٣) بالعكس. ومن هنا جعلوا المحبة والإرادة سواء. فلو أثبتوا أنه سبحانه يحب ويفرح بحصول محبوبه - كما أخبر به الرسول - تبين لهم حكمته، وتبين أيضا أنه يفعل الأفعال لحكمة. فإن الجهمية قالوا: إذا كانت الأشياء بالنسبة إليه سواء، امتنع أن يفعل لحكمة. [والمعتزلة قالوا: يفعل لحكمة^(٤)] تعود إلى العباد. فقالت لهم الجهمية: [تلك الحكمة^(٥)] يعود إليه منها حكم^(٦) أو لا يعود؟ فالأول^(٧) خلاف الأصل الذي أصلمتموه^(٨). والثاني ممتنع؛ فيمتنع أن أحدا يختار الحسن على

(١) ثم: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ب: وما يترتب.

(٣) و: والقبح.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط.

(٥) تلك الحكمة: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) و: حكمة.

(٧) فالأول: كذا في (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: والأول.

(٨) و: أصلوه.

القبیح^(١)، إن لم يكن له من فعل الحسن معنى يعود إليه، فيكون فعل الحسن يناسبه، بخلاف القبیح. فإذا قُدِّرَ نفى ذلك امتنع أن يفعل لحكمة.

ثم إن هذه الصفة من أعظم صفات الكمال وكذلك كونه محبوباً لذاته هو^(٢) أصل دين الرسل؛ فإنهم كلهم دعوا إلى عبادة الله وحده، وأن لا إله إلا هو. والإله هو المستحق أن يعبد، والعبادة لا تكون إلا بتعظيم ومحبة، وإلا فمن عمل لغيره لعوض^(٣) يعطيه إياه، ولم يكن يحبه، لم يكن عابداً [له]^(٤).

وقد قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]. وهؤلاء الذين ينفون أن الله يُحِبُّ وَيُحَبُّ آخر أمرهم أنه^(٥) لا يبقى عندهم فرق / بالنسبة إلى الله بين أوليائه وبين أعدائه، ولا بين الإيمان والكفر، ولا بين ما أمر به وما نهى عنه، ولا بين بيوته التي هي المساجد وبين الحانات ومواضع الشرك.

وغاية ما يشبتونه من الفرق أن هذا عَلم على لذة تحصل للإنسان، وهذا عَلم على ألم يحصل للإنسان^(٦). فان كانوا^(٧) من الصوفية الذين

(٢) ح، ب: وهو.

(٤) له: ساقطة من (ن).

(١) و، م: القبیح.

(٣) ح: لعرض.

(٥) عبارة «آخرهم أمرهم أنه»: ساقطة من (و).

(٦) ن، م، ر، ي: يحصل له. وسقطت «للإنسان» من (و).

(٧) ح، ر، ب: فإن كان.

يجعلون الكمال فى فناء العبد عن حظوظه، دخلوا فى مقام الفناء فى توحيد الربوبية، الذى يقولون فيه: ^(١) العارف لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة. ويجعلون ^(٢) هذا غاية العرفان؛ فىبقى عندهم لا فرق بين أولياء الله وأعدائه، ولا بين الإيمان ^(٣) والكفر به، ولا بين حمده والثناء عليه وعبادته، وبين سبه وشتمه، وجعله ثالث ثلاثة، ولا بين رسول الله وبين أبى جهل ^(٤)، ولا بين موسى وفرعون.

وقد بسطنا الكلام على هؤلاء ^(٥) فى غير هذا الموضع، وإن كان من المتكلمين الذين يقولون: ما ثمَّ إلا ما هو حظ للعبد من المخلوقات صاروا مسخرين فى العبادات مستقلين لها ^(٦) وفى قلوبهم مرتع للشيطان؛ فانه يقع لهم: لم لا ينعم بالثواب بدون هذا التكليف ^(٧)؟ فإذا أجابوا أنفسهم بأن هذا ألد ^(٨) كان هذا ^(٩) من أبرد الأجوبة وأسمجها ^(١٠).

(١) و: الذى فيه يقولون؛ ح، ب، م: الذين يقولون فيه.

(٢) ح، ر: ويجعل.

(٣) ن، و: وبين الإيمان به.

(٤) ن، م: ولا بين رسول الله وأبى جهل؛ و: ولا بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبى جهل.

(٥) ن، م: على هذا.

(٦) ن، م: مستقلين لها.

(٧) ح، ر، ي: التكلف.

(٨) ح: بأن هذا الذى، وهو تحريف.

(٩) بعد عبارة «كان هذا» توجد ورقة ناقصة فى مصورة (م) وسأشير إلى بداية الكلام الموجود فيها عند موضعه إن شاء الله.

(١٠) وأسمجها: ساقطة من (و).

فإن هذا [إنما]^(١) يقال في المناظرين^(٢)، وأما رب العالمين فلا أحد إلا [وهو]^(٣) مقرُّ بفضلته وإحسانه. ثم يُقال: قد حصل بطلب الألد من شقاوة الأكثرين، ما كان خلقهم في الجنة ابتداءً بلا هذا الألد أجود لهم، وهو قادر على خلق لذاتٍ عظيمة، إلى أمثال هذه الأجوبة.

وإن كان من المرجحة، الذين إيمانهم بالوعيد ضعيف، استرسلت نفسه في المحرمات وترك الواجبات، حتى يكون من شر الخلق. بخلاف من وجد حلاوة الإيمان بمحبة الله وعلمه بأنه يحب العبادات، وأنه يحب أفعالا وأشخاصا، ويبغض أفعالا وأشخاصا، ويرضى عن هؤلاء، ويغضب على هؤلاء، ويفرح بتوبة التائبين، إلى غير ذلك مما أخبر به^(٤) الرسول؛ فإن هذا هو الإسلام الذي به يشهد العبد أن لا إله إلا الله.

ومن لم يقل بالفرق، فلم يجعل الله معبودا محبوبا؛ فإنما يشهد^(٥) أن لا رب إلا هو. والمشركون كانوا يقرُّون بهذه الشهادة، لم / يشهدوا أن لا إله إلا الله^(٦)، والرسل عليهم الصلاة والسلام بُعثوا بتوحيد الألوهية، المتضمن توحيد الربوبية.

[وأما توحيد الربوبية]^(٧) مجردا، فقد كان المشركون يقرُّون^(٨) بأن الله^(٩) وحده^(١٠) خالق السموات والأرض، كما أخبر الله بذلك عنهم [في

(١) إنما: زيادة في (ب) فقط.

(٢) وهو: ساقطة من (ن).

(٣) فإنما يشهد: كذا في (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: فإنما شهد..

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٥) ح، ر: يؤمنون.

(٦) ن: بالله.

(٧) وحده: ساقطة من (و).

غير موضع من القرآن[^(١)].

قال تعالى : ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾
[سورة الزمر: ٣٨]. وقال تعالى : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾
[سورة يوسف: ١٠٦]. وهذا قد بسطناه في موضع آخر.

وهؤلاء يدعون محبة الله في الابتداء، ويعظمون أمر محبته،
ويستحبون السماع بالغناء والدفوف والشبابات، ويرونه قربة؛ لأن ذلك
بزعهم يحرك محبة الله في قلوبهم، وإذا حُقق أمرهم وجدت محبتهم
تشبه محبة المشركين لا محبة الموحدين؛ فإن محبة الموحدين بمتابعة
الرسول والمجاهدة في سبيل الله.

قال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا
أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ
بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ
يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

وهؤلاء لا يحققون متابعة الرسول، ولا الجهاد في سبيل الله، بل كثير

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن).

منهم - أو أكثرهم - يكرهون متابعة الرسول، وهم من أبعد الناس عن الجهاد في سبيل الله، بل يعاونون^(١) أعداءه، ويدعون محبته، لأن محبتهم من جنس محبة المشركين الذين^(٢) قال الله فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ [سورة الأنفال: ٣٥].

ولهذا يحبون سماع القصائد أعظم مما يحبون سماع القرآن، ويجتهدون^(٣) في دعاء مشايخهم، والاستغاثة بهم عند قبورهم، وفي حياتهم في مغيبهم، أعظم مما يجتهدون في دعاء الله والاستغاثة به في المساجد [والبيوت]^(٤).

٨٤ / ٣

وهذا كله من فعل أهل الشرك / ليس من فعل المخلصين لله دينهم، كالصحابية والتابعين [لهم بإحسان]^(٥)، فأولئك أنكروا محبته، وهؤلاء دخلوا في محبة المشركين. والطائفتان خارجتان عن الكتاب والسنة. فنفس محبته أصل لعبادته، والشرك في محبته أصل للإشراك في عبادته. وأولئك فيهم شبه من اليهود^(٦)، وعندهم كبر من جنس كبر اليهود. وهؤلاء فيهم شبه من النصارى، وفيهم شرك من جنس شرك النصارى.

والنصارى ضالون لهم عبادة ورحمة ورهبانية لكن بلا علم، ولهذا يتبعون أهواءهم بلا علم. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي

(٢) الذين: ساقطة من (ح)، (ب).

(١) ن: يعاقبون، وهو تحريف.

(٤) والبيوت: ساقطة من (ن).

(٣) ن: ومجتهدين.

(٦) ح، ب: شبه باليهود.

(٥) لهم بإحسان: ساقطة من (ن).

دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿ [سورة النساء: ١٧١] . وقال تعالى [١]: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿ [سورة المائدة: ٧٧] أَى وسط الطريق، وهى السبيل القصد التى قال الله فيها: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ ﴿ [سورة النحل: ٩]، وهى الصراط المستقيم؛ فأخبر بتقديم ضلالهم، ثم ذكر صفة ضلالهم.

والأهواء هى إرادات النفس^(٢) بغير علم، فكل من فعل ما تريده نفسه بغير علم يبين أنه مصلحة فهو متبع هواه، والعلم بالذى هو مصلحة العبد عند الله فى الآخرة هو [العلم]^(٣) الذى [جاءت]^(٤) به الرسل. قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴿ [سورة القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿ [سورة البقرة: ١٢٠].
وقال تعالى: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴿ [سورة المائدة: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ [سورة الجاثية: ١٨].

(٢) ن: النفوس.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) جاءت: ساقطة من (ن).

(٣) العلم: ساقطة من (ن)، (و).

ولهذا كان مشايخ الصوفية العارفون أهل الاستقامة يوصون كثيرا بمتابعة العلم ومتابعة الشرع؛ لأن كثيرا منهم سلكوا في العبادة لله مجرداً^(١) محبة النفس وإرادتها وهواها، من غير اعتصام بالعلم الذي جاء به الكتاب والسنة، فضلوا بسبب ذلك ضلالاً يشبه ضلال النصارى.

ولهذا قال بعض الشيوخ - وهو أبو عمرو بن نُجيد^(٢) - «كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل» وقال سهل^(٣): «كل عمل بلا اقتداء فهو عيش النفس، وكل عمل باقتداء فهو عذاب على النفس». وقال أبو عثمان النيسابورى^(٤): «من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا نطق

(١) ح، ر، ي، ب: بمجرد.

(٢) فى جميع النسخ: عمرو بن نجيد. وأشار محقق (ب) إلى وجود نسخة عنده فيها: أبو عمرو بن نجد. وهو أبو عمرو إسماعيل بن نجيد بن أحمد بن يوسف السلمى. قال أبو عبد الرحمن السلمى فى طبقات الصوفية، ص ٤٥٤: «جدى لأمى». لقي الجنيّد وكان أكبر مشايخ وقته. توفى سنة ٣٦٦هـ. انظر ترجمته وأقواله فى: القشيرية ١/١٧١؛ طبقات الصوفية، ص ٤٥٤ - ٤٥٧؛ الطبقات الكبرى ١/١٠٣؛ طبقات الشافعية ٣/٢٢٢ - ٢٢٤؛ المتظم ٧/٨٤ - ٨٥؛ شذرات الذهب ٣/٥٠.

(٣) أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التستري، من كبار الصوفية، ولد سنة ٢٠٠ وتوفى سنة ٢٨٣. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص ٢٠٦ - ٢١١؛ الطبقات الكبرى ١/٦٦ - ٦٨؛ صفة الصفوة ٤/٤٦ - ٤٨؛ شذرات الذهب ٢/١٨٢ - ١٨٤؛ الأعلام ٣/٢١٠. والنص التالى فى «القشيرية» ١/٨٥ (وترجمة سهل التستري فى «القشيرية» ١/٨٣ - ٨٥).

(٤) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيرى النيسابورى وأصله من الرى، شيخ الصوفية بنيسابور وبها توفى سنة ٢٩٨. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص ١٧٠ - ١٧٥؛ صفة الصفوة ٤/٨٥ - ٨٨؛ الطبقات الكبرى ١/٧٤ - ٧٥؛ وفيات الأعيان ٢/١١١ - ١١٢؛ تاريخ بغداد ٩/٩٩ - ١٠٢؛ المتظم ٦/١٠٦ - ١٠٨؛ الرسالة القشيرية ١/١٠٩ - ١١١. وهذا النص فى «القشيرية» ١/١١١.

بالحكمة ، ومن أمر الهوى على نفسه [قولاً وفعلاً]^(١) نطق بالبدعة ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَكُوا ﴾ [سورة النور : ٥٤] . وقال بعضهم : « ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبير في نفسه » .

وهو كما قالوا ؛ فإنه إذا لم يكن متبعاً للأمر الذى جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه ، فيكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله ، وهذا عيش النفس ، وهو من الكبير ؛ فإنه شعبة^(٢) من قول الذين قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٤] .

وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل برياضته واجتهاده فى العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء ، من غير اتباع لطريقتهم^(٣) . وفيهم طوائف يظنون أنهم صاروا أفضل من الأنبياء ، وأن الولي^(٤) الذى يظنون هم أنه الولي أفضل من الأنبياء ، وفيهم^(٥) من يقول : إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء ، ويدعى فى نفسه أنه خاتم الأولياء ، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون : إن هذا

(١) قولاً وفعلاً : ساقطة من (ن) .

(٢) ن : شعبة .

(٣) ح ، ب ، ي ، ر : لطريقتهم .

(٤) ح : الأولياء .

(٥) ن ، و : ومنهم .

الوجود / المشهود واجب بنفسه ، ليس له صانع مباين له . ص ٢١٠ .
لكن هذا يقول : هو الله^(١) ، وفرعون أظهر الإنكار بالكلية .
لكن كان فرعون في الباطن أعرف منهم ؛ فإن كان مثبتا
للصانع . وهؤلاء ظنوا^(٢) أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق ،
كما يقول ذلك ابن عربي وأمثاله من الاتحادية^(٣) .

والمقصود ذكر من عدل عن العبادات التي شرعها الرسول ، إلى
عبادات بإرادته وذوقه ووجده ومحبته وهواه ، وأنهم صاروا في
أنواع من الضلال ، [من جنس ضلال]^(٤) النصارى . ففيهم من
يدعى إسقاط وساطة الأنبياء ، والوصول إلى الله بغير طريقهم ،
ويدعى ما هو أفضل من النبوة . ومنهم من يدعى الاتحاد
والحلول الخاص : إما لنفسه ، وإما لشيخه ، وإما لطائفته
الواصلين^(٥) إلى حقيقة التوحيد بزعمه^(٦) .

وهذا قول النصارى . / والنصارى موصوفون بالغلو وكذلك هؤلاء ٨٥ / ٣

(١) انظر ما ذكره ابن تيمية في «رسالة في الرد على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون» في
«جامع الرسائل» ٢٠٣/١ - ٢١٠ وانظر تعليقاتي هناك .

(٢) و: يظنون .

(٣) انظر «جامع الرسائل» ١٦٤/١ - ١٦٧ .

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .

(٥) ن: الواصلة .

(٦) بزعمه: ساقطة من (و) .

مبتدعة العباد الغلو فيهم وفي الرفضة، ولهذا يوجد في هذين الصنفين كثير ممن يدعى إما لنفسه وإما لشيخه [الإلهية]^(١)، كما يدعيه كثير من الإسماعيلية^(٢) لائمتهم بنى عبید، وكما يدعيه كثير من الغالية: إما للثني عشر، وإما لغيرهم من أهل البيت ومن غير أهل البيت، كما تدعيه النصيرية وغيرهم.

وكذلك في جنس المبتدعة الخارجين عن الكتاب والسنة من أهل التبعيد [والتأله]^(٣) والتصوف، منهم طوائف من الغلاة يدعون الإلهية. ودعوى ما هو فوق النبوة، وإن كان متفلسفا يجوز وجود نبي بعد محمد، كالسهروردي المقتول في الزندقة^(٤)، وابن سبعين^(٥) وغيرهما، صاروا

(١) الإلهية: ساقطة من (ن).

(٢) و: كما تدعيه الإسماعيلية. وسبق الكلام على الإسماعيلية في الجزء الأول من هذا الكتاب، ص ١٠.

(٣) والتأله: زيادة في (و) فقط.

(٤) شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن الحسن بن أميرك السهروردي، المولود بسهرورد سنة ٥٤٩ هـ، وقتل بحلب سنة ٥٨٧ هـ، وعرف بفلسفته الإشراقية. انظر عنه وعن آرائه: وفيات الأعيان ٥ / ٣١٢-٣١٨؛ لسان الميزان ٣ / ١٥٦-١٥٨؛ النجوم الزاهرة ٦ / ١١٤-١١٥؛ الأعلام ٩ / ١٦٩-١٧٠. وانظر: كتاب «أصول الفلسفة الإشراقية» تأليف الدكتور محمد علي أبي ريان، ط. الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٩؛ الكتاب التذكارى للسهروردي في الذكرى المثوية الثامنة لوفاته، أشرف عليه الدكتور إبراهيم مذكور، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤.

(٥) سبقت ترجمته فيما مضى من هذا الكتاب ١ / ٣٦٦.

يطلبون النبوة^(١)، بخلاف من أقرَّ بما جاء به الشرع، ورأى أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره؛ فإنه يقول: النبوة ختمت، لكن الولاية لم تختم. ويدعى من^(٢) الولاية ما هو أعظم من النبوة وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء يستفيدون منها.

ومن هؤلاء من يقول بالحلول والاتحاد، وهم في^(٣) الحلول والاتحاد نوعان^(٤): نوع يقول بالحلول والاتحاد العام المطلق، كابن عربي وأمثاله. ويقولون في النبوة: إن الولاية أعظم منها، كما قال ابن عربي:

(١) ذكر ابن تيمية في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» ٥/٢٢: «وصار كل من هؤلاء يدعي النبوة والرسالة، أو يريد أن يفصح بذلك لولا السيف، كما فعل السهروردي المقتول، فإنه كان يقول لا أموت حتى يُقال لي: قم فأنذر. وكان ابن سبعين يقول: لقد زُرب ابن أمنة حيث قال: لا نبى بعدى، ويُقال إنه كان يتحرى غار حراء لينزل عليه فيه الوحي». وعلقت على هذا الكلام بقولي: «يقول الدكتور محمد علي أبو ريان في مقدمته لكتاب «هياكل النور» للسهروردي، ص ١١ (ط. التجارية، القاهرة، ١٣٧٧/١٩٥٧) إن علماء حلب سألوا السهروردي أثناء مناقشته في مسجد حلب: هل يقدر الله على أن يخلق نبيا آخر بعد محمد؟ فأجابهم الشيخ بأن: «لا حد لقدرة». ويقول الدكتور أبو الوفا التفتازاني في مقالة: ابن سبعين وحكيم الإشراق، ص ٢٩٦ «الكتاب التذكارى لشهاب الدين السهروردي، ط. القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤: «وكذلك الأمر بالنسبة إلى ابن سبعين فإنه في «بَدِّ العارف» يصرِّح بأن النبوة رتبة ممنوعة ولا طمع فيها بوجه من الوجوه، وإن كان في طبع الإنسان أو في طبع جنسه أن توجد له النبوة، فالأنبياء بشر». انظر ما ذكره الأستاذان في المرجعين السابقين وما ذكره الدكتور أبو ريان في: أصول الفلسفة الإشراقية، ص ٣٠٤-٣١٢؛ مقدمة كتاب حكمة الإشراق للسهروردي، ص ١١-١٢ ط. باريس، ١٩٥٢؛ مجموعة في الحكمة الإلهية للسهروردي، كتاب التلويحات، ص ٩٥-١١٣، ط. استانبول، ١٩٤٥.

(٢) و: في .

(٣) و: وما يكون للأنبياء، والمرسلون يستفيدون

(٤) و: أنواع .

منها، يعنى القول بوحدة الوجود، وهم في ...

مقام النبوة فى برزخ . . . فوثق الرسول ودون الولي^(١)
 وقال ابن عربى فى «الفصوص»^(٢): «وليس هذا العلم إلا لخاتم
 الرسل وخاتم الأنبياء، وما يراه أحد من الأنبياء إلا من مشكاة خاتم
 الأنبياء»^(٣)، وما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة خاتم الأولياء»^(٤)؛ [حتى
 أن الرسل إذا رأوه لا يرونه - [إذا رأوه]^(٥) - إلا من مشكاة خاتم الأولياء]^(٦)،
 فإن الرسالة والنبوة - أعنى رسالة التشريع ونبوته^(٧) - تنقطعان، وأما الولاية
 فلا تنقطع أبداً^(٨). فالمرسلون، من كونهم أولياء، لا يرون ما ذكرناه إلا
 من مشكاة خاتم الأولياء»^(٩)، فكيف بمن^(١٠) دونهم من الأولياء؟ وإن كان

(١) لم أعتز على هذا البيت، ولكن وجدت بيتا بمعناه فى كتاب «لطائف الأسرار» لابن عربى
 (تحقيق أحمد زكى عطية وطه عبدالباقى سرور، دار الفكر العربى، ١٣٨٠/١٩٦٠) ص
 ٤٩ ونصه:

سما النبوة فى برزخ دوين الولي وفوق الرسول
 وفى الفتوحات المكية ٢/٢٥٢ يقول:

بين الولاية والرسالة برزخ فيه النبوة حكمها لا يجهل
 وانظر الفتوحات ٢/٥٢ - ٥٣.

(٢) فى «فصوص الحكم» ١/٦٢.

(٣) فصوص الحكم: من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم.

(٤) فصوص الحكم: ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم.

(٥) إذا رأوه: فى (و) فقط. وفى «فصوص الحكم»: متى رأوه.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٧) فصوص الحكم: أعنى نبوة التشريع ورسالته.

(٨) الفصوص: والولاية لا تنقطع أبداً.

(٩) ن: الأنبياء، وهو خطأ.

(١٠) الفصوص: من.

خاتم الأولياء تابعا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع ،
فذلك لا يقدح في مقامه ، ولا يناقض ما ذهبنا إليه ، فإنه من وجه يكون
أنزل ، ومن وجه^(١) يكون أعلى .

قال^(٢) : «ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم [النبوة]^(٣) بالحائط من
اللبن ، فرآها قد كملت إلا موضع لبنة^(٤) ، فكان هو صلى الله عليه وسلم
موضع اللبنة . وأما خاتم^(٥) الأولياء فلا بد له من هذه الرؤيا ، فيرى ما مثله
النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) ، ويرى نفسه في الحائط موضع لبنتين ،
ويرى نفسه^(٧) تنطبع [في]^(٨) موضع [تينك]^(٩) اللبنتين ، فيكمل
الحائط^(١٠) . والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أن الحائط لبنة من ذهب

(١) ن ، و : كما أنه من وجه

(٢) بعد الكلام السابق بخمسة أسطر ٦٣/١ .

(٣) النبوة : ساقطة من (ن) .

(٤) الفصوص : من اللبن وقد كُمل سوى موضع لبنة .

(٥) الفصوص : فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها
إلا كما قال لبنة واحدة ، وأما خاتم

(٦) الفصوص : فيرى ما مثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٧) الفصوص : ويرى في الحائط موضع لبنتين ، واللبن من ذهب وفضة ، فيرى اللبنتين
اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما ، لبنة ذهب ولبنة فضة ، فلا بد أن يرى
نفسه

(٨) في : ساقطة من (ن) .

(٩) تينك : في (و) فقط . وهي في «فصوص الحكم» .

(١٠) الفصوص : . . اللبنتين ، فيكون خاتم الأولياء تينك اللبنتين ، فيكمل الحائط .

ولبنة من فضة، واللبنة الفضة هي ظاهره^(١) وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هو آخذ عن الله في السر ما هو في الصورة^(٢) الظاهرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هو عليه، فلا بد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن؛ فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المُلْك الذي يوحى [به]^(٣) إلى الرسول.

قال^(٤): «إِن فهمت ما أشرنا إليه^(٥) فقد حصل لك العلم النافع^(٦)». قلت: وقد بسطنا الرد على هؤلاء في مواضع، وبيننا كشف ما هم عليه من الضلال والخيال، والنفاق والزندقة. وأما الذين يقولون بالاتحاد الخاص؛ فهؤلاء منهم من يصرح بذلك. وأما من كان عنده علم بالنصوص [الظاهرة]^(٧)، ورأى أن هذا يناقض ما عليه المسلمون في الظاهر؛ فإنه يجعل هذا مما يُشار إليه ويرمز به ولا يباح به. ثم إن كان معظماً للرسول والقرآن [ظن أن الرسول]^(٨) كان يقول بذلك، لكنه لم يباح به، لأنه مما لا يمكن البشر أن يبوحووا به. وإن كان

(١) الفصوص: ... لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضع اللبنة الفضة وهو ظاهره..

(٢) الفصوص: بالصورة.

(٣) به: ساقطة من (ن).

(٤) في «فصوص الحكم» ٦٣/١ بعد الكلام السابق مباشرة.

(٥) الفصوص: ما أشرت به.

(٦) الفصوص: النافع بكل شيء.

(٧) الظاهرة: زيادة في (ب) فقط.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) فقط.

غير معظّم للرسول، زعم أنه تعدّى حد الرسول. وهذا الضلال حدث قديماً من جهال العباد.

ولهذا كان العارفون، كالجنيد بن محمد سيد الطائفة^(١) قدّس الله روحه^(٢) لما سُئل عن التوحيد قال: «التوحيد أفراد الحدوث عن القدم»^(٣) فإنه كان عارفاً، ورأى أقواماً ينتهى بهم الأمر إلى الاتحاد، فلا يميزون بين القديم والمحدث وكان أيضاً / [طائفة]^(٤) من أصحابه وقعوا في الفناء في توحيد الربوبية الذى لا يميز فيه بين المأمور والمحظور، فدعاهم الجنيد إلى الفرق الثانى، وهو توحيد الإلهية، الذى يميز فيه بين المأمور والمحظور. فمنهم من وافقه، ومنهم من خالفه، ومنهم لم يفهم كلامه.

وقد ذكر بعض ما جرى من ذلك أبو سعيد بن / الأعرابى فى «طبقات

(١) سيد الطائفة: ساقطة من (و).

(٢) ح، ب: سره. وهو أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزار، أصل أبيه من نهاوند، وكان يبيع الزجاج، ولذلك يقال له القواريرى. والجنيد إمام الصوفية، وسمى بسيد الطائفة لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. توفى ببغداد سنة ٢٧٩ وقيل ٢٩٨. انظر ترجمته وأقواله فى: طبقات الصوفية، ص ١٥٥ - ١٦٣؛ الطبقات الكبرى ١/٧٢ - ٧٤؛ صفة الصفوة ٢/٢٣٥ - ٢٤٠؛ وفيات الأعيان ١/٣٢٣ - ٣٢٥؛ شذرات الذهب ٢/٢٢٨ - ٢٣٠؛ طبقات الشافعية ٢/٢٦٠ - ٢٦٥؛ الأعلام ٢/١٣٧ - ١٣٨.

(٣) أورد هذه العبارة ونسبها إلى الجنيد القشيري فى «الرسالة القشيرية» ١/٢٤ - ٢٥. وقال: «التوحيد أفراد القدم من الحدّث».

(٤) طائفة: ساقطة من (ن).

النَّسَاك»^(١) وكان من أصحاب الجنيد، ومن شيوخ^(٢) أبي طالب المكي، [كان]^(٣) من أهل العلم بالحديث وغيره، ومن أهل المعرفة بأخبار الزهاد وأهل الحقائق.

وهذا الذي ذكره الجنيد من الفرق بين القديم والمحدث، والفرق بين المأمور والمحذور، بهما يزول ما وقع فيه كثير من الصوفية من هذا الضلال. ولهذا كان الضلال منهم يذمُّون الجنيد على ذلك، كابن عربي وأمثاله؛ فإن له كتاباً سماه «الإسراء إلى المقام الأسرى»^(٤) مضمونه حديث نفس ووساوس^(٥) شيطان حصلت في نفسه، جعل ذلك معراجاً كمعراج الأنبياء^(٦)، وأخذ يعيب على الجنيد وعلى غيره من الشيوخ ما ذكروه، وعاب على الجنيد قوله: «التوحيد أفراد الحدوث عن القدم» وقال: «قلت له يا جنيد ما يميز بين الشيثيين إلا من كان خارجاً عنهما، وأنت إما

(١) ن: أبو سعد الأعرابي، وهو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي، ولد سنة ٢٤٦، وكان من أصحاب الجنيد وأبي الحسين النوري، وتوفي سنة ٣٤١. وذكر سزكين كتابه «طبقات النساك» وقال: «أفاد منه أبو نعيم في «حلية الأولياء» والذهبي في «تذكرة الحفاظ». وانظر ترجمته وأقواله في: القشيرية ١/١٦٥؛ طبقات الصوفية، ص ٤٢٧-٤٣٠؛ شذرات الذهب ٢/٣٥٤-٣٥٥؛ حلية الأولياء ١٠/٣٧٥-٣٧٦؛ لسان الميزان ١/٣٠٨-٣٠٩؛ الأعلام ١/١٩٩؛ سزكين م ١ ح ٤ ص ١٥٥-١٥٦.

(٢) ن: ومن أصحاب.

(٣) كان: ساقطة من (ن).

(٤) هذا الكتاب لابن عربي ضمن مجموع رسائل ابن العربي، ط. حيدرآباد الدكن،

١٩٤٨/١٣٦٧

(٥) و: ووسوسة.

(٦) انظر كتاب «الإسراء إلى مقام الأسرى» وانظر قوله ص ٩-١٠: «فبينما أنا نائم، وسر

قديم أو محدث، فكيف تميز؟^(١).

وهذا جهل منه؛ فإن المميز بين الشيئين هو الذى يعرف أن هذا غير هذا، ليس من شرطه أن يكون ثالثاً، بل كل إنسان يميز بين نفسه وبين غيره وليس هو ثالثاً. والرب سبحانه يميز بين نفسه وبين غيره وليس هناك ثالث.

وهذا الذى ذمّه الجنيد رحمه الله، وأمثاله من الشيوخ العارفين، وقع فيه خلق كثير، حتى من أهل العلم بالقرآن وتفسيره والحديث والآثار، ومن المعظمين لله ورسوله باطنا وظاهراً، المحييين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذّابّين عنها - وقعوا فى هذا غلطاً لا تعمداً، وهم يحسبون أن هذا نهاية التوحيد. كما ذكر ذلك صاحب «منازل السائرين»

وجودى متجهداً قائم، جاءنى رسول التوفيق، ليهدىنى سواء الطريق، ومعه براق الإخلاص، عليه لبد الفوز ولجام الإخلاص، فكشف عن سقف محلى، وأخذ فى نقضى وحلى، وشق صدرى بسكين السكينة... وأسرى بى من حرم الأكوان، إلى قدس الجنان، فربطت البراق بحلقة بابه... وأتيت بالخمير واللبن، فشربت ميراث تمام اللبن، وتركت الخمير، حذراً أن أكشف السر بالسكر... .

(١) لم أجد هذا الكلام فى الكتاب السابق، ويبدو أنه فى كتاب آخر لابن عربى. ووجدت نصاً من كتاب «التجليات الإنهية» لابن عربى نشره الدكتور عثمان يحيى ضمن مقاله: «نصوص تاريخية خاصة بنظرية التوحيد فى التفكير الإسلامى» وهو مقال فى «الكتاب التذكارى: محيى الدين بن عربى فى الذكرى المئوية الثامنة لميلاده» نشر الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٨٩/١٩٦٩. وهذا النص فى ص ٢٦٤ وهو: «رأيت الجنيد فى هذا التجلى فقلت له: يا أبا القاسم، كيف تقول فى التوحيد: يميز العبد من الرب؟ وأين تكون أنت عند هذا التمييز؟ لا يصح أن تكون عبداً ولا رباً، فلا بد أن تكون فى بينونة تقتضى الاستواء والعلم بالمقامين، مع تجردك عنهما حتى تراهما. فحجل وأطرق». وانظر ما بعد ذلك الى ص ٢٦٨.

مع علمه وستته ومعرفته ودينه^(١).

وقد ذكر في كتابه «منازل الساترين» أشياء حسنة نافعة، وأشياء باطلة. ولكن هو فيه ينتهي إلى الفناء في توحيد الربوبية، ثم إلى التوحيد الذي هو حقيقة الاتحاد. ولهذا قال^(٢): «باب التوحيد. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]. التوحيد: تنزيه الله عن الحدث^(٣).

قال^(٤): «وإنما نطق العلماء بما نطقوا به، وأشار المحققون^(٥) إلى ما أشاروا إليه^(٦) في هذا الطريق لقصد تصحيح التوحيد. وما سواه من حالٍ أو مقامٍ فكله مصحوب العلل».

(١) صاحب كتاب «منازل الساترين» هو أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الأنصاري، كان يدعى شيخ الإسلام، وكان إمام أهل السنة بهراة ويسمى خطيب المعجم لتبحر علمه وفصاحته ونبله، توفي سنة ٤٨١. انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٢/٢٤٧-٢٤٨؛ الذيل لابن رجب ١/٥٠-٦٨؛ الأعلام ٤/٢٦٧؛ تذكرة الحفاظ ٣/١١٨٣-١١٩٠؛ معجم المؤلفين ٦/١٣٣-١٣٤. وانظر كتاب «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي» تأليف دكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني، ط. دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٨.

(٢) ص ١١٠-١١٣، ط. المعهد العلمي الفرنسي، تحقيق س. دي لوجيه، القاهرة، ١٩٦٢.

(٣) الحديث كذا في (و)، منازل الساترين وفي سائر السح الحدوث

(٤) بعد الكلام السابق مباشرة

(٥) وأشار العلماء المحققون

(٦) منازل الساترين بما أشاروا إليه

قال^(١): «والتوحيد على ثلاثة أوجه^(٢): الأول^(٣): توحيد العامة الذي يصح بالشواهد. والثاني^(٤): توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق. والوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم، وهو توحيد خاصة الخاصة. فأما التوحيد الأول فهو شهادة أن لا إله إلا الله [وحده لا شريك له]^(٥) الأحد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. هذا هو التوحيد الظاهر الجلي، الذي نفى الشرك الأعظم، وعليه نُصبت القبلة، وبه وجبت الذمة، وبه حُقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام من دار الكفر، وصحت به الملة للعامة، وإن لم يقوموا بحسن^(٦) الاستدلال، بعد أن سلموا^(٧) من الشبهة والحيرة والريبة، بصدق شهادة صححها قبول القلب.

هذا^(٨) توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، والشواهد هي الرسالة، والصنائع تجب^(٩) بالسمع، وتوجد^(١٠) بتبصير الحق، وتنمو^(١١) على مشاهدة^(١٢) الشواهد.

-
- (١) بعد الكلام السابق مباشرة.
(٢) منازل الساترين: وجوه.
(٣) منازل الساترين: الوجه الأول.
(٤) عبارة «وحده لا شريك له» في (و)، «منازل الساترين» فقط.
(٥) منازل الساترين (ص ١١١): يحق.
(٦) سلموا: كذا في (و)، «منازل الساترين». وفي سائر النسخ: يسلموا.
(٧) هذا: كذا في (و)، «منازل الساترين». وفي سائر النسخ: وهذا.
(٨) منازل الساترين: يجب.
(٩) ن: وتوحيد، وهو تحريف؛ ح، ي: وتؤخذ؛ منازل الساترين: ويوجد.
(١٠) ن، و، منازل الساترين: وينمو.
(١١) و: مشاهد.

قال^(١): «وأما التوحيد الثاني الذي يثبت بالحقائق فهو توحيد الخاصة . وهو إسقاط الأسباب الظاهرة، والصعود عن^(٢) منازعات العقول^(٣)، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد^(٤) في التوحيد دليلا، ولا في التوكّل سببا، ولا في النجاة^(٥) وسيلة^(٦)، فيكون^(٧) مشاهدا سَبَق^(٨) الحق بحكمه وعلمه، ووضعه الأشياء مواضعها، وتعليقه^(٩) إياها بأحايينها، وإخفائه^(١٠) إياها في رسومها^(١١)، ويحقق^(١٢) معرفة العلل، ويسلك^(١٣) سبيل إسقاط الحَدَث^(١٤). هذا توحيد^(١٥) الخاصة الذي يصحّ بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع». قال^(١٦): «وأما التوحيد الثالث فهو توحيد اختصه الحق لنفسه،

(١) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١١ .

(٢) ح : من .

(٣) و: المعقول .

(٤) منازل السائرين : تشهد .

(٥) منازل السائرين : للنجاه .

(٦) عند كلمة «وسيلة» تعود نسخة (م) بعد الانقطاع .

(٧) منازل السائرين : فتكون .

(٨) ن : يسبق ؛ م : لسبق .

(٩) ن ، م : وتعليقها .

(١٠) ب (فقط) : وإخفائه .

(١١) و: شئونها .

(١٢) منازل السائرين ، ر ، ح ، ي : وتحقق .

(١٣) ن ، منازل السائرين : وتسلك .

(١٤) م ، ب : الحلوث .

(١٥) ح ، ب : هذا هو توحيد .

(١٦) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١٢ .

واستحقه بقدره، وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه. والذي يُشار [به] ^(١) إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحَدَث ^(٢)، وإثبات القِدَم، على أن هذا الرمز في ذلك التوحيد علة، لا يصح [ذلك التوحيد] ^(٣) إلا بإسقاطها.

هذا قطب الإشارة إليه على ألسن علماء أهل هذا الطريق ^(٤)، وإن زحرفوا له نعتوا، وفصلوه فصولاً ^(٥)، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارة خفاءً ^(٦)، والصفة نفورا، والبسط صعوبة. وإلى هذا / التوحيد ^(٧) شخص ^{٨٧ / ٣} أهل الرياضة وأرباب الأحوال، وإليه ^(٨) قصد أهل التعظيم، وإيأه ^(٩) عنى المتكلمون في عين الجمع، وعليه تصطلم الإشارات، ثم لم ينطق عنه ^(١٠) لسان، ولم تشر إليه عبارة؛ فإن التوحيد وراء ما يشير إليه مكوّن، أو يتعاطاه خير ^(١١)، أو يُقلّه سبب.

قال ^(١٢): «وقد أجب في سالف الدهر ^(١٣) سائلا سألني عن توحيد الصوفية

-
- (١) به: ساقطة من جميع النسخ، وأثبتها من «منازل الساترين».
 - (٢) ب، م: الحدوث.
 - (٣) عبارة «ذلك التوحيد» ساقطة من (ن) فقط.
 - (٤) و، منازل الساترين: علماء هذا الطريق.
 - (٥) فصولاً: كذا في (ن)، (م)، منازل الساترين. وفي سائر النسخ: تفصيلاً.
 - (٦) و: جفاء؛ ن: حقا.
 - (٧) ح، ب، ر، ي: وإلى أهل هذا التوحيد.
 - (٨) منازل الساترين: وله.
 - (٩) ي، ر: وإليه وإيأه.
 - (١٠) ن، م: به.
 - (١١) (١١) منازل الساترين (ص ١١٣): حين.
 - (١٢) بعد الكلام السابق مباشرة، ص ١١٣.
 - (١٣) منازل الساترين: الزمان.

بهذه القوافي الثلاث / :

ص ٢١١

ما وَحَّدَ الْوَاحِدَ مِنْ وَاحِدٍ إِذْ كُلُّ مَنْ وَحَّدَهُ جَاحِدٌ
تَوْحِيدٌ مِنْ يَنْطِقُ عَنْ نَعْتِهِ عَارِيَةٌ أَبْطَلَهَا الْوَاحِدُ
تَوْحِيدُهُ إِيَّاهُ تَوْحِيدُهُ وَنَعْتُ مَنْ يَنْعَتُهُ لِاحِدٌ

قلت: وقد بسطت^(١) الكلام على [هذا وأمثاله] في غير^(٢) هذا
الموضع، لكن ننبه هنا على ما يليق بهذا الموضع فنقول: أما التوحيد
[الأول]^(٣) الذى ذكره فهو التوحيد الذى جاءت به الرسل، ونزلت به
الكتب، وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل.

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ
الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [سورة
النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الانبياء: ٢٥].

وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل، مثل نوح وهود وصالح وشعيب
وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. وهذا أول
دعوة الرسل وآخرها.

(١) و: بسطنا.

(٢) ن، م: عليه في غير.

(٣) الأول: ساقطة من (ن).

قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح المشهور: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»^(١). وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أيضا «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٢). وقال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣).

والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه، وتعليق النجاة والفلاح، واقتضاء السعادة فى الآخرة به. ومعلوم أن الناس متفاضلون فى تحقيقه. وحقيقته إخلاص الدين كله لله. والفناء فى هذا التوحيد مقرون بالبقاء^(٤)، وهو أن تُثبت إلهية الحق فى قلبك، وتنفى إلهية ما سواه، فتجمع بين النفى والإثبات، فتقول: لا إله إلا الله، فالنفى هو الفناء، والإثبات هو البقاء. وحقيقته أن تبنى بعبادته عما سواه، [ومحبته عن محبة ما سواه]^(٥)، وبخشية عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبموالاته عن موالاته ما سواه، وبسؤاله عن سؤال ما سواه، وبالإستعاذة به عن الإستعاذة^(٦) بما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٢١/٢.

(٢) الحديث عن عثمان بن عفان رضى الله عنه فى: مسلم ٥٥/١ (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات دخل الجنة قطعا)؛ المسند (ط. المعارف) ٣٧٦/١.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٢٢/٢.

(٤) ن، م: بالفناء.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) فقط.

(٦) ن: وبالإستعاذة به عن الإستعاذة..

ما سواه، وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه، وبالإنابة إليه عن
الإنابة إلى ما سواه، وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه،
وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه.

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ^(١) «إذا
قام يصلي من الليل، وقد روى أنه كان يقوله ^(٢) بعد التكبير ^(٣): «اللهم لك
الحمد، أنت قيم السموات ^(٤) والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور
السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ^(٥) أنت الحق، وقولك
الحق، ووعدك الحق ^(٦)، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبون
حق، ومحمد حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت،
وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي، إنه لا يغفر
الذنوب إلا أنت» ^(٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى وَرَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [سورة الأنعام: ١٤].

(١) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٢) ح، ر، ي، ب، م: يقول.

(٣) و: رب السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيم السماوات..

(٤) عبارة «ولك الحمد» ليست في (و).

(٥) ب: أنت الحق، وقولك حق، ووعدك حق؛ ح: أنت الحق، وقولك حق، ووعدك الحق.

(٦) الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما في: البخارى ٤٨/٢ - ٤٩ (كتاب التهجد، باب

التهجد من الليل) وجاء الحديث في مواضع أخرى في البخارى وهو في: مسلم

١/٥٣٢ - ٥٣٤ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه).

والحديث في: سنن أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارمى والموطأ. وهو في

المسند (ط. المعارف) ٤/٢٤٩ - ٢٥٠، ٢٩١ - ٢٩٢، ١٢٥/٥.

وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ

مُفَصَّلًا﴾ [سورة الأنعام: ١١٤].

وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ

وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

* بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر: ٦٤ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ

* قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

عَلَيْهَا﴾ [سورة الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

وهذا التوحيد كثير في القرآن، وهو أول الدين وآخره، وباطن الدين

وظاهره، وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل، ثم للخليلين

محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليما. فقد ثبت عن النبي

صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال: «إن الله اتخذني خليلا كما

اتخذ إبراهيم خليلا»^(١).

(١) هذا جزء من حديث سبق فيما مضى ٤٧٥/١ عن جنذب بن عبدالله رضى الله

عنه، وذكرت هناك مكانه فى مسلم ونصه فيه: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لى منكم خليل،

فإن الله تعالى قد اتخذنى خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا، ولو كنت متخذًا من أمتى خليلًا

لاتخذت أبا بكر خليلًا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم

مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك». وجاءت الألفاظ الواردة هنا

فى حديث آخر عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما فى: سنن ابن ماجه ٥٠/١

وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم ؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عنه أنه قال عن خير البرية: «إنه إبراهيم»^(١). وهو الإمام الذي جعله الله إماما، وجعله أمة. والأمة القدوة الذي يقتدى به؛ فإنه حقق هذا التوحيد، وهو الحنيفية ملته.

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [سورة الممتحنة: ٤ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا

(المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل العباس . . .) ونصه: «إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم، فمتزلي ومتزل إبراهيم في الجنة يوم القيامة تجاهين، والعباس بيننا مؤمن بين خليلين» إلا أن في التعليق على هذا الحديث في الزوائد ما يبين أنه ضعيف بل موضوع، وكذا قال عنه الألباني إنه موضوع في «ضعيف الجامع الصغير» ٦٦/٢.

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في: مسلم ١٨٣٩/٤ (كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم) ولفظه: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا خير البرية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذاك إبراهيم عليه السلام». والحديث في: سنن أبي داود ٣٠٢/٤ (كتاب السنة، باب التخيير بين الأنبياء)؛ المسند (ط. الحلبي) ١٧٨/٣، ١٨٤.

الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿
[سورة الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

وقال عن إبراهيم أنه قال: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي
وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
* وَحَاجَّةٌ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ
أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ
سُلْطَانًا فَإِنَّهُ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَتِلْكَ حُجَّتُنَا
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنْ رَبُّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿
[سورة الأنعام: ٧٨ - ٨٣].

وقال: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ
لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ [سورة الشعراء: ٧٥ - ٧٧].

والخليل هو الذي تخللت محبة خليله قلبه^(١)، فلم يكن فيه مسلك
لغيره. كما قيل:

قد تخللت مسلك الروحي مني وبذا سمي الخليل خليلا

وقد قيل: إنه [مأخوذ من الخليل، وهو الفقير، مشتق من الخلة
بالفتح. كما قيل:

(١) و، ي: محبة الخليل قلبه؛ ح: محبته قلب خليله.

وإن أتاه خليلٌ يومَ مَسْغَبَةٍ يقول لا غائبٌ مَالِي ولا حَرْمٌ^(١)
 والصواب أنه^(٢) من الأول، وهو مستلزم للثاني فإن كمال^(٣) حبه لله هو
 محبة عبودية وافتقار، ليست كمحبة الرب لعبده؛ فإنها محبة استغناء
 وإحسان.

ولهذا قال تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبَّرَهُ
 تَكْبِيرًا ﴾ [سورة الاسراء: ١١١].

فالرب لا يوالى عبده من ذل^(٤)، كما يوالى المخلوق لغيره، بل يواليه
 إحسانا إليه. والولي من الولاية، والولاية ضد العداوة. وأصل الولاية
 الحب، وأصل العداوة البغض. وإذا قيل: هو مأخوذ من الولي، وهو
 القرب. فهذا جزء معناه^(٥)، فإن الولي يقرب إلى^(٦) وليه، والعدو يبعد عن
 عدوه. ولما كانت الخلة تستلزم كمال المحبة واستيعاب القلب، لم
 يصلح للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخالل مخلوقا^(٧). بل قال: «لو كنت
 متخذًا من أهل الأرض خليلا لا اتخذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم
 خليل الله»^(٨).

(١) البيت من شعر زهير بن أبي سلمى (ديوانه، ط. دار الكتب، ص ١٥٣).

(٢) و: أنها

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) ح، ب: من الذل.

(٥) ح، ب: من

(٥) و: معناها.

(٨) سبق الحديث فيما مضى ٥١٢/١.

(٧) ن، م. احدا.

ولهذا امتحن الله إبراهيم بذبح ابنه . والذبيح على القول الصحيح ابنه الكبير إسماعيل ، كما دلت على ذلك سورة «الصافات» وغير ذلك ؛ فإنه قد كان^(١) سأل ربه أن يهب له من الصالحين ، فبشّره بالغلام الحليم إسماعيل ، فلما بلغ معه السعى أمره أن يذبحه ، لثلا يبقى في قلبه محبة مخلوق تراحم محبة الخالق ، إذ كان قد طلبه وهو بكره .

وكذلك في التوراة يقول : «اذبح ابنك وحيدك» وفي ترجمة أخرى «بكره» ولكن الحق المبدلون لفظ إسحاق ، وهو باطل^(٢) . فإن إسحاق هو الثاني من أولاده^(٣) باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ؛ فليس هو وحيد ولا بكره ، وإنما وحيد / وبكره إسماعيل .

٨٩ / ٣

ولهذا لما ذكر الله قصة الذبيح في القرآن ، قال بعد هذا : ﴿وَشَرَّناهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الصافات : ١١٢] . وقال في الآية الأخرى ﴿فَبَشَّرناهُ بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [سورة هود : ٧١] . فكيف يبشّره بولد ثم يأمره بذبحه؟

والبشارة بإسحاق وقعت لسارة ، وكانت قد غارت من هاجر لما ولدت إسماعيل ، وأمر الله إبراهيم أن يذهب بإسماعيل وأمه إلى مكة . ثم لما جاء الضيف - وهم الملائكة - لإبراهيم ، بشّروها بإسحاق ، فكيف يأمره بذبح إسحاق مع بقاء إسماعيل؟

وهي لم تصبر على وجود إسماعيل وحده ، بل غارت أن يكون له ابن

(١) قد كان : كذا في (ح) ، (ب) . وفي سائر النسخ : كان قد .

(٢) ح ، ي ، ر ، و : ممتنع .

(٤) ب (فقط) : وبشّروها .

(٣) و : من الأولاد .

من غيرها، فكيف تصبر على ذبح ابنها وبقاء ابن ضرثها؟ وكيف يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه^(١) وأمه مبشرة به ويابن ابنه [يعقوب]^(٢)؟ وأيضا^(٣) فالذبح إنما كان بمكة، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم قرني الكباش في البيت فقال للحاجب: «إني رأيت قرني الكباش في الكعبة، فخرهما^(٤)؛ فإنه لا ينبغي أن يكون في الكعبة شيء يلهي المصلّي^(٥)». وإبراهيم وإسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة بنص القرآن، وإسحاق^(٦) كان في الشام. والمقصود بالأمر بالذبح أن لا يبقى في قلبه محبة لغير الله تعالى. وهذا إذا كان له ابن واحد، فإذا صار له ابنان، فالمقصود لا

(١) و: إبراهيم بذبحه.

(٢) ويابن ابنه يعقوب: كذا في (م). وفي (ن)، (و)، (ي): ويابن ابنه. وفي (ح)، (ب): ويابنه وسقطت عبارة «ويابن ابنه» من (و).

(٣) ح، ب: أيضا. وسقطت الكلمة من (و).

(٤) ح، ي، ب: فخرها. وفي هامش (و): «يعنى: فغظاهما».

(٥) الحديث في: سنن أبي داود ٢/٢٨٩ - ٢٩٠ (كتاب المناسك، باب في دخول الكعبة) ونصه: «حدثنا ابن السرح وسعيد بن منصور ومسدد، قالوا: ثنا سفيان، عن منصور الحجبي، حدثني خالي، عن أمي [صفية بنت شيبه] قالت: سمعت الأسلمية تقول: قلت لعثمان: ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاك؟ قال: «إني سميت أن أمرك أن تُخمرَ القرنين فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلّي» قال ابن السرح. خالي مسافع بن شيبه. وجاء في التعليق على هذا الحديث رقم ٢٠٣٠: قد اختلف في إسناد هذا الحديث، فروى كما قاله أبو داود، وروى عن منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبه، عن امرأة من بنى سليم، وروى عنه عن خاله عن امرأة من بنى سليم، ولم يذكر أمه. وجاء الحديث - مع اختلاف في اللفظ - في المسند (ط. الحلبي) ٤/٦٨، ٥/٣٨٠. وذكر السيوطي الحديث في «الجامع الكبير» ١/٣١٦. وقال السيوطي «حم (أحمد) ض (الضياء المقدسي في الجنان) ق (البيهقي في السنن) عن امرأة من بنى سليم عن عثمان بن طلحة».

(٦) ن، م: وإبراهيم، وهو خطأ.

يحصل إلا بذبحهما جميعا. وكل من قال: إنه إسحاق، فإنما أخذه عن اليهود، أهل التحريف والتبديل، كما أخبر الله تعالى عنهم. [وقد بسطنا هذه المسألة في مصنف مفرد]^(١).

والمقصود هنا أن الخليين هما أكمل خاصة الخاصة توحيدا؛ فلا يجوز أن يكون في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من هو أكمل توحيدا من نبي من الأنبياء، فضلا عن الرسل، فضلا عن أولى العزم، فضلا عن الخليين.

وكمال توحيدهما بتحقيق أفراد الألوهية، وهو أن لا يبقى في القلب شيء لغير الله أصلا، بل يبقى العبد^(٢) مواليا لربه في كل شيء؛ يحب ما أحب، ويبغض ما أبغض، ويرضى بما رضى^(٣)، ويسخط بما سخط^(٤)، ويأمر بما أمر، وينهى عما نهى.

وأما التوحيد الثاني الذي ذكره وسمّاه توحيد الخاصة، فهو الفناء في توحيد الربوبية؛ وهو أن يشهد ربوبية^(٥) / الرب لكل ما سواه، وأنه وحده رب كل شيء ومليكه. والفناء إذا كان في توحيد الألوهية: وهو^(٦) أن

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م). وفي (و) بدلا منه: «وهذا مبسوط في موضعه». وقال ابن عبد الهادي في «العقود الدرية» ص ٥٤: «وله جواب في أن الذبيح من ولد إبراهيم عليه السلام هو إسماعيل واحتج لذلك بأدلة كثيرة». وذكره ابن القيم في «أسماء مؤلفات ابن تيمية، ص ٢٢.

(٢) ب (فقط): لغير الله أصلا، وكمال هذا التوحيد يوجب أن يبقى العبد...

(٣) رضى: كذا في (و)، (ب). وفي سائر النسخ: يرضى.

(٤) ن، م، ي: يسخط.

(٥) ح، ب، و: بربوبية. (٦) ب (فقط): هو.

يستولى على القلب شهود معبوده وذكره ومحبته، حتى لا يحس بشيء آخر، مع العلم بثبوت ما أثبتته الحق من الأسباب والحكم، وعبادته وحده لا شريك له بالأمر والنهي، ولكن غلب على القلب شهود الواحد، كما يُقال: غاب بموجوده عن وجوده، وبمعبوده عن عبادته، وبمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته.

كما يُذكر أن رجلاً كان يحب آخر، فوقع المحبوب في اليمِّ، فألقى المحبُّ نفسه خلفه، فقال له: أنا وقعت فلماذا وقعت أنت؟ فقال: غبت بك عنى، فظننت أن أنى^(١). فصاحب هذا الفناء إذا غلب^(٢) في ذلك فهو معذور، لعجزه عند غلبة ذكر الرب على قلبه عن شعوره بشيء آخر، كما يُعذر من سمع الحق فمات أو غشى عليه، وكما عُذر موسى صلى الله عليه وسلم لما صُعق حين تجلَّى ربه للجبل.

وليس هذا الحال غاية السالكين، ولا لازماً لكل سالك.

ومن الناس من يظن أنه لا بد لكل سالك^(٣) منه، وليس كذلك. فنبينا صلى الله عليه وسلم، والسابقون الأولون، هم أفضل. وما أصاب أحداً منهم هذا الفناء ولا صُعق ولا موت^(٤) عند سماع القرآن. وإنما تجد^(٥) هذا الصعق في التابعين، لا سيما في عبّاد البصريين.

(١) ب: فظننت أنك أنا؛ ن، م: حتى ظننت أنك أنى.

(٢) ح، ر، ب: إذا غاب.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٤) ح، ب: ولا صُعق ولا مات.

(٥) تجد: كذا في (ي). وفي (ن): نجد. وفي (م): يجد. وفي (ح)، (ر)، (و)، (ب):

تجدد.

ومن الناس من يجعل هذا الفناء هو الغاية التي ينتهي إليها سير العارفين. وهذا أضعف [من الذى قبله]^(١). وما يذكر عن أبى يزيد البسطامى^(٢) من قوله: «ما فى الجبة إلا الله» وقوله: «أين أبو يزيد؟ أنا أطلب أبا يزيد منذ كذا وكذا سنة». ونحو ذلك^(٣)، فقد حملوه على أنه كان من هذا الباب. ولهذا يُقال عنه: إنه كان إذا أفاق أنكر هذا.

فهذا ونحوه كفر، لكن إذا زال العقل بسبب يُعذر فيه الإنسان، كالنوم

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).

(٢) أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى ويقال: بايزيد، صوفى شهير له شطحات كثيرة. يقول الزركلى: «وفى المستشرقين من يرى أنه كان يقول بوحدة الوجود وأنه كان أول قائل بمذهب الفناء Nirvana ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية، ولد سنة ١٨٨ وتوفى سنة ٢٦١. انظر ترجمته ومذهبه فى: طبقات الصوفية، ص ٦٧-٧٤؛ الطبقات الكبرى ٦٥/١-٦٦؛ صفة الصفوة ٨٩/٤-٩٤؛ شذرات الذهب ١٤٣/٢-١٤٤؛ ميزان الاعتدال ٣٤٦/٢-٣٤٧؛ الرسالة القشيرية ٨٠/١-٨٢؛ الأعلام ٣٣٩/٣.

(٣) للدكتور عبدالرحمن بدوى كتاب «شطحات الصوفية» أورد فيه الكثير من شطحات أبى يزيد البسطامى ونشر فيه رسالة «النور من كلمات أبى طيفور» المنسوبة إلى السهّلجى (ط. النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٩) ووجدت فى هذه الرسالة النص التالى (ص ٦٥) . . . قصد أبا يزيد رجلٌ من أصحاب ذى النون فقال له: من تطلب؟ قال: أبا يزيد. فقال: يا بنى، أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة. فرجع إلى ذى النون وأخبره فغشى عليه. وهو نص مقارب للنص الثانى الذى أورده ابن تيمية (وانظر ص ١١٠). أما النص الأول فلم أجده، وهو ينسب فى الغالب إلى الحلاج (انظر كتاب مدخل إلى التصوف الإسلامى للدكتور أبى الوفا الغنيمى الفتازانى، ص ١٢٩، ط. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩) على أن البسطامى له عبارات مشابهة بل أكثر شناعة مثل قوله: «سبحانى ما أعظم سلطانى» (شطحات ص ١١١) وقوله لما جاءه رجل فقراً عنده (إن بطش ربك لشديد) قال: وحياته إن بطشى أشد من بطشه» (شطحات، ص ١١١) وقوله: «كنت أطوف حول بيت الله الحرام، فلما أن وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي» (ص ١٠٨).

والإغماء، لم يكن مؤاخذا بما يَصْدُر عنه في حال عدم التكليف. ولا ريب أن هذا من ضعف العقل والتمييز.

وأما الفناء الذي يذكره صاحب «المنازل» فهو الفناء في توحيد الربوبية، لا في توحيد الإلهية^(١)، وهو يثبت توحيد الربوبية مع نفى الأسباب والحكم، كما هو قول القدرية المجيرة^(٢)، كالجهم / بن صفوان ومن أتبعه، والأشعري وغيره.

وشيخ الإسلام^(٣)، وإن كان رحمه الله من أشد الناس مباينة للجهمية في الصفات، وقد صنّف كتابه «الفاروق في الفرق بين المثبتة والمعطّلة»^(٤) وصنّف كتاب «تكفير الجهمية»^(٥) وصنّف كتاب «ذم الكلام وأهله»^(٦)، وزاد في هذا الباب، حتى صار يُوصف بالغلو في الإثبات للصفات، لكنه في القدر على رأى الجهمية، نفاة الحكم والأسباب.

(١) ن، م: الألوهية.

(٢) ح، ب: القدرية والمجيرة.

(٣) ويقصد به ابن تيمية أبا إسماعيل الهروي الأنصارى صاحب «منازل السائرين».

(٤) و: الفاروق بين المثبتة... وذكر محمد سعيد الأفغانى هذا الكتاب في كتابه عن الهروي وقال (ص ١٠٢): «ذكره ابن رجب في ص ٥١ من كتابه «الذيل على طبقات الحنابلة»، وأيضا أشار إليه إسماعيل باشا (المجلد الأول، ص ٤٥٢) والعلامة السبكي (طبقات الشافعية ج١- ص ٤٢٠)».

(٥) ذكره الهروي الأنصارى في كتابه «ذم الكلام وأهله» (انظر كتاب الأفغانى ص ١٠٥).

(٦) ذكره محمد سعيد الأفغانى في كتابه (ص ١٠٤ - ١٠٥) وأشار إلى وجود نسخ خطية منه في المكتبة الظاهرية وفي مكتبة المتحف البريطاني بلندن وفي معهد الإلهيات بأنقرة كما أن منه نسخة مصورة في معهد المخطوطات بالجامعة العربية. وقد لخصه السيوطى في كتابه «صون المنطق والكلام». وقد نقل ابن تيمية نصوصا من هذا الكتاب في «درء تعارض العقل والنقل»، ٢/٨٢ - ٨٣، ٧/١٨٥.

والكلام فى الصفات نوع، والكلام فى القدر نوع. وهذا الفناء عنده لا يجمع البقاء؛ فإنه نفى لكل ما سوى حكم الرب بإرادته الشاملة، التى تخصص أحد المتماثلين بلا مخصص.

ولهذا قال فى «باب التوبة» فى لطائف أسرار التوبة^(١): «اللطفة»^(٢) الثالثة: أن^(٣) مشاهدة العبد الحكم لم تدع له استحسان حسنة ولا استقباح سيئة، لصعوده من جميع المعانى إلى معنى الحكم أى الحكم القدرى، وهو خلقه لكل شىء بقدرته وإرادته؛ فإن من لم يثبت فى الوجود فرقا بالنسبة إلى الرب، بل يقول: كل ما سواه محبوب له مرضى له مراد له، سواء بالنسبة إليه - ليس يحب شيئا ويغض شيئا؛ فإن مشاهدة هذا لا يكون معها استحسان حسنة ولا استقباح سيئة بالنسبة إلى الرب؛ إذ الاستحسان والاستقباح على هذا المذهب لا يكون إلا بالنسبة إلى العبد: يستحسن ما يلائمه، ويستقبح ما ينافيه.

وفى عين الفناء لا يشهد نفسه ولا غيره، بل لا يشهد إلا فعل ربه. فعند هذه المشاهدة لا يستحسن شيئا ويستقبح آخر، على قول هؤلاء القدرية الجبرية، المتبعين لجهم بن صفوان وأمثاله.

وهؤلاء وافقوا القدرية فى أن مشيئة الرب وإرادته ومحبه ورضاه سواء. ثم قالت القدرية النفاة: وهو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان، فهو لا يريد ولا يشاؤه، فىكون فى ملكه ما لا يشاء.

(١) فى كتابه «منازل الساترين» ص ١١.

(٢) منازل الساترين: واللطفة..

(٣) أن: ساقطة من (ح)، (و)، (ى).

وقالت الجهمية المجبرة: بل هو يشاء كل شيء، فهو يريد به ويرضاه.

وأما السلف وأتباعهم: فيفرقون بين المشيئة والمحبة. وأما الإرادة فتكون تارة بمعنى المشيئة، وتارة بمعنى المحبة. وقد ذكر الأشعري القولين عن أهل السنة المثبتين للقدر: قول من فرق بين المحبة والرضا. وقول من سوى بينهما، واختار هو التسوية. وأبو المعالي يقول: إن أبا الحسن أول من سوى بينهما، لكنى رأيت في «الموجز» قد حكى قوله عن سليمان بن حرب وعن ابن كلاب وعن الكرابيسي وعن داود بن علي. وكذلك ابن عقيل يقول: «أجمع المسلمون على أن الله لا يحب الكفر والفسوق / والعصيان، ولم يقل: إنه يحبه، غير الأشعري».

ظ ٢١٢

وأما القاضي أبو يعلى فهو في «المعتمد» يوافق الأشعري وفي «مختصره» ذكر القولين، وذكر في «المعتمد» قول أبي بكر عبدالعزيز أنه يقول بالفرق، وتأول كلام أبي بكر بتأويل باطل^(١). لكن أهل الملل كلهم متفقون على أن الله يثيب على الطاعات ويعاقب على المعاصي، وإن كانت المشيئة شاملة للنوعين، فهم يسلمون الفرق بالنسبة إلى العباد، والمدعون للمعرفة والحقيقة والفناء فيهما يطلبون أن لا يكون لهم مراد، بل يريدون ما يريد الحق تعالى، فيقولون: الكمال أن تفى عن إرادتك وتبقى مع إرادة ربك. وعندهم أن جميع الكائنات بالنسبة إلى

(١) أمام هذا الموضوع في هامش نسختي (ر)، (ي) كتب مايلي: «وجد في أصل الأصل مكتوب بخط مصنفه من عند الإشارة إلى قوله «ولكن المقصود هنا بيان قولهم». والإشارة في النسختين عند العبارة التالية التي تبدأ هكذا: «لكن أهل الملل...».

الرب سواء، فلا يستحسنون حسنة ولا يستقبحون سيئة .

وهذا الذى قالوه ممتنع عقلا محرّم شرعا، ولكن المقصود هنا بيان قولهم . ولهذا قال شيخ الإسلام فى توحيدهم، وهو التوحيد الثانى : «إنه إسقاط الأسباب الظاهرة» فإن عندهم لم يخلق الله شيئا بسبب، بل يفعل عنده لا به .

قال : «والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلق بالشواهد، وهو أن لا يشهد فى التوحيد دليلا، ولا فى التوكل سبباً، [ولا فى النجاة وسيلة» وذلك لأن عندهم ليس فى الوجود شىء يكون سبباً^(١) لشىء أصلا، ولا شىء جعل لأجل شىء، ولا يكون شىء بشىء .

فالشبع عندهم لا يكون بالأكل، ولا العلم الحاصل فى القلب بالدليل، ولا ما يحصل للمتوكل من الرزق والنصر له سبب أصلا : لا فى نفسه، ولا فى نفس الأمر، ولا الطاعات عندهم سبب للثواب، ولا المعاصى سبب للعقاب، فليس للنجاة وسيلة، بل محض الإرادة الواحدة يصدر عنها كل حادث، ويصدر مع الآخر مقترنا به اقترانا عادياً، لا أن أحدهما / معلق بالآخر أو سبب له أو حكمة له، ولكن لأجل ما جرت به العادة من اقتران أحدهما بالآخر يُجعل أحدهما أمانة وعلماً ودليلاً على الآخر، بمعنى أنه إذا وجد أحد المقترنين عادة كان الآخر موجوداً معه، وليس العلم الحاصل فى القلب حاصل بهذا الدليل، بل هذا أيضاً من جملة الاقترانات العادية .

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م) .

ولهذا قال: «فيكون مشاهدا سبق الحق بحكمه وعلمه» أى يشهد أنه علم ما سيكون وحكم به، أى أرادَه وقضاه وكتبه، وليس عندهم شيء إلا هذا. وكثير من أهل هذا المذهب يتركون الأسباب الدنيوية، ويجعلون وجود السبب كعدمه.

ومنهم قوم يتركون الأسباب الأخروية، فيقولون: إن سبق العلم والحكم أنا سعادة فنحن سعداء، وإن سبق أنا أشقياء فنحن أشقياء، فلا فائدة في العمل.

ومنهم من يترك الدعاء بناءً على هذا الأصل الفاسد. ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد^(١) مخالف للكتاب والسنة، وإجماع السلف وأئمة الدين، ومخالف لصريح المعقول، ومخالف للحسن والمشاهدة.

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظراً إلى القدر^(٢)، فردّ ذلك. كما [ثبت]^(٣) في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار». قالوا: يارسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب؟ فقال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»^(٤).

(١) الفاسد: ساقطة من (ح)، (ب).

(٢) ح، ب: للقدر.

(٣) ثبت: زيادة في (ح)، (ب).

(٤) هذا جزء من حديث مروى - مع اختلاف في الألفاظ - عن علي بن أبي طالب رضى الله

عنه في أكثر كتب السنة وفي عدة مواضع. انظر مثلاً في: البخارى ٩٦/٢ (كتاب الجنائز،

باب موعظة المحدث عند القبر)، ١٧٠/٦ - ١٧١ (كتاب التفسير، باب سورة والليل إذا

وفي الصحيح أيضا أنه قيل له: يا رسول الله أرايت ما يكدرح الناس فيه اليوم ويعملون: أشيء قضى عليهم ومضى، أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة؟ فقال: «بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم» قالوا: يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا؟ فقال: «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»^(١).

وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له: «أرايت أدوية تداوى بها، ورقي نسترقى بها، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئا؟ فقال: «هي من قدر الله»^(٢).

وقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧].

يغشى)، (١٢٣/٨ - ١٢٤) (كتاب القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً)؛ مسلم ٢٠٣٩/٤ - ٢٠٤٠ (كتاب القدر، باب كيفية الخلق الأدمي في بطن أمه... .)؛ سنن أبي داود ٣٠٧/٤ - ٣٠٨ (كتاب السنة، باب في القدر). وجاء الحديث في: سنن الترمذي ٣٠١/٣ - ٣٠٢ (كتاب القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة)؛ سنن ابن ماجه ٣٠/١ - ٣١ (المقدمة، باب في القدر)؛ المسند (ط. المعارف) في مواضع كثيرة. انظر الأرقام: ٦٢١، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١١١٠، ١١٨١، ١٣٤٨.

(١) جمع ابن تيمية هنا بين الحديث السابق عن علي رضي الله عنه وبين جزء من حديث عن عمران بن الحصين رضي الله عنه جاء في: مسلم ٢٠٤١/٤ - ٢٠٤٢ (الموضع السابق في التعليق السابق) وفيه: . . . أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم. وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: (ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها) [سورة الشمس: ٧، ٨].»

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٣٢/٣.

وقال: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
[سورة الحاثية: ٥].

وقال: ﴿فَاتْلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٤].
وقال: ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ
بِأَيْدِينَا﴾ [سورة التوبة: ٥٢].

وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾
[سورة البقرة: ٢٦].

وقال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾
[سورة المائدة: ١٦].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].
وقال: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد: ٧] فكيف لا يُشهد الدليل!
وقال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [سورة الزمر: ٦١].
وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾
[سورة يونس: ٩].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا
أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة الطور: ٢١].

وقال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ
رَبِّهِمْ﴾ [سورة ابراهيم: ١].

وقال: ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [سورة
الحاقة: ٢٤].

وقال: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٢].

وقال: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا

يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣].

وقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٩].

وقال: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ

وَبَصَدَّهُمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالِ

النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [سورة النساء: ١٦٠، ١٦١].

وقال: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾

[سورة الأنعام: ٦].

وقال: ﴿فَأَنبَأَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾

[سورة المائدة: ٨٥].

وقال: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان: ٤٢].

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

وقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وَالْقَلْبِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ

مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ

وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة

البقرة: ١٦٤] وأمثال ذلك في القرآن كثير.

”وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد: «عسى أن تُخَلَّفَ فيستغ بك أقوام ويضرَّ بك آخرون»^(١) فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيدِهِ دليلاً، ولا جعل / للنجاة من عذابه وسيلة، ولا جعل لما يفعله المتوكل من عباده سبباً .

وهو مسبب الأسباب، وخالق كل شيء بسبب منه، لكن الأسباب كما قال فيها^(٢) أبو حامد وأبو الفرج [بن الجوزي]^(٣) وغيرهما: «الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً تغيير^(٤) في وجه العقل، والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع» .

والتوكل معنى يلتزم^(٥) من معنى التوحيد^(٦) والعقل والشرع، فالموحد^(٧) المتوكل لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها،

(١) : ما بين النجمتين ساقط من (و). والحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في: البخارى ٨١/٢ (كتاب الجنائز، باب رثاء النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن خولة) ونصه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي .. الحديث وفيه: فقلت: يا رسول الله أُخَلَّفُ بعد أصحابي . قال: «إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملاً صالحاً إلا ازددت به درجة ورفعة . ثم لعلك أن تُخَلَّفَ حتى يتسع بك أقوام ويضرَّ بك آخرون . اللهم أمضي لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم . لكن اليأس سعد بن خولة يرثى له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة» . وجاء الحديث في البخارى مرة أخرى في ٦٨/٥ - ٦٩ (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ..) . وجاء مرة ثالثة في كتاب الفرائض .

- (١) لكن التوحيد كما قال فيه .. (٢) ابن الجوزي: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي) .
 (٣) ب: تغيير؛ و: تغير؛ ن: تعتبر . (٤) ح، ر: ملتزم .
 (٥) ن، م: والتوكل معنى يلتزم معنى التوحيد؛ وسقطت كلمة «معنى» الثانية من (ب) .
 (٦) ن، م: فالمؤمن .

ولا يثق بها، ولا يرجوها، ولا يخافها؛ فإنه ليس في الوجود سبب مستقل بحكم، بل كل سبب فهو مفتقر إلى أمور أخرى تُضم إليه، وله موانع وعوائق تمنع موجبه، وما ثمَّ سبب مستقل بالإحداث إلا مشيئة الله وحده؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاء خلقه بالأسباب التي يحدثها ويصرف عنه الموانع، فلا يجوز التوكل إلا عليه.

كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٠].

وما سبق من علمه وحكمه فهو حق. وقد علمَ وحكمَ بأن الشيء الفلاني يحدثه هو سبحانه بالسبب الفلاني. فمن نظر إلى علمه وحكمه فليشهد الحدوث بما أحدثه، وإذا نظر إلى الحدوث بلا سبب منه لم يكن شهوده مطابقا لعلمه وحكمه.

فمن شهد أن الله تعالى خلق الولد لا من أبوين لسبق علمه وحكمه؛ فهذا شهوده عمى، بل يشهد أن الله تبارك وتعالى سبق علمه وحكمه بأن يخلق الولد من الأبوين، والأبوان سبب في وجوده، فكيف يجوز أن يُقال: إنه سبق علمه وحكمه بحدوثه بلا سبب. وإذا كان علمه وحكمه قد أثبت السبب، فكيف أشهد الأمور بخلاف ما هي [عليه]^(١) في علمه وحكمه؟ والعلل التي تُنفى نوعان: أحدهما: أن تعتمد على الأسباب وتوكل عليها. وهذا شرك محرم^(٢). والثاني: أن تترك ما أمرت به من الأسباب،

(٢) ح: شرك ومحرم.

(١) عليه: زيادة في (ح)، (ب)، (و).

وهذا أيضا محرم .

بل عليك أن تعبدته بفعل ما أمرك به من الأسباب، وعليك أن تتوكل عليه في أن يعينك على ما أمرك به، وأن يفعل هو ما لا تقدر أنت عليه بدون سبب منك^(١)، فليست العلة إلا ترك ما أمرك به الرب أمر إيجاب أو استحباب^(٢)، ومن فعل ما أمر به كما أمر به فليس عنده علة، ولكن قد يجهل حقيقة ما أمر به [كما أمر به]^(٣) فيكون منه علة .

وقول القائل: «يسلك سبيل إسقاط الحدّث» إن أراد أني^(٤) أعتقد نفى حدوث شيء؛ فهذا مكابرة وتكذيب بخلق الرب وجحد للصانع . وإن أراد أني أسقط الحدّث من قلبي فلا أشهد محدثا - وهو مرادهم - فهذا خلاف ما أمرت به، وخلاف الحق .

بل قد أمرت أن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأشهد حدوث المحدثات بمشيئته بما^(٥) خلقه من الأسباب، ولما خلقه من الحكّم^(٦)، وما أمرت أن لا أشهد بقلبي حدوث شيء قط .

وقول القائل «يفنى^(٧) من لم يكن، ويبقى^(٨) من لم يزل» إن أراد أنه

(١) ح، ر، و، ي: وأن يفعل هو ما يفعله بدون سبب منك . .

(٢) و: به الرب واجبا أو مستحبا؛ ن: به الرب أمر إيجاب واستحباب؛ م: به الرب أمر إيجاب أو استحسان .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (و)، (ب) .

(٤) و: أن . (٥) و: وبما .

(٦) من الحكّم: كذا في (ح)، (ب) . وفي سائر النسخ: من الحكمة .

(٧) و: فنى .

(٨) و: وبقي .

يبقى على الوجه المأمور [به] ^(١) بحيث يشهد أن الحق هو المحدث لكل ما سواه بما أحدثه من الأسباب، ولما أرادته من الحكمة؛ فهذا حق. وإن أراد ^(٢) أنى لا أشهد قط مخلوقاً، بل لا أشهد إلا القديم فقط؛ فهذا نقص فى الإيمان والتوحيد والتحقيق، وهذا من باب الجهل والضلال، وهذا إذا غلب على قلب العبد كان معذوراً. أما أن يكون هذا مما ^(٣) أمر الله به ورسوله؛ فهذا خلاف الكتاب والسنة والإجماع.

ولما كان هذا مرادهم قال ^(٤): «هذا توحيد الخاصة، الذى يصح بعلم الفناء /، ويصفو فى علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع». ظ ٢١٣ فإن المراد بالجمع أن يشهد ^(٥) الأشياء كلها مجتمعة فى خلق الرب ومشيتته، وأنها صادرة بإرادته، لا يرجح ^(٦) مثلاً عن مثل، فلا يفرق بين مأمور ومحذور، وحسن وقبيح، وأولياء [الله] وأعدائه ^(٧).

والوقوف عند هذا الجمع هو الذى أنكره الجنيّد وغيره من أئمة طريق أهل الله أهل الحق ^(٨)؛ فإنهم أمروا بالفرق الثانى، وهو أن يشهد ^(٩) مع هذا الجمع أن الرب فرّق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه، فأحبّ هذا،

(١) به: زيادة فى (ح)، (ر)، (ب)، (ى).

(٢) و: وإن أريد.

(٣) ح: لما.

(٤) أى الأنصارى الهروى: وهو كلامه الذى سبق من قبل.

(٥) ح، ر، ى: أن تشهد.

(٦) ح، ر، ى: بإرادة ترجح...

(٧) ن، م، و: وأولياء وأعداء.

(٨) ح، ر، ى: أن تشهد.

(٩) ب (فقط): أهل التحقيق.

وَأَبْغَضَ هَذَا، وَأَثَابَ عَلَى هَذَا، وَعَاقَبَ عَلَى هَذَا؛ فَيُحِبُّ مَا أَحْبَبَهُ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ، وَيُبْغِضُ مَا أَبْغَضَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَيَشْهَدُ الْفَرْقَ^(١) فِي الْجَمْعِ،
وَالْجَمْعَ فِي / الْفَرْقِ، لَا^(٢) يَشْهَدُ جَمْعاً مَحْضاً وَلَا فَرْقاً مَحْضاً^(٣).

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «وَيَجْذِبُ إِلَى تَوْحِيدِ أَرْبَابِ الْجَمْعِ» فَسَيَأْتِي. وَهَؤُلَاءِ
شَرِبُوا مِنَ الْعَيْنِ الَّتِي شَرِبَ مِنْهَا نَفَاةَ الْقَدْرِ؛ فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَالُوا: الْأَمْرُ
أَنْفٌ. قَالُوا: إِذَا سَبَقَ عِلْمُهُ وَحُكْمُهُ بِشَيْءٍ، أَمْتَنَعَ أَنْ يَأْمُرَ بِخِلَافِهِ وَوَجِبَ
وُجُودُهُ. وَفِي ذَلِكَ إِبْطَالُ الْأَمْرِ وَالنَهْيِ. لَكِنْ أَوْلَئِكَ كَانُوا مَعْظَمِينَ^(٤) لِلْأَمْرِ
وَالنَهْيِ؛ فَظَنُّوا أَنَّ إِثْبَاتَ مَا سَبَقَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ يَنَافِيهِ، فَأَثْبَتُوا الشَّرْعَ
وَنَفَوْا الْقَدْرَ.

وَهَؤُلَاءِ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ أَيْضاً، لَكِنْ أَثْبَتُوا الْقَدْرَ، وَنَفَوْا عَمَّنْ شَاهَدَهُ أَنَّ
يَسْتَحْسِنُ حَسَنَةً يَأْمُرُ بِهَا، أَوْ يَسْتَقْبِحُ سَيِّئَةً يَنْهَى عَنْهَا؛ فَأَثْبَتُوا الْقَدْرَ
وَأَبْطَلُوا الشَّرْعَ عَمَّنْ شَاهَدَ الْقَدْرَ. وَهَذَا الْقَوْلُ أَشَدُّ مَنَافَاةً لِلدِّينِ الْإِسْلَامِ
مِنْ قَوْلِ نَفَاةِ الْقَدْرِ.

قَالَ: «وَأَمَّا التَّوْحِيدُ الثَّلَاثُ فَهُوَ تَوْحِيدُ اخْتِصَاصِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ وَاسْتِحْقَاقِهِ
بِقَدْرِهِ. . . إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ» وَقَدْ تَقَدَّمَ حِكَايَتُهُ. فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا
عَلَيْهِمْ أُمَّةَ الطَّرِيقِ، كَالْجَنِيدِ وَغَيْرِهِ، حَيْثُ لَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ الْقَدِيمِ
وَالْمَحْدَثِ. وَحَقِيقَةُ قَوْلِ هَؤُلَاءِ الْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ الْخَاصِّ، مِنْ جِنْسِ
قَوْلِ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ، وَهُوَ أَنَّ يَكُونُ الْمَوْحَدُ هُوَ الْمَوْحَدُ، وَلَا يُوَحَّدُ

الفرق بين
التوحيد وبين
الاتحاد والحلول

(٣) عبارة «ولا فرقا محضاً»: ساقطة من (و).

(٤) و: معطلين.

(١) و: ويشهد بهذا الفرق.

(٢) ح، ر، ي: ولا..

الله إلا الله، وكل من جعل غير الله يوحد الله فهو جاحد عندهم، كما قال:

ما وحد الواحد من واحد (أى من واحد غيره)*
إذ كل من وحدَه جاحد
فإنه على قولهم: هو الموحد والموحد. ولهذا قال:

توحيد من ينطق عن نعته * عارية أبطلها الواحد
يعنى إذا تكلم العبد بالتوحيد، وهو يرى أنه المتكلم، وإنما ينطق عن نعت نفسه، فيستعير ما ليس له، فيتكلم به، وهذه عارية أبطلها الواحد، ولكن إذا فنى عن شهود نفسه، وكان الحق هو المتكلم على لسانه، حيث فنى من لم يكن، وبقي من لم يزل، فيكون الحق هو الناطق بنعت نفسه، لا بنعت العبد، ويكون هو الموحد وهو الموحد. ولهذا قال: توحيد إياه توحيد - (أى توحيد الحق إياه - أى نفسه - هو^(١) توحيد هو، لا توحيد المخلوقين له) فإنه لا يوحد عندهم مخلوق، بمعنى أنه هو الناطق بالتوحيد على لسان خاصته، ليس الناطق هو المخلوق، كما يقوله النصارى فى المسيح: إن اللاهوت تكلم بلسان الناسوت.

وحقيقة الأمر أن كل من تكلم بالتوحيد أو تصوّره، وهو يشهد غير الله، فليس بموحد^(٢) عندهم. وإذا غاب وفنى عن نفسه بالكلية، فتم له مقام توحيد الفناء^(٣)، الذى يجذبه^(٤) إلى توحيد أرباب الجمع، صار الحق هو

(١) ن، م، و: هى . (٢) ح، ر، ي: فليس يوحد..

(٣) و: تم له مقام الفناء؛ ر، ح، ي: فتم له توحيد الفناء.

(٤) ب (فقط): الذى يجذبه.

الناطق المتكلم بالتوحيد، وكان هو الموحد، وهو الموحد، لا موحد غيره.

وحقيقة هذا القول لا يكون إلا بأن يصير الربّ والعبد شيئاً واحداً، وهو الاتحاد، فيتحد اللاهوت والناسوت، كما يقول النصارى: إن المتكلم بما كان يسمع من المسيح هو الله. وعندهم أن الذين سمعوا منه هم رسل الله، وهم عندهم أفضل من إبراهيم وموسى^(١).

ولهذا تكلم بلفظ اللاهوت والناسوت طائفة من الشيوخ الذين وقعوا في الاتحاد والحلول مطلقاً ومعيناً، فكانوا ينشدون قصيدة ابن الفارض، ويتحلون بما فيها من تحقيق الاتحاد العام، ويرون كل ما في الوجود هو مجلّى ومظهر، ظهر فيه عين الحق. وإذا رأى أحدهم منظرًا حسنًا^(٢) أنشد:

يتجلّى في كل طرفة عين بلباس^(٣) من الجمال جديد
وينشد الآخر:

هيات يشهد ناظري معكم سوى إذا أنتم عين الجوارح والقوى
*وينشد الثالث:

أعابن في كل الوجود جمالكم وأسمع من كل الجهات نداكم^(٤)

(٢) و: ما ألفوا به..

(١) و: وموسى وعيسى.

(٣) و: في لباس.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٤) بعد هذا البيت في (ن)، (م)، (ي): «وارشف» وبعدها بياض في (ن)، (م) وكتب في

(ي): وتلوه بياض.

وتلتذ^(١) إن مرّت على جسدي يدي لأنى فى التحقيق لست سواكم
ولما كان ظهور قول النصارى بين المسلمين مما يظهر أنه باطل، لم
يمكن أصحاب هذا الاتحاد / أن / يتكلموا به كما تكلمت به
النصارى، بل صار عندهم مما يُشهد ولا يُنطق به، وهو عندهم من
الأسرار التى لا يُباح بها، ومن باح بالسرّ قُتل.

وقد يقول بعضهم: إن الحلاج لمّا باح^(٢) بهذا السرّ وجب قتله. ولهذا
قال^(٣): «هو توحيد اختصّه الحق لنفسه، واستحقه بقدره، وألاح منه
لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن
بثّه».

فيقال: أما توحيد الحق نفسه^(٤) بنفسه، وهو علمه بنفسه وكلامه الذى
يخبر به عن نفسه، كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
[سورة آل عمران: ١٨]، وقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾
[سورة طه: ١٤]؛ فذاك صفة القائمة به، كما تقوم به سائر صفاته من حياته
وقدرته وغير ذلك.

وذلك لا يفارق ذات الربّ ويتنقل إلى غيره أصلاً، كسائر صفاته. بل
صفات المخلوق لا تفارق ذاته وتنتقل إلى غيره، فكيف بصفات
الخالق؟!!

(١) م: وألتذ.

(٢) ن، م: أباح.

(٣) ن: ولهذا قتل قال..

(٤) ح، ب: لنفسه.

ولكن هو سبحانه ينزل^(١) على أنبيائه من علمه وكلامه ما أنزله^(٢)، كما أنزل القرآن^(٣)، وهو كلامه، على خاتم الرسل.

وقد قال سبحانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨]؛ فهو سبحانه يشهد لنفسه بالوحدانية، والملائكة يشهدون، وأولو العلم من عباده يشهدون. والشهادات متطابقة متوافقة.

وقد يُقال: هذه الشهادة هي هذه، بمعنى أنها نوعها، وليس نفس صفة المخلوق هي نفس صفة الخالق. ولكن كلام الله الذي أنزله على رسوله هو القرآن الذي يقرؤه المسلمون، وهو كلامه سبحانه مسموعاً من المبلّغين له، ليس تلاوة العباد له وسماع بعضهم من بعض، بمنزلة سماع موسى له من الله بلا واسطة؛ فإن موسى سَمِعَ نفس كلام الرب، كما يُسمع كلام المتكلم منه، كما يَسْمَعُ الصحابة كلام الرسول منه. وأما سائر الناس فسمعوه مبلّغاً عن الله، كما يسمع^(٤) التابعون ومن بعدهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم مبلّغاً عنه.

ولهذا قال لرسوله: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [سورة المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الجن: ٢٨].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بَلِّغُوا عَنِّي [ولو آية]»^(٥). وقال:

(١) و: نَزَّلَ.

(٢) م: الفرقان.

(٣) و: زيادة في (و) فقط. ونص الحديث: «بَلِّغُوا عَنِّي ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل

ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» وهو عن عبدالله بن عمرو رضي

«نصر الله امرأ سمع منا^(١) حديثاً فبلغه إلى من لم يسمعه، فربّ حامل فقه غير فقيه^(٢)، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه^(٣)». وقال: «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؛ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي^(٤)».

وقول القائل: «وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثه».

فيقال: أفضل صفوته هم الأنبياء، وأفضلهم الرسل، وأفضل الرسل أولو العزم، وأفضل أولي العزم محمد صلى الله عليه وسلم. وما ألاحه الله على أسرار هؤلاء فهو أكمل توحيد عرفه العباد. وهم قد تكلموا بالتوحيد ونعتوه وبثوه، وما يقدر أحد قط أن ينقل عن نبي من الأنبياء، ولا

الله عنهما في: البخارى ١٧٠/٤ (كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل)؛ سنن الترمذى ١٤٧/٤ (كتاب العلم، باب ما جاء فى الحديث عن بنى إسرائيل)؛ المسند (ط. المعارف) ٢٥٠/٩ - ٢٥١، ١٢٧/١١، ٢٠٧.

(١) ح، ب: منى.

(٢) ح، ب: فقه إلى غير فقيه.

(٣) ورد هذا الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن زيد بن ثابت رضى الله عنه، كما جاء بألفاظ مقاربة عن أنس بن مالك وجبير بن مطعم وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء رضى الله عنهم فى: سنن الترمذى ١٤١/٤ - ١٤٢ (كتاب العلم، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع) وقال الترمذى: «حديث زيد بن ثابت حديث حسن». وهو فى: سنن أبى داود ٤٣٨/٣ (كتاب العلم، باب فضل نشر العلم)؛ سنن ابن ماجه ٨٤/١ - ٨٦ (المقدمة، باب من بلغ علماً)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٢٥/٣.

(٤) الحديث عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٣٢٤/٤ (كتاب السنة، باب فى القرآن)؛ سنن الترمذى ٢٥٥/٤ (كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

وارث نبي ، أنه يدعى أنه يعلم توحيداً لا يمكنه النطق به ، بل كل ما علمه القلب أمكن التعبير عنه ، لكن قد لا يفهمه إلا بعض الناس .

فأما أن يُقال : إن محمداً صلى الله عليه وسلم عاجز عن أن يبين ما عرفه الله من توحيده . فهذا ليس كذلك .

ثم يُقال : إن أريد بهذا اللائح أن يكون الرب نفسه هو الموحد لنفسه في قلوب صفوته لاتحاده بهم أو حلوله فيهم . فهذا قول النصراري ، وهو باطل شرعاً وعقلاً .

وإن أريد أنه يعرف صفوته من توحيده ومعرفته والإيمان به ما لا يعرفه غيرهم . فهذا حق ، لكن ما قام بقلوبهم ليس هو نفس الرب [الخالق] تعالى^(١) ، بل هو العلم به ومحبته ومعرفته وتوحيده .

وقد يُسمى المثل الأعلى ، ويُفسر به قوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الروم : ٢٧] أي في قلوب أهل السموات والأرض ، ويُقال له : المثل الحبي والمثال العلمي^(٢) . وقد يخيل لناقص العقل إذا أحب شخصاً محبة تامة ، بحيث فني في حبه ، حتى لا يشهد في قلبه غيره ، أن نفس المحبوب صار^(٣) في قلبه ، وهو غالط^(٤) في ذلك ، بل المحبوب في موضع آخر : إما في بيته ، وإما في المسجد^(٥) ، وإما في

(١) ن ، م : ليس هو نفس الرب تعالى ؛ ب : ليس هو نفس الخالق ؛ ح ، ر ، و ، ي : ليس هو نفس الرب الخالق .

(٢) و : المثال العلي والمثال الحسي .

(٣) ن : صارت .

(٥) ن ، م : إما في المسجد وإما في بيته . .

(٤) ن ، م : وهذا غلط . .

موضع آخر. ولكن الذي في قلبه هو مثاله.

وكثيرا ما يقول القائل: أنت في قلبي، وأنت في فؤادي. والمراد هذا المثال؛ لأنه قد علم أنه لم يعن ذاته، فإن ذاته منفصلة عنه. كما يُقال: أنت بين عيني، وأنت دائما على لساني^(١). كما قال الشاعر:

٩٥ / ٣ / مثالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فكيف تغيب^(٢)
وقال آخر:

ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره
فجعله ساكنا عامرا للقلب لا يُنسى، ولم يرد أن ذاته حصلت في قلبه
كما يحصل^(٣) الإنسان الساكن / في بيته، بل هذا الحاصل هو المثال
العلمي. * وقال آخر:

ومن عجب أنى أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاquem قلبي وهم بين أضلعي*
ومن هذا الباب قول القائل: «القلب بيت الرب» وما يذكرونه في
الإسرائيليات من قوله: «ما وسعتني أرضي ولا سمائي، ولكن وسعني
قلب عبدي المؤمن التقى النقى الورع^(٤) اللين^(٥)». فليس المراد أن الله

(١) ح، ر: دائما في لساني.

(٢) و: فأين تغيب.

(٣) و: جعلت في قلبه كما يجعل...

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (و).

(٤) الورع: كذا في (ح)، (ب). وفي سائر النسخ: الوارع.

(٥) قال المعجلوني في «كشف الخفاء» ١٩٥/٢: «ذكره في «الإحياء» (أى الغزالي) بلفظ: قال

الله: لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوارع - قال العراقي

نفسه يكون في قلب كل عبد، بل في القلب معرفته ومحبته وعبادته .
 والنائم يرى في المنام إنسانا يخاطبه ويشاهده، ويجرى معه
 فصولاً^(١)، وذلك المرئي قاعد في بيته، أو ميّت في قبره، وإنما رأى
 مثاله . وكذلك يرى في المرآة الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من
 المرئيات، ويراها تكبّر بكبّر المرآة، وتصغّر بصغرها، وتستدير
 باستدارتها، وتصفو بصفائها. وتلك مثال المرئيات القائمة بالمرآة، وأما
 نفس الشمس التي في السماء، فلم تصر ذاتها في المرآة .

وقد خاطبني مرة شيخ من هؤلاء في مثل هذا، وكان ممن يظن أن
 الحلاج قال: «أنا الحق» لكونه كان في هذا التوحيد. فقال: الفرق بين
 فرعون والحلاج أن فرعون قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٢٤]
 وهو يشير إلى نفسه . وأما الحلاج فكان فانيا^(٢) عن نفسه ،
 والحق نطق على لسانه . فقلت له : أفصار الحق في قلب الحلاج
 ينطق على لسانه ، كما ينطق الجنّي على لسان المصروع !؟

في تخريجه : لم أر له أصلا، ووافقه في «الدرر» تبعاً للزرکشی وذكر العجلوني كلام ابن
 تيمية فقال: «وقال ابن تيمية: هو مذکور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي
 صلى الله عليه وسلم» ثم قال: «وقال في «المقاصد» تبعاً لشيخه في «اللائي»: ليس له
 إسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر السيوطي الحديث في «الدرر المنتشرة
 في الأحاديث المشتهرة» ص ١٧٥، تحقيق الدكتور محمد بن لطفى الصباغ، ط.
 الرياض، ١٤٠٣/١٩٨٣، وبين الدكتور الصباغ في تعليقه مواضع الحديث في كتب
 الأحاديث الموضوعية.

(١) و: فصول.

(٢) ب (فقط): غائباً.

«وهو سبحانه بائن عن قلب الحلاج وغيره من المخلوقات^(١) ، فقلب^(٢) الحلاج أو غيره كيف يسع ذات الحق؟! ثم الجنى يدخل في جسد الإنسان ويشغل^(٣) جميع أعضائه ،^(٤) والإنسان المصروع لا يحس بما يقوله الجنى ويفعله بأعضائه^(٥) ، لا يكون الجنى في قلبه فقط؛ فإن القلب كل ما قام به فإنها هو عرض من الأعراض ، ليس شيئاً موجوداً قائماً بنفسه ، ولهذا لا يكون الجنى بقلبه الذى هو روحه .

وهؤلاء قد يدعون^(٦) أن ذات الحق قامت بقلبه فقط . فهذا يستحيل فى حق المخلوق^(٧) ، فكيف بالخالق جل جلاله؟! .

وقد يحتج بعضهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «فإذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد»^(٨) فإن الله قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم : «سمع الله لمن حمده»^(٩) .
فيقال لهم : النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد ما أردتم من الحلول

(١-١) : ساقط من (و) .

(٢) ن ، م : فقلت ؛ و : وقلت .

(٣) و : ويستعمل .

(٤-٤) : ساقط من (و) .

(٥) و : قد يزعمون .

(٦) و : المكلف .

(٧) هذا جزء من حديث طويل عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه . وأوله - وهذه رواية مسلم - «إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ، ثم ليؤمكم أحدكم . . . الحديث . وهو فى : مسلم ٣٠٣/١ - ٣٠٥ (كتاب الصلاة ، باب التشهد فى الصلاة) ؛ سنن النسائي ٧٦-٧٥/٢ (كتاب الإمامة ، باب مبادرة الإمام) ١٩٢/٢ - ١٩٣ (كتاب التطبيق ، باب نوع آخر من التشهد) .

والاتحاد، ولكن أراد أن الله بلغكم هذا الكلام على لسان رسوله، وأخبركم أنه يسمع^(١) دعاء من حمده فاحمدوه أتم، وقولوا: ربنا ولك الحمد، حتى يسمع الله لكم دعاءكم؛ فإن الحمد قبل الدعاء سبب لاستجابة الدعاء.

وهذا أمر معروف؛ يقول المرسل لرسوله: قل على لساني كذا وكذا، ويقول الرسول لمرسله: قلت على لسانك كذا وكذا، ويقول المرسل أيضا: قلت لكم على لسان رسولي^(٢) كذا وكذا.

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة الشورى: ٥١]؛ فالله تعالى إذا أرسل رسولا من الملائكة أو من البشر برسالة، كان مكلما لعباده بواسطة رسوله، بما أرسل به رسوله، وكان مبينا لهم بذلك.

كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَبَّأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٤] أى بواسطة رسوله. وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [سورة القيامة: ١٨]. وقال: ﴿تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ [سورة القصص: ٣]. وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ﴾ [سورة يوسف: ٣].

فكانت تلك التلاوة والقراءة والقصص بواسطة جبريل؛ فإنه سبحانه يكلم عباده بواسطة رسول يرسله، فيوحى بإذنه ما يشاء. ولهذا جاء بلفظ

(١) ب (فقط): سمع.

(٢) ح: رسولكم.

الجمع ؛ فإن ما فعله المطاع بجنده يُقال فيه : نحن نفعل كذا . والملائكة رسل الله فيما يخلقه ويأمر به ، فما خلقه وأمر به بواسطة رسله من الملائكة ، قال فيه : نحن فعلنا ، كما قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ [سورة القيامة : ١٨] .

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال : إن علينا أن نجتمع في قلبك ، ثم أن^(١) تقرأه بلسانك ، فإذا قرأه جبريل فاستمع له حتى يفرغ^(٢) . كما قال^(٣) في الآية الأخرى : ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾ [سورة طه : ١١٤] ، أى لا تعجل بتلاوة ما يقرؤه جبريل عليك ، من قبل أن يقضى جبريل تلاوته ، بل استمع له حتى يقضى^(٤) تلاوته ، ثم

(١) أن : ساقطة من (ح) ، (ر) ، (ب) .

(٢) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ثلاثة مواضع فى البخارى ٤/١ (كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي) ، ١٦٣/٦ (كتاب التفسير ، سورة القيامة) ، ١٥٢/٩ - ١٥٣ (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : لا تحرك به لسانك . . .) . والحديث أيضا فى : مسلم ١/٣٣٠ - ٣٣١ (كتاب الصلاة ، باب الاستماع للقراءة) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٧٨/٣ (مختصرا) ، ٦٩/٥ . وأورد ابن كثير الحديث فى تفسيره (ط . الشعب) ٣١٢/٥ ، ٣٠٣/٨ - ٣٠٤ . ولفظ الحديث فى إحدى رواياته (البخارى ١٦٣/٦) : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي ، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وكان يُعرف منه ، فأنزل الله الآية التى فى (لا أقسم بيوم القيامة) : (لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه) [سورة القيامة : ١٦ ، ١٧] قال : علينا أن نجتمع فى صدرك (وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) فإذا أنزلناه فاستمع (ثم إن علينا بيانه) علينا أن نبينه بلسانك . قال : فكان إذا أتاه جبريل أطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله .»

(٣) ح ، ب : كما قيل .

(٤) ح ، ب : تقضى .

بعد هذا اقرأ ما أنزله^(١) إليك، وعلينا أن نجمع ذلك في قلبك، وأن تقرأه بلسانك، ثم أن تبينه^(٢) للناس بعد ذهاب جبريل عنك.

وقوله: «والذى يُشار إليه على ألسن المشيرين أنه إسقاط الحدّث^(٣) وإثبات القدم».

فيقال: مرادهم بهذا نفى المحدث^(٤)، أى ليس هنا إلا القديم. وهذا على وجهين. فإن أريد به نفى المحدث^(٥) بالكلية، وأن العبد هو القديم؛ فهذا شر من قول النصارى، إلا أنه قريب إلى / قول اليعقوبية من النصارى؛ فإن اليعقوبية يقولون: إن اللاهوت والناسوت امتزجا واختلطا فصارا جوهرًا واحدًا، وأقنوماً واحدًا، وطبيعة واحدة. ويقول بعضهم: إن اليدين اللتين سمرتا^(٦) هما اليدان اللتان خلقت بهما آدم.

وأما النسطورية فيقولون بحلول اللاهوت فى الناسوت. والملكانية^(٧) يقولون: شخص واحد له أقنوم واحد، بطبيعتين ومشيئتين^(٨). ويشبهونه بالحديدة والنار، والنسطورية يشبهونه بالماء فى الظرف، واليعقوبية يشبهونه باختلاط الماء واللبن، والماء والخمر^(٩).

(١) ب (فقط): ما أنزل.

(٢) و: ثم إن علينا أن نبينه.

(٣) ب، م: الحدوث.

(٤) و: الحدّث.

(٥) ج: فإن أريد نفى للمحدث..

(٦) ن: شمرتا.

(٧) ح: والملكية.

(٨) و: ونسبتين.

(٩) ب (فقط): والحمر. وانظر أقوال اليعقوبية والنسطورية والملكانية من النصارى فى: الملل

والنحل للشهرستانى ٢٠٣/١ - ٢٠٨؛ الفصل فى الملل والنحل ١/١١٠ - ١٣٢. وانظر

كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (ط. المدنى، القاهرة،

١٩٥٩/١٣٧٩).

فقول القائل: «إسقاط الحدوث»^(١) إن أراد به أن المحدث عدم؛ فهذا مكابرة. وإن أراد به إسقاط المحدث من قلب العبد، وأنه لم يبق في قلبه إلا القديم. فهذا إن أُريد به ذات القديم، فهو قول النسطورية من النصارى. وإن أُريد به معرفته والإيمان به وتوحيده، أو قيل: مثله، أو المثل^(٢) العلمي، أو نوره، أو نحو ذلك؛ فهذا المعنى صحيح، فإن قلوب أهل التوحيد مملوءة بهذا، لكن ليس في قلوبهم ذات الرب القديم وصفاته القائمة به.

وأما أهل الاتحاد العام فيقولون: ما في الوجود إلا الوجود القديم. وهذا قول الجهمية.

وأبو اسماعيل لم يُرد هذا؛ فإنه قد صرح في غير موضع من كتبه بتكفير هؤلاء الجهمية الحلولية، الذين يقولون: إن الله بذاته في كل مكان. وإنما يشير إلى ما يختص به بعض الناس.

ولهذا قال: «الأح منه لائحا إلى أسرار طائفة من صفوته».

والاتحاد والحلول الخاص وقع فيه كثير من العباد والصوفية وأهل الأحوال؛ فإنه^(٣) يفجئهم ما يعجزون عن معرفته، وتضعف عقولهم عن تمييزه، فيظنون ذات الحق. وكثير منهم يظن أنه رأى الله بعينه. وفيهم من يحكى مخاطباته^(٤) له ومعانيته^(٥). وذاك كله إنما هو في قلوبهم من

(١) و: المحدث.

(٢) ح: أو مثل؛ ب: أو المثال.

(٣) ح، ب: فإنهم.

(٤) ح، ب: مخاطبته.

(٥) ح، ب: ومعانيته؛ ن، م: ومعانياته.

المثال العلمى الذى فى قلوبهم بحسب إيمانهم به .

ومما يشبه المثال العلمى رؤية الرب تعالى^(١) فى المنام ؛ فإنه يُرى فى صور^(٢) مختلفة، يراه كل عبد^(٣) على حسب إيمانه . ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم أعظم إيماناً من غيره رآه فى أحسن صورة، وهى رؤية منام بالمدينة؛ كما نطقت بذلك الأحاديث المأثورة عنه^(٤). وأما ليلة المعراج فليس فى شىء من الأحاديث المعروفة أنه رآه ليلة المعراج، لكن روى فى ذلك حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، رواه الخلال من طريق أبى عبيد، وذكره القاضى أبو يعلى فى «إبطال التأويل»^(٥). والذى نصّ عليه الإمام أحمد فى الرؤية هو ما جاء عن النبى صلى الله عليه

(١) و: رؤية الحق . (٢) ن، م، ر: صورة .

(٣) كل عبد: كذا فى (و). وفى سائر النسخ: يراه العبد .

(٤) روى الإمام أحمد فى مسنده (ط. المعارف) ٢٠١/٤ (رقم ٢٥٨٠)، ٢٢١ (رقم ٢٦٣٤) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ربى تبارك وتعالى» وصحح أحمد شاكر الحديثين وقال: «وهو فى مجمع الزوائد ٧٨/١ وقال: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» وعقد أبو بكر عمرو بن أبى عاصم فى «كتاب السنة» فصلاً بعنوان «باب ما ذكر من رؤية النبى صلى الله عليه وسلم ربه تعالى» (ص ١٨٨ - ١٩٣) أورد فيه عدة أحاديث منها حديث ابن عباس (رقم ٤٣٣) وقد صححه الألبانى وقال: أرحه أحمد والأجرى (ص ٤٩٤) والبيهقى فى «الأسماء والصفات» (ص ٤٤٤) والضياء فى «المختارة». وانظر كلام الألبانى على باقى الأحاديث. وقد علق فى «صحيح الجامع الصغير» ١٦٨/٣ على حديث ابن عباس بقوله: «يعنى فى المنام كما تدل عليه الروايات الأخرى»

(٥) سبقت ترجمة أبى يعلى ١٤٢/١. وكتابه «إبطال التأويل» ذكره بروكلمان GAL الملحق ٥٠٣/٣ ولم يذكر أنه موجود. على أنه ظهر مخطوطاً مؤخرًا، وهو موضوع رسالة للدكتوراه (دراسة وتحقيق) مقدمة إلى قسم العقيدة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وسلم وما قاله أصحابه، فتارة يقول: رآه بفؤاده، متبعاً لأبي ذر؛ فإنه روى بإسناده عن أبي ذر رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده^(١).

وقد ثبت فى صحيح مسلم أن أبا ذر سأل النبي صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه»^(٢). ولم ينقل هذا السؤال عن غير أبى ذر. وأما ما يذكره بعض العامة من أن أبا بكر رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال^(٣): «نعم رأيت» وأن عائشة سألته، فقال: «لم أره» فهو كذب، لم يروه أحد من أهل العلم، ولا يجيب النبي صلى الله عليه وسلم عن مسألة واحدة بالنفى والإثبات مطلقاً، فهو منزّه عن ذلك^(٤).

(١) ذكرت فى تعليقي على كلام مماثل لابن تيمية فى «درء تعارض العقل والنقل» ٤٢/٨ أننى بحثت عن حديث أبى ذر رضى الله عنه فى مسند الإمام أحمد (مسند أبى ذر فى الجزء الخامس من طبعة الحلبي) فلم أجده. وقلت: «ولعل الإمام أحمد رواه فى غير المسند». والحديث رواه ابن خزيمة فى كتاب «التوحيد» (تحقيق الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله، ط. القاهرة، ١٣٨٧/١٩٦٨) ص ٢٠٨ ونصه: «حدثنا أحمد بن منيع غير مره، قال: ثنا هشيم، قال: ثنا منصور - وهو ابن زاذان - عن الحكم، عن يزيد بن شريك الرشك، عن أبى ذر فى قوله تعالى: (ولقد رآه نزلة أخرى) قال: ثنا هشيم، قال أنبأ منصور، عن الحكم، عن يزيد بن الرشك عن أبى ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه».

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٣٦/٢ - ٦٣٧.

(٣) و: سأله فقال.

(٤) انظر كتاب «الشريعة» للأجرى (بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقى رحمه الله، ط. السنة المحمدية، ١٣٦٩/١٩٥٠) ص ٤٩١ - ٤٩٧ (وانظر تعليقات الشيخ محمد حامد). وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة، ص ١٩٧ - ٢٣٠، وكتاب الأسماء والصفات للبيهقى، ص ٤٣٣ - ٤٤٧، تحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى، ط. السعادة، ١٣٥٨.

فلما كان أبو ذر أعلم من غيره أتبعه أحمد، مع ما ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رآه بفؤاده مرتين^(١). وتارة يقول أحمد: رآه، فيطلق^(٢) اللفظ ولا يقيده بعين ولا قلب^(٣) أتباعاً للحديث، وتارة يستحسن قول من يقول / : رآه، ولا يقول بعين ولا قلب^(٤). ولم ينقل أحد من أصحاب أحمد الذين باشروه عنه أنه قال رآه بعينه، وقد ذكر ما نقلوه عن أحمد الخلال في كتاب «السنة» وغيره^(٥).

وكذلك لم ينقل أحد بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «رآه بعينه» بل الثابت عنه إما الأطلاق وإما التقييد بالفؤاد.

وقد ذكر طائفة من أصحاب أحمد، كالقاضي أبي يعلى^(٦) ومن أتبعه عن أحمد ثلاث روايات في رؤيته تعالى: إحداهما: أنه رآه بعينه، واختاروا ذلك. وكذلك اختاره الأشعري وطائفة. ولم ينقل هؤلاء عن

(١) روى مسلم في صحيحه ١٥٨/١ - ١٥٩ (كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزله أخرى... .) أثريين عن ابن عباس: الأول.. عن ابن عباس: رآه بقلبه. والثاني... عن أبي العالية عن ابن عباس قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) [سورة النجم: ١١]، (ولقد رآه نزلة أخرى) [سورة النجم: ١٣] قال: رآه بفؤاده مرتين. وذكر الترمذي في سننه ٧٠/٥ (كتاب التفسير، سورة النجم) أثراً عن عكرمة عن ابن عباس قال: (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال: رآه بقلبه. قال الترمذي: «هذا حديث حسن». وجاء الأثر بنفس المعنى في المسند (ط. المعارف) ٢٩٤/٣ عن ابن عباس. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه: «ونسبه السيوطي في الدر المنثور ١٢٤/٦ أيضاً للطبراني وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٢) ح، ب: ويطلق.

(٣) : ما بين النجمتين ساقط من (ح).

(٤) لعل كلام أحمد وروايته لحديث أبي ذر بالإسناد رواه عنه الخلال في كتاب «السنة».

(٥) ن: كالقاضي أبي بكر، وهو تحريف.

أحمد لفظاً صريحاً بذلك، ولا عن ابن عباس. ولكن المنقول الثابت عن أحمد من جنس النقول الثابتة عن ابن عباس: إما تقييد الرؤية بالقلب، وإما إطلاقها. وأما تقييدها بالعين فلم يثبت لا عن أحمد ولا عن ابن عباس.

215 ظ / وأما من سوى النبي صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الإمام أحمد اتفاق السلف على أنه لم يره أحد بعينه. وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «واعلموا أن أحداً منكم لن يرى ربه حتى يموت»^(١) وهذا لبسطه موضع آخر.

وإنما المقصود هنا أن كثيراً من السالكين يرد عليه من الأحوال ما يصطلمه^(٢)، حتى يظن أنه هو الحق، وأن الحق فيه، أو أن الحق يتكلم على لسانه، أو أنه يرى الحق، أو نحو ذلك. وإنما يكون الذي يشاهدونه ويخاطبونه هو الشيطان. وفيهم من يرى عرشاً عليه نور، ويرى الملائكة

(١) في صحيح مسلم ٢٢٤٥/٤ (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد) قال ابن شهاب: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حذر الناس الدجال: «إنه مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن». وقال: «تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت». وجاء الحديث في: سنن الترمذي ٣٤٥/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الدجال) وفيه: «تعلمون أنه لن يرى». الحديث. وقال الترمذي: «هذا الحديث حسن صحيح».

(٢) قال القاشاني في كتاب «اصطلاحات الصوفية» (تحقيق د. محمد كمال جعفر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١) ص ٣٠: «الاصطلام: هو الوَلَّةُ الغالب على القلب، وهو قريب من الهيمان». وقال ابن عربي في رسالة «اصطلاحات الصوفية» ص ٢٤٠: «الاصطلام: نوع وَلَّةٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه».

حول العرش، ويكون ذلك الشيطان، وتلك الشياطين حوله. وقد جرى هذا لغير واحد.

﴿فصل﴾

الكلام على محبة
الله تعالى

وقد اعترف طوائف بأنه يستحق أن يُحَبَّ، وأنكروا أنه يُحَبُّ غيره إلا بمعنى الإرادة العامة؛ فإن محبة المؤمنين لربهم أمر موجود في القلوب^(١) والفطر، شهد به الكتاب والسنة، واستفاض عن سلف الأمة وأهل الصفة، واتفق عليه أهل المعرفة بالله.

وقد ثبت أن التذاذ المؤمنين يوم القيامة بالنظر إلى الله أعظم لذة في الجنة. ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادياً أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه. وهو الزيادة»^(٢).

وفي حديث آخر رواه النسائي وغيره: «أسألك لذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك، في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة»^(٣).

(١) ن: القلب.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ١٦٦/٣.

(٣) سبق الحديث والتعليق عليه فيما مضى ١١٤/٢ - ١١٥، ١٦٦/٣ - ١٦٧.

فقوله في الحديث الصحيح: «فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه» يبين أن اللذة الحاصلة بالنظر إليه أعظم من كل لذة في الجنة. والإنسان في الدنيا يجد في قلبه بذكر الله وذكر محامده وآلائه وعبادته من اللذة ما لا يجده بشيء آخر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «جُعِلت قرة عيني في الصلاة»^(١). وكان يقول: «أرحنا بالصلاة يا بلال»^(٢). وفي الحديث: «إذا مررتم

(١) هذا جزء من حديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه، ونصه: «حُبَّ إليَّ من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قُرَّةَ عيني في الصلاة». وهو في: سنن النسائي ٥٨/٧، ٦٠ (كتاب عشرة النساء، باب حب النساء) وأوله: «حُبَّ إلي من الدنيا... الحديث. وهو في: المسند (ط. الحلبي) ١٢٨/٣، ١١٩، ٢٨٥. وأضاف السيوطي في «الجامع الصغير» أن الحديث في المستدرک للحاكم وفي السنن للبيهقي. وصحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع» ٨٧/٣ وقال في تعليقه على «مشكاة المصابيح» للتبريزي ٦٦٩/٢ (ط. المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٨١/١٩٦١): «وقد اشتهرت على الألسنة زيادة أخرى وهي «ثلاث» ولا أصل لها في شيء من طرق الحديث، بل هي مفسدة للمعنى كما لا يخفى». وانظر ما ذكرته عن الحديث وعن الزيادة في «جامع الرسائل» ١١٨/٢ - ١١٩.

(٢) ح، ر، و: أرحنا بها يا بلال. والحديث عن رجل من الصحابة في سنن داود ٤٠٦/٤ (كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة) ونصه... عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال رجل - قال مسعر: أراه من خزاعة -: ليتني صليت فاسترحت، فكانهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها». والحديث بهذه الألفاظ في: المسند (ط. الحلبي) ٣٦٤/٥. ثم جاء الحديث في سنن أبي داود بعد الحديث السابق ونصه: عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن محمد بن الحنفية، قال: انطلقت أنا وأبي إلى صهر لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصلاة، فقال لبعض أهله: يا جارية اتسوني بوضوء لعلني أصلي فاستريح. قال: فأنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». والحديث بهذه الألفاظ في المسند (ط. الحلبي) ٣٧١/٥. وصحح الألباني الحديث في

برياض الجنة فارتعوا». قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: «مجالس الذكر»^(١). ومن هذا الباب قوله: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»^(٢) فإن هذا كان أعظم مجالس الذكر.

والمنكرون لرؤيته من الجهمية والمعتزلة تنكر هذه اللذة. وقد يفسرها من يتأول^(٣) الرؤية بمزيد العلم على لذة العلم به، كاللذة التي في الدنيا بذكره، لكن تلك أكمل.

وهذا قول متصوفة الفلاسفة والنفاة، كالفارابي وكأبي حامد وأمثاله. فإن ما في كتبه من «الإحياء» وغيره من لذة النظر إلى وجهه هو بهذا المعنى^(٤). [والفلاسفة تثبت اللذة العقلية. وأبو نصر الفارابي

«مشكاة المصابيح» ٣٩٣/١ وفي «صحيح الجامع الصغير» ٢٨٤/٦.

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى : سنن الترمذى ١٩٤/٥ (كتاب الدعوات، باب منه) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ثابت عن أنس». والحديث فى المسند (ط. الحلبي) ١٥٠/٣.

(٢) الحديث عن عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه فى : البخارى ٦١/٢ (كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة، باب فضل ما بين القبر والمنبر). وهو عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٢٣/٣ (كتاب فضائل المدينة، باب حدثنا مسدد عن يحيى...) وزاد... ومنبرى على حوضي، ١٢١/٨ (كتاب الرقاق، باب فى الحوض...)، ١٠٥/٩ (كتاب الاعتصام، باب ما ذكر النبى صلى الله عليه وسلم...)؛ سنن الترمذى ٣٧٦/٥ - ٣٧٧ (كتاب المناقب، باب ما جاء فى فضل المدينة). والحديث فى سنن النسائى والموطأ والمسند.

(٣) ن: من ينكر.

(٤) يتكلم الغزالي على لذة النظر إلى الله تعالى فى «الإحياء» ٦٢/١٤ - ٧٦ فيقول ١٤ / ٦٢ «اعلم أن اللذات تابعة للإدراكات» ويفصل القول فى هذه النقطة، ثم يقول ١٤ / ٦٤ «وبهذا يتبين أن العلم لذيد، وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وتدبيره فى

وأمثاله^(١) من المتفلسفة يثبت الرؤية لله ويفسرها بهذا المعنى^(٢).

وهذه اللذة أيضا ثابتة بعد الموت، لكنهم مقصرون في تحقيقها وإثبات غيرها من لذات الآخرة، كما هو مبسوط في موضعه.
وأما أبو المعالي وابن عقيل ونحوهما فينكرون أن يلتذ أحد بالنظر إليه. وقال أبو المعالي: يمكن أن يحصل^(٣) مع النظر إليه لذة ببعض

مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرضين. فينبغي أن يعلم أن لذة المعرفة أقوى من سائر اللذات، أعنى لذة الشهوة والغضب... الخ ثم يقول ٧٠/١٤: «اعلم أن المدركات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال... وإلى ما لا يدخل في الخيال، كذات الله تعالى وكل ما ليس بجسم، كالعلم والقدرة والإرادة وغيرها... إلى أن يقول ٧١/١٤: «ووافى استحقاق الجنة، وذلك وقت مبهم... لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجليا يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلى المرأة بالإضافة إلى ما تجليه، وهذه المشاهدة والتجلى هي التي تسمى رؤية...».

(١) م: الفارابي وأبي حامد وأمثاله. ويقول الدكتور إبراهيم مذكور في كتابه «في الفلسفة الإسلامية: منهج وتطبيق»، ص ٣٥-٣٦، ط. عيسى الحلبي، ١٣٦٧/١٩٤٧: «لعل أخص خصائص النظرية الصوفية التي قال بها الفارابي إنها قائمة على أساس عقلي. فليس تصوفه بالتصوف الروحي البحت الذي يقوم على محاربة الجسم والبعد عن اللذات لتطهر النفس وترقى في مدارج الكمال، بل هو تصوف نظري يعتمد على الدراسة والتأمل... الخ» ويقول الفارابي في «كتاب آراء أهل المدينة الفاضلة» ص ١٦-١٧، ط. مكتبة الحسين التجارية، الطبعة الثانية، ١٣٦٨/١٩٤٨: «وإذا كان الأول وجوده أفضل الوجود، فجماله فائق لجمال كل ذي الجمال، وكذلك زيتته وبهاؤه... واللذة والسرور والغبطة إنما ينتج ويحصل أكثر بأن يدرك الأجل والأبهى والأزین بالإدراك الأتقن والأتم، فإذا كان هو الأجل في النهاية والأبهى والأزین فإدراكه لذاته الإدراك الأتقن في الغاية وعلمه بجوهره العلم الأفضل... لذة لا نفهم نحن كنهها ولا ندرى مقدار عظمها إلا بالقياس والإضافة إلى ما نجد من اللذة عندما نكون قد أدركنا ما هو عندنا أكمل وأبهى إدراكا وأتقن وأتم... الخ».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) فقط. (٣) و: أن نجعل.

المخلوقات من الجَنَّة، فتكون اللذة مع النظر بذلك المخلوق^(١).
وسمع ابن عقيل رجلا يقول: أسألك لذة النظر إلى وجهك. فقال:

هب أن له وجهاً أفتلتد بالنظر إليه؟

وهذا / ونحوه مما أنكر على ابن عقيل؛ فإنه كان فاضلاً ذكياً، وكان
تتلون آراؤه في هذه المواضع. ولهذا يوجد في كلامه كثيراً مما يوافق فيه
قول المعتزلة والجهمية، وهذا من ذلك.

وكذلك أبو المعالي بنى هذا على أصل الجهمية الذي وافقهم فيه
الأشعري ومن وافقه، كالقاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى وغيرهما:
أن الله لا يحب ذاته، ويزعمون أن الخلاف في ذلك مع الصوفية.

وهذا القول من بقايا أقوال جهم بن صفوان. وأول من عُرف في
الإسلام أنه أنكر أن الله يُحِبُّ أو يُحَبُّ الجهم بن صفوان وشيخه الجعد
ابن درهم. وكذلك هو أول من عُرف أنه أنكر حقيقة تكليم الله لموسى
وغيره. وكان جهم ينفي الصفات والأسماء، ثم انتقل بعض^(٢) ذلك إلى
المعتزلة وغيرهم، فنفوا الصفات دون الأسماء.

وليس هذا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها^(٣)، بل كلهم متفقون على
أن الله يستحق أن يُحَبُّ، وليس شيء أحق بأن يحب من الله سبحانه،
بل لا يصلح أن يُحَبُّ غيره إلا لأجله، وكل ما يحبه المؤمن، من طعام
وشراب ولباس وغير ذلك، لا ينبغي أن يفعله إلا ليستعين به على عبادته

(١) لم أجد هذا الكلام فيما بين يدي من مؤلفات الجويني، ولعله في كتاب من كتبه المفقودة.

(٢) ر، ب، ح، ي: بعد.

(٣) ح، ب: وأئمتهم.

سبحانه المتضمنة لمحبهه ؛ فإن الله إنما خلق الخلق لعبادته ، وخلق فيهم الشهوات ليتناولوا بها ما يستعينون به^(١) على عبادته ، ومن لم يعبد الله فإنه فاسد هالك ، والله لا يغفر أن يُشرك به فيُعبد معه غيره ، فكيف بمن عطلَّ عبادته فلم يعبده ألبتة / كفرعون وأمثاله !؟

ص ٢١٦

وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة النساء : ٤٨] . [والتعطيل ليس دون الشرك بل أعظم منه . فالمستكبرون عن عبادته أعظم جرماً من الذين يعبدونه ويعبدون معه غيره ، وهو لا يغفر لهم ، فأولئك أولى^(٢) . وما من مؤمن إلا وفي قلبه حب الله^(٣)] ، ولو أنكر ذلك بلسانه .

وهؤلاء الذين أنكروا محبهه من أهل الكلام - وهم مؤمنون - لو رجعوا إلى فطرتهم التي فطروا عليها ، واعتبروا أحوال قلوبهم عند عبادته ، لوجدوا في قلوبهم من محبهه مالا يُعبّر عن قدره . وهم من أكثر الناس نظراً في العلم به وبصفاته وذكره ، وذلك كله من محبهه^(٤) ، وإلا فما لا يُحب لا تحرص النفوس على ذكره إلا لتعلق حاجتها به . ولهذا يقال : من أحب شيئاً أكثر من ذكره .

والمؤمن يجد نفسه محتاجة إلى الله في تحصيل مطالبه ، ويجد في قلبه محبة لله غير هذا . فهو محتاج إلى الله من جهة أنه ربّه ، ومن جهة

(١) ح : بها .

(٢) و : أعظم .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) .

(٤) و : وذلك طريق محبهه .

انه إنهه . قال تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، فلا بد أن يكون العبد عابداً لله ، ولا بد أن يكون مستعينا به . ولهذا كان هذا فرضاً على كل مسلم أن يقوله في صلاته .

وهذه الكلمة بين العبد وبين الرب . وقد روى عن^(١) الحسن البصرى رحمه الله أن الله أنزل مائة كتاب وأربعة كتب ، جمع سرها في الأربعة ، وجمع سر الأربعة في القرآن ، وجمع سر^(٢) القرآن في الفاتحة ، وجمع^(٣) سر الفاتحة في هاتين الكلمتين : [﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾]^(٤) ، ولهذا ثناها الله [في كتابه]^(٥) في غير موضع من القرآن ، كقوله : ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود : ١٢٣] وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سورة هود : ٨٨] ، وقوله : ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [سورة الرعد : ٣٠] ، وقوله : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق : ٣، ٢] وأمثال ذلك .

وهم يتأولون محبته على محبة عبادته وطاعته .

فيقال لهم : فيمتنع في الفطرة أن يحب الإنسان طاعة مطاع وعبادته ، إلا أن يكون محباً لله ، وإلا فما لا يُحِبُّ في نفسه^(٦) لا يُحِبُّ الإنسان لا

(١) عن : ساقطة من (ح) ، (ب) .

(٢) سر : ساقطة من (و) ، (ر) .

(٣) و ، ح ، ر ، ي : ويجعل .

(٤) ما بين المعقوفتين في (ح) ، (ر) ، (ب) فقط .

(٥) في كتابه : ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٦) ح ، ب : فما لا يحب لنفسه .

طاعته ولا عبادته. ومن كان إنما يحب الطاعة والعبادة للعرض
المخلوق، فهو لا يحب إلا ذلك العرض، ولا يُقال: إن هذا يحب الله.

ألا ترى أن الكافر والظالم ومن يبغضه المؤمن قد يستأجر المؤمن على
عملٍ يعمل، فيعمل المؤمن لأجل ذلك العرض، ولا يكون المؤمن محباً
للكافر ولا للظالم إذا عمل له بعوض، لأنه ليس مقصوده إلا العوض.

فمن كان لا يريد من الله إلا العوض على عمله، فإنه لا يحبه [قط]^(١) إلا
كما يحب الفاعل لمن يستأجره^(٢) ويعطيه العوض [على عمله]^(٣)؛ فإن

كل محبوب إما أن يُحَبَّ لنفسه وإما أن يُحَبَّ لغيره، فما أُحِبَّ لغيره
فالمحبوب في نفس الأمر هو ذلك الغير، وأما هذا فإنما أُحِبَّ لكونه

٩٩ / ٣

وسيلة إلى المحبوب، والوسيلة قد / تكون مكروهة غاية الكراهة، لكن
يتحملها^(٤) الإنسان لأجل المقصود، كما يتجرع المريض الدواء الكريه

لأجل محبته للعافية، ولا يُقال: إنه يحب ذلك الدواء الكريه.

فإن كان الرب سبحانه لا يُحَبُّ إلا لما يخلقه من النعم، فإنه لا

يحب. وقد قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥]، فأخبر

أن المؤمنين أشد حبا لله من المشركين، وأن المشركين يحبون الأنداد

كحب الله.

(١) قط: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) و: استأجره.

(٣) على عمله: زيادة في (ح)، (ب).

(٤) ن، م، و، ي: يحتملها.

ومن المعلوم أن المشركين يحبون آلهتهم محبة قوية ، كما قال تعالى :
 ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [سورة البقرة: ٩٣] . وهذا وإن كان
 يُقال : [إنه]^(١) لما يظنونه فيهم من أنها تنفعهم ؛ فلا ريب أن الشيء يُحِبُّ
 لهذا ولهذا ، ولكن إذا ظُنَّ فيه أنه متصف بصفات الكمال كانت محبته^(٢)
 أشد ، مع قطع النظر عن نفعه .

والحديث الذي يُروى : «أحبوا الله لما يغذوكم به من نِعَمِهِ ، وأحبوني
 بحب الله ، وأحب أهل بيتي بحبي» إسناده ضعيف^(٣) ؛ فإن الله يُحِبُّ أن
 يُحِبُّ لذاته ، وإن كانت محبته واجبة لإحسانه .

وقول القائل : المحبة للإحسان محبة العامة ، وتلك محبة الخاصة -
 ليس بشيء . بل كل مؤمن فإنه يحب الله لذاته ، ولو أنكر ذلك بلسانه .
 ومن لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما لم يكن مؤمنا . ومن قال :
 إني لا أجد^(٤) هذه المحبة في قلبي لله ورسوله ، فأحد الأمرين لازم : إما
 أن يكون صادقاً في هذا الخبر ، فلا يكون مؤمناً ؛ فإن أبا جهل وأبا لهب

(١) إنه : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٢) ن ، م : المحبة .

(٣) الحديث عن ابن عباس رضی الله عنهما في : سنن الترمذی ٣/٣٢٩ (كتاب المناقب ،
 باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم) وقال الترمذی : «هذا حديث حسن
 غريب ، إنما نعرفه من هذا الوجه» . والحديث في : المستدرک ٣/١٤٩ - ١٥٠ (كتاب
 معرفة الصحابة ، باب ومن مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وقال
 الحاكم : «هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه» . وقال الذهبي : «صحيح» وضعف
 الألبانی الحديث في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته» ١/٩٨ .

(٤) ن : لأجد ، وهو خطأ ؛ ر : لا ثم أجد .

وأمثالهما إذا قالوا ذلك كانوا صادقين في هذا الخبر، وهم كفار أخبروا
 عما في نفوسهم من الكفر، مع أن هؤلاء في قلوبهم محبة الله^(١) لكن مع
 الشرك به، فإنهم اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله، ولهذا
 أبغضوا الرسول وعادوه، لأنه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض ما يحبونه
 معه، فنهاهم أن يحبوا / شيئا كحبه^(٢)، فأبغضوه على هذا. فقد يكون
 بعض هؤلاء المشركين الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب
 الله، يفضل ذلك الند على الله في أشياء. وهؤلاء قد يعلمون أن الله أجل
 وأعظم، لكن تهوى نفوسهم ذلك الند أكثر.

ظ ٢١٦

والرب تعالى إذا جعل من يحب الأنداد كحبه مشركين؛ فمن أحب
 الند أكثر كان أعظم شركا وكفرا، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨] فلولا
 تعظيمهم لآلهتهم على الله لما سبوا الله إذا سببت آلهتهم.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا
 هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا
 كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٣٦]. وقال
 أبو سفيان يوم أحد: أَعْلُ هُبْلُ، أَعْلُ هُبْلُ. فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم: ألا تجيبوه؟ فقالوا: وما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلى وأجل.
 وقال أبو سفيان: إن لنا العزى ولا عزى لكم. قال: ألا تجيبوه؟ قالوا:

(١) و، ر، ي: محبة الله.

(٢) ح، ب: كحب الله.

وما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم^(١).

ويوجد كثير من الناس يحلف بنداً جعله الله، وينذر له، ويوالى فى محبته، ويعادى من يبغضه، ويحلف به فلا يكذب، ويوفى بما نذره له^(٢)، وهو يكذب إذا حلف بالله، ولا يوفى بما نذره الله، ولا يوالى فى محبة الله، ولا يعادى فى الله، كما يوالى ويعادى لذلك الند.

فمن قال: إني لا أجد فى قلبى أن الله أحب اللى مما سواه. فأحد الأمرين لازم: إما أن يكون صادقاً فيكون كافراً مخلداً فى النار، من الذين اتخذوا من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله. وإما أن يكون غالطاً فى قوله: لا أجد فى قلبى هذا.

والإنسان قد يكون فى قلبه معارف وإرادات، ولا يدري أنها فى قلبه. فوجود الشيء فى القلب شيء، والدراية به شيء آخر. ولهذا يوجد الواحد من هؤلاء يطلب تحصيل ذلك فى قلبه، وهو حاصل فى قلبه، فتراه يتعب تعباً كثيراً لجهله. وهذا كالموسوس^(٣) فى الصلاة؛ فإن كل من فعل فعلاً باختياره، وهو يعلم ما يفعله^(٤)، فلا بد أن ينويه، ووجود ذلك بدون النية - التى هى الإرادة - ممتنع، فمن كان يعلم أنه يقوم إلى الصلاة فهو يريد الصلاة، ولا يتصور أن يصلى إلا وهو يريد الصلاة^(٥)،

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢٣/١، وانظر هذا الجزء، ص ٢١.

(٢) ن، م: بما نذر له.

(٣) ن، م: ما فعله.

(٤) و: كالوسوسة.

(٥) و: يريد للصلاة.

فطلب مثل هذا لتحصيل النية من جهله بحقيقة النية ووجودها في نفسه .

١٠٠ / ٣

وكذلك / من كان يعلم أن غداً من رمضان ، وهو مسلم يعتقد وجوب الصوم ، وهو يريد للصوم^(١) ، فهذا نية الصوم . وهو حين يتعشى يتعشى عشاءً من يريد الصوم . ولهذا يُفرَّق بين عشاء ليلة العيد وعشاء ليالي شهر رمضان . فليلة العيد يعلم أنه لا يصوم ، فلا يريد الصوم ولا ينويه ، ولا يتعشى عشاءً من يريد الصوم .

وهذا مثل الذي يأكل ويشرب ويمشى ويركب ويلبس ، إذا كان يعلم أنه يفعل هذه الأفعال ، فلا بد أن يريدّها ، وهذه نيتها . فلو قال بلسانه : أريد أن أضاع يدي في هذا الإثناء لأخذ لقمة آكلها ، كان أحق عند الناس . فهكذا من يتكلم بمثل هذه الألفاظ في نية الصلاة والطهارة والصيام^(٢) . ومع هذا فتجد خلقاً كثيراً من الموسوسين بعلم وعبادة ، يجتهد في تحصيل هذه النية ، أعظم مما يجتهد من يستخرج ما في قعر معدته من القيء ، أو من يتلع الأدوية الكريهة .

وكذلك كثير من المعارف ، قد يكون في نفس الإنسان ضرورياً وفطرياً ، وهو يطلب الدليل عليه ، لإعراضه عمّا في نفسه ، وعدم شعوره بشعوره .

فهكذا كثير من المؤمنين يكون في قلبه محبة لله ورسوله ، وقد نظر في كلام الجهمية والمعتزلة نفاة المحبة ، واعتقد ذلك قولاً صحيحاً ، لما ظنه من صحة شبهاتهم ، أو تقليداً لهم - فصار يقول بموجب ذلك الاعتقاد ،

(٢) ن : والصوم .

(١) ن ، م ، و : يريد الصوم .

وينكر ما في نفسه .

فإن نافي محبة الله يقول : المحبة لا تكون إلا لما يناسب المحبوب ،
ولا مناسبة بين القديم والمحدث ، وبين الواجب والممكن ، وبين الخالق
والمخلوق .

فيقال : لفظ المناسبة لفظ مجمل ؛ فإنه يُقال : لا مناسبة بين كذا
وكذا ، أى أحدهما أعظم من الآخر ، فلا يُنسب هذا إلى هذا . كما يُقال :
لا نسبة لمال فلان إلى مال فلان ، ولا نسبة لعلمه أو جوده أو ملكه [إلى
علم فلان وجود فلان وملك فلان ،^(١) يُراد به أن هذه النسبة حقيرة صغيرة
كَلَّا نسبة . كما يُقال : لا نسبة للخردلة إلى الجبل ، ولا نسبة للتراب إلى
رب الأرباب .

فإذا أُريد بأنه لا نسبة للمحدث إلى القديم هذا المعنى ونحوه ، فهو
صحيح . وليست المحبة مستلزمة لهذه / النسبة . وإن أُريد أنه ليس في
القديم معنى يحبه لأجله المحدث ، فهذا رأس المسألة . فلم قلت : إنه
ليس بين المحدث والقديم ما يحب المحدث القديم لأجله ؟ ولم قلت :
إن القديم ليس متصفاً بمحبة ما يحبه من مخلوقاته ؟

والمحبة لا تستلزم نقصاً ، بل هي صفة كمال ، بل هي أصل الإرادة .
فكل إرادة فلا بد أن تستلزم محبة ؛ فإن الشيء إنما يُراد لأنه محبوب ، أو
لأنه وسيلة إلى المحبوب . ولو قُدِّر عدم المحبة لامتنعت الإرادة ؛ فإن
المحبة لازمة للإرادة ، فإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم . وكذلك المحبة

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) فقط .

مستلزمة للإرادة؛ فمن أحب شيئاً فلا بد أن يتضمن حبه إياه إرادة لبعض متعلقاته.

ولهذا كان خلقه تعالى لمخلوقاته لحكمة^(١)، والحكمة مرادة محبوبة. فهو خَلَقَ ما خَلَقَ لمراد محبوب كما تقدم. وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين، فيريد الإحسان إليهم. وهم يحبونه فيريدون عبادته^(٢) [وطاعته].

و[قد ثبت] في الصحيحين^(٣) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٤). وما من مؤمن إلا وهو يجد في قلبه للرسول من المحبة ما لا يجد^(٥) لغيره، حتى أنه إذا سمع محبوباً له - من أقاربه وأصدقائه^(٦) - يسب الرسول، هان عليه عداوته ومهاجرته، بل وقتله، لحب الرسول. وإن لم يفعل ذلك لم يكن مؤمناً.

قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [سورة المجادلة: ٢٢] [بل قد]

(١) ح، ر، ي، ب: بحكمة؛ و: بحكمته.

(٢) ن، م: ويريدون عبادته (وسقطت: وطاعته).

(٣) ن، م: وفي الصحيحين.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٤٧/٢.

(٥) ما لا يجد: كذا في (ر)، (ب). وفي سائر النسخ: ما لا يوجد.

(٦) ب (فقط): أو أصدقائه.

قال تعالى^(١): ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤] فتوعد من كان الأهل والمال أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله.

وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن^(٢) حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء / لا يحبه إلا الله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار»^(٣).

فوجود حلاوة الإيمان في القلب لا تكون من محبة العوض الذي لم يحصل بعد، بل الفاعل الذي لا يعمل إلا للكره لا يجد حال العمل إلا التعب والمشقة وما يؤلمه، فلو كان لا معنى لمحبة الله ورسوله إلا محبة

١٠١ / ٣

(١) ن، م: وقال تعالى.

(٢) بهن: ساقطة من (و)، (ب).

(٣) جاء الحديث بلفظ مقارب عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: البخارى ٨/١ (كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان)، ٩/١ (كتاب الإيمان، باب من كره أن يعود فى الكفر...)، ٢٠/٩ (كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب...); مسلم ٦٦/١ (كتاب الإيمان، باب بيان خصال...); سنن ابن ماجه ١٣٣٨/٢ - ١٣٣٩ (كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء). وجاء الحديث عن أنس أيضا ولكن بلفظ: «لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله، وحتى أن يقذف فى النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وذلك فى: البخارى ١٤/٨ (كتاب الأدب، باب الحب فى الله).

ما سيصير إليه العبد من الأجر، لم يكن هنا حلاوة إيمان يجدها العبد في قلبه وهو في دار التكليف والامتحان . وهذا خلاف الشرع وخلاف الفطرة التي فطر الله عليها قلوب عباده .

فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل مولود يولد على الفطرة »^(١) . وفي صحيح مسلم عنه أنه قال : « يقول الله تعالى : خلقت عبادي حنفاء ، فاجتالتهم الشياطين ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً »^(٢) .

فالله فطر عباده على الحنيفية ملة ابراهيم ، وأصلها محبة الله وحده ؛ فما من فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى . لكن قد تفسد الفطرة إما لكبرٍ و غرض فاسد^(٣) ، كما في فرعون . وإما بأن يُشرك معه غيره في المحبة .

كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] .

وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين ، فإن في

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٠٧/٢ - ٣٠٨ .

(٢) الحديث عن عياض بن حمار المجاشعي رضى الله عنه فى : مسلم ٢١٩٧/٤ - ٢١٩٨ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التى يُعرف بها فى الدنيا أهل الجنة وأهل النار) وأوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم فى خطبته : « ألا إن ربي أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم . . . وإنى خلقت عبادى حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم . . . الحديث . وهو - مع اختلاف فى اللفظ - فى : المسند (ط . الحلبي) ١٦٢/٤ .

(٣) و : وعرض آخر .

قلوبهم محبة الله، لا يماثله فيها غيره. ولهذا كان الرب محمودا حمدا مطلقا على كل ما فعله، وحمدا خاصا على إحسانه إلى الحامد. فهذا حمد الشكر، والأول حمده^(١) على كل ما فعله.

كما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [سورة الأنعام: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [سورة فاطر: ١].

والحمد ضد الذم. والحمد خير بمحاسن المحمود مقرون بمحبته، والذم خير بمساوئ المذموم مقرون ببيغضه، فلا يكون حمداً لمحمود إلا مع محبته، ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه، وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة.

وأول ما نطق به آدم: [الحمد لله رب العالمين]^(٢)، وأول ما سمع من ربه: يرحمك ربك، وآخر دعوى أهل الجنة: أن الحمد لله رب العالمين. وأول من يُدعى إلى الجنة الحمّادون. ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد، آدم فمن دونه تحت لوائه، وهو صاحب المقام المحمود، الذي يغبطه به الأولون والآخرون.

فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود^(٣)، [ولا يكون حمد إلا بحب المحمود]^(٤). وهو سبحانه المعبود المحمود.

(١) ح: حمد.

(٢) ما بين المعرفتين ساقط من (ن).

(٣) ن، م، ر، ح: يحب للمعبود.

(٤) ما بين المعرفتين ساقط من (ن). وفي (م)، (ي): إلا بحب للمحمود.

وأول نصف الفاتحة الذى للرب حمده، وآخره عبادته . أوله :
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ، وآخره : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ . كما ثبت فى
حديث / القسمة : «يقول الله تبارك وتعالى : قسمت الصلاة بينى وبين
عبدى نصفين ؛ فنصفها لى ، ونصفها لعبدى ، ولعبدى ما سأل . يقول
العبد : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيقول الله : حمدنى عبدى . يقول
العبد : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾ فيقول الله تعالى : أثنى علىّ عبدى . يقول
العبد : ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فيقول الله تبارك وتعالى : مجّدتنى عبدى .
يقول العبد : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيقول الله تعالى : هذه الآية
بينى وبين عبدى ، ولعبدى ما سأل . يقول العبد : ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة . يقول الله تعالى : هؤلاء^(١) لعبدى ولعبدى
ما سأل» رواه مسلم [فى صحيحه]^(٢) . وقال النبى صلى الله عليه وسلم :
«أفضل ما قلت أنا والنبىون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير»^(٣) فجمع بين التوحيد

(١) ب (فقط) : هذا .

(٢) فى صحيحه : ساقطة من (ن) ، (م) ، والحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن أبى هريرة
رضى الله عنه فى : مسلم ٢٩٦/١ - ٢٩٧ (كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة) ؛
سنن الترمذى ٢٦٩/٤ - ٢٧٠ (كتاب التفسير ، سورة الفاتحة) .

(٣) ذكر السيوطى الحديث فى «الجامع الكبير» ١٢٨/١ فقال : «أفضل ما قلت أنا والنبىون
قبلى عشية عرفة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء
قدير . إسماعيل بن عبد الغافر الفارسى فى الأربعين عن علىّ . وذكر العجلونى الحديث
فى «كشف الخفاء» ١٥٣/١ فقال . «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة ، وأفضل ما قلت أنا
والنبىون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له . رواه مالك عن طلحة بن عبيد الله بن
كريز مرسلًا ، وأخرجه الترمذى وحسنه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ : خير

والتحميد . كما قال تعالى : ﴿ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة غافر: ٦٥].

وكان ابن عباس يقول: إذا قلت: لا إله إلا الله، فقل: الحمد لله رب
العالمين؛ يتأول هذه الآية^(١).
وفي سنن ابن ماجه وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
«أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»^(٢).

الدعاء دعاء يوم عرفة، وزاد: له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ورواه البيهقي
عن أبي هريرة بلفظ: أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل قولي وقول الأنبياء قبلي لا إله
إلا الله - الحديث، وزاد بعد: وله الحمد يحيى ويميت ويبيد والخير. ووجدت أن مالكا
قد أورد الحديث مرسلا باللفظ الذي ذكره العجلوني في موضعين: ٢١٤/١ - ٢١٥ (كتاب
القرآن، باب ما جاء في الدعاء)، ٤٢٢/٢ - ٤٢٣ (كتاب الحج، باب جامع الحج). وفي
التعليق: «قال ابن عبد البر: لا خلاف عن مالك في إرساله. ولا أحفظ بهذا الإسناد مسندا
من وجه يحتاج به، وأحاديث الفضائل لا تحتاج إلى محتج به، وقد جاء مسندا من حديث
عليّ وابن عمرو». أما الترمذى فقد أورده باللفظ الذي ذكره العجلوني في سننه ٢٣١/٥
(كتاب الدعوات، باب في فضائل لا حول ولا قوة إلا بالله) وقال: «هذا حديث حسن
غريب من هذا الوجه. وحماد بن أبي حميد هو محمد بن أبي حميد، وهو إبراهيم
الأنصارى المدني، وليس هو بالقوى عند أهل الحديث». وأشار الشيخ أحمد شاكر في
تعليقاته في المسند (ط. المعارف) ١٨٠/١١ إلى الحديث وقال إن الحديث ذكره
المنذرى في «الترغيب» من رواية الترمذى ونقل عنه تحسينه. وأما رواية البيهقي للحديث
عن أبي هريرة فقد ذكرها السيوطى، وضعفها الألبانى في «ضعيف الجامع الصغير»
٣١٥/١.

- (١) ذكر هذا الأثر مسندا الطبرى في تفسيره (ط. بولاق) ٥٣/٢٤ ونص كلامه فيه . . عن ابن
عباس قال: من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك
قوله: (فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين). ونقل ابن كثير كلامه في تفسيره
(ط. الشعب) ١٤٥/٧.
- (٢) الحديث عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى: سنن الترمذى ١٣٠/٥ (كتاب الدعوات،

وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجدم»^(١).

وقال أيضا: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء»^(٢).

باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وقد روى على بن المدنى وغير واحد عن موسى بن إبراهيم هذا الحديث». والحديث فى: سنن ابن ماجه ١٢٤٩/٢ (كتاب الأدب، باب فضل الحامدين). وذكر السيوطى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٣٦٢/١ وحسنه الألبانى.

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٦٠ (كتاب الأدب، باب الهدى فى الكلام) بلفظ: «كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجدم» وقال أبو داود: «رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد بن عبدالعزيز عن الزهري عن النبى صلى الله عليه وسلم مرسلًا». وروى ابن ماجه الحديث عن أبى هريرة مرفوعا فى سننه ١/٦١٠ (كتاب النكاح، باب خطبة النكاح) ولفظه: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد أقطع» وجاء فى التعليق: «قال السندى: الحديث قد حسنه ابن الصلاح والنوى، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرک». وضعف الألبانى هاتين الروایتين ورواية ثالثة بألفاظ مقاربة فى «ضعيف الجامع الصغير» ٤/١٤٧-١٤٨، وتكلم على الحديث كلاما مفصلا فى «الإرواء» = إرواء الغليل فى تخريج أحاديث منار السبيل ١/٢٩-٣٢، ط. المكتب الإسلامى، بيروت، ١٣٩٩/١٩٧٩. والحديث صحح السيوطى بعض رواياته وحسن النوى بعضها، وانظر ما ذكرته عن الحديث فى «جامع الرسائل» ١/١٠٨، ٦٧/٢ وانظر «كشف الخفاء» لابن العجلونى ٢/١١٩؛ المقاصد الحسنة للسخاوى، ص ٣٢٢.

(٢) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ٤/٣٦١ (كتاب الأدب، باب فى الخطبة)؛ سنن الترمذى ٢/٣٨٦ (كتاب النكاح، باب ما جاء فى خطبة النكاح) وقال الترمذى: «هذا حديث حسن غريب»؛ المسند (ط. المعارف) ١٥/١٧٠، ١٦/٢١٦ (وصح الشيخ أحمد شاکر الحدیثین وأشار إلى تصحيح السيوطى له). وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٤/١٧٢، ورسالة «الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة» ص ٥٦، ط. المكتب الإسلامى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٤٠٠.

فلا بد في الخطب^(١) من الحمد لله ومن توحيدِهِ . ولهذا كانت الخطب في الجمع والأعياد وغير ذلك مشتملة على هذين الأصلين . وكذلك التشهد في آخر الصلاة أوله ثناء على الله وآخره الشهادتان ، ولا يكون الثناء إلا على محبوب ، ولا التألّه إلا / لمحبوب . وقد بسطنا^(٢) الكلام في حقائق هذه الكلمات في مواضع متعددة .

وإذا كان العباد يحمدونه ويشنون عليه ويحبونه ، فهو^(٣) سبحانه أحق بحمد نفسه والثناء على نفسه والمحبة لنفسه ، كما قال أفضل الخلق : « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك »^(٤) . فلا ثناء من مثني أعظم من ثناء الرب على نفسه . ولا ثناء إلا بحب ، ولا حب من محبوب لمحبوب أعظم من محبة الرب لنفسه . وكل ما يحبه من عباده فهو تابع لحبه لنفسه ، فهو يحب المقسطين والمحسنين والصابرين والمؤمنين ، ويحب التوايين ، ويحب المتطهرين ، ويفرح بتوبة التائبين : كل ذلك تبعاً لمحبتة لنفسه^(٥) ؛ فإن المؤمن إذا كان يحب ما يحبه من المخلوقات لله ، فيكون حبه للرسول والصالحين تبعاً لحبه لله ، فكيف الرب تعالى فيما يحبه من مخلوقاته ؟!

إنما يحبه تبعاً لحبه لنفسه^(٦) . وخلق المخلوقات لحكمته التي يحبها ،

(١) ح ، ب : الخطبة .

(٢) ن ، م : وقد بسط .

(٣) ح ، ب : وهو .

(٤) سبق هذا الحديث والتعليق عليه فيما مضى ١٥٩ / ٢ .

(٥) ح ، ب : تابع لمحبة نفسه .

(٦) م : لمحبة نفسه .

فما خلق شيئاً إلا لحكمة. وهو سبحانه قد قال: ﴿أَحْسَنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [سورة السجدة: ٧]، وقال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: ٨٨].

وليس فى أسمائه الحسنى إلا اسم يُمدح به، ولهذا كانت كلها حسنى - والحسنى خلاف السوأى، فكلها حسنة، والحسن محبوب ممدوح.

فالمقصود بالخلق ما يحبه ويرضاه، وذلك أمر ممدوح، ولكن قد يكون من لوازم ذلك ما يريده، لأنه من لوازم ما يحبه ووسائله؛ فإن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع، كما يمتنع وجود العلم والإرادة بلا حياة، ويمتنع وجود المولود - [مع كونه مولوداً^(١)] - بلا ولادة.

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح، حديث الاستفتاح: «والخير كله^(٢) بيدك، والشر ليس إليك»^(٣). وقد قيل فى تفسيره: لا يتقرب به إليك بناء على أنه الأعمال المنهى عنها. وقد قيل:

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) كله: فى (ن)، (م) فقط.

(٣) الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى: مسلم ١/٥٣٤ - ٥٣٦ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه) ونصه: . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض. . . الحديث وفيه: «ليك وسعديك، والخير كله فى يدك، والشر ليس إليك». وروى أحمد الحديث فى مسنده (ط. المعارف) ٢/١٣٤ - ١٣٥ (الأرقام ٨٠٣ - ٨٠٥). وانظر: مشكاة المصابيح للتبريزى (ط. دمشق) ١/٢٥٥ - ٢٥٧؛ الأذكار للنووى، ص ٤٣.

لا يُضاف إليك بناء على أنه المخلوق.

والشر المخلوق لا يُضاف إلى الله مجرداً عن الخير [قط^(١)]، وإنما يُذكر على أحد وجوه ثلاثة: إما مع إضافته إلى المخلوق، كقوله: ﴿مَنْ شَرَّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق: ٢]. وإما مع حذف الفاعل، كقول الجن: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [سورة الجن: ١٠].

ومنه في الفاتحة: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧]، فذكر الإنعام مضافاً إليه، وذكر الغضب محذوفاً فاعله، وذكر الضلال مضافاً إلى العبد. وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَبُهِتَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لِمِائِمَةٍ مِنْهُمْ نَفْسَةٌ فَتَوَّأَتْ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠].

وإما أن يدخل في العموم كقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٢]. ولهذا إذا ذكر باسمه الخاص قرن بالخير، كقوله في أسمائه الحسنى: الضار، النافع، المعطي، المانع، [الخافض، الرافع، المعز، المذل. فجمع^(٢) بين الاسمين لما فيه من العموم^(٣) والشمول الدال على وحدانيته، وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء. ولهذا لا يُدعى بأحد الاسمين: كالضار والنافع، والخافض والرافع، بل يذكران جميعاً^(٤). ولهذا كان كل نعمة منه فضلاً، وكل نقمة منه عدلاً.

(١) قط: زيادة في (و).

(٢) و، م: فيجمع.

(٣) لما فيه من العموم: كذا في (ب) فقط. وفي سائر النسخ: لما في العموم..

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحَاء الليل والنهار. أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما فى يمينه؟ والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع»^(١) فالإحسان بيده اليمنى، والعدل بيده الأخرى. وكلتا يديه يمين مباركة.

كما [ثبت] فى الصحيح^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون فى أهليهم وماولوا»^(٣) ولبسط هذا موضع / آخر.

ص ٢١٨

والمقصود هنا أنه سبحانه إذا خلق ما يبغيضه ويكرهه، لحكمة يحبها ويرضاها، فهو مرید لكل ما خلقه، وإن كان بعض مخلوقاته إنما خلقه لغيره، وهو يبغيضه ولا يحبه.

وهذا الفرق بين المحبة والمشیئة هو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء، وأكثر متكلمى أهل السنة، كالحنفية، والكرامية^(٤)،

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٣٩/١.

(٢) ن، م: كما فى الصحيح.

(٣) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه فى:

مسلم ١٤٥٨/٣ (كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل...); سنن النسائي

١٩٥/٨ - ١٩٦ (كتاب آداب القضاة، باب فضل الحاكم العادل فى حكمه). وأول

الحديث فيهما: «إن المقسطين عند الله على منابر... الخ. والحديث أيضا فى: المسند

(ط. المعارف) ٢٤٩/٩ - ٢٥٠، ٢٥٤.

(٤) م: والمالكية.

والمقدمين من الحنبلية والمالكية والشافعية، كما ذكر ذلك [أبو بكر]^(١) عبدالعزیز فی کتاب «المقنع»، وهو أحد قولی الأشعری، وعليه اعتمد أبو الفرج بن الجوزی، ورجّحه علی قول من قال: لا یحب الفساد للمؤمن، أو لا یحبه دیناً.

وذكر أبو المعالی أن هذا قول السلف، وأن أول من جعلهما^(٢) سواء من أهل الإثبات هو أبو الحسن.

والذين قالوا هذا من متأخري المالكية والشافعية والحنبلية، كأبي المعالی / والقاضي أبي يعلى وغيرهما، هم في ذلك تبع للأشعري. ١٠٣ / ٣ وبهذا الفرق يظهر أن الإرادة نوعان: إرادة أن يخلق، وإرادة لما أمر به. [فأما المأمور به]^(٣) فهو مراد إرادة شرعية دينية، [متضمنة]^(٤) أنه يحب ما أمر به ويرضاه.

وهذا معنى قولنا: يريد^(٥) من عبده، فهو يريد له كما يريد الأمر الناصح للمأمور المنصوح. يقول: هذا خير لك وأنفع [لك]^(٦)، وهو إذا فعله أحبه الله ورضيه، والمخلوقات مرادة إرادة خلقية كونية. وهذه الإرادة متضمنة لما وقع دون ما لم يقع، وقد يكون الشيء مراداً له غير محبوب، بل أرادته لإفضائه إلى وجود ما هو محبوب له، أو لكونه شرطاً في وجود ما هو محبوب له.

-
- (١) أبو بكر: ساقطة من (ن).
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).
(٣) ن، ر، و، ي: يريده.
(٤) ن، م: وأول من جعل.
(٥) متضمنة: ساقطة من (ن).
(٦) لك: ساقطة من (ن)، (م).

فهذه الإرادة الخلقية هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام : ١٢٥].

وفي قوله : ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رُبُّكُمْ﴾ [سورة هود : ٣٤].

وفي قول المسلمين : ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

وفي قوله : ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [سورة السجدة : ١٣] ، وأمثال ذلك .

والإرادة الأمرية هي المذكورة في قوله : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥].

وفي قوله : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا * يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء : ٢٧ ، ٢٨] . وفي قوله : ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة المائدة : ٦] ، وأمثال ذلك .

وإذا قيل : الأمر هل يستلزم الإرادة ، أم يأمر بما لا يريد ؟

قيل : هو لا يستلزم الإرادة الأولى ، وهي ^(١) إرادة الخلق . فليس كل ما

أمر الله به أراد أن يخلقه ، وأن يجعل العبد المأمور فاعلا له .

والقدرية تنفى أن يريد ذلك ، لأنه عندهم لا يجعل أحداً فاعلا ، ولا

(١) وهي : كذا في (م) ، (ب) . وفي سائر النسخ : وهو .

يخلق فعل أحد .

وأما أهل السنة فعندهم هو الذى جعل الأبرار أبراراً، والمسلمين مسلمين . وعندهم من أمره وجَعَلَه فاعلاً للمأمور صار فاعلاً له، وإن لم يجعله فاعلاً [له] ^(١) لم يصّر فاعلاً له ^(٢) . فأهل الإيمان والطاعة أراد منهم إيمانهم وطاعتهم أمراً وخلقاً، فأمرهم بذلك وأعانهم عليه، وجعلهم فاعلين لذلك ^(٣)، ولولا إعانتهم لهم على طاعته لما أطاعوه . وأهل الكفر والمعصية أمرهم ولم يجعلهم مطيعين، فلم يرد أن يخلق طاعتهم، لكنه أمرهم بها، وأرادها منهم : إرادة شرعية دينية، لكونها منفعة لهم ومصلحة إذا فعلوها، ولم يرد هو أن يخلقها لما فى ذلك من الحكمة . وإذا كان يحبها بتقدير وجودها، فقد يكون ذلك مستلزماً لأمر يكرهه، أو لفوات ما هو أحب إليه منه، ودفعه أحب إليه من حصول ذلك المحبوب، فيكون ترك هذا المحبوب لدفع المكروه، أحب إليه من وجوده . كما أن وجود المكروه المستلزم لوجود المحبوب، يجعله مراداً لأجله، إذا كان محبته له أعظم من محبته لعدم المكروه الذى هو الوسيلة ^(٤) .

وليس كل من نصحته بقولك عليك أن تعينه على الفعل الذى أمرته به . فالأنبياء والصالحون دائماً ينصحون الناس ويأمرونهم، ويدلونهم على ما إذا فعلوه كان صلاحاً لهم، ولا يعاونونهم على أفعالهم . وقد يكونون قادرين، لكن مقتضى حكمتهم أن لا يفعلوا ذلك لأسباب متعددة .

(٢) له : ساقطة من (ب) .

(٤) و : وسيلة .

(١) له : ساقطة من (ن)، (م) .

(٣) ن، م : له .

والرب تعالى على كل شيء قدير، لكن ما من شيء إلا وله ضد ينافيه، وله لازم لا بد منه، فيمتنع وجود الضدين معاً، أو وجود الملزوم بدون اللازم. كل من الضدين مقدور الله، والله قادر على أن يخلقه، لكن بشرط عدم الآخر. فأما وجود الضدين معاً فممتنع^(١) لذاته، فلا يلزم من كونه قادراً على كل منهما وجود أحدهما مع الآخر.

والعباد قد لا يعلمون التنافي أو التلازم؛ فلا يكونون عالمين بالامتناع، فيظنونه ممكن الوجود، مع حصول المحبوب المطلوب^(٢) للرب. وفرق بين العلم بالإمكان [وعدم العلم بالامتناع، وإنما عندهم عدم العلم بالامتناع، لا العلم بالإمكان]^(٣). والعدم لا فاعل له، فأتوا من عدم / علمهم، وهو الجهل الذي هو أصل الكفر^(٤).

ظ ٢١٨

وهو سبحانه إذا اقتضت حكمته خلق شيء، فلا بد من خلق لوازمه ونفى أصداده. فإذا قال القائل: لم لم يجعل^(٥) معه الضد المنافي؟ أو لم وجد اللازم؟ كان لعدم علمه بالحقائق.

١٠٤ / ٣

وهذا مثل أن يقول القائل: هلاً / خلق زيدا قبل أبيه؟ فيقال له: يمتنع أن يكون ابنه ويخلق قبله، أو يُخلق حتى يخلق أبوه. والناس تظهر لهم الحكمة في كثير من تفاصيل الأمور التي يتدبرونها، كما تظهر لهم الحكمة في ملوحة ماء العين، وعذوبة ماء الفم، ومرارة

-
- (١) م، ب: فيمتنع.
 (٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن). وفي (ب)، (ج): وإنما عندهم عدم العلم بامتناع العلم بالإمكان، وهو تحريف.
 (٣) ح، ر، ي: تجعل.
 (٤) ر: أصل للكفر.

ماء الأذن، وملوحة ماء البحر. وذلك يدلهم على الحكمة فيما لم يعلموا حكمته؛ فإن من رأى إنسانا بارعاً فى النحو أو الطب أو الحساب أو الفقه، وعلم أنه أعلم منه بذلك، إذا أشكل عليه بعض كلامه فلم يفهمه، سلّم ذلك إليه.

فرب العالمين الذى بهرت العقول حكمته ورحمته، الذى أحاط بكل شىء علماً، وأحصى كل شىء عدداً، وهو أرحم الراحمين، وأحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، كيف لا يجب على العبد أن يسلم ما جهله^(١) من حكمته إلى ما علمه منها؟!

وهذه الأمور مبسوسة فى غير هذا الموضع. والمقصود هنا التنبيه على المختلفين فى الكتاب، الذين يُردّ كل منهم قول الآخر، وفى كلام كل منهم حق وباطل. وقد ذكرنا مثالين: مثلاً فى الأسماء والأحكام والوعد والوعيد، ومثلاً فى الشرع والقدر.

ونذكر مثلاً ثالثاً فى القرآن؛ فإن الأئمة والسلف اتفقوا على أن القرآن كلام الله غير مخلوق، بل هو الذى تكلم به بقدرته ومشيتته، لم يقل أحد منهم: إنه مخلوق، ولا إنه قديم.

وصار المختلفون بعدهم على قولين: قوم^(٢) يقولون: هو مخلوق خلقه [الله] فى غيره^(٣)، والله لا يقوم به كلام. ويقولون: الكلام صفة فعل لا صفة ذات. ومرادهم بالفعل ما كان منفصلاً عن الفاعل غير قائم به، وهذا لا يعقل أصلاً، ولا يُعرف متكلم لا يقوم به كلامه.

الكلام على أن
القرآن كلام الله
غير مخلوق

(٢) ب: فقوم.

(١) ن، م: ما جهل.

(٣) ن، م، و: خلقه فى غيره.

وقوم يقولون بل هو قديم لم ير فائما بالذات أزلا وأبدا، لا يتكلم
لا بقدرته ولا مشيئته. ولم ير بداؤه لموسى أزليا وكذلك قوله:
يا إبراهيم، ياموسى، يا عيسى

ثم صار هؤلاء حزيين حزبا عرفوا أن ما كان قديما لم يزل يمتنع أن
يكون حروفا، أو حروفا وأصواتا فإن الحروف متعاقبة: الباء قبل السين،
والصوت لا يبقى، بل يكون شيئا بعد شيء، كالحركة. فيمتنع أن يكون
الصوت الذى سمعه موسى قديما لم يزل ولا يزال. فقالوا: كلامه معنى
واحد قائم بذاته هو الأمر بكل مأمور، والنهى عن كل منهى عنه، والخبر
بكل ما أخبر به. إن عُبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عُبر عنه بالعبرانية^(١)
كان تورا، وإن عُبر عنه بالسريانية^(٢) كان إنجيلا، وأن ذلك المعنى هو
أمر بكل ما أمر به، وهو نهى عن كل ما نهى عنه، وهو خبر بكل ما أخبر
به. وكونه أمرا ونهيا وخبرا صفات له إضافية، مثل قولنا: زيد أب وعم
وخال، ليست أنواعا له. ولا ينقسم الكلام إلى هذا وهذا.

قالوا: والله لم يتكلم بالقرآن العربى، ولا بالتوراة العبرانية^(٣)، ولا
بالإنجيل السريانية، ولا سمع موسى ولا غيره منه بأذنه صوتا. ولكن
القرآن العربى خلقه الله فى غيره، أو أحدثه جبريل أو محمد، ليعبر به
عما يراد إفهامه من ذلك المعنى^(٤) الواحد.

(١) ن، و، ي. بالعبرية.

(٢) م بالإسرائيلية؛ و بالعربية. وكلاهما تحريف

(٣) ن، و، ي. بالعبرية

(٤) المعنى ساقطة من (ح) - (ر) - (ى).

فقال لهم جمهور الناس : هذا القول مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول؛ فإننا نعلم بالاضطرار أن معنى آية الكرسي ليس هو معنى آية الدين، ولا معنى : قل هو الله أحد هو معنى : تبت يدا أبي لهب . وقد عرّب الناس التوراة فوجدوا فيها معاني ليست هي المعاني التي في القرآن . ونحن نعلم قطعاً أن المعاني التي أخبر الله بها في القرآن في قصة بدر وأحد والخندق ونحو ذلك ، لم ينزلها الله على موسى ابن عمران ، كما لم ينزل على محمد تحريم السبت ، ولا الأمر بقتال عبّاد العجل ، فكيف يكون كل كلام الله معنى واحداً^(١)؟!

ونحن نعلم بالاضطرار أن الكلام معانيه وحروفه تنقسم إلى خبر وإنشاء . والإنشاء منه الطلب ، والطلب ينقسم إلى أمر ونهى . وحقيقة الطلب غير حقيقة الخبر . فكيف لا تكون هذه أقسام الكلام وأنواعه ، بل هو موصوف بها كلها؟!!

«وأيضاً فالله تعالى يخبر أنه [لما]^(٢) أتى موسى الشجرة ناداه ، فناداه في ذلك الوقت ، لم يناده في الأزل . وكذلك قال : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [سورة الأعراف : ١١] . وقال : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة آل عمران : ٥٩] .

وقال : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ [سورة البقرة : ٣٠] إلى مواضع كثيرة من

(١) ن : بمعنى واحد .

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٢) لما : ساقطة من (ن) .

القرآن تبين أنه / تكلم بالكلام المذكور في ذلك الوقت، فكيف يكون أزليا
أبديا، مازال ولا يزال؟ وكيف يكون لم يزل ولا يزال قائلا: ﴿يَانُوحُ اهْبِطْ
بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ [سورة هود: ٤٨]، ﴿يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ وَرَافِعَكَ إِلَيْنَا﴾ [سورة
آل عمران: ٥٥]، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [سورة طه: ١٤]،
﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة المزمل، آية ١، ٢].

وقال هؤلاء: هذا القرآن العربي ليس هو كلام الله. وقال هؤلاء: كلام
الله لا يتعدد ولا يتبعض.

فقال لهم الناس: موسى لما كلمه الله أفهمه كلامه كله أو بعضه؟ إن
قلتم: كله؛ فقد صار موسى يعلم علم الله. وإن قلتم: بعضه؛ فقد
تبععض، وهو عندكم واحد لا يتبععض.

وكذلك هذا القرآن العربي هو عندكم ليس كلام الله، ولكنه عبارة
عنه. أفهو عبارة عن كله؟ فهذا ممتنع. أم عن بعضه؟ فهذا ممتنع أيضا،
إلى كلام آخر يطول ذكره هنا.

وقال الحزب الثاني لما رأوا فساد هذا القول: بل نقول: إن القرآن
قديم، وإنه حروف، أو حروف وأصوات، وإن هذا القرآن العربي كلام
الله، كما دل على ذلك القرآن والسنة وإجماع المسلمين.
وفي القرآن مواضع كثيرة تبين أن هذا المنزل هو القرآن، وهو كلام
الله، وأنه عربي.

وأخذوا يشنعون على أولئك إنكارهم^(١) أن يكون هذا كلام الله؛ فإن

(١) ن، م، ب: بإنكارهم.

أولئك أثبتوا قرآنين : قرآنا قديما، وقرآنا مخلوقا. فأخذ هؤلاء يشنعون على أولئك بإثبات قرآنين.

فقال لهم أولئك : فأنتم إذا جعلتم القرآن العربي - وهو قديم - كلام الله، لزم أن يكون مخلوقا، وكنتم موافقين للمعتزلة؛ فإن قولكم : إن القرآن العربي قديم، ممتنع في صرائح العقول. ولم يقل ذلك أحد من السلف. ونحن وجميع الطوائف ننكر عليكم هذا القول، ونقول : إنكم ابتدعتموه وخالفتم به المعقول والمنقول. وإلا فكيف تكون السين المعينة المسبوقة بالباء المعينة قديمة أزلية^(١)، وتكون الحروف المتعاقبة قديمة، والصوت^(٢) الذي كان في هذا الوقت قديما؟

ولم يقل هذا أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم، وإن كان بعض المتأخرين من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقولونه، ويقول ابن سالم وأصحابه^(٣)، وطائفة من أهل الكلام والحديث؛ فليس في هؤلاء أحد من السلف. وإن كان الشهرستاني ذكر في «نهاية الإقدام» أن هذا قول السلف والحنابلة، فليس هو قول السلف، ولا قول أحمد بن حنبل، ولا أصحابه القدماء، ولا جمهورهم.

فصار كثير من هؤلاء الموافقين للسالمية، وأولئك الموافقين للكلائية، بينهم منازعات ومخاصمات، بل وفتن. وأصل ذلك قولهم جميعا : إن

(١) ن : قديمة وأزلية.

(٢) و، ر، ي : أو الصوت.

(٣) سبق الكلام عن السالمية ١٥٦/١.

القرآن قديم . وهى أيضا بدعة لم يقلها أحد من السلف . وإنما السلف كانوا يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود^(١) . وكان قولهم أولاً : إنه كلام الله ، كافياً^(٢) عندهم . فإن ما كان كلاماً لمتكلم لا يجوز أن يكون منفصلاً عنه ؛ فإن هذا مخالف للمعقول والمنقول فى الكلام . وفى جميع الصفات يمتنع أن يوصف الموصوف بصفة لا تكون قط قائمة به ، بل لا تكون إلا بآئنه عنه .

وما يزعمه الجهمية والمعتزلة من أن كلامه وإرادته ، ومحبته وكرهته ، ورضاه وغضبه ، وغير ذلك - كل ذلك مخلوقات له منفصلة عنه ؛ هو مما أنكره السلف عليهم وجمهور الخلف . بل قالوا : إن هذا من الكفر الذى يتضمن تكذيب الرسول^(٣) ، وجحود ما يستحقه الله من صفاته .

وكلام السلف فى رد هذا القول ، بل^(٤) وإطلاق الكفر عليه ، كثير منتشر . وكذلك لم يقل السلف : [إن]^(٥) غضبه على فرعون وقومه قديم ، ولا أن فرحه بتوبة التائب قديم .

وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الجزاء لعباده على الطاعة والمعصية ، من رضاه وغضبه ، لم يقل أحد منهم : إنه قديم ؛ فإن الجزاء لا يكون قبل العمل .

(١) فى هامش (ر) ، (ى) كتب ما يلى : «قال الإمام أحمد : بدأ منه تنزيلاً ، ويعود إليه حكماً» .

(٢) كافياً : كذا فى (ب) فقط ، وهو الصواب . وفى سائر النسخ : كاف .

(٣) و : الرسل .

(٤) بل : ساقطة من (ح) ، (ر) ، (ب) .

(٥) إن : زيادة فى (ب) فقط .

والقرآن صريح بأن أعمالهم كانت سبباً لذلك كقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا
 انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [سورة الزخرف: ٥٥] وقوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ
 وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٨]، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ
 تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، وأمثال ذلك.

بل قد ثبت في الصحيحين^(١) من حديث الشفاعة أن كلاً من الرسل
 يقول: «إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب
 بعده مثله»^(٢).

وفي الصحيحين عن زيد بن خالد قال صلى بنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم صلاة الصبح في إثر سماء كانت من / الليل، فلما انقضى من ١٠٦ / ٣
 صلاته قال^(٣): «أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟» قلنا: الله ورسوله أعلم.
 قال: «فإنه قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي. فمن قال: مُطِرْنَا
 بفضل الله ورحمته، فهو مؤمن بي كافر بالكوكب. ومن قال: مُطِرْنَا بِنُوءٍ
 كذا وكذا، فهو كافر بي مؤمن بالكوكب»^(٤).

(١) ن، م: بل وفي الصحيحين.

(٢) سبق الكلام على حديث الشفاعة فيما مضى ٤٠١/٢ - ٤٠٢.

(٣) و: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على إثر سماء كانت من الليل فقال...

(٤) الحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن زيد بن خالد الجهني رضى الله عنه في:
 البخارى ١/١٦٥ (كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم)؛ مسلم
 ١/٨٣ - ٨٤ (كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء)؛ سنن أبى داود ٤/٢١
 (كتاب الطب، باب فى النجوم)؛ الموطأ ١/١٩٢ (كتاب الاستسقاء، باب الاستمطار
 بالنجوم).

وفي الصحيح^(١) عنه صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : «ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه»^(٢).

وفي القرآن والحديث من هذا ما يطول ذكره . وقد بسطنا هذا في كتاب «درء^(٣) تعارض العقل والنقل» وغيره .

وقد أخبر الله تعالى في القرآن بنداثة لعباده في أكثر من / عشرة ٢١٩ ط مواضع . والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس . والله أخير أنه نادى موسى حين جاء الشجرة ، فقال : ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل : ٨] ، ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إني أَنَا رَبُّكَ﴾ [سورة طه : ١١ ، ١٢] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [سورة القصص : ٣٠] ، ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الشعراء : ١٠] ، ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [سورة مريم : ٥٢] ، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ [سورة النازعات : ١٥ ، ١٦] ، ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [سورة القصص : ٤٦] ، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [سورة القصص : ٦٢ ، ٧٤] ،

(١) ب (فقط) : وفي الصحيحين .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٠٥/٨ (كتاب الرقاق ، باب التواضع) وأوله فيه : «إن الله قال : من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل ... الحديث . وهو عن عائشة رضى الله عنها فى : المسند (ط . الحلبي) ٢٥٦/٦ .

(٣) ن ، م : وقد بسطناه فى درء ... ؛ و : وهذا مبسوط فى غير هذا الموضع .

[فى موضعين] ^(١) ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة القصص: ٦٥]، ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [سورة الأعراف: ٢٢].

فمن قال: إنه لم يزل مناديا من الأزل إلى الأبد؛ فقد خالف القرآن والعقل. ومن قال: إنه بنفسه ^(٢) لم يناد، ولكن خلق نداء في شجرة أو غيرها؛ لزم أن تكون الشجرة هي القائلة: إني أنا الله. وليس هذا كقول الناس: نادى الأمير، إذ أمر مناديا. فإن المنادى عن الأمير يقول: أمر الأمير بكذا، ورسم السلطان بكذا. لا يقول: أنا أمرتكم. ولو قال ذلك لأهانته الناس. والمنادى قال لموسى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [سورة طه: ١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة القصص: ٣٠]. وهذا لا يجوز أن يقوله ملك إلا إذا بلغه عن الله، كما نقرأ نحن القرآن. والملك إذا أمره الله بالنداء قال. كما [ثبت] فى الصحيح ^(٣) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، ثم ينادى جبريل فى السماء: إن الله يحب فلانا فأحبه» ^(٤). فجبريل إذا

(١) فى موضعين: ساقطة من (ن)، (م). (٢) ر، ح، ى، و: نفسه.

(٣) ن، م: كما فى الصحيح.

(٤) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١١١/٤ (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة) وبقية الحديث: «... فأحبه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول فى الأرض». والحديث أيضا فى: البخارى ١٤/٨ (كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى)، ١٤٢/٩ (كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة)؛ مسلم ٢٠٣٠/٤ (كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدا حبه إلى عباده)؛ سنن الترمذى ٣٧٨/٤ (كتاب تفسير القرآن، سورة مريم)؛ المسند (ط. المعارف) ٤٨/١٤، ٢٠٩/١٦، ٨١/١٨، ٨٢، (ط. الحلبي) ٥١٤/٢.

نادى فى السماء قال: إن الله يحب فلانا فأحبوه، والله إذا نادى جبريل يقول: يا جبريل إني أحب فلانا.

ولهذا لما نادى الملائكة زكريا قال تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [سورة آل عمران: ٣٩]، وقال: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢].

ولا يجوز قط لمخلوق أن يقول: إني أنا الله رب العالمين، ولا يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ والله تعالى إذا خلق صفة فى محل، كان المحل متصفا بها. فإذا خلق فى محل علما أو قدرة أو حياة أو حركة أو لونا أو سمعا أو بصرا - كان ذلك المحل هو العالم به، القادر، المتحرك، الحى، المتلون، السميع، البصير؛ فإن الرب لا يتصف بما يخلقه فى مخلوقاته، وإنما يتصف بصفاته القائمة به، بل كل موصوف لا يوصف إلا بما يقوم به، لا بما يقوم بغيره ولم يقم به.

فلو كان النداء مخلوقاً فى الشجرة، لكانت هى القائلة: إني أنا الله. وإذا كان ما خلقه الرب^(١) فى غيره كلاماً له، وليس له كلام إلا ما خلقه، لزم أن يكون إنطاقه لأعضاء الإنسان يوم القيامة كلاماً له، وتسبيح الحصى كلاماً له، وتسليم الحجر على الرسول كلاماً له. بل يلزم أن يكون كل كلام فى الوجود كلامه، لأنه قد ثبت أنه خالق كل شىء.

(١) ن: الله.

وهكذا طرد قول الحلولية الاتحادية، كابن عربي؛ فإنه قال:
 وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نشره ونظامه^(١)
 ولهذا قال سليمان بن داود الهاشمي^(٢): من قال إن قوله: ﴿إِنِّي أَنَا
 اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾ [سورة طه: ١٤] مخلوق، فقوله من جنس قول
 فرعون الذي قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [سورة النازعات: ٤٢]؛ فإن هذا
 مخلوق وهذا مخلوق. يقول: إن هذا يوجب أن يكون ما خلق فيه هذا
 القول هو القائل له، كما كان فرعون هو القائل لما قام به.

قالوا: / وقولهم: إن الكلام صفة فعل، فيه تلبيس.
 فيقال لهم: أتريدون به أنه مفعول منفصل عن المتكلم؟ أم تريدون
 به أنه قائم به؟^(٣)

فإن قلتم بالأول فهو باطل؛ فلا يعرف قط متكلم بكلام، وكلامه
 مستلزم كونه منفصلا عنه. والفعل أيضا لا بد أن يكون قائما بالفاعل، كما
 قال السلف والأكثر، وإنما المفعول هو الذي يكون باثنا عنه.

(١) البيت لابن عربي، وقد ذكره في «الفتوحات المكية» (ط. دار الكتب العربية الكبرى،
 القاهرة، ١٣٢٩) ١٤١/٤ ونصه هناك:

ألا كل قول في الوجود كلامه .. سواء علينا نشره ونظامه

والبيت الذي يتلوه:

يعم به أسمع كل مكنون .. فمنه إليه بدوّه وختامه

(٢) سليمان بن داود بن داود بن علي الهاشمي، أبو أيوب. روى عن الشافعي وابن عيينة وروى
 عنه البخاري في كتاب «خلق الأفعال» وأبو حاتم وأحمد بن حنبل وغيرهم، ثقة صدوق،
 توفي ببغداد سنة ٢١٩ (وقيل ٢٢٠). انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب
 ١٨٧/٤ - ١٨٨؛ شذرات الذهب ٤٥/٢؛ العبر ٣٧٦/١ - ٣٧٧.

(٣) ن: إنه متكلم قائم به؛ م، ر: إنه قائم.

والمخلوق المنفصل عن الرب ليس هو خلقه إياه، بل خلقه
للسموات^(١) والأرض ليس هو نفس السموات والأرض. والذين قالوا:
الخلق هو المخلوق، فرّوا من أمور ظنّوها محذورة، وكان ما فرّوا إليه شراً
مما فرّوا منه؛ فإنهم قالوا: لو كان الخلق غير المخلوق لكان إما قديماً
وإما حادثاً، فإن كان قديماً لزم قدم المخلوق، وإن كان حادثاً فلا بد له
من خلق آخر، فيلزم التسلسل.

فقال لهم الناس: بل هذا منقوض على أصلكم^(٢)؛ فإنكم تقولون:
إنه يريد بإرادة قديمة، والمرادات كلها حادثّة. فإن كان هذا جائزاً فلماذا
لا يجوز أن يكون الخلق قديماً والمخلوق حادثاً؟ وإن كان هذا / غير ص ٢٢٠
جائز، بل الإرادة تقارن المراد، لزم جواز قيام الحوادث به. وحينئذ
فيجوز أن يقوم به خلق مقارن للمخلوق. فلزم فساد قولكم على
التقديرين.

وكذلك إذا قيل: إن الخلق حادث. فلم قلت: إنه محتاج إلى خلق
آخر. فإنكم تقولون: المخلوقات كلها حادثّة، ولا تحتاج إلى خلق
حادث. فلم لا يجوز أن تكون مخلوقة بخلق حادث؟ وهو لا يحتاج إلى
خلق آخر.

ومعلوم أن حدوثها بخلق حادث أقرب إلى العقول من حدوثها كلها
بلا خلق أصلاً. فإن كان كل حادث يفتقر إلى خلق بطل قولكم، وإن

(١) ح، ب: السموات.

(٢) ن: فيقال لهم: بل هذا منصوص على أصلكم؛ م: فيقال لهم: خالفهم الناس: بل..

كان فيها ما لا يفتقر إلى خلق، جاز أن يكون الخلق نفسه لا يفتقر إلى خلق آخر.

وهذه المواضع مبسوسة في غير هذا الموضوع. والمقصود التمثيل بكلام المختلفين في الكتاب، الذين في قول كل واحد منهم حق وباطل، وأن الصواب ما دلّ عليه الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعى. فالطريق الشرعى هو النظر فيما جاء به الرسول، والاستدلال بأدلته، والعمل بموجبها. فلا بد من علم بما جاء به^(١) وعمل به، لا يكفى أحدهما.

وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية؛ فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه. والرسول بينوا للناس العقلية التي يحتاجون إليها، كما ضرب الله في القرآن من كل مثل. وهذا هو الصراط المستقيم، الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته.

وأما الطريقان المبتدعان: فأحدهما: طريق أهل الكلام البدعى والرأى البدعى؛ فإن هذا فيه باطل كثير، وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال، فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل. وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة.

والثانى: طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية. وهؤلاء

(١) ح: من علم ما جاء به.

منحرفون إلى النصرانية الباطلة. فإن هؤلاء يقولون: إذا صَفَّى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه، فاضت عليه العلوم بلا تعلم. وكثير من هؤلاء تكون عبادته^(١) مبتدعة، بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فيبقون^(٢) في فساد من جهة العمل، وفساد من نقص العلم، حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول، وكثيرا ما يقع من^(٣) هؤلاء وهؤلاء، وتقدح كل طائفة في الأخرى، ويتحل كل منهم أتباع الرسول.

والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٦٧] وما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأى، ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف، بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة.

وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم، بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس. وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرد تحصيل المعارف^(٤)، بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث.

(١) ح، ب، ر: عباداته.

(٢) ح، ب: فيبقون.

(٣) من: كذا في (و) فقط. وفي سائر النسخ: بين.

(٤) ن، م: طريق الرياضة المجردة تحصيل المعارف، و: طريق الرياضة بمجرد تحصيل

المعارف؛ ح، ب: طريق الرياضة بمجرد تحصيل المعارف..

الرد على أهل
النظر وأهل
الرياضة

وكلا الفريقين غالط . بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم . لكن مجرد العمل / لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول . ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد ، لم يعرف ما خص الله به محمداً صلى الله عليه وسلم ، إن لم يعرف ذلك من جهته .

وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته . ولا يحصل التعلم المطابق^(١) النافع إلا مع العمل به .
ولا فقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [سورة الصف : ٥] .
وقال : ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَنَقَلَبُ أَمْتِدَّتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٩ ، ١١٠] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ ﴾ [سورة النساء : ١٥٥] . وقال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١٤] .

وقال : ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ١٠٠] .

وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا * وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النساء : ٦٦ - ٦٨] .

(١) ح ، ب : اللائق .

وقال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة: ١٥، ١٦].

وقال: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران:

[١٣٨].

وقال: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢].

وكذلك لو جاع وسهر وخلا وصمت وفعل ماذا عسى أن يفعل لا يكون مهتديا إن لم يتعبد بالعبادات الشرعية ، وإن لم يتلق علم الغيب من جهة الرسول .

قال تعالى لأفضل الخلق / ، الذى كان أزكى الناس نفساً وأكملهم عقلاً قبل الوحي : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

وقال: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة سبأ: ٥٠].

وقال: ﴿فَأَمَّا يَا تَبِيبُكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمِ تُنْسَىٰ﴾ [سورة طه: ١٢٣ - ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمُرْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

قَرِينٌ ﴿ [سورة الزخرف: ٣٦]. أى عن الذكر الذى أنزلته . قال المفسرون :
يعش عنه فلا يلتفت إلى كلامه ولا يخاف عقابه .

ومنه قوله : ﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ ﴾ [سورة الأنبياء : ٥٠] ، وقوله : ﴿ مَا
يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّبٌ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢] وشاهده فى الآية الأخرى :
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي ﴾ [سورة طه : ١٢٤] ثم قال : ﴿ كَذَلِكَ آتَيْنَا
فَنَسِيهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴾ [سورة طه : ١٢٦] فكل من عشا عن القرآن فإنه
يُقَيِّضُ له شيطان يضلّه ، ولو تعبد بما تعبد .

«يعش» روى عن ابن عباس : «يعمى» . وكذلك قال عطاء وابن زيد
ابن أسلم ، وكذلك أبو عبيدة قال : «تُظْلِمُ عينه»^(١) . واختاره ابن قتيبة
ورجّحه على قول من قال : «يعرض» . والعشا ضعف فى البصر . ولهذا قيل
فيه يَعْشُ . وقالت طائفة : يعرض ، وهو رواية الضحّاك عن ابن عباس ،
وقاله قتادة ، واختاره الفراء والزجاج^(٢) . وهذا صحيح من جهة المعنى ؛
فإن قوله : «يعش» ضَمَّنَ معنى «يعرض» ولهذا عُدِّي بحرف الجار^(٣)
«عن» كما يُقال : أنت أعمى عن محاسن فلان ، إذا أعرضت فلم تنظر
إليها . فقوله «يعش» أى يكن^(٤) أعشى عنها^(٥) ، وهو دون العمى^(٦) ، فلم
ينظر إليها إلا نظراً ضعيفاً .

(١) ن ، ر : عينه .

(٢) انظر «زاد المسير» لابن الجوزى ٣١٤/٧ - ٣١٥ .

(٣) ب (فقط) : الجر .

(٤) يكن : كذا فى (ب) فقط . وفى سائر النسخ : يكون .

(٥) ح : منها . (٦) العمى : كذا فى (ح) ، (ب) . وفى سائر النسخ : الأعمى .

وهذا حال أهل الضلال الذين لم ينتفعوا بالقرآن؛ فإنهم لا ينظرون فيه كما ينظرون في كلام سلفهم، لأنهم يحسبون أنه لا يحصل المقصود، وهم الذين عشا عنه فقيضت لهم الشياطين، تقترن بهم وتصدهم عن السبيل، وهم يحسبون أنهم مهتدون.

ولهذا لا تجد في كلام من لم يتبع الكتاب والسنة بيان الحق علماً وعملاً أبداً، لكثرة ما في كلامه من وساوس الشياطين^(١).

وحدثني غير مرة رجل، وكان من أهل الفضل والذكاء والمعرفة والدين، أنه كان قد قرأ على شخص سمّاه لي، وهو من أكابر أهل الكلام والنظر، دروساً من «المحصّل» لابن الخطيب، وأشياء من «إشارات» ابن سينا. قال: فرأيت حالي قد تغير. وكان له نور وهدى، ورؤيت له منامات سيئة، فراه صاحب النسخة بحال سيئة، فقصص عليه الرؤيا، فقال: هي من كتابك.

١٠٩ / ٣ وإشارات ابن سينا يعرف جمهور / المسلمين الذين يعرفون دين الإسلام أن فيها إلهاداً كثيراً، بخلاف «المحصّل» يظن كثير من الناس أن فيه بحوثاً تحصّل المقصود.

قال فكتبت عليه:

محصّل في أصول الدين حاصله .: من بعد تحصّيله أصل بلا دين أصل الضلالات والشك المبين فما .: فيه فأكثره وحى الشياطين قلت: وقد سئلت أن أكتب على «المحصّل» ما يعرف به الحق فيما

(١) ح، ب: الشيطان.

ذكره، فكتبت من ذلك ما ليس هذا موضعه^(١). وكذلك تكلمت على ما فى «الإشارات» فى مواضع أُخر^(٢).

والمقصود هنا التنبيه على الجمل، فما^(٣) فى «المحصّل» وسائر كتب الكلام المختلف أهله: كتب^(٤) الرازى وأمثاله من الكُلاّبية ومن حذا حذوهم، وكتب المعتزلة والشيعة والفلاسفة ونحو هؤلاء، لا يوجد فيها ما بعث الله به رسله فى أصول الدين، بل يوجد فيها حق ملبوس بباطل.

ويكفيك نفس مسألة خلق الرب مخلوقاته لا تجد فيها إلا قول القدرية والجهمية والدهرية: إما العلة التى تثبتها الفلاسفة الدهرية، أو القادر الذى تثبته المعتزلة والجهمية. ثم إن كان من الكُلاّبية أثبت تلك الإرادة الكُلاّبية^(٥). ومن عرف حقائق هذه الأقوال تبين له أنها مع مخالفتها للكتاب والسنة وإجماع السلف مخالفة لصرائح العقول^(٦).

وكذلك قولهم فى النبوات. فالمتفلسفة تثبت النبوة على أصلهم

(١) ذكر ابن عبد الهادى فى «العقود الدرية» ص ٣٧: «وله كتاب شرح أول المحصل، مجلد». وذكره ابن القيم فى «أسماء مؤلفات ابن تيمية» ص ١٩. والمقصود كتاب «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين» للرازى.

(٢) قال ابن تيمية فى كتاب «الصفدية» ٢/٢٨١: «كما قد كتبنا بعض كلام النظار فى ذلك فى غير هذا الموضع، فى الكلام «المحصّل» وعلى «منطق الإشارات» وعلى «المنطق اليونانى»: مصنف كبير ومصنف مختصر، وغير ذلك».

(٣) ن، م: كما.

(٤) ح، ب: وكتب؛ ر: كتّبت.

(٥) ح، ب: ثم إن كان من الكلاّبية من أثبت تلك الإرادات الكلية؛ ي، ر: ثم إن كان من الكلاّبية من أثبت تلك الإرادة الكلية.

(٦) ح، ب: لصريح المعقول.

الفاسد: أنها قوة قدسية تختص بها بعض النفوس^(١)، لكونها أقوى نيلاً للعلم، وأقوى تأثيراً في العالم، وأقوى تخيلاً لما تعقله^(٢) في صور متخيلة وأصوات متخيلة. وهذه الثلاثة هي عندهم خاصة النبي، ومن اتصف بها فهو نبي: القوة القدسية العلمية، والتأثير في الهولى، وما يتخيله في نفسه من أصوات هي كلام الله، ومن صور هي عندهم ملائكة [الله]^(٣).

ومعلوم عند من اعتبر العالم أن هذا القدر يوجد لكثير من آحاد الناس، / وأكثر الناس لهم نصيب من هذه الثلاثة. ولهذا طمع كثير من هؤلاء / في أن يصير نبياً. ولهذا قال هؤلاء: إن النبوة مكتسبة. وإنما قالوا هذا لأنهم لم يثبتوا لله علماً بالجزئيات، ولا قدرة ولا كلاماً يتكلم به تنزل به ملائكته^(٤).

ثم إن الجهمية والمعتزلة يردون عليهم تارة رداً مقارباً، وتارة رداً ضعيفاً، لكونهم جعلوا صانع العالم يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح، وجعلوا القادر المختار يرجح بلا مرجح. وزعم أكثرهم^(٥) أنه مع وجود القدرة والداعى التام لا يجب وجود الفعل، ففرعوا من الموجب بالذات. ولفظ الموجب بالذات مجمل، فالذى ادّعته المتفلسفة باطل؛

(١) ح، ب: يختص بها بعض الناس.

(٢) ب (فقط): يعقله.

(٣) ن، ب: هي عندهم ملائكة؛ ح، ي: عندهم هي ملائكة الله؛ ر: هي عندهم هي ملائكة الله؛ و: هي ملائكة الله.

(٤) ب: ينزل به ملائكته؛ و: ينزل ملائكة.

(٥) ن: بعضهم.

(٦) ن، م، ب: فرعوا.

فإنهم أثبتوا موجبا بذات مجردة عن الصفات يستلزم مفعولاته، حتى لا يتأخر عنه شيء. وأثبتوا له من الوحدة ما يضمنونه نفى صفاته وأفعاله القائمة به. وقالوا: الواحد لا يصدر عنه إلا واحد. والواحد الذي ادعوه لا حقيقة له إلا في الأذهان لا في الأعيان.

والكلام على مذاهبهم وإبطالها مبسوط في موضع آخر. وقد بينا أنهم أكثر الناس تناقضا واضطرابا، وأن دعواهم أنه علة موجبة للمعلول^(١) أزلأ وأبدا فاسدة من وجوه كثيرة.

وأما إذا قيل: هو موجب بالذات بمعنى أنه يوجب بمشيئته وقدرته ما يريد أن يفعله؛ فهذا هو الفاعل بقدرته ومشيئته، فتسمية المسمى له موجبا بذاته نزاع لفظي.

وأكثر الجهمية والقدرية لا يقولون: إنه بقدرته ومشيئته يلزم وجود مقدوره، بل قد يحصل وقد لا يحصل، فيرجح^(٢) إن حصل بلا مرجح.

وهذه الأمور مبسطة في موضع آخر. والمقصود هنا أن الجهمية تثبت نبوة لا تستلزم فضل صاحبها ولا كماله، ولا اختصاصه قط بشيء من صفات الكمال، بل يجوز أن يجعل من هو من أجهل^(٣) الناس نبيا.

ثم الجهمية المحضة عندهم يخلق الله كلاما في غيره فينزل به المَلَك. وأما الكَلابية فعندهم النبوة تعلق المعنى القائم بالذات بالنبى، بمعنى: أنت عبدى ورسولى. فيقولون فى النبوة من جنس ما قالوه فى

(٢) و: فرجح.

(١) ن، م: للمفعول.

(٣) ح، م، ب: من هو أجهل..

أحكام أفعال العباد: إنه ليس للحكم معنى إلا تعلق المعنى القائم بالذات به. والمعنى القائم بالذات المتعلق به لا يثبتون^(١) في الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة خاصة تميزت به^(٢) عن السيئات، حتى أمر / بها لأجلها. وكذلك في النبوة.

١١٠ / ٣

والمعتزلة ومن وافقهم يثبتون لله شريعة بالقياس على عباده؛ فيوجبون عليه من جنس ما يجب عليهم، ويحرّمون عليه من جنس ما يحرم^(٣) عليهم، ولا يجعلون أمره ونهيه، وجهه وبغضه، ورضاه وسخطه - له تأثير في الأعمال، بل صفاتها ثابتة بدون الخطاب، والخطاب مجرد كاشف، بمنزلة الذي يخبر عن الشمس والقمر والكواكب بما هي متصفة به.

والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس. والاصطفاء افتعال من التصفية، كما أن الاختيار افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى. وقد قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٤]^(٤) فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممن لم يجعله رسولا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة^(٥) لامتنع هذا.

وهو عالم بتعيين الرسول، وأنه أحق من غيره بالرسالة، كما دل القرآن على ذلك. وقد قالت خديجة رضى الله عنها لما فجأ الوحي النبي^(٦)

(١) ح: لا يثبتونه.

(٢) ح: ما يحرمون.

(٣) ب: بها.

(٤) ن، م، و: حيث يجعل رسالاته.

(٥) ح، ر: يصل إلى الرسالة؛ ي: يصل للرسالة.

(٦) فجأ الوحي النبي: كذا في (ب). وفي سائر النسخ: بالنبي.

صلى الله عليه وسلم وخاف من ذلك فقالت له: «كلا والله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»^(١). وكانت أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها أعقل وأعلم من الجهمية، حيث رأت أن من جعله الله على هذه الأخلاق الشريفة، المتضمنة لعدله وإحسانه، لا يخزيه الله، فإن حكمة الرب تأبى ذلك.

وهؤلاء عندهم هذا لا يُعلم، بل قد يُخزي من يكون كذلك، وقد يُنبأ شر الناس، كأبى جهل وغيره. ولهذا أنكر المازرى^(٢) وغيره على خديجة، كما أنكروا على هرقل استدلاله بما استدل به فى حديث أبى سفيان المشهور لما سأل عن صفات النبى صلى الله عليه وسلم^(٣).

(١) سبق الحديث فيما مضى ٤١٩/٢ - ٤٢٠.

(٢) ح، ر، ي: المازنى. وهو أبو عبد الله محمد بن على بن عمر التميمى المازرى، محدث ومن فقهاء المالكية، ينسب إلى مازر بجزيرة صقلية، ولد سنة ٤٥٣ هـ وتوفى سنة ٥٣٦ هـ، وله كتاب «الكشف والإنباء فى الرد على الإحياء للغزالي» انظر ترجمته فى: وفيات الأعيان ٤١٣/٣؛ الديباج المذهب لابن فرحون، ص ٢٧٩ - ٢٨١؛ شذرات الذهب ١١٤/٤؛ العبر ١٠٠/٤ - ١٠١؛ الأعلام ١٦٤/٧؛ وانظر: سيرة الغزالي ص ٧٢-٧٣، ٧٩-٨١، ١٠٩-١١٠، ١١٢-١٢١.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٣٤/٤. وقد جاء حديث هرقل مع أبى سفيان رضى الله عنه عن ابن عباس عن أبى سفيان رضى الله عنهم فى عدة مواضع فى البخارى منها: ٤/١ - ٦ (كتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان...) - انظر المواضع الأخرى فى طبعة د. البغا فى الأرقام ٥١، ٢٥٣٥، ٢٦٥٠، ٢٧٣٨، ٢٧٧٨... الخ. والحديث فى: مسلم ١٣٩٣/٣ - ١٣٩٧ (كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبى صلى الله عليه وسلم إلى هرقل...); المسند (ط. المعارف) ١١٠/٤ - ١١٤. وقال أحمد شاکر رحمه الله (ص ١١٠): «ورواه مسلم فى المغازى وأبو داود فى الأدب والترمذى فى الاستذنان

والله سبحانه إذا اتخذ رسولا فضَّله بصفات أخرى لم تكون موجودة فيه قبل إرساله، كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمداً من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة. وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم، فلا يُقال: إن النبوة مجرد صفة إضافية كأحكام الأفعال، كما تقوله الجهمية.

ولهذا [لما]^(١) صار كثير من أهل النظر - كالرازي وأمثاله - ليس عندهم إلا قول الجهمية والقدرية والفلاسفة، تجدهم في تفسير القرآن، وفي سائر كتبهم، يذكرون أقوالاً كثيرة متعددة كلها باطلة، لا يذكرون الحق، مثل تفسيره للهِلال^(٢)، وقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩] فذكر قول أهل الحساب فيه، وجعله من أقوال الفلاسفة، وذكر قول الجهمية الذين يقولون: إن القادر المختار يحدث فيه الضوء بلا سبب أصلاً ولا لحكمة^(٣).

/ وكذلك إذا تكلم في المطر يذكر قول أولئك الذين يجعلونه حاصلًا
عن مجرد البخار المتصاعد والمنعقد في الجو، وقول من يقول: إنه
أحدثه الفاعل المختار بلا سبب، ويذكر قول من يقول: إنه نزل من

والنسائي في التفسير، ولم يخرج ابن ماجه، كما قال القسطلاني في شرح البخاري
١/٧٠٤.

(١) لما: ساقطة من (ن)، (م)، (ح)، (ر)، (ي).

(٢) أي الرازي.

(٣) انظر ما ذكره الرازي في تفسيره «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب». (ط. عبد الرحمن

محمد، القاهرة ١٣٥٧/١٩٣٨) ١٣٢/٥ - ١٣٦ وانظر قوله (ص ١٣٢): «وأما السنة فهي

عبارة عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها الحاصلة

الأفلاك . وقد يرجح^(١) هذا القول في تفسيره^(٢) ، ويجزم بفساده في موضع آخر .

وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أئمة المسلمين ، [بل سائر أهل العلم من المسلمين]^(٣) من السلف والخلف يقولون : إن المطر نزل من السحاب .

ولفظ « السماء » في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا ، فهو اسم جنس للعالي ، لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك .

وقد قال : ﴿ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ﴾ [سورة الحج : ١٥] ، وقال : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [سورة الأنعام : ٩٩] ، وقال : ﴿ أَمْ تُمْنُّ مِنْ فِي السَّمَاءِ ﴾ [سورة تبارك : ١٦] والمراد بالجميع العلو ، ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه ، وهنا^(٤) بالسحاب ، وهناك بما فوق العالم كله .

فقوله : ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ [سورة الأنعام : ٩٩] ؛ أي من العلو ، مع قطع النظر عن جسم معين . لكن قد صرح في موضع آخر بنزوله من السحاب ، كما في قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴾ [سورة الواقعة : ٦٨ ، ٦٩] والمزن : السحاب .

عن خلاف حركة الفلك ، إلى أن تعود إلى تلك النقطة بعينها ، إلا أن (القوم) اصطلاحوا على أن تلك النقطة . . . الخ .

(١) ن ، م : رجح .

(٢) انظر مثلا تفسير الرازي ٢٢٣/٤ .

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) .

(٤) ب : وهناك .

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [سورة النور: ٤٣] والودق: المطر. وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [سورة الروم: ٤٨] فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب في السماء.

وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك؛ فإن السحاب / لا ١١١ / ٣
يُسط في الأفلاك، بل الناس يشاهدون السحاب يُسط في الجو. وقد يكون الرجل في موضع عالٍ: إما على جبل أو على غيره، والسحاب يُسط أسفل منه، وينزل منه المطر، والشمس فوقه. والرازي^(١) لا يثبت على قول [واحد]^(٢)، بل هو دائما ينصر هنا قولاً وهناك ما يناقضه لأسباب تقتضى ذلك.

وكثير من الناس يفهمون من القرآن ما لا يدل عليه. وهو معنى فاسد، ويجعلون ذلك يعارض العقل. وقد بينا في مصنف مفرد «درء تعارض^(٣) العقل والنقل» وذكرنا فيه عامة ما يذكرون من العقليات في معارضة الكتاب والسنة، وبيننا أن التعارض لا يقع إلا إذا كان ما سمي معقولا فاسداً، وهذا هو الغالب على كلام أهل البدع، أو أن يكون^(٤) ما أُضيف

(١) ر، و، ي: والرازي رحمه الله.

(٢) واحد: ساقطة من (ن)، (ب).

(٣) و: في مصنف كثير (لعل الصواب: كبير) مفرد منع تعارض...

(٤) ح، ر، ب، ي: أو يكون.

إلى الشرع ليس منه: إما حديث موضوع، وإما فهم فاسد من نص لا يدل عليه، وإما نقل إجماع باطل.

ومن هذا كثير من الناس ذمَّ الأحكام النجومية، ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل، وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب، وأن من اعتمد عليها في تصرفاته، وأعرض عمَّا أمر الله به ورسوله، خسر الدنيا والآخرة.

لكن قد^(١) يردونها على طريقة الجهمية ونحوهم بأن يدَّعوا أنه لا أثر لشيء من العلويات في السفليات أصلاً: إما على طريقة^(٢) الجهمية، لكن تلك لا تنفي العادات الاقترانية، وإن لم تثبت سبباً ومسيباً وحكمة، وإما بناءً على نفى العادة^(٣) في ذلك.

ثم قد ينازعون^(٤) في استدارة الأفلاك، ويدَّعون شكلاً آخر. وقد بينا في جواب المسائل التي سئلت عنها في ذلك أن الأفلاك مستديرة عند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، كما ثبت ذلك عنهم بالأسانيد المذكورة في موضعها، بل قد نقل إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من علماء المسلمين^(٥)، الذين هم من أخبر الناس بالمنقولات، كأبي الحسين بن المنادي، أحد أكابر الطبقة الثانية من

(١) قد: ساقطة من (و).

(٢) ن، م، و: الطريقة.

(٣) و: العبادة؛ ب: العادات.

(٤) ن، و: تنازعوا.

(٥) انظر ما ذكره ابن تيمية في «المسألة العرشية» في فتاوى الرياض ٥٤٥/٦ - ٥٨٣ وخاصة

٥٥٧ وانظر إجابته لمسئلة سئل عنها ٥٨٦/٦ - ٥٩١.

أصحاب الإمام أحمد، وله نحو أربع مائة مصنف^(١). وأبى محمد بن حزم الأندلسي، وأبى الفرج بن الجوزي. وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة، كما قد بسط في «الإحاطة»^(٢) وغيرها.

وكذلك المطر معروف عند السلف والخلف بأن الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتصاعد، لكن خلقه للمطر من هذا، كخلق الإنسان من نطفة، وخلقها للشجر والزرع من الحب والنوى. فهذا معرفة^(٣) بالمادة التي خُلِقَ منها، ونفس المادة لا توجب ما أُخِلقَ منها باتفاق العقلاء، بل لا بد مما به يَخْلُقُ تلك الصورة^(٤) على ذلك الوجه، وهذا هو الدليل على القادر المختار الحكيم، الذي يخلق المطر على قدر معلوم وقت الحاجة إليه. والبلد الجُرْزُ^(٥) يسوق إليه^(٦) الماء من حيث أمطر. كما قال: ﴿أَوْ

(١) أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن المنادي، ولد سنة ٢٥٦ وتوفي سنة ٣٣٦ عالم بالتفسير والحديث ومن كبار فقهاء الحنابلة، من أهل بغداد. انظر ترجمته في: طبقات الحنابلة ٣/٢ - ٦؛ البداية والنهاية ١١/٢١٩؛ المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد لعبد الرحمن بن محمد العليمي ٢/٣٧ - ٣٩ (ط. المدني، بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد، ١٣٨٣/١٩٦٣)؛ مناقب الإمام أحمد (تحقيق الدكتور عبد الله التركي)، ص ٦١٧؛ تاريخ بغداد ٤/٦٩ - ٧٠؛ الأعلام ١/١٠٣.

(٢) ذكر ابن عبد الهادي في كتابه «العقود الدرية» ص ٥١ من مؤلفات ابن تيمية «الإحاطة الكبرى». وفي ص ٥٢ «الإحاطة الصغرى». (٣) ح، ر، ب، ي: معرفته.

(٤) ح: بل لا بد من مادة يخلق تلك الصور؛ ر: بل لا بد من مادة تخلق تلك الصورة؛ : بل لا بد من ماء به تخلق تلك الصورة؛ م: بل لا بد من مائه يخلق تلك الصورة.

(٥) في «اللسان»: «وأرضٌ مجرورةٌ وجُرْزٌ وجُرْزٌ وجُرْزٌ لا تنبت، كأنها تأكل النبات أكلا. وقيل: هي التي قد أكل نباتها. وقيل: هي الأرض التي لم يصبها مطر».

(٦) ح، ب: إليها.

لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
 أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿ [سورة السجدة: ٢٧] ، فالأرض الجُرُزُ
 لا^(١) تمطر ما يكفيها، كأرض مصر: لو أمطرت المطر المعتاد لم يكفيها؛
 فإنها أرض إبليز^(٢). وإن أمطرت مطراً كثيراً مثل مطر شهر خربت^(٣)
 المساكن، فكان من حكمة الباري ورحمته أن أمطر أرضاً بعيدة، ثم ساق
 ذلك الماء إلى أرض مصر.

فهذه الآيات^(٤) يُستدل بها على علم الخالق وقدرته ومشئته وحكمته .
 وإثبات المادة التي خُلِقَ منها المطر والشجر والإنسان والحيوان مما يدل
 على حكمته^(٥).

ص ٢٢٢ ونحن لا نعرف شيئاً قط خُلِقَ إلا / من مادة، ولا أخبر الله في كتابه
 بمخلوق إلا من مادة.

وكذلك كون كسوف الشمس وغيره سبباً لبعض الحوادث هو مما دلت
 عليه النصوص الصحيحة. ففي الصحاح من غير وجه عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا

(١) ح، ر: ما.

(٢) ح، ر: تالين؛ ي: ابلين. وفي «المعجم الوسيط»: «الإبليز: الطين الذي يُخْلَفُه نهر النيل
 على وجه الأرض بعد ذهابه».

(٣) ح: أخربت.

(٤) ح، ب: الآية.

(٥) ح، ر، و: الحكمة.

لحياته، ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوف [الله] بهما^(١) عباده، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة»^(٢).

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه صَلَّى صلاة الكسوف بركوع زائد في كل ركعة، وأنه طَوَّلَهَا تطويلاً لم يطوِّله في شيء من صلوات الجماعات، وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والاستغفار^(٣).

وقوله: «يخوف الله بهما عباده» كقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [سورة الإسراء: ٥٩]. ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموماً، / مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك. والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف، كالزلزلة والرياح العاصف. وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف.

فَعَلِمَ أن الكسوف سبب للشر. ثم قد يكون^(٤) عنه شر، ثم القول فيه كالقول في سائر الأسباب: هل هو سبب؟ كما عليه جمهور الأمة. أو هو مجرد اقتران عادة؟ كما يقوله الجهمية.

وهو صلى الله عليه وسلم أخبر عند^(٥) أسباب الشر بما يدفعها من

(١) ن، ح، ر: يخوف بهما..

(٢) سبق هذا الحديث في هذا الجزء، ص ٢٩٩.

(٣) انظر «إرواء الغليل» ١٢٦/٣ - ١٣٢ وانظر الأحاديث الواردة في ذلك وتعليق الألباني عليها.

(٤) ب: ثم قد لا يكون؛ و: ثم هل هو قد يكون...

(٥) ب (فقط): عن.

العبادات، التي تقوى ما انعقد^(١) سببه من الخير، وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر. كما قال: «إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض»^(٢).

والفلاسفة تعترف^(٣) بهذا، لكن هل ذلك بناء^(٤) على أن الله يدفع ذلك بقدرته وحكمته، أو بناء على أن القوى النفسانية تؤثر؟ هذا مبني على أصولهم في هذا الباب.

ويُحكى عن بطليموس^(٥) أنه قال: «ضجيج الأصوات، في هياكل العبادات، بفنون اللغات، تحلل^(٦) ما عقده الأفلاك الدائرات». وعن

(١) ن: ما اعتقد.

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ولكن روى المنذرى في «الترغيب والترهيب» ١٤٢/٣ (ط. مصطفى محمد عمارة، ١٩٣٣/١٣٥٢) عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغنى حذر عن قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة». قال المنذرى: «رواه البزار والطبراني والحاكم وقال: صحيح الإسناد. يعتلجان: أى يتصارعان ويتدافعان».

(٣) و: تعرف.

(٤) ن، م: لكن هو بناء..

(٥) بطليموس القلوذى العالم المشهور صاحب كتاب المجسطى فى الفلك إمام فى الرياضة. كان فى أيام اندرياسيوس وفى أيام أنطيموس من ملوك الروم ويعد أيرقس بمانتين وثمانين سنة، فأما كتاب المجسطى فهو ثلاث عشرة مقالة. وأول من عنى بتفسيره وإخراجه إلى العربية يحيى بن خالد بن برمك.

انظر عنه: تاريخ الحكماء ص ٩٥ - ٩٨؛ طبقات الأطباء ص ٣٥ - ٣٨؛ الفهرست لابن النديم ص ٢٦٧ - ٢٦٨؛ خطط المقرئى ١٥٤/١.

(٦) ح، ر: تحلل.

أبقراط^(١) أنه قال: «واعلم أن طبنا بالنسبة إلى طب أرباب الهياكل، كطب العجائز بالنسبة إلى طبنا».

فالقوم كانوا معترفين بما وراء القوى الطبيعية والفلكية. وليس ذلك مجرد القوى النفسانية، كما يقوله ابن سينا وطائفة^(٢). بل ملائكة ملء^(٣) العالم العلوى والسفلى، والجن أيضا لا يحصى عددهم إلا الله. والله قد وكل الملائكة بتدبير هذا العالم بمشيئته وقدرته، كما دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من الكتاب والسنة، وكما يُستدل على ذلك أيضا بأدلة عقلية.

والملائكة أحياء ناطقون، ليسوا أعراضا قائمة بغيرها، كما يزعمه كثير من المتفلسفة. ولا هي مجرد العقول العشرة والنفوس التسعة، بل هذه^(٤) باطلة بأدلة كثيرة^(٥).

(١) أبقراط Hippocrates طبيب ماهر عاش خمسا وتسعين سنة، تتلمذ في الطب على اسقليميوس، تكلم عنه مشر بن فاتك في كتابه: (مختار الحكم) وحنين بن إسحاق في كتابه: (نوادير الفلاسفة) توفي سنة ٣٥٧ ق. م.
انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٤؛ طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ص ١٦ - ١٩؛ تاريخ الحكماء للقفطي ص ٩٠؛ الفهرست لابن النديم ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٢) ح، ب: وطائفته.

(٣) بل ملائكة ملء: كذا في (و) وهو الصواب. وفي سائر النسخ: بل بمليكه بل.

(٤) ن، م: هي.

(٥) انظر ما ذكرته في كتابي «مقارنة بين الغزالي وابن تيمية» (ط. دار القلم، الكويت، ١٣٩٥/١٩٧٥) ص ٨٩ - ٩٢ من رد ابن تيمية على الفلاسفة في قولهم إن الملائكة هي العقول والنفوس ومواضع كلام ابن تيمية في ذلك. وانظر: الرد على المنطقيين، ص ٤٩٣ - ٤٩٩؛ الصفدية ١/١٩٣ - ٢٠٢.

وما يشوبه من المجردات المعارف لا حصص معهم مه غير نفس
الناطقة ، فإنها تفارق نديها وما سوى ذلك فلا نسب معهم على طريفهم
إلا المجردات المعقولة في الأدهار . وهي الكليات المعقولة ولكنهم
يظنون ثبوت ذلك في الخارج . كما يطر سبيعه أفلاطون^(١) ثبوت المثل
الأفلاطونية في الخارج ، فتثبت^(٢) كليات قديمة أزلية أبدية معارفة^(٣)
كلإنسان كلي

وهذا هو غلطهم^(٤) ؛ حيث ظنوا ما هو في الأدهان موجودا في الأعيان
وكذلك ما يثبتونه من الجواهر العقلية . وهي أربعة العقل ، والنفس ،
والمادة ، والصورة وطائفة منهم كشيعة أفلاطون^(٥) تثبت جوهرها عقليا هو
الدهر ، وجوهرها عقليا هو الخير ، وتثبت جوهرها عقليا هو المادة الأولى
المعارضة للصورة .

وكل هذه العقليات التي يثبتونها إذا حُقت غاية التحقيق تبين أنها
أمور معقولة في النفس ، فيتصورها في نفسه ، فهي معقولات في قلبه ،
وهي مجردة عن جزئياتها الموجودة في الخارج ؛ فإن العقل دائما يتترع
من الأعيان المعينة المشهودة كليات مشتركة عقلية ، كما يتصور ريدا
وعمرأ وبكرأ ، ثم يتصور إنسانا مشتركا كليا ينطبق على ريد وعمرؤ وبكر ،

(١) م ، ر ، و : أفلاطون

(٢) ن ، و فيثبت

(٣) م ، ن ، مقارنة ، وهو خطأ

(٤) ح ، ر وعلى هذا من غلطهم

(٥) م ، ن ، و ، ر أفلاطون

ولكن هذا المشترك إنما هو في قلبه وذهنه، يعقله بقلبه، ليس في الخارج إنسان مشترك كليّ يشترك^(١) فيه هذا وهذا، بل كل إنسان يختص بذاته وصفاته، لا يشاركه غيره في شيء مما قام به قط.

وإذا قيل: الإنسانية مشتركة أو الحيوانية. فالمراد أن في هذا حيوانية وإنسانية تشابه ما في هذا من الحيوانية والإنسانية، ويشتركان في مسمى الإنسانية والحيوانية. وذلك المسمى إذا أخذ مشتركا كلياً لم يكن إلا في الذهن. وهو تارة يوجد^(٢) مطلقاً بشرط الإطلاق، فلا يكون إلا في الذهن عند عامة العقلاء، إلا من أثبت المثل الأفلاطونية في الخارج. وتارة يوجد^(٣) مطلقاً لا بشرط الإطلاق بحيث يتناول المعينات. وهذا قد يُقال: إنه موجود في الخارج. وهو موجود في الخارج معينا مقيداً مخصوصاً. فيقال: هذا الإنسان، وهذا الحيوان، وهذا الفرس. وأما وجوده في الخارج [مع]^(٤) كونه مشتركا في الخارج فهذا باطل.

ولهذا كان من المعروف عندهم أن الكليات / ثابتة في الأذهان لا في الأعيان. ومن قال: إن الكليّ الطبيعي موجود في الخارج، فمعناه الصحيح أن ما هو كليّ إذا كان في الذهن يوجد / في الخارج، لكن لا يوجد في الخارج كلياً. وهذا كما يُقال^(٤): ما يتصوره الذهن قد يوجد في

(١) ن، م: مشترك.

(٢) ح، ر: يؤخذ.

(٣) مع: ساقطة من (ن).

(٤) ح: كما يقول.

الخارج وقد لا يوجد. ولا يُراد بذلك أن^(١) نفس الصورة الذهنية تكون بعينها في الخارج، ولكن يراد به أن ما يتصور في الذهن قد يوجد في الخارج، كما يوجد أمثاله في الخارج.

كما يتصور الإنسان^(٢) داراً بينيها وعملا يعمله، ويقول الرجل لغيره: جئت بما كان في نفسي، وفعلت هذا كما كان في نفسي. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «زوّرتُ في نفسي مقالة، فجاء أبو بكر في بديته بأحسن منها». وهذا كله معروف عند الناس؛ فإن الشيء له وجود في نفسه، وله مثال مطابق [له]^(٣) في العلم، ولفظ يدل على ذلك المثال العلمي، وخط يطابق ذلك اللفظ. ويقال: له وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان^(٤). ووجود عيني، وعلمي، ولفظي، ورسمي. كالشمس الموجودة، والكعبة الموجودة. ثم إذا رأى الإنسان الشمس يمثلها في نفسه، ثم يقول بلسانه: شمس، وكعبة. ثم يكتب بخطه: شمس، وكعبة. فإذا كتَبَ وقيل: هذه الشمس التي في السماء، وهذه الكعبة التي يصلّي إليها المسلمون، لم يرد بذلك أن الخط هو الشمس والكعبة، ولكن المعنى معروف.

كما إذا قال^(٥): يا زيد؛ فالمنادى لا ينادى الصوت. وإذا قال: ضربتُ

(١) أن: كذا في (م)، (ب). وفي سائر النسخ: أنه.

(٢) و: الرجل.

(٣) له: ساقطة من (ن).

(٤) ح، م: البيان.

(٥) ب: قيل.

زيدا، لم يرد أنه ضرب الحروف. لكن قد عُرف أنه إذا أُطلق الأسماء فالمراد مسمياتها التي جعلت الأسماء دالةً عليها، وإذا كُتبت الأسماء فالمراد بالخط ما يراد باللفظ. فإذا قيل لما في الورقة هذه الكعبة من الحجاز، فالمراد المسمّى^(١) بالاسم اللفظي الذي طابقه الخط.

ومثل هذا كثير يعرفه كل أحد. فإذا قيل لما في النفس: ليس بعينه هو الموجود في الخارج؛ فهو بهذا الاعتبار، أي ما تصوّرتَه [في]^(٢) النفس موجود في الخارج، لكن يطابقه مطابقة المعلوم للعلم.

فإذا قيل: الكلّي الطبيعي في الخارج؛ فهو بهذا الاعتبار. أي يوجد في الخارج ما يطابقه الكلّي^(٣) الطبيعي؛ فإنه المطلق لا بشرط، فيطابق المعيّنات بخلاف المطلق بشرط الإطلاق؛ فإن هذا لا يطابق المعيّنات.

وأما أن يقال: [إن]^(٤) في الخارج أمرا كلياً مشتركاً فيه بعينه، هو في هذا المعين وهذا المعين، فهذا^(٥) باطل قطعاً. وإن كان قد قاله طائفة، وأثبتوا ماهيات مجردة في الخارج عن المعيّنات، وقالوا: إن تلك الماهية غشيتها غواش غريبة، وإن أسباب الماهية غير أسباب الوجود. وهذا قد بسط الكلام عليه في الكلام على المنطق وعلى «الإشارات» وغير ذلك، ويبيّن أن الذي لا ريب فيه أن ما يتصور في الأذهان ليس هو الموجود في

(١) ح: بالمسمى.

(٢) في: ساقطة من (ن).

(٣) ح: بالكلّي.

(٤) إن: ساقطة من (ن)، (ح)، (ب)، (ن).

(٥) ن: وهذا، وهو تحريف.

الأعيان، فمن عنى بالماهية ما فى الذهن، وبالوجود ما فى الخارج، فهو مصيب فى قوله: الوجود مغاير للماهية. وأما إذا عنى بالماهية ما فى الخارج، وبالوجود ما فى الخارج، وبالماهية ما فى الذهن، وبالوجود ما فى الذهن، وأدعى أن فى الذهن شيئين، وأن فى الخارج شيئين: وجود وماهية؛ فهذا يتخيل^(١) خيالاً لا حقيقة له. وبهذا التفصيل يزول الاشتباه الحاصل فى هذا الموضع.

ولفظ «الماهية» مأخوذ من قول السائل: ما هو؟ وما هو سؤال عمّا يتصوره المسئول ليجيب عنه، وتلك هى الماهية للشيء فى نفسه. والمعنى المدلول عليه باللفظ لا بد أن يكون مطابقاً للفظ، فتكون دلالة اللفظ عليه بالمطابقة، ودلالة اللفظ على بعض ذلك المعنى بالتضمن، ودلالته على لازم ذلك المعنى بالالتزام^(٢).

وليست دلالة المطابقة دلالة اللفظ. على ما وُضع له، كما يظنه بعض الناس، ولا دلالة^(٣) التضمن استعمال اللفظ فى جزء معناه، ولا دلالة^(٤) الالتزام استعمال اللفظ فى لازم معناه.

بل يجب الفرق بين ما وُضع له اللفظ وبين ماعناه المتكلم باللفظ، وبين ما يحمل المستمع عليه اللفظ. فالتكلم إذا استعمل اللفظ فى

(١) و: متخيل.

(٢) فى هامش (ر) كتب ما يلى: «كلام فى أقسام الدلالات الثلاث: المطابقة والتضمن والالتزام».

(٣) ح، ب، و: ودلالة.

(٤) ح، ب، و: ودلالة.

معنى فذلك المعنى هو الذى عناه باللفظ، وسُمى «معنى»^(١) لأنه عنى به^(٢) أى قُصد وأريد بذلك، فهو مراد المتكلم ومقصوده بلفظه.

ثم قد يكون اللفظ مستعملا [فيما وضع له، وهو الحقيقة. وقد يكون مستعملا]^(٣) فى غير ما وضع له، وهو المجاز. وقد يكون المجاز من باب استعمال لفظ الجميع فى البعض، ومن باب استعمال الملزوم فى اللازم. وقد / يكون فى غير ذلك.

١١٤ / ٣

وذلك كله دلالة اللفظ على مجموع المعنى، وهى دلالة المطابقة، سواء كانت الدلالة حقيقية أو مجازية^(٤) أو غير ذلك. ثم ذلك المعنى المدلول عليه اللفظ: إذا كان له جزء فدلالة اللفظ عليه تضمن؛ لأن اللفظ تضمن^(٥) ذلك الجزء. ودلالته على لازم ذلك المعنى هى دلالة الملزوم، وكل لفظ استعمل فى معنى فدلالته / عليه مطابقة؛ لأن اللفظ طابق المعنى بأى لغة كان، سواء سُمى ذلك حقيقة أو مجازا.

ص ٢٢٣

فالماهية التى يعينها المتكلم بلفظه دلالة لفظه عليها [دلالة]^(٦) مطابقة، ودلالته على ما دخل فيها دلالة تضمن، ودلالته على ما يلزمها وهو خارج عنها دلالة الالتزام.

(١) و: معناه.

(٢) به: زيادة فى (ن).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٤) ح، ر: حقيقة أو مجازية؛ و: حقيقته أو مجازته.

(٥) ح، ر: يضمن.

(٦) دلالة: زيادة فى (ب) فقط.

فإذا قيل: الصفات الذاتية الداخلة في الماهية والخارجة عن الماهية، وعُنى بالداخل ما دلّ عليه اللفظ بالتضمن، وبالخارج مادّ عليه بالالتزام^(١)؛ فهذا صحيح.

وهذا الدخول والخروج هو بحسب ما تصوّره المتكلم؛ فمن تصوّر حيوانا ناطقا فقال: إنسان؛ كانت دلالة على المجموع مطابقة، وعلى أحدهما تضمن، وعلى اللازم - مثل كونه ضاحكا - التزام^(٢). وإذا تصوّر إنسانا ضاحكا كانت دلالة إنسان على المجموع مطابقة، وعلى أحدهما تضمن، وعلى اللازم مثل كونه^(٣) ناطقا التزام.

وأما أن تكون الصفات اللازمة للموصوف في الخارج: بعضها داخل في حقيقته وماهيته، [وبعضها خارج عن حقيقته وماهيته]^(٤)، والداخل هو الذاتي، والخارج ينقسم إلى لازم للماهية^(٥) والوجود، وإلى لازم للوجود دون الماهية؛ فهذا كله مما قد بسط الكلام عليه [في مواضع]^(٦)؛ وبيننا ما في المنطق اليوناني من الأغاليط، التي بعضها من معلّمهم الأول، وبعضها من تغيير المتأخرين.

وتكلمنا على ما ذكره أئمتهم في ذلك [واحدًا واحدًا]^(٧)، كابن سينا

(١) و: بالإنزام.

(٢) ح، ي، ر: وعلى كونه ضاحكا التزام؛ و: وعلى كونه ضاحكا إنزام؛ ن، م: مثل كونه ناطقا التزام.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ن).

(٤) ن: إلى اللازم للماهية؛ ح، و: إلى لازم الماهية.

(٥) في مواضع: ساقطة من (ن)، (م).

(٦) واحدا واحدا: ساقطة من (ن)، (م).

وأبى البركات وغيرهما، وأنه^(١) يوجد من كلامهم أنفسهم^(٢)، ومن رد بعضهم على بعض، ما يبين أن ما ذكروه من تقسيم الصفات اللازمة للموصوف إلى هذه الأقسام الثلاثة تقسيم باطل. إلا إذا جعل ذلك باعتبار ما فى الذهن من الماهية، لا باعتبار ماهية موجودة فى الخارج. وكذلك ما فرّعه على هذا من أن الإنسان مركّب من الجنس والفصل؛ فإن هذا التركيب^(٣) ذهنى لا حقيقة له فى الخارج. وتركّبه من الحيوان والناطق من جنس تركّبه من الحيوان والضاحك، إذا جعل كل من الصفتين^(٤) لازماً ملزوماً، وأريد الضاحك بالقوة والناطق بالقوة^(٥).

وأما إذا قيل: [فى الخارج]^(٦) الإنسان مركّب من هذا وهذا. فإن أريد به أن الإنسان موصوف بهذا وهذا؛ فهذا^(٧) صحيح. وكذلك^(٨) إذا فرّق بين الصفات اللازمة للإنسان، التى لا يكون إنساناً إلا بها، كالحيوانية والناطقية والضاحكية، وبين ما يعرض لبعض الناس، كالسواد والبياض والعربية والعجمية؛ فهذا صحيح.

أما إذا قيل: هو مركّب من صفاته اللازمة له، وهى أجزاء له، وهى

-
- (١) ن: فإنه.
 - (٢) ح، ب: بأنفسهم.
 - (٣) و: المركب.
 - (٤) ح، ر، و: الصفتين.
 - (٥) ن: وبالناطق بالقوة، وهو تحريف. وسقطت العبارة من (م).
 - (٦) فى الخارج: ساقطة من (ن).
 - (٧) ن: فهو.
 - (٨) ح، ر، ب، ي: وهكذا.

متقدمة عليه تقدماً ذاتياً - فإن الجزء قبل الكل ، والمفرد قبل المركب -
وأريد بذلك التركيب في الخارج ؛ فهذا كله تخليط . فإن الصفة تابعة

للموصوف ، فكيف تكون متقدمة عليه بوجه من الوجوه ؟

وإذا قيل : هو مركب من الحيوانية والناطقة ، أو من الحيوان والناطق ؛
فإن أريد أنه مركب من جوهرين قائمين بأنفسهما ، لزم أن يكون في كل
موصوف جواهر كثيرة بعدد صفاته ؛ فيكون في الإنسان جوهر هو جسم ،
وجوهر هو حساس ، وجوهر هو نام ، وجوهر هو متحرك بالإرادة ، وجوهر
هو ناطق .

ومعلوم أن هذا خطأ ؛ بل الإنسان جوهر قائم بنفسه موصوف بهذه
الصفات . فيقال : جسم حساس^(١) نام متحرك بالإرادة ناطق .

وإن أريد [به]^(٢) أنه مركب من عرضين ؛ فالإنسان جوهر ، والجوهر لا
يتركب من أعراض لاحقة له ، فضلا عن أن تكون سابقة له متقدمة عليه .
وهذا كله قد بسطناه في مواضع . وإنما كان المقصود هنا أن هؤلاء
الفلاسفة كثيرا ما يغلطون في جعل الأمور الذهنية المعقولة في النفس ،
فيجعلون ذلك بعينه أمورا موجودة في الخارج . فأصحاب فيثاغورس
القائلون بالأعداد المجردة في الخارج من هنا كان غلطهم^(٣) ، وأصحاب

(١) ن : جسم جوهر حساس ، وهو خطأ .

(٢) به : ساقطة من (ن) ، (م) ، (و) .

(٣) فيثاغورس Pythagoras - فيلسوف ورياضي شهير . عرف حوالي منتصف القرن السادس قبل
الميلاد . قال : إن العالم أشبه بالأعداد منه بعالم الماء أو النار أو التراب ، وقال : إن
الموجودات أعداد وأن العالم عدد ونغم ، وقال بالتناسخ . انظر عنه : الملل والنحل

أفلاطون الذين أثبتوا المثل الأفلاطونية من / هنا كان غلطهم^(١) ، ١١٥ / ٣
وأصحاب صاحبه أرسطو الذين أثبتوا جواهر معقولة مجردة في الخارج
مقارنة للجواهر الموجودة المحسوسة، كالمادة والصورة والماهية الزائدة
على الوجود في الخارج، من هنا كان غلطهم^(٢) .

وهم إذا أثبتوا هذه الماهية، قيل لهم: أهي في الذهن أم في الخارج؟
ففي أيهما أثبتوها ظهر غلطهم . وإذا قالوا: نثبتها مطلقة، مع قطع النظر

٧٨-٧٩؛ تاريخ الحكماء للقفطي، ص ٢٥٨-٢٥٩؛ طبقات الأطباء لابن أبي
أصيبعة ١/٦٠-٦٨؛ تاريخ ابن العبري ص ٥٠؛ تاريخ الفلسفة اليونانية لكرم،
ص ٢٠-٢٦؛ فجر الفلسفة اليونانية، ص ٧٠-٩٢؛ نشأة الفكر الفلسفي، ٣٨-٦٠؛
ربيع الفكر اليوناني، ص ١٠٦-١١٦؛ الفلسفة عند اليونان، ص ٦٩-٨٢؛
Greek Philosophy, PP. 36 - 40.

(١) أفلاطون (وجاء في (ن)، (و)، (ز): أفلاطون) Plato : هو الفيلسوف اليوناني الشهير. ولد
٤٢٨ ق. م، وتوفي سنة ٣٤٨ ق. م. انظر عنه وعن آرائه: الملل والنحل ٢/٩٤-١٠١؛
تاريخ الحكماء للقفطي، ص ١٧-٢٧؛ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٧٨-٨٤؛
أفلاطون للدكتور عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤؛ الفلسفة
عند اليونان، ص ١٦٥-٢٤٣؛ تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم، ص ٦٢-١١١؛
تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند رسل ترجمة د. زكي نجيب محمود، ص ١٧٦-٢٥٧

Greek Philosophy, PP. 58-255; A.E. Taylor: Plato, London, 1963

(٢) أرسطو الذي عرف بالمعلم الأول وهو أشهر فلاسفة اليونان على الإطلاق، ولد سنة
٣٨٤ ق. م. وتوفي سنة ٣٢٢ ق. م. انظر عنه وعن آرائه: الملل والنحل ٢/١٢٨-١٤٥؛
تاريخ الحكماء، ص ٢٧-٥٣؛ طبقات الأطباء، ص ٨٤-١٠٥؛ تاريخ الفلسفة
اليونانية، ص ١١٢-٢٠٩؛ تاريخ الفلسفة الغربية، ص ٢٥٨-٣٣١؛ الفلسفة عند
اليونان، ص ٢٤٥-٣٦٤؛ أرسطو للدكتور عبدالرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية،
القاهرة، ١٩٤٤؛

Greek Philosophy. pp. 257-380; D. Ross, Aristotle, London, 1974

عن هذا وهذا أو أعم^(١) من هذا وهذا. قيل: عدم نظر الناظر لا يغير الحقائق عما هي عليه في نفس الأمر: إما في الذهن وإما في الخارج. وما كان أعم منها فهو أيضا في الذهن؛ فإنك إذا قدرت ماهية لا في الذهن ولا في الخارج لم تكن مقدرًا^(٢) إلا في الذهن. ومعنى ذلك أن هذا التقدير في الذهن، لا أن الماهية التي قيل عنها: ليست في الذهن - هي في الذهن / ، بل الماهية التي تصورها الإنسان في ذهنه يمكنه تقديرها ليست في ذهنه، مع أن تقديرها ليست في ذهنه هو في ذهنه، وإن كان تقديرا ممتنعا.

ظ ٢٢٣

بل يجب الفرق بين الماهية المقيدة بكونها في الذهن، وبين الماهية المطلقة التي لا تتقدر بذهن ولا خارج، مع العلم بأن هذه الماهية المطلقة لا تكون أيضا إلا في الذهن، وإن أعرض الذهن عن كونها في الذهن. فكونها في الذهن شيء، والعلم بكونها في الذهن شيء آخر.

وهؤلاء يتصورون^(٣) أشياء ويقدرونها، وذلك لا يكون إلا في الذهن. لكن حال ما يتصور الإنسان [شيئا]^(٤) في ذهنه ويقدره، قد لا يشعر بكونه في الذهن، كمن رأى الشيء في الخارج، فاشتغل بالمرثي عن كونه راثيا له. وهذا يشبه ما يسميه بعضهم الفناء، الذي يفنى بمذكوره عن ذكره،

(١) م، ب: وأعم.

(٢) ن، م: لم تكن مقدرة.

(٣) ن، م: وهؤلاء يصورون؛ ح، ر: وهم لا يتصورون.

(٤) شيئا: في (ب) وسقطت من سائر النسخ.

وبمحبوبه عن محبته، وبمعبوده عن عبادته، ونحو ذلك. كما يقدر الشيء بخلاف ما هو عليه، كما إذا قَدَّر أن الجبل من ياقوت، والبحر من زئبق. فتقدير الأمور على خلاف ما هي عليه هو تقدير اعتقادات باطلة.

والاعتقادات الباطلة لا^(١) تكون إلا في الأذهان. فمن قَدَّر ماهية لا في الذهن ولا في الخارج، فهو مثل من قَدَّر موجوداً لا واجباً ولا ممكناً، ولا قديماً ولا محدثاً، ولا قائماً بنفسه ولا قائماً بغيره. وهذا التقدير في الذهن.

وقد بسطنا الكلام على ذلك لما بينا فساد احتجاج كثير من أهل النظر بالتقديرات الذهنية على الإمكانيات الخارجية، كما يقوله الرازي وغيره: إنا يمكننا أن نقول: الموجود إما داخل العالم وإما خارج العالم، وإما لا داخل العالم ولا خارجه. وكل^(٢) موجود إما مبين لغيره وإما محايث له، وإما لا مبين ولا محايث. فهذا يدل على إمكان القسم الثالث.

وكذلك إذا قلنا: الموجود إما متحيز وإما قائم بالمتحيز، وإما لا متحيز ولا قائم بالمتحيز. وهذا يدل على إمكان القسم [الثالث]^(٣). وهذا غلط؛ فإن هذا كقول القائل: الموجود إما قائم بنفسه وإما قائم بغيره، وإما لا قائم بنفسه ولا بغيره، فدل على إمكان القسم الثالث؛ فإن هذا غلط.

(١) والاعتقادات الباطلة لا: عند هذا الموضع تنتهي نسخة (و) الولايات المتحدة الأمريكية في ص ٢٨٢ منها، كما بينت ذلك في المقدمة.

(٢) ر، ي: أو كل. (٣) الثالث: ساقطة من (ن).

وكذلك إذا قيل: إما قديم وإما محدث، وإما لا قديم ولا محدث، وإما واجب وإما ممكن، وإما لا واجب ولا ممكن. وكذلك ما أشبه هذا. ودخل الغلط على هؤلاء حيث ظنوا أن مجرد تقدير الذهن وفرضه يقتضى إمكان ذلك فى الخارج. وليس كذلك، بل الذهن يفرض أموراً ممتنعة لا يجوز وجودها فى الخارج، ولا تكون تلك التقديرات إلا فى الذهن لا فى الخارج..

وهذه الأمور مبسطة فى موضع آخر، ولكن المقصود هنا ذكر ما اختلف فيه الناس من جهة الدم والعقاب، وبيننا أن الحال يرجع إلى أصليين: أحدهما: أن كل ما تنازع فيه الناس: هل يمكن [كل] (١) أحد اجتهاد يعرف به الحق؟ أم (٢) الناس ينقسمون إلى قادر على ذلك وغير قادر؟

والأصل الثانى: المجتهد العاجز عن معرفة الصواب: هل يعاقبه الله أم لا يعاقب من اتقى الله ما استطاع وعجز عن معرفة بعض الصواب؟ وإذا عُرف هذان الأصلان؛ فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [جميع] (٣) ما يُطعن به فيهم أكثره كذب. والصدق منه غايته أن يكون ذنباً أو خطأ، والخطأ مغفور، والذنب له أسباب متعددة توجب المغفرة، ولا يمكن أحد (٤) أن يقطع بأن واحداً منهم فعل من الذنوب ما يوجب النار

(١) كل: ساقطة من (ن).

(٢) ن: بل.

(٣) جميع: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) ر، ب، ي: أحداً.

لا محالة . وكثير مما يطعن به على أحدهم / يكون من محاسنه
وفضائله . فهذا^(١) جواب مجمل^(٢) .

ثم نحن نتكلم على ما ذكرته الرافضة من المطاعن على وجه
التفصيل ، كما ذكره أفضل الرافضة في زمنه^(٣) صاحب هذا لكتاب ، لما
ذكر أن الكلبي صنف كتابا في «المثالب»^(٤) .

قال الرافضي^(٥) «وقد ذكر غيره منها^(٦) أشياء كثيرة ، ونحن^(٧)
نذكر منها شيئا يسيرا . منها مارووه^(٨) عن أبي بكر أنه قال على
المنبر: إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتصم^(٩) بالوحي ،
وإن لى شيطانا يعتريني ، فإن استقمت فأعينوني ، وإن زغت
فقوموني ، وكيف يجوز^(١٠) إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه ،
مع أن الرعية تحتاج إليه ؟» .

(١) ر ، ح ، ي : وهذا .

(٢) هنا ينتهى الاستطراد الطويل الذى بدأه ابن تيمية ٢٩/٣ (ب) ويعود فيما يلى إلى مناقشة
كلام ابن المطهر .

(٣) ح ، ب : فى زمانه .

(٤) بعد كلمة «المثالب» فى (ي) : الفصل الرابع عشر . وفى (ن) ، (م) : ثم قال : بسم الله
الرحمن الرحيم . زادت (م) : فصل .

(٥) عبارة «قال الرافضي» : ساقطة من (م) . والكلام التالى فى (ك) ص ١٣٢ (م) .

(٦) ك : منهم .

(٧) ونحن : كذا فى (م) ، (ك) . وفى سائر النسخ : نحن .

(٨) ح ، ب : رواه .

(٩) ن ، م : كان يعصم .

(١٠) يجوز : كذا فى (ي) ، (ك) ؛ . وفى (ح) ، (ر) ، (ب) : تجوز .

عود إلى مناقشة
ابن المطهر بعد
الاستطراد
الطويل : كلام
ابن المطهر عن
بعض مثالب
أبي بكر رضى
الله عنه - فى
زعمه

والجواب أن يقال: هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق رضى الله عنه وأدلتها على أنه لم يكن [يريد علواً فى الأرض ولا فسادا ، فلم يكن]^(١) طالب رياسة ، ولا كان ظالما ، وإنه إنما كان يأمر الناس بطاعة الله ورسوله فقال لهم : إن استقمتم على طاعة الله فأعينونى عليها ، وإن زغت عنها فقومونى . كما قال أيضا : [أيها الناس]^(٢) أطيعونى ما أطعت الله ، فإذا اعصيت الله فلا طاعة لى عليكم .

والشيطان الذى يعتره يعترى جميع بنى آدم^(٣) ؛ فإنه ما من أحد إلا [وقد]^(٤) وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه من الجن .

والشيطان يجرى من ابن آدم^(٥) مجرى الدم ، كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ما من أحد إلا وقد وكَّل الله به قرينه من الملائكة وقرينه / من الجن» . قيل : وأنت يارسول الله ؟ قال : «وأنا إلا أن الله أعاننى عليه فأسلم ، فلا يأمرنى إلا بخير»^(٦) .

ص ٢٢٤

وفى الصحيح عنه قال : لما مرَّ به بعض الأنصار وهو يتحدث مع

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن) ، (م)

(٢) أيها الناس : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) ن : جميع الناس .

(٤) وقد ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) ر : من بنى آدم .

(٦) الحديث عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه بلفظ : ما منكم من أحد . الخ فى : مسلم

٢١٦٧/٤ - ٢١٦٨ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعث

سراياه ..) ؛ سنن الدارمى ٣٠٦/٢ (كتاب الرقاق ، باب ما من أحد إلا ومعه قرينه من

الجن) ؛ المسند (ط . المعارف) ٢٣٥/٥ - ٢٣٦ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ١٨٢/٦

(بلفظ : ما من أحد . . .)

صفية ليلا، قال: «على رسلكما، إنها صفية^(١) [بنت حبي]^(٢)». ثم قال: «إني خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شيئا؛ إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم»^(٣).

ومقصود الصديق بذلك: إني لست معصوما كالرسول صلى الله عليه وسلم. وهذا حق.

وقول القائل: كيف تجوز إمامة من يستعين على تقويمه بالرعية؟ كلام جاهل بحقيقة الإمامة. فإن الإمام ليس هو ريباً لرعيته^(٤) حتى يستغنى عنهم، ولا هو رسول الله إليهم حتى يكون هو الواسطة بينهم وبين الله. وإنما هو والرعية شركاء يتعاونون هم وهو على مصلحة الدين والدنيا؛ فلا بد له من إعانتهم، ولا بد لهم من إعانتة، كأمر القافل الذي يسير بهم في الطريق: إن سلك بهم الطريق أتبعوه، وإن أخطأ عن الطريق^(٥) نبهوه وأرشدوه، وإن خرج عليهم صائل يصول عليهم تعاون هو وهم على دفعه. لكن إذا كان أكملهم علما وقدرة ورحمة كان ذلك أصلح لأحوالهم.

(١) ح، ب: لصفية.

(٢) بنت حبي: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) الحديث عن صفية بنت حبي أم المؤمنين رضي الله عنها في: البخارى ١٢٤/٤ (كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده). وجاء الحديث أيضا في: البخارى ٥٠/٣ (كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه)، ٧٠/٩ (كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم...). والحديث في سنن أبي داود وسنن ابن ماجه والدارمي ومسنده أحمد.

(٤) ح، ب: رب الرعية. (٥) ح، ر: في الطريق.

وكذلك إمام الصلاة إن استقام صلُّوا بصلاته، وإن سها سبَّحوا به
فقوموه إذا زاغ.

وكذلك دليل الحاج إن مشى بهم في الطريق مشوا خلفه، وإن غلط
قوموه.

والناس بعد الرسول لا يتعلمون الدين من الإمام^(١)، بل الأئمة والأمة
كلهم يتعلمون الدين من الكتاب والسنة.

ولهذا لم يأمر الله عند التنازع برد الأمر إلى الأئمة، بل قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الآية [سورة النساء: ٥٩]؛ "فأمر
بالرد عند التنازع إلى الله والرسول"^(٢) لا إلى الأئمة وولاية الأمور، وإنما أمر
بطاعة ولاة الأمور تبعاً لطاعة الرسول.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما الطاعة في المعروف»^(٣).
وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(٤). وقال: «من أمركم
بمعصية الله فلا تطيعوه»^(٥).

(١) ن: لا يتعلمون الدين إلا من الإمام..

(٢-٣) : ساقطة من (ح)، (د).

(٣) سبق الحديث فيما مضى ٥٦٢/١، ٣٨٨/٣ (ت ١).

(٤) سبق الحديث فيما مضى ٣٨٨/٣ (ت ٣).

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٣٨٨/٣ (ت ٤).

وقول القائل : كيف تجوز إمامة من يستعين بالرعية على تقويمه ، مع

أن الرعية تحتاج إليه ؟

وارد في كل متعاونين ومتشاركين يحتاج كل منهما إلى الآخر، حتى الشركاء في التجارات والصناعات . وإمام الصلاة هو بهذه المنزلة ؛ فإن المأمومين يحتاجون إليه ، وهو يحمل عنهم السهو وكذلك القراءة عند الجمهور ، وهو يستعين بهم إذا سها فينهونه على سهوه ويقومونه ، ولوزاغ في الصلاة^(١) فخرج عن الصلاة الشرعية لم يتبعوه فيها . ونظائره متعددة .

ثم يُقال : استعانة عليّ برعيته وحاجته إليهم كانت أكثر من استعانة أبي بكر، وكان تقويم أبي بكر لرعيته وطاعتهم له أعظم من تقويم عليّ لرعيته وطاعتهم له . / فإن أبا بكر كانوا إذا نازعوه أقام عليهم الحجة حتى يرجعوا إليه ، كما أقام الحجة على عمر في قتال مانعي الزكاة وغير ذلك . وكانوا إذا أمرهم أطاعوه . وعليّ رضى الله عنه لما ذكر قوله في أمهات الأولاد وأنه^(٢) اتفق رأيه ورأى عمر على أن لا يُبعن ، ثم رأى أن يُبعن ، فقال له قاضيه عبيدة السلماني : رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة .

وكان يقول : افضوا كما كنتم تفضون ؛ فإنني أكره الخلاف ، حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي .

وكانت رعيته كثيرة المعصية له ، وكانوا يشيرون عليه بالرأى الذي

(١) ح ، ب : عن الصلاة .

(٢) ح ، ر ، ب : الأولاد أنه . .

يخالفهم فيه، ثم يتبين له أن الصواب كان معهم . كما أشار عليه الحسن بأمور، مثل أن لا يخرج من المدينة دون المبايعة، وأن لا يخرج إلى الكوفة، وأن لا يقاتل بصفيين، وأشار عليه أن لا يعزل معاوية، وغير ذلك من الأمور.

وفي الجملة فلا يشك عاقل أن السياسة انتظمت لأبي بكر وعمر وعثمان ما لم تنتظم لعليّ رضى الله عنهم . فإن كان هذا لكمال المتولّي وكمال الرعية، كانوا هم ورعيتهم أفضل . وإن كان لكمال المتولّي وحده، فهو أبلغ في فضلهم . وإن كان ذلك لفرط نقص رعية عليّ، كان رعية عليّ أنقص من رعية أبي بكر رضى الله عنه وعمر وعثمان .

ورعيتهم هم الذين قاتلوا معه، وأقرّوا بإمامته . ورعية الثلاثة كانوا مقرّين بإمامتهم . فإذا كان المقرّون بإمامة الثلاثة أفضل من المقرّين بإمامة عليّ، لزم أن يكون كل واحد من الثلاثة أفضل منه .

وأيضاً فقد انتظمت السياسة لمعاوية^(١) ما لم تنتظم لعليّ، فيلزم أن تكون رعية معاوية خيراً من رعية عليّ، ورعية معاوية شيعة عثمان، وفيهم النواصب المبغضون لعليّ، فتكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة عليّ، فيلزم على كل تقدير: إما أن يكون الثلاثة أفضل من عليّ، وإما أن تكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة عليّ والروافض . وأيهما كان لزم فساد مذهب الرافضة؛ فإنهم / يدعون أن عليّاً أكمل

ظ ٢٢٤

(١) ن، م: انتظمت الأمور لمعاوية.

من الثلاثة، وأن شيعته الذين قاتلوا معه أفضل من الذين بايعوا الثلاثة، فضلا عن أصحاب معاوية.

والمعلوم باتفاق الناس أن الأمر انتظم للثلاثة ولمعاوية ما لم ينتظم لعلّي. فكيف يكون الإمام الكامل والرعية الكاملة - على رأيهم - أعظم اضطرابا وأقل انتظاما من الإمام الناقص والرعية الناقصة؟ بل من الكافرة والفاسقة على رأيهم؟

ولم يكن في أصحاب عليّ من العلم والدين والشجاعة والكرم، إلا ما هو دون ما في رعية الثلاثة. فلم يكونوا أصلح في الدنيا ولا في الدين. ومع هذا فلم يكن للشيعة إمام ذو سلطان معصوم بزعمهم أعظم من عليّ، فإذا لم يستقيموا معه كانوا أن لا يستقيموا مع من هو دونه أولى وأحرى. فعلم أنهم شر وأنقص^(١) من غيرهم.

وهم يقولون: المعصوم إنما وجبت عصمته لما في ذلك من اللطف بالمكلفين والمصلحة لهم. فإذا علم أن مصلحة غير الشيعة في كل زمان خير من مصلحة الشيعة، واللطف لهم أعظم من اللطف للشيعة، علم أن ما ذكروه^(٢) من إثبات العصمة باطل.

وتبيّن حينئذ حاجة الأئمة إلى الأمة، وأن الصديق هو الذي قال الحق وأقام العدل أكثر^(٣) من غيره.

(١) ح، ر، ب، ي: أنهم أنقص...

(٢) ح: أن ما ذكره.

(٣) ح، ر، ي: أعظم.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضي:^(٢) «وقال: أقيلوني فلست^(٣) بخيركم، وعلى^(٤) فيكم». فإن كانت إمامته حقًا كانت استقالته منها معصية، وإن كانت باطلة لزم الطعن».

والجواب: أن هذا كذب، ليس في شيء من كتب الحديث، ولا له إسناد معلوم. فإنه لم يقل: «وعلى فيكم» بل الذي ثبت^(٥) عنه في الصحيح أنه قال يوم السقيفة: بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح. فقال له عمر: بل أنت سيدنا وخيرنا^(٦) وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عمر: كنت^(٧) والله لأن أقدم فتضرب عنقي، لا يقربني ذلك إلى إثم، أحب إلي من تأمري^(٨) على قوم فيهم أبو بكر^(٩).

ثم لو قال: «وعلى فيكم» لاستخلفه مكان عمر؛ فإن أمره كان مطاعا.

(١) ي: الفصل الخامس عشر: وسقطت كلمة «فصل» من (ح)، (و).

(٢) في (ك) ١٣٢ (م) - ١٣٣ (م).

(٣) ن: ليس؛ ك: لست.

(٤) كتبت عبارة «وعلى فيكم» في (ك) بين السطرين.

(٥) ب (فقط): بل الحديث الذي ثبت...

(٦) ن، م: خيرنا وسيدنا.

(٧) ب (فقط): كان...

(٨) ن، م: من أن أتأمر.

(٩) سبق حديث السقيفة فيما مضى ٥١٨/١، ٥٠/٢، ٥١.

وأما قوله: «إن كانت إمامته حقاً كانت استقالته منها معصية» .

فيقال: إن ثبت أنه قال ذلك، فإن كونها حقاً إما بمعنى كونها جائزة،

١١٨ / ٣

والجائز يجوز تركه. / وإما بمعنى كونها واجبة إذا لم يولوا غيره ولم يقلوه. وأما إذا أقالوه وولوا غيره لم تكن واجبة عليه.

والإنسان قد يعقد بيعاً أو إجارة، ويكون العقد حقاً، ثم يطلب

الإقالة، وهو لتواضعه وثقل الحمل عليه قد يطلب الإقالة، وإن لم يكن

هناك من هو أحق بها منه. وتواضع الإنسان لا يسقط حقه.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضي^(٢): «وقال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقي

الله المسلمين^(٣) شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. ولو كانت

إمامته صحيحة لم يستحق فاعلها القتل، فيلزم تطرق الطعن إلى

عمر. وإن كانت باطلة، لزم الطعن عليهما معا^(٤)» .

والجواب: أن لفظ الحديث سيأتي. قال فيه: «فلا يغترون امرؤ أن

يقول: «إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة فتمت. ألا وإنها قد كانت كذلك،

ولكن وقي الله شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي

بكر^(٥)». ومعناه أن بيعة أبي بكر بودر إليها من غير تريث ولا انتظار، لكونه

(١) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفي (ي): الفصل السادس عشر.

(٢) في (ك) ص ١٣٣ (م).

(٣) المسلمين: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي)، (ب).

(٤) ح، ر، ي، ب: جميعاً. (٥) سيرد هذا الحديث كاملاً بعد قليل إن شاء الله.

كان متعيّنا لهذا الأمر. كما قال عمر: «ليس فيكم من تُقطع إليه الاعناق مثل أبي بكر».

وكان ظهور فضيلة أبي بكر على من سواه، وتقديم رسول الله صلى الله عليه وسلم له على سائر الصحابة أمراً ظاهراً معلوماً. فكانت دلالة النصوص على تعيينه تُغنى عن مشاورة وانتظار وتريث، بخلاف غيره؛ فإنه لا تجوز مبايعته إلا بعد المشاورة والانتظار والتريث. فمن بايع غير أبي بكر عن غير انتظار وتشاور لم يكن له ذلك.

وهذا قد جاء مفسراً في حديث عمر هذا في خطبته المشهورة الثابتة في الصحيح، التي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره. وهذه الخطبة معروفة عند أهل العلم، وقد رواها البخاري في صحيحه^(١) عن ابن عباس، قال^(٢): «كنت أقرىء رجالا من المهاجرين: منهم عبدالرحمن بن عوف، فبينما^(٣) أنا في منزله^(٤) بمنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها، إذ رجعت إليّ عبدالرحمن بن عوف^(٥)،

(١) ن، م: في الصحيح.

(٢) سبق الإشارة إلى هذا الحديث ٣/٣٨٦ (ت ٦). والحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما في: البخاري ٨/١٦٨ - ١٧٠ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم الجبلى من الزنا إذا زنت) وسأقابل النص التالي عليه إن شاء الله. وجاءت قطع من هذا الحديث في مواضع مختلفة في البخاري (انظر ط. دار القلم، تحقيق د. مصطفى البغا، دمشق وبيروت، ١٤٠١/١٩٨١ الأرقام ٢٣٣٠، ٣٢٦١، ٣٧١٣، ٣٧٩٦، ٦٤٤١، ٦٨٩٢).

(٣) ن، م، ر، ي: فيينا؛ ح: فيتنا، وهو تحريف.

(٤) ح: في منزلى، وهو خطأ.

(٥) بن عوف: ليست في «البخاري».

فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد^(١) بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت؟ فغضب عمر ثم قال^(٢): إني إن شاء الله لقاتم العشية في الناس فمحدّزهم هؤلاء الذين يريدون أن يغضبوهم أمورهم. فقال^(٣) عبدالرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل؛ فإن الموسم يجمع رعايا الناس وغوغاءهم، وإنهم^(٤) هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا^(٥) أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مطير، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول مقالتك^(٦) متمكناً^(٧)، فيعي أهل العلم مقالتك ويضعونها^(٨) على مواضعها. فقال^(٩) عمر: أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة. قال ابن عباس: / فقدمنا المدينة في ص ٢٢٥ عقب ذي الحجة، فلما كان يوم الجمعة عجلت بالرواح^(١٠) حين زاغت

(١) لقد: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي).

(٢) ح: فقال.

(٣) البخارى: قال.

(٤) البخارى: فإنهم.

(٥) وأنا: كذا في (ب) والبخارى. وفي سائر النسخ: فأنا.

(٦) البخارى: ما قلت.

(٧) ح: متمكنا.

(٨) ح: ويضعوها.

(٩) ن، م، ر، ي: قال.

(١٠) البخارى: عجلنا الرواح (وفي نسخة منه: عجلت بالرواح).

الشمس، حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب^(١)، فلما رأته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد [بن عمرو بن نفيل]^(٢):
 ليقولن العشيّة مقالة لم يقلها منذ استخلف. فأنكر عليّ، وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر، فلما سكت المؤذنون^(٣) قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أمّا بعد فإنّي قائل لكم مقالة قد قدّر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يديّ أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعقلها فلا أحلّ لأحد أن يكذب عليّ. إن الله بعث محمّداً صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما^(٤) أنزل عليه آية^(٥) الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها. رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا بعده. فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: [والله]^(٦) ما نجد آية الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله. والرجم في كتاب الله حق على من زنى [إذا أحصن]^(٧) من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة، أو كان الحبل أو الاعتراف. ثم إنّا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب

(١) ح، ب: عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

(٢) بن عمرو بن نفيل: فى (ر)، (ى)، البخارى فقط.

(٣) ح، م، ب: المؤذن.

(٤) البخارى: مما (وفى قراءة فيه: فيما).

(٥) البخارى: أنزل الله آية..

(٦) والله: فى البخارى، (ب) فقط.

(٧) إذا أحصن: فى (ب) والبخارى فقط.

الله: [أن] ^(١) لا ترغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ^(٢).
 ألا / إن ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا تطروني كما أطرت
 النصارى عيسى ^(٤) بن مريم، وقولوا: عبدالله ورسوله». ثم إنه بلغني أن
 قاتلا منكم ^(٥) يقول: والله لو مات عمر لبايعت ^(٦) فلانا، فلا يغترون امرؤ
 أن يقول: إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة ^(٧) فتمت ^(٨)، ألا وإنها قد كانت
 كذلك، ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم ^(٩) من تُقطع الأعناق إليه مثل

(١) أن: في (ب) والبخارى فقط.

(٢) البخارى: عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم.

(٣) ب: ألا وإن؛ البخارى: ألا ثم إن ..

(٤) البخارى: كما أطرى عيسى؛ م: لا تطروني إطراء النصارى عيسى.

(٥) أن قاتلا منك: كذا في (ب) والبخارى. وفي (ح)، (ر)، (ي): أن قاتلا فيكم. وفي (ن)،

(م): أن فلانا فيكم. وفي هامش (ي) كتب ما يلي: «وقال بعض العلماء: إن آية الرجم التي

نسخت: قوله تعالى: والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهم البتة. وقد أبقى الله في كتابه نظيرها

وهو قوله تعالى: ﴿وَيَذَرُونَهَا الْعَذَابَ﴾ [سورة النور: ٨].»

(٦) البخارى: بايعت.

(٧) قال ابن حجر في شرحه للحديث (فتح البارى ١٢/١٤٧): «أى فجأة: وزنه ومعناه» ثم قال

(فتح البارى ١٢/١٤٩): «الفلتة الليلة التي يشك فيها: هل هي من رجب أو شعبان،

وهل من المحرم أو صفر؟ كان العرب لا يشهرون السلاح في الأشهر الحرم، فكان من له ثار

ترىص، فإذا جاءت تلك الليلة انتهز الفرصة من قبل أن يتحقق انسلاخ الشهر فيتمكن ممن

يريد إيقاع الشربة وهو آمن فيترتب على ذلك الشر الكثير، فشبّه عمر الحياة النبوية بالشهر

الحرام، والفلتة بما وقع من أهل الردة، ووقى الله شر ذلك ببيعة أبي بكر لما وقع منه من

النهوض في قتالهم وإخماد شوكتهم. كذا قال (ابن الأعرابي) والأولى أن يقال: الجامع بينها

انتهاز الفرصة، لكن كان ينشأ عن أخذ الثار الشر الكثير فوقى الله المسلمين شر ذلك.»

(٨) البخارى: وتمت.

(٩) البخارى: منكم (وفي قراءة فيه: فيكم).

أبي بكر^(١). من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرةً أن يقتلا^(٢)، وإنه قد كان من خبرنا^(٣) حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن^(٤) الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا عليٌّ والزبير ومن معهما^(٥)، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر. فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان، فذكرا ما تمألاً عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء^(٦) من الأنصار. فقالا: لا عليكم أن [لا]^(٧) تقربوهم. اقضوا أمركم. فقلت: والله لنأتينهم. فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة. فإذا رجل مزمل^(٨) بين ظهرائهم. فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة. فقلت: ما له؟ قالوا: يوعك^(٩).

(١) قال ابن حجر: «قال الخطابي: يريد أن السابق منكم الذي لا يلحق في الفضل لا يصل إلى منزلة أبي بكر، فلا يطمع أحد أن يقع له مثلما وقع لأبي بكر من المبايعه له أولاً في الملأ اليسير، ثم اجتماع الناس عليه وعدم اختلافهم عليه».

(٢) انظر ما سبق أن ذكرته في معنى هذه العبارة ٣/٣٨٦.

(٣) في نسخة من البخاري: من خيرنا. (والمعنى أن أبا بكر كان من خير المسلمين حين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم).

(٤) البخاري: إلا أن..

(٥) ن، م: ومن تبعهما.

(٦) ح، ر، ي: نريد هؤلاء إخواننا.

(٧) لا: ساقطة من (ن).

(٨) قال ابن حجر: «مزمل بتشديد الميم المفتوحة - أي: مغلف».

(٩) قال ابن حجر: «يوعك بضم أوله وفتح المهملة، أي يحصل له الوعك - وهو الحمى بنافض - ولذلك زمّل».

فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر^(١) المهاجرين رهط. وقد دفت دافة^(٢) من قومكم، [فإذا هم]^(٣) يريدون أن يختزلونا^(٤) من أصلنا وأن يحضنونا^(٥) من الأمر، فلما سكت أردت^(٦) أن أتكلم، وكنت زورت^(٧) مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدارى منه بعض الحد، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك^(٨)، فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبو بكر، فكان هو أحلم مني وأوقر. والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها، حتى سكت. فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يُعرف^(٩) هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب

(١) ح، ر، ي، ب: معاشر.

(٢) قال ابن حجر: «وقد دفت دافة من قومكم: بالبدال المهملة والفاء: أى عدد قليل، وأصله من الدف، وهو السير البطيء في جماعة».

(٣) فإذا هم: فى (ب) والبخارى فقط.

(٤) قال ابن حجر: «يختزلونا: بخاء معجمة وزاى: أى يقتطعوننا عن الأمر وينفردوا به دوننا. وقال أبو زيد: خزلته عن حاجته: عوّته عنها، والمراد هنا بالأصل: ما يستحقونه من الأمر».

(٥) ح، ر، ي: أن يحضنونا. والكلمة غير منقوطة فى (ن)، (م). قال ابن حجر: «وأن يحضنونا: بخاء مهملة وضاء معجمة - ووقع فى رواية المستملى: أى يخرجونا، قاله أبو عبيد - وهو كما يقال: حضنه واحتضنه عن الأمر: أخرجه فى ناحية عنه واستبد به أو حبسه عنه».

(٦) ح، ر، ي، ن، م: وأردت.

(٧) قال ابن حجر: «قد زورت: بزأى ثم راء: أى هيات وحسنت، وفى رواية مالك: روّيت... من الروية ضد البديهة».

(٨) قال ابن حجر: على رسلك: بكسر الراء وسكون المهملة ويجوز الفتح - أى على مهلك: بفتحيتين».

(٩) ن، ح، ر، ي: ولن نعرف.

نسبا وداراً. وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة بن الجراح، وهو جالس بيننا. فلم أكره مما قال غيرها، كان والله أن أُقَدِّم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسؤل لى^(١) نفسى عند الموت شيئاً لا أجده^(٢) الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جُذَيْلُهَا الْمُحَكِّكُ وَعُدَيْقُهَا الْمَرْجَبُ^(٣). منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش. فكثر اللغظ، وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف. فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده، فبايعته، وبايعه المهاجرون، ثم بايعته^(٤) الأنصار، ونزونا^(٥) على سعد بن عباد، فقال قائل [منهم]^(٦): قتلتم سعد بن عباد. فقلت: قتل الله سعد بن عباد. قال عمر: وأنا والله

(١) البخارى: إلى (وفى قراءة: لى).

(٢) ر: إلا أجده..

(٣) فى هامش (ر)، (ح) كتب ما يلى: «قاله (ح): القائل هو الحباب بن منذر، ذكره أحمد (ر): الإمام أحمد) فى المسند. وفى هامش (ى): «وذكر الإمام أحمد فى مسنده أنه الحباب بن المنذر» وقال الشيخ أحمد شاکر رحمه الله فى شرح الحديث: «الجذيل: تصغير جذل، بكسر الجيم وسكون الذال، وهو العود الذى ينصب للإبل الجربى لتحتك به، وهو تصغير تعظيم، أى أنا ممن يستشفى برأيه، كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك بهذا العود. وقيل: أراد أنه شديد البأس صلب المكسر. العُدَيْق: تصغير العنق، بفتح العين وسكون الذال، وهو النخلة، وهو تصغير تعظيم أيضاً. المرجب: من الترجيب، وهو أن تعمد النخلة الكريمة ببناء من حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع».

(٤) ح، ر، ى، ن: ثم بايعه.

(٥) قال ابن حجر: «ونزونا: بنون وزاى مفتوحة: أى وثنا».

(٦) منهم: فى (ب) والبخارى فقط.

ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعةً، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم^(١) على ما لا نرضى^(٢)، وإما أن نخالفهم^(٣) فيكون فساد، فمن بايع رجلاً على غير^(٤) مشورة من المسلمين فلا يتابع^(٥) هو ولا الذي^(٦) بايعه تغرة أن يقتلا^(٧)». قال مالك^(٨): وأخبرني ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن الرجلين اللذين لقياهما^(٩): عويمر^(١٠) بن ساعدة ومعن بن عدى - وهما ممن شهد بدرًا^(١١) - قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيب: أن

- (١) ح، ر: فإما أن نبايعهم؛ ي: فإما أن نبايعهم بايعناهم. (٢) ت: على ما لا يرضى الله.
(٣) البخارى: وإما نخالفهم.
(٤) ح، ب: رجلاً من غير؛ ر: رجلاً غير.
(٥) ح، ي، ن: فلا يبايع.
(٦) ح، ب: هو والذي.
(٧) جاء هذا الحديث فى البخارى فى المواضع التى أشرت إليها. وجاءت قطعة من هذا الحديث الطويل عن عبدالله بن عباس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم فى: مسلم ١٣١٧/٣ (كتاب الحدود، باب رجم الثيب فى الزنى)؛ سنن أبى داود ٢٠٣/٤ - ٢٠٤ (كتاب الحدود، باب فى الرجم)؛ سنن الترمذى ٤٤٢/٢ - ٤٤٣ (كتاب الحدود، باب ما جاء فى تحقيق الرجم)؛ سنن ابن ماجه ٨٥٣/٢ (كتاب الحدود، باب الرجم)؛ الموطأ ٨٢٣/٢ (كتاب الحدود، باب ما جاء فى الرجم)؛ المسند (ط. المعارف) ٣٢٣/١ - ٣٢٧ (وجاء الحديث فى المسند مطولاً). وقال الشيخ أحمد شاكراً فى شرحه للحديث: «وكان هذا الحديث فى سنة ٢٣ قبيل مقتل عمر».
(٨) وهو مالك بن أنس راوى الحديث وإن لم يورده فى الموطأ كاملاً بل أورد قطعة مختصرة منه، والزيادة التالية فى المسند (ط. المعارف) ٣٢٧/١.
(٩) ي: اللذين لقياهما.
(١٠) عويمر: كذا فى «المسند». وفى جميع النسخ: عويم.
(١١) عبارة «وهما ممن شهد بدرًا» إيضاح من ابن تيمية. وليست فى «المسند» ولا فى (م).

الذى قال : أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرَّجَب : الحُبَابُ بن المنذر .
 وفى صحيح البخارى ^(١) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسُّنْحِ ^(٢) ، فقام عمر يقول : والله ما مات
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال ^(٣) : وقال عمر : والله ما كان يقع فى
 قلبى ^(٤) إلا ذاك - وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم . فجاء
 أبو بكر [رضى الله عنه] ^(٥) فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 [فقبله] ^(٦) ، فقال ^(٧) / : بأبى وأمى ^(٨) ، طبتَ حياً وميتاً ، والذى نفسى
 بيده : لا يذيقك الله الموتين أبداً ، ثم خرج فقال : أيها الحالف على
 رسلك . فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ،
 وقال ^(٩) : ألا من كان يعبد محمداً ^(١٠) فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد
 الله فإن الله حى لا يموت . وقال الله تعالى ^(١١) : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾

ظ ٢٢٥

- (١) ن ، م : مسلم . والحديث فى : البخارى ٦/٥ - ٧ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، باب لو كنت متخذاً خليلاً).
- (٢) فى البخارى بعد ذلك : قال إسماعيل : بالعالية . وقال ابن حجر (فتح البارى) ٢٩/٧ : «تقدم ضبطة فى أول الجنائز وأنه بسكون النون ، وضبطه أبو عبيد البكرى بضمها وقال : إنه منازل بنى الحارث من الخزرج بالعوالى ، وبينه وبين المسجد النبوى ميل» .
- (٣) فى البخارى : قالت .
- (٤) البخارى : فى نفسى .
- (٥) رضى الله عنه : زيادة فى (ن) ، (م) ، (ح) ، (ب) ، (ى) .
- (٦) قبله : ساقطة من (ن) ، (م) .
- (٧) البخارى : قال .
- (٨) البخارى : بأبى أنت وأمى .
- (٩) ح ، ب : فقال .
- (١٠) البخارى : محمداً صلى الله عليه وسلم . (١١) ن : وقال الله ؛ البخارى : وقال .

[سورة الزمر: ٣٠]، وقال: / ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٤] قال: فنشج الناس ييكون، واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة. فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيأت كلاماً قد أعجبنى، خشيت أن لا يئلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر، فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حُباب ابن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا، ولكننا الأمراء وأنتم الوزراء. هم أوسط العرب داراً، وأعربهم^(١) أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة^(٢). فقال عمر: قتله الله^(٣).

وفي صحيح البخارى عن عائشة في هذه القصة قالت^(٤): «ما كان^(٥) من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوَّف عمر الناس وإن فيهم

(١) ن، م، ب: وأرفعهم.

(٢) ر، ح، ي: قتلتم سعداً؛ ب: قتلتم والله سعداً.

(٣) جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في البخارى في عدة أحاديث في: ٧٢/٢ - ٧٢.

(كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت . . .).

(٤) البخارى ٧/٥ (بعد الحديث السابق مباشرة). (٥) البخارى: فما كانت.

لنفاقا، فردّهم الله بذلك، ثم لقد بصّر أبو بكر الناس الهدى، وعرفهم الحق الذي عليهم».

وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك^(١): أنه سمع خطبة عمر الآخرة^(٢) حين جلس على المنبر، وذلك الغد من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتشهد وأبو بكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيشر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبّرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم؛ فإن يكن^(٣) محمد^(٤) قد مات فإن الله^(٥) قد جعل بين أظهركم^(٦) نورا تهتدون به، به هدى الله محمداً^(٧)، وإن أبا بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين، وإنه^(٨) أولى المسلمين بأموركم، فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قيل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة^(٩) العامة على المنبر.

وعنه^(١٠): «قال سمعت^(١١) عمر يقول لأبى بكر يومئذ: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد [المنبر]^(١٢)، فبايعه الناس عامة».

(١) البخارى ٨١/٩ (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف).

(٢) ح، ر، ب، ي: الأخيرة.

(٣) البخارى: فإن يك.

(٤) م، ح، ر: محمداً.

(٥) البخارى: فإن الله تعالى.

(٦) ر، ي: قد جعل لكم بين أظهركم.

(٧) البخارى: محمداً صلى الله عليه وسلم.

(٨) البخارى: فإنه (وفى قراءة: وإنه).

(٩) ب (فقط): بيعته.

(١٠) فى: البخارى ٨١/٩ (الحديث التالى مباشرة).

(١١) البخارى: قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت. (١٢) المنبر: ساقطة من (ن)، (م).

وفى طريق^(١) أخرى لهذه الخطبة^(٢) : «أما بعد فاختر الله لرسوله الذى عنده على الذى عندكم ، وهذا الكتاب الذى^(٣) هدى الله به رسوله^(٤) ، فخذوا به تهتدوا ، لما هدى الله^(٥) به رسوله صلى الله عليه وسلم^(٦) .»

﴿فصل﴾^(٧)

قال الرافضى^(٨) : «وقال أبو بكر عند موته : ليتنى كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل للأنصار فى هذا الأمر حق ؛ وهذا يدل على أنه فى شك من إمامته ولم تقع صوابا» .

والجواب: أن هذا كذب^(٩) على أبى بكر رضى الله عنه ، وهو لم يذكر له إسنادا . ومعلوم أن من احتج فى أى مسألة كانت بشيء من النقل ، فلا بد أن يذكر إسنادا تقوم به الحجة . فكيف بمن يطعن فى السابقين الأولين بمجرد حكاية لا إسناد لها ؟

ثم يقال : هذا يقدر فيما تدعونه^(١٠) من النص على على ؛ فإنه لو كان قد

(١) ن : طريقة .

(٢) فى : البخارى ٩١/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، أول الكتاب) والحديث عن

أنس رضى الله عنه أنه سمع عمر . . .

(٣) ح ، ب : وهذا كتاب الله الذى . . .

(٤) البخارى : رسولكم .

(٥) البخارى : وإنما هدى الله (وفى قراءة أخرى : لما هدى الله . . .)

(٦) صلى الله عليه وسلم : ليست فى البخارى .

(٧) ي : الفصل السابع عشر . وسقطت كلمة «فصل» من (ح) ، (و) .

(٨) فى (ك) ص ١٣٣ (م) .

(٩) ح : كذاب . (١٠) ن ، م : يدعوه .

نَصَّ عَلَى عَلِيٍّ لَمْ يَكُنْ لِلْأَنْصَارِ فِيهِ حَقٌّ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ شَكٌّ.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرفض^(٢) : «وقال عند احتضاره: ليت أُمِّي لم تلدني !
ياليتني^(٣) كنت تبنة في لبنة. مع أنهم [قد]^(٤) نقلوا عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من محتضر يحتضر إلا ويرى
مقعده من الجنة والنار^(٥)».

والجواب: أن تكلمه بهذا عند الموت غير معروف، بل هو باطل بلا
ريب. بل الثابت عنه أنه لما احتضر، وتمثلت عنده عائشة بقول
الشاعر:-

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى - إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدرُ
فكشفت عن وجهه، وقال: ليس كذلك، ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةٌ
الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: ١٩].

- (١) ي: الفصل الثامن عشر. وسقطت كلمة «فصل» من (ن)، (م)، (ر)، (ح).
(٢) في (ك) ص ١٣٣ (م). (٣) ح، ب: ليتني. (٤) قد: ليست في (ك).
(٥) ك: أو النار. ولم أجد حديثاً بهذا اللفظ، ولكني وجدت حديثاً بمعناه ونصه في: البخاري
٩٩/٢ - ١٠٠ (كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغدأة والعشى) عن
عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أحدكم إذا
مات عُرض عليه مقعده بالغدأة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان
من أهل الناس فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». وتكرر
الحديث في: البخاري ١١٧/٤ (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها
مخلوقة)، ١٠٧/٨ (كتاب الرقاق، باب سكرات الموت). والحديث أيضاً في: مسلم
٢١٩٩/٤ (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار
عليه...).

ولكن نقل عنه أنه قال في صحته: ليت أُمِّي لم تلدني! ونحو هذا
 قاله خوفاً - إن صح النقل عنه. ومثل هذا الكلام منقول عن جماعة أنهم
 قالوه خوفاً وهيبة من أهوال يوم القيامة، حتى قال بعضهم: لو خُيرت بين
 أن أحاسب وأدخل الجنة، وبين أن أصير تراباً، لا اخترت أن أصير تراباً.
 وروى / الإمام أحمد عن أبي ذر أنه قال: والله لوددت أني شجرة
 ١٢١ / ٣ تعضد. وقد روى أبو نعيم في «حلية الأولياء»^(١) قال: حدثنا سليمان بن
 أحمد^(٢)، حدثنا محمد بن علي الصائغ، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا
 أبو معاوية، حدثنا السري بن يحيى. قال^(٣): قال عبدالله بن مسعود: «لو
 وقفت بين الجنة والنار، فليل لي: اختر في أيهما تكون، أو تكون رماداً؛
 لأخترت أن أكون رماداً»^(٤).

وروى الإمام أحمد بن حنبل^(٥): حدثنا يحيى بن سعيد، عن مجالد،
 عن الشعبي، عن / مسروق. قال: قال رجل عند عبدالله بن مسعود: ما
 ٢٢٦ ص أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقرئين أحب إليّ. فقال
 عبدالله بن مسعود: لكن ها هنا رجل ودّ أنه إذا مات لم يُبعث، يعني
 نفسه.

والكلام في مثل هذا^(٦): هل هو مشروع أم لا؟ له موضع آخر. لكن

-
- (١) ح، ر، ب، ي: في الحلية. وهذا الأثر في «حلية الأولياء» ١٣٣/١.
 - (٢) ح، ر، ي: حدثنا سلمان بن أحمد. والمثبت هو ما في «الحلية».
 - (٣) في «الحلية»: ... بن يحيى عن الحسن قال ...
 - (٤) الحلية: ... اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رماداً لأحببت أن أكون رماداً.
 - (٥) بن حنبل: ساقطة من (ح).
 - (٦) ح، ر، ي: في مثل هذا الكلام.

الكلام الصادر عن خوف العبد من الله يدل على إيمانه بالله ، وقد غفر الله لمن خافه حين أمر أهله بتحريقه وتذرية نصفه في البر ونصفه في البحر، مع أنه لم يعمل خيرا قط . وقال : والله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابا لا يعذبه أحدا من العالمين . فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه . وقال : ما حملك على ما صنعت؟ قال : من خشيتك يارب ، فغفر له . أخرجاه في الصحيحين^(١) .

فإذا كان مع شكه في القدرة والمعاد، إذا فعل ذلك غفر له بخوفه من الله ، عُلِمَ أن الخوف من الله من أعظم أسباب المغفرة للأمور الحقيقية، إذا قُدِّرَ أنها ذنوب .

﴿فصل﴾^(٢)

قال الرافضي^(٣) : «وقال أبو بكر: ليتني في ظلة بنى ساعدة ضربت بيدي على يد^(٤) أحد الرجلين، فكان^(٥) هو الأمير وكنت

تابع كلام
الرافضي

(١) الحديث بالألفاظ مقاربة عن أبي هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ١٤٥/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى : يريدون أن يبدلوا كلام الله)؛ مسلم ٢١١٠ - ٢١٠٩/٤ (كتاب التوبة، باب فى سعة رحمة الله تعالى). وجاءت أحاديث فيها نفس الخبر مع اختلاف فى الألفاظ عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى وحذيفة بن اليمان رضى الله عنهم فى : البخارى ١٧٦/٤ (كتاب الأنبياء، الباب الأخير: حدثنا أبو اليمان) عن أبى هريرة وأبى سعيد، ١٠١/٨ (كتاب الرقاق، باب الخوف من الله) عن حذيفة وأبى سعيد؛ مسلم ٢١١٠/٤، ٢١١١ (كتاب التوبة، باب فى سعة رحمة الله) حديث ٢٥، ٢٧ . والحديث أيضا فى : سنن ابن ماجة ١٤٢١/٢ (كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)؛ المسند (ط. الحلبي) ٧٧/٣ - ٧٨، ٤/٥، ٣٨٣، ٤٠٧ - ٤٠٨ .

(٢) سقطت كلمة فصل من (ح)، (د). وفى (ى): الفصل التاسع عشر.

(٣) فى (ك) ص ١٣٣ (م). (٤) يد: ساقطة من (ح). (٥) ك: وكان.

الوزير». قال^(١): «وهو يدل على أنه لم يكن صالحاً يرتضى لنفسه الإمامة»^(٢).

والجواب: أن هذا إن كان قاله^(٣) فهو أدل دليل^(٤) على أن علياً لم يكن هو الإمام؛ وذلك أن قائل هذا إنما يقوله خوفاً من الله أن يضيع حق الولاية، وأنه إذا ولى غيره، وكان وزيراً له، كان أبرأ لذمته. فلو كان علي هو الإمام، لكانت توليته لأحد الرجلين إضاعة للإمامة أيضاً، وكان يكون وزيراً لظالم غيره، وكان قد باع آخرته بدنياه غيره. وهذا لا يفعله من يخاف الله، ويطلب براءة ذمته.

وهذا كما لو كان الميت قد وصى بديون، فاعتقد الوارث أن المستحق لها شخص، فأرسلها إليه مع رسوله، ثم قال: ياليتني^(٥) أرسلتها مع من هو أدين منه؛ خوفاً أن يكون الرسول الأول مقصراً في الوفاء، تفريطاً أو خيانة. وهناك شخص حاضر يدعى أنه المستحق للدين دون ذلك الغائب، فلو علم الوارث أنه المستحق، لكان يعطيه ولا يحتاج إلى الإرسال به إلى ذلك الغائب.

﴿فصل﴾^(٦)

قال الرافضي^(٧): «وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في تابع كلام الرافضي

- (١) بعد الكلام السابق مباشرة. (٢) ك: يرتضى نفسه للإمامة. (٣) ح: أنه إن كان هذا قاله..
- (٤) ح، ر، ي: فهو من أدل دليل. (٥) ح، ب: قال ليتني.
- (٦) سقطت كلمة فصل من (ح)، (ر). وفي (ي): الفصل العشرون.
- (٧) في (ك) ص ١٣٣ (م).

مرض موته، مرة بعد اخرى، مكرراً لذلك: انفذوا^(١) جيش أسامة، لعن الله المتخلف عن جيش أسامة. وكان الثلاثة معه، ومنع أبو بكر عمر من ذلك».

الرد عليه

والجواب: أن هذا من الكذب المتفق على أنه كذب عند كل من يعرف السيرة^(٢)، ولم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر أو عثمان في جيش أسامة. وإنما روى ذلك في عمر. وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة، وقد استخلفه يصلي بالمسلمين مدة مرضه. وكان ابتداء مرضه من يوم الخميس إلى الخميس إلى يوم الإثنين، اثني عشر يوماً، ولم يقدّم في الصلاة بالمسلمين إلا أبا بكر بالنقل المتواتر، ولم تكن الصلاة التي صلاها أبو بكر بالمسلمين في مرض النبي صلى الله عليه وسلم صلاةً ولا صلاتين، ولا صلاة يوم ولا يومين، حتى يُظنّ ما تدعيه الرافضة من التلبيس، وأن عائشة قدّمته بغير أمره، بل كان يصلي بهم مدة مرضه؛ فإن الناس متفقون^(٣) على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل بهم في مرض موته إلا أبو بكر، وعلى أنه صلى بهم عدة^(٤) أيام. وأقل ما قيل: إنه صلى بهم سبع عشرة صلاة؛ صلى بهم صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة، وخطب بهم يوم الجمعة.

(١) انفذوا: كذا في (ب)، (ك). وفي سائر النسخ: نفذوا.

(٢) ح، ب: السير.

(٣) في هامش (ر)، (ي) كتب ما يلي: «وجد في الأصل مكتوب بخط مصنفه من هنا إلى عند قوله: لكن خرج النبي».

(٤) ح، ب: مدة.

هذا مما تواترت به الأحاديث الصحيحة، ولم يزل يصلّي بهم إلى فجر يوم الاثنين: صلّي بهم صلاة الفجر، وكشف النبي صلى الله عليه وسلم الستارة، فرآهم يصلّون خلف أبي بكر، فلما رأوه كادوا / يفتنون في صلاتهم، ثم أرخى الستارة. وكان ذلك آخر عهدهم به، وتوفى يوم الاثنين حين اشتد الضحى قريبا من الزوال.

وقد قيل: إنه صلّي بهم أكثر من ذلك من^(١) الجمعة التي قبل^(٢)؛ فيكون قد صلّي بهم مدة مرضه كلها، لكن^(٣) خرج النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة واحدة لما وجد خفة في نفسه، فتقدّم وجعل أبا بكر عن يمينه، فكان أبو بكر يأتّم بالنبي صلى الله عليه وسلم^(٤)، والناس يأتّمون بأبي بكر، وقد كشف الستارة يوم الاثنين، صلاة الفجر، وهم يصلّون خلف أبي بكر، ووجهه صلى الله عليه وسلم كأنه ورقة مصحف، فسُرّ بذلك لما رأى اجتماع الناس في الصلاة خلف أبي بكر، ولم يروّه بعدها. وقد قيل: إن آخر صلاة صلّاها كانت خلف أبي بكر. وقيل: صلّي خلفه غيرها.

فكيف يُتصور أن يأمره بالخروج في الغزاة وهو يأمره بالصلاة بالناس!؟

- (١) من: ساقطة من (ح)، (ب).
- (٢) ح، ب: التي قيل. وبعد «قبل» يوجد بياض بمقدار كلمة في (ي).
- (٣) في هامش (ر) أمام هذا الموضع كتب: «كتب إلى هنا دون بخط المصنف في أصل الأصل».
- (٤) عند عبارة «صلى الله عليه وسلم» تنتهي ص ٢٤١ في نسخة (ي) وكتب في أسفل الصفحة ما يلي: «اعلم أن الذي يلي ربط آخر هذه الورقة، وهو قوله: «والناس» أول الورقة السادسة بعده فتبّه». ووجدت هذه الصفحة في غير مكانها في نسخة (ي) إذا جاءت في ص ٢٥٢.

وأيضاً فإنه جهّز جيش أسامة قبل أن يمرض؛ فإنه أمره على جيش عامتهم المهاجرون؛ منهم عمر بن الخطاب في آخر عهده صلى الله عليه وسلم، وكانوا^(١) ثلاثة آلاف، وأمره أن يغير على أهل مؤتة، وعلى جانب فلسطين، حيث أصيب أبوه، وجعفر، وابن رواحة. فتجهّز أسامة ابن زيد للغزو، وخرج في ثقله إلى الجرف، وأقام بها أياماً لشكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة فقال: «اغد على بركة الله والنصر والعافية / ثم أغر^(٢) حيث أمرتك أن تغير». قال أسامة: يارسول الله قد أصبحت ضعيفاً، وأرجو أن يكون الله قد عافاك، فأذن لي فأمكث حتى يشفيك الله، فإني إن خرجت وأنت على هذه الحالة خرجت وفي نفسي منك قرحة، وأكره أن أسأل عنك الناس» فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بأيام، فلما جلس أبو بكر للخلافة أنفذه مع ذلك الجيش، غير أنه استأذنه في^(٣) أن يأذن لعمر بن الخطاب في الإقامة؛ لأنه ذو رأى ناصح للإسلام، فأذن له، وسار أسامة لوجهه الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأصاب في ذلك^(٤) العدو مصيبة عظيمة، وغنم هو وأصحابه، وقتل قاتل أبيه، وردّهم الله سالمين إلى المدينة.

ظ ٢٢٦

(١) ح، ب: وكان.

(٢) ن، م: ثم أغر.

(٣) في: ساقطة من (ح)، (ر).

(٤) ذلك: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي).

وإنما أنفذ جيش أسامة أبو بكر الصديق بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: لا أجل رايةً عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأشار عليه غير واحد أن يردَّ الجيش خوفاً عليهم؛ فإنهم خافوا أن يطمع الناس في الجيش بموت النبي صلى الله عليه وسلم، فامتنع أبو بكر من ردِّ الجيش وأمر بإنفاذه. فلما رأهم الناس يغزون عقب موت النبي صلى الله عليه وسلم، كان ذلك مما أيدَّ الله به الدين، وشدَّ به قلوب المؤمنين، وأذلَّ به الكفار والمنافقين، وكان ذلك من كمال معرفة أبي بكر الصديق وإيمانه وبقينه وتدييره [ورأيه]^(١).

﴿فصل﴾^(٢)

قال الرافضي^(٣): «وأيضاً لم يُؤلَّ النبي صلى الله عليه وسلم أبابكر ألبتة عملاً في وقته، بل ولَّى عليه عمرو بن العاص تارة وأسامة أخرى. ولما أنفذه^(٤) بسورة «براءة» ردَّه بعد ثلاثة أيام بوحي من الله، وكيف يرتضى^(٥) العاقل إمامة من لا يرتضيه النبي^(٦) صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لأداء عشر آيات من «براءة»؟!».

(١) ورأيه: ساقطة من (ن).

(٢) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفي (ي): الفصل الحادي والعشرون.

(٣) في (ك) ص ١٣٤ (م).

(٤) أنفذه: كذا في (ب)، (ك). وفي سائر النسخ: نفَّذه.

(٥) ح، م، ر، ي، ب: يرضى.

(٦) ح، ب، ي، ر: رسول الله.

تابع كلام
الرافضي عل
أبي بكر رضي الله
عنه

والجواب : أن هذا من أئبن الكذب؛ فإنه من المعلوم المتواتر عند

أهل التفسير والمغازى والسير والحديث والفقہ وغيرهم : أن النبى صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر عنى الحج عام تسع ، وهو أول حج كان فى الإسلام من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن قبله حج فى الإسلام ، إلا الحجة التى أقامها عتاب بن أسيد بن أبى العاص بن أمية من مكة ؛ فإن مكة فتحت سنة ثمان ، وأقام الحج ذلك العام عتاب بن أسيد ، الذى استعمله النبى صلى الله عليه وسلم على أهل مكة ، ثم أمر أبا بكر سنة تسع للحج ، بعد رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، وفيها أمر أبا بكر بالمناداة فى الموسم : أن لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . ولم يؤمر النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر على مثل هذه الولاية ؛ فولاية أبى بكر كانت من خصائصه ، فإن النبى صلى الله عليه / وسلم لم يؤمر على الحج أحدا كتأمير أبى بكر ، ولم يستخلف على الصلاة أحدا كاستخلاف أبى بكر ، وكان على من رعيتة فى هذه الحجة ؛ فإنه لحقه فقال : أمير أو^(١) مأمور ؟ فقال على : بل مأمور . وكان على يصلى خلف أبى بكر مع سائر المسلمين فى هذه الولاية ، ويأتمر لأمره كما يأتمر له سائر من معه ، ونادى على مع الناس^(٢) فى هذه الحجة بأمر أبى بكر .

وأما ولاية غير أبى بكر فكانت مما يشاركه فيها غيره ، كولاية على

(١) ب (فقط) : أم .

(٢) بعد كلمة «الناس» فى أسفل نسخة (ى) كتب ما يلى : «اعلم أن ربط هذه الورقة وهو قوله :

فى هذه الحجة ، فى الورقة الخامسة قبل هذه الورقة» . ووجدت الكلام التالى فى

وغيره؛ فلم يكن لعلّى ولاية إلا ولغيره مثلها، بخلاف ولاية أبى بكر، فإنها من خصائصه، ولم يولّ النبي صلى الله عليه وسلم على أبى بكر لا أسامة بن زيد ولا عمرو بن العاص.

فأما تأمير أسامة عليه فمن^(١) الكذب المتفق على كذبه.

وأما قصة عمرو بن العاص، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان أرسل عمراً فى سرية، وهى غزوة ذات السلاسل^(٢)، وكانت إلى بنى عذرة، وهم أخوال عمرو، فأمر عمراً ليكون ذلك سبباً لإسلامهم، للقرابة التى له منهم. ثم أردفه بأبى عبيدة، ومعه أبو بكر وعمر وغيرهما من المهاجرين. وقال: «تطاوعا ولا تختلفا» فلما لحق عمراً قال: أصلى بأصحابى وتصلّى بأصحابك. قال: بل أنا أصلى بكم؛ فإنما أنت مدد لى. فقال له أبو عبيدة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أطاوعك، فإن عصيتنى أطعتك. قال: فإنى أعصيك. فأراد عمرو أن ينازعه فى ذلك، فأشار عليه أبو بكر أن لا يفعل^(٣). ورأى أبو بكر أن ذلك أصلح للأمر، فكانوا يصلّون خلف عمرو، مع علم كل أحد^(٤) أن أبى بكر وعمراً وأبا عبيدة أفضل من عمرو^(٥).

(١) ح، ب: فهو من..

(٢) قال ابن القيم فى «زاد المعاد» ٣/٣٨٦: «وهى وراء وادى القرى بضم السين الأولى وفتحها لغتان، وبينها وبين المدينة عشرة أيام، وكانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان» ثم قال ٣/٣٨٧: «وذكر ابن إسحاق نزولهم على ماء لجذام يقال له: السلسل. وقال: وبذلك سميت ذات السلاسل».

(٣) ح، ب: أبو بكر لا تفعل؛ ر، ي: أبو بكر أن لا تفعل. (٤) ح، ب: كل واحد.

(٥) عبارة «تطاوعا ولا تختلفا» من كلام النبي صلى الله عليه وسلم لم ترد فى هذا الحديث وإنما جاءت فى حديث آخر عن سعيد بن أبى بردة عن أبىه عن جده أن النبي صلى الله عليه

وكان ذلك لفضلهم^(١) وصلاحهم؛ لأن عمراً كانت إمارته قد تقدمت لأجل ما في ذلك من تألف^(٢) قومه الذين أرسل إليهم لكونهم أقرابه. ويجوز تولية المفضل لمصلحة راجحة، كما أمر أسامة بن زيد، ليأخذ بئار أبيه زيد بن حارثة، لما قُتل في غزوة مؤتة. فكيف والنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر على أبي بكر أحداً في شيء من الأمور؟! بل قد علم بالنقل العام المتواتر أنه لم يكن أحد عنده أقرب إليه^(٣) ولا أخص به، ولا أكثر اجتماعاً به ليلاً ونهاراً، سرا وعلانية، من أبي بكر،

وسلم بعث معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن وقال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشراً ولا تنفرا، وتطوعاً ولا تخلفاً». وهذا الحديث في البخاري في كتاب الأحكام والجهاد والأدب والمغازي (في طبعة د. البغا في الأرقام: ٢٨٧٣، ٤٠٨٦ - ٤٠٨٨، ٥٧٧٣، ٦٧٥١) وهو في مسلم ١٣٥٨/٣ - ١٣٥٩ (كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفيذ وهو في: المسند (ط. الحلبي) ٤/٤١٢، ٤١٧. وأما حديث غزوة السلاسل فهو عن عامر (الشعبي) في: المسند (ط. المعارف) ٣/١٥١ ونصه: قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش ذات السلاسل، فاستعمل أبا عبيدة على المهاجرين، واستعمل عمرو بن العاص على الأعراب، فقال لهما: تطوعاً. قال: وكانوا يؤمرون أن يغيروا على بكر، فانطلق عمرو فأغار على قضاة، لأن بكرأ أحواله، فانطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك علينا، وإن ابن فلان قد ارتبج أمر القوم، وليس لك معه أمر. فقال أبو عبيدة: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن نتطوع، فأنا أطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن عصاه عمرو. قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «إسناده ضعيف لإرساله. عامر: هو ابن شراحيل الشعبي، وهو إمام كبير تابعي ثقة حجة: ولكنه لم يدرك عمراً... فأولى أن لم يدرك أبا عبيدة... ارتبج أمر القوم: أي انتظر أن يؤمر عليهم». وانظر خبر الغزوة في (زاد المعاد) ٣/٣٨٦ - ٣٨٧؛ سيرة ابن هشام ٤/٢٧٢ - ٢٧٤؛ إمتاع الأسماع، ص ٣٥٢ - ٣٥٤.

(١) ح، ب، ي: من فضلهم. (٢) ح، ب: من تأليف.

(٣) إليه: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي).

ولا كان أحد من الصحابة يتكلم بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم قبله ،
فيأمر وينهى ، ويخطب ويفتى ، ويقره النبي صلى الله عليه وسلم على
ذلك راضياً بما يفعل .

ولم يكن ذلك تقدماً بين يديه ، بل بإذن منه قد عَلِمَهُ ، وكان ذلك معونة
للنبي صلى الله عليه وسلم ، وتبليغا عنه ، وتنفيذا لأمره ؛ لأنه كان أعلمهم
/ بالرسول وأحبهم^(١) إلى الرسول واتبعهم له .

ص ٢٢٧

وأما قول الرافضي: إنه لما أنفذه ببراءة رده بعد ثلاثة أيام ؛ فهذا من
الكذب المعلوم أنه كذب . فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما أمر أبا بكر
على الحج ، ذهب كما أمره ، وأقام الحج في ذلك العام ، عام تسع ،
للناس ، ولم يرجع إلى المدينة حتى قضى الحج ، وأنفذ فيه ما أمره به
النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فإن المشركين كانوا يحجون البيت ، وكانوا
يطوفون بالبيت عراة ، وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين
المشركين عهود مطلقة ، فبعث أبا بكر وأمره أن ينادى : أن لا يحج بعد
العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عُريان . فنادى بذلك من أمره أبو بكر
بالنداء ذلك العام ، وكان عليّ بن أبي طالب من جملة من نادى بذلك
في الموسم بأمر أبي بكر ، ولكن لما خرج أبو بكر أرفه النبي صلى الله
عليه وسلم بعليّ بن أبي طالب لينبذ إلى المشركين العهود .

قالوا: وكان من عادة العرب أن لا يعقد العهود ولا يفسخها إلا
المطاع ، أورجل من أهل بيته . فَبَعَثَ عَلِيًّا لِأَجْلِ فسخ العهود التي كانت
مع المشركين خاصة ، لم يبعثه لشيء آخر . ولهذا كان عليّ يصلي خلف

(١) ح ، ر ، ي : وأحصهم .

أبى بكر، ويدفع بدفعه فى الحج، كسائر رعية أبى بكر الذين كانوا معه فى الموسم.

وكان هذا بعد غزوة تبوك، واستخلافه له فيها على من تركه بالمدينة، وقوله له: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟

ثم بعد هذا أمر أبى بكر على الموسم، وأردفه بعلّى مأموراً عليه لأبى بكر الصديق رضى الله عنه. وكان هذا مما دل على أن علياً لم يكن خليفة له، إلا مدة مغيبه عن المدينة فقط. ثم أمر أبى بكر عليه عام تسع. ثم إنه بعد هذا بعث علياً وأبى موسى الأشعري ومُعَاذاً إلى اليمن، فرجع على / وأبو موسى إليه، وهو بمكة فى حجة الوداع، وكل منهما قد أهلّ بإهلال النبى صلى الله عليه وسلم. فأما معاذ فلم يرجع إلا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم، فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

١٢٤ / ٣

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضى^(٢): «وقطع يسار سارق^(٣)، ولم يعلم أن القطع

لليد اليمنى»^(٤).

والجواب: أن قول القائل: إن أبى بكر يجهلُ هذا، من أظهر الكذب. ولو قُدِّر أن أبى بكر كان يجيز ذلك، لكان ذلك^(٥) قولاً سائغاً؛

تابع كلام
الرافضى على
أبى بكر رضى
الله عنه

الرد عليه

(١) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الثانى والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٣) ح، ر، ن، م، ى: يد سارق؛ ب: يد السارق. والمثبت من (ك).

(٤) ر، م: اليمنى. (٥) ذلك: ساقطة من (ح)، (ب).

لأن القرآن ليس في ظاهره ما يعين اليمين، لكن تعيين^(١) اليمين في قراءة ابن مسعود: «فاقطعوا أيمانهما» وبذلك مضت السنة. ولكن أين النقل بذلك عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قطع اليسرى؟ وأين الإسناد الثابت بذلك؟ وهذه كتب أهل العلم بالآثار موجودة ليس فيها ذلك، ولا نقل أهل العلم بالاختلاف ذلك^(٢) قولا، مع تعظيمهم لأبي بكر رضى الله عنه.

﴿فصل﴾^(٣)

قال الرافضى^(٤): «وأحرق الفجاءة السلمى بالنار، وقد نهى

النبي صلى الله عليه وسلم عن^(٥) الإحراق بالنار».

الجواب: أن الإحراق بالنار عن عليّ أشهر وأظهر منه عن أبي بكر. [وأنه قد ثبت] فى الصحيح^(٦) أن علياً أتى بقوم زنادقة من غلاة الشيعة، فحرقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار، لنهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يُعذَّب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من بدّل دينه فاقتلوه»^(٧).

(١) ر: تعين.

(٢) ن، م: بالاختلاف فى ذلك.

(٣) سقطت كلمة «فصل» من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل الثالث والعشرون.

(٤) فى (ك) ص ١٣٤ (م).

(٥) ك: من. (٦) ى: فإنه قد ثبت فى الصحيح؛ ن، م: فى الصحيح.

(٧) سبق الحديث فيما مضى ٣٠٧/١. وفى هامش (ر)، (ى) أمام هذا الموضع كتب: «ومما

قال فى ذلك عليّ:

لما رأيت الأمر أمرا منكرا .. أجمت نارى ودعوت قنبرا»

فبلغ ذلك علياً، فقال: ويح ابن أم الفضل ما أسقطه على الهنات .
 فعلى حرق جماعة بالنار. فإن كان ما فعله أبو بكر منكراً، ففعل على
 أنكر منه، وإن كان فعل على مما لا يُنكر مثله على الأئمة، فأبو بكر أولى
 أن لا يُنكر عليه .

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضي^(٢): «وخفي عليه أكثر أحكام الشريعة، فلم^(٣)
 يعرف حكم الكلاله، وقال: أقول فيها برأى، فإن يك^(٤) صواباً
 فمن الله، وإن يك^(٥) خطأ فمضى ومن الشيطان . وقضى في الجد
 بسبعين قضية . وهو يدل على قصوره في العلم» .

تابع كلام
الرافضي

والجواب: أن هذا من أعظم البهتان . كيف^(٦) يخفى عليه أكثر
 أحكام الشريعة، ولم يكن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم من يقضى
 ويقتى إلا هو؟! ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مشاورة لأحدٍ
 من أصحابه^(٧) منه له ولعمر . ولم يكن أحدٌ أعظم اختصاصاً بالنبي صلى
 الله عليه وسلم منه ثم عمر .

الرد عليه

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (و). وفي (ي): الفصل الرابع والعشرون .

(٢) في (ك) ص ١٣٤ (م) .

(٣) ح، ب، ن، م: ولم .

(٤) ح، ب: يكن؛ ك: كان .

(٥) ك: كان .

(٦) ب: وكيف .

(٧) ن، م: من الصحابة .

وقد ذكر غير واحد، مثل منصور بن عبد الجبار السمعاني وغيره، إجماع أهل العلم على أن الصديق أعلم الأمة. وهذا بين، فإن الأمة لم تختلف في ولايته في مسألة إلا فصلها هو بعلم يبينه لهم، وحجة يذكرها لهم من الكتاب والسنة. كما بين لهم موت النبي صلى الله عليه وسلم، وتبئيتهم على الإيمان، وقراءته عليهم الآية^(١)، ثم بين لهم موضع دفنه، وبين لهم قتال مانعي الزكاة [لما استراب فيه عمر]^(٢)، وبين لهم أن الخلافة في قريش في سقيفة بني ساعدة، لما ظن من ظن أنها تكون في غير قريش.

وقد استعمله النبي صلى الله عليه وسلم على أول حجة حجت من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. وعلم المناسك أدق ما^(٣) في العبادات، ولولا سعة علمه بها لم يستعمله. وكذلك الصلاة استخلفه فيها، ولولا علمه بها لم يستخلفه. ولم يستخلف غيره لا في حج ولا في صلاة.

وكتاب الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه أنس من أبي بكر. وهو أصح ما روى فيها، وعليه اعتمد الفقهاء.

وفي الجملة لا يُعرف لأبي بكر مسألة من الشريعة غلط فيها، وقد عُرف لغيره مسائل كثيرة، كما بسط في موضعه.

وقد تنازعت الصحابة بعده في مسائل: مثل الجد والإخوة، ومثل

(١) في هامش (ر)، (ي) كتب أمام هذا الموضع: «وما محمد إلا رسول.. الآية».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م). (٣) ما: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي).

العمريتين، ومثل العَوْل^(١)، وغير ذلك من مسائل^(٢) الفرائض. وتنازعوا في مسألة^(٣) الحرام، والطلاق الثلاث بكلمة، والخلية^(٤)، والبرية^(٥)، والبتة^(٦)، وغير ذلك من مسائل الطلاق.

وكذلك تنازعوا في مسائل^(٧) صارت مسائل نزاع بين الأمة إلى اليوم. وكان تنازعهم في خلافة عمر نزاع اجتهاد محض: كل منهم يقرُّ صاحبه على اجتهاده، كتنازع^(٨) الفقهاء أهل العلم والدين. وأما في خلافة عثمان فقوى النزاع في بعض الأمور، حتى صار يحصل كلام غليظ من بعضهم لبعض. ولكن لم يقاتل / بعضهم بعضا باليد^(٩) ولا بسيف ولا غيره.

وأما في خلافة عليّ فتغلّظ النزاع، حتى تقاتلوا بالسيوف.

(١) ن: العزل، وهو تحريف. وفي «التعريفات» للجرجاني: «الميل إلى الجور والرفع. وفي الشرع: زيادة السهام على الفريضة، فتعول المسألة إلى سهام الفريضة، فيدخل النقصان عليهم بقدر حصصهم». وفي «المعجم الوسيط»: «والعول (في علم الفرائض): زيادة الأنصاء على الفريضة فتنقص قيمتها بقدر الحصص».

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) ن: مسائل.

(٣) في «المعجم الوسيط»: «والخلية كلمة من كنايات الطلاق. يقال للمرأة: أنت خلية: إذا نوى القائل بها الطلاق وقع».

(٤) في «المحلّى» لابن حزم ١٨٦/١٠ (ط. المنيرية، ١٣٥٢): «وما عدا هذه الألفاظ فلا يقع بها طلاق البتة، نوى بها طلاقاً أولم ينو، لا في فتياً ولا في قضاء، مثل الخلية والبرية، وأنت مبرأة، وقد بارأتك، وحبلك على غاربك، والحرج، وقد وهبتك لأهلك، أولمن يذكر غير الأهل...».

(٥) في «المعجم الوسيط»: «بت طلاق امرأته: جعله بئناً، لا رجعة فيه». وانظر المحلّى ١٨٧/١٠ - ١٩٤.

(٦) ب (فقط): بيد.

(٧) ن، م: كسائر.

وأما فى خلافة أبى بكر فلم يُعلم أنه استقر بينهم نزاع فى مسألة واحدة من مسائل الدين . وذلك لكمال علم الصديق وعدله ومعرفته بالأدلة التى تزىل النزاع ، فلم يكن يقع بينهم نزاع إلا أظهر الصديق من الحججة التى تفصل النزاع ما يزول معها^(١) النزاع . وكان عامة الحجج الفاصلة للنزاع يأتى بها الصديق ابتداءً ، وقليل من ذلك يقوله عمر أو غيره ، فيقره أبو بكر الصديق .

وهذا مما يدل على أن الصديق ورعيته أفضل من عمر ورعيته ، وعثمان ورعيته ، وعلى ورعيته ؛ فإن أبا بكر ورعيته أفضل الأئمة والأمة بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم الأقوال التى خولف فيها الصديق بعد موته ، قوله فيها أرجح من قول من خالفه بعد موته . وطرد ذلك الجد والإخوة ؛ فإن قول الصديق وجمهور الصحابة وأكابرهم أنه يسقط الإخوة ، وهو قول طوائف^(٢) من العلماء ، وهو مذهب أبى حنيفة ، وطائفة من أصحاب الشافعى وأحمد ، كأبى العباس بن سريج من الشافعية ، وأبى حفص البرمكى من الحنابلة ، ويذكر ذلك رواية عن أحمد .

والذين قالوا بتوريث الإخوة مع الجد ، كعلّى وزيد وابن مسعود ، اختلفوا^(٣) اختلافاً معروفاً ، وكل منهم قال قولاً خالفه فيه الآخر ، وانفرد بقوله عن سائر الصحابة . وقد بسطنا الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع

(١) ب : ما يزول به ؛ ح : ما يزول معه .

(٢) ن ، ر : طائفة .

(٣) ح ، ر ، ي : واختلفوا .

فى مصنف مفرد، وبينا أن قول الصديق وجمهور الصحابة هو الصواب، وهو القول الراجح الذى تدل عليه الأدلة الشرعية من وجوه كثيرة، [ليس هذا موضع بسطها]^(١).

وكذلك ما كان عليه الأمر فى زمن صديق الأمة رضى الله عنه من جواز فسح الحج إلى العمرة بالتمتع، وأن من طلق ثلاثا بكلمة واحدة لا يلزمه إلا طلقة واحدة هو الراجح، دون من يحرم الفسخ ويلزم بالثلاث؛ فإن الكتاب والسنة إنما يدل على ما كان عليه الأمر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر، دون القول المخالف لذلك.

ومما يدل على كمال حال الصديق، وأنه أفضل من كل من ولى الأمة، بل ومن ولى غيرها من الأمم بعد الأنبياء، أنه من المعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الأولين والآخرين، وأفضل من سائر الخلق من جميع العالمين.

وقد ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى، وسيكون خلفاء ويكثرون». قالوا: يارسول الله فما تأمرنا؟ قال: «فوا^(٢) بيعة الأول فالأول»^(٣).

ومن المعلوم أنه^(٤) من تولى بعد الفاضل إذا كان فيه نقص كثير عن

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م). وذكر ابن عبد الهادى فى «العقود الدرية» ص ٥٩

من مؤلفات ابن تيمية: «وله مسألة فى أن الجد يسقط الإخوة»، وهذه مسألة مفردة لم تنشر فيما أعلم. وقد أجاب ابن تيمية عن هذا المسألة ضمن إجابته عن سؤال آخر فى

ص ٣٤٢ - ٣٤٣ من مجلد ٣١ من فتاوى الرياض. (٢) ح، ب: أوفوا.

(٣) مضى هذا الحديث من قبل ١١٧/١. (٤) ب (فقط): أن.

سياسة الأول، ظهر ذلك^(١) النقص ظهوراً بيننا. وهذا معلوم من حال الولاية إذا تولّى ملك بعد ملك، أو قاضٍ بعد قاضٍ، أو شيخ بعد شيخ، أو غير ذلك؛ فإن الثاني إذا كان ناقص الولاية نقصاً بيننا ظهر ذلك فيه، وتغيرت الأمور التي كان الأول قد نظّمها وألّفها. ثم الصديق تولّى بعد أكمل الخلق سياسة، فلم يظهر في الإسلام نقص بوجه من الوجوه، بل قاتل المرتدين حتى عاد الأمر إلى ما كان [عليه]^(٢)، وأدخل الناس في الباب الذي خرجوا منه، ثم شرع في قتال الكفار من أهل الكتاب، وعلم الأمة ما خفي عليهم، وقواهم لما ضعفوا، وشجعهم لما جنبوا، وسار فيهم سيرة توجب صلاح دينهم ودنياهم، فأصلح الله بسببه الأمة في علمهم وقدرتهم ودينهم، وكان ذلك مما حفظ الله به على الأمة دينها، وهذا مما يحقق أنه أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما قول الرافضى: «لم يعرف حكم الكلاله حتى قال فيها

برأيه».

فالجواب: أن هذا من أعظم علمه. فإن هذا الرأى الذى رآه فى الكلاله قد اتفق عليه جماهير العلماء بعده؛ فإنهم أخذوا فى الكلاله بقول أبى بكر، وهو من لا ولد له ولا والد، والقول بالرأى هو معروف عن سائر الصحابة، كأبى بكر وعمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل، لكن الرأى الموافق للحق هو الذى يكون لصاحبه

(١) ح، ب: ظهر لك.

(٢) عليه: ساقطة من (ن)، (ح)، (و)، (ى).

أجران، كراى الصديق، فإن هذا خير من الراى الذى غاية صاحبه أن يكون له أجر واحد.

وقد قال قيس بن عبّاد لعلّى: رأيت مسيرك / هذا: ألعهد عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم رأى رأيته؟ فقال: بل رأى رأيته. رواه أبو داود وغيره^(١).

فإذا كان مثل هذا الراى الذى حصل به من سفك الدماء ما حصل، لا يمنع صاحبه أن يكون إماماً، فكيف بذلك الراى / الذى اتفق جماهير العلماء على حسنه.

وأما ما ذكره من قضائه فى الجدل^(٢) بسبعين قضية، فهذا كذب. وليس هو قول أبى بكر، ولا نُقل هذا عن [أبى بكر]^(٣)، بل نُقل هذا عن أبى

(١) جاء هذا الحديث عن قيس بن عبّاد مرتين فى: مسلم ٢١٤٣/٤ - ٢١٤٤ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، أول الكتاب الحديثان رقم ٩، ١٠) ونص الرواية الأولى.. قلت لعمار: رأيتكم صنعكم هذا الذى صنعتم فى أمر على، رأياً رأيتموه أو شيئاً عهده إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما عهد إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لم يعهده إلى الناس كافة، ولكن حذيفة أخبرنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم: «فى أصحابى اثنا عشر منافقاً، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة وأربعة» لم أحفظ ما قال شعبة فيهم. قال النووى فى شرحه على مسلم ١٧/١٢٥: «أما قوله صلى الله عليه وسلم «فى أصحابى» فمعناه الذين ينسبون إلى صحبتى، كما قال فى الرواية الثانية: «فى أمتى» وسم الخياط بفتح السين وضمها وكسرها، الفتح أشهر، وبه قرأ القراء السبعة، وهو ثقب الأبرة... وأما الدبيلة فبدال مهملة ثم باء موحدة، وقد فسرها فى الحديث بسراج من نار... وجاء الحديث مختصراً كما ذكره ابن تيمية هنا فى: سنن أبى داود ٣٠٠/٤ (كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الكلام فى الفتنة).

(٢) ن: الحديث، وهو تحريف.

(٣) ن، م: عنه.

بكر يدل على غاية جهل هؤلاء الروافض وكذبهم، ولكن نقل بعض الناس عن عمر أنه قضى في الجد بسبعين قضية، ومع هذا هو باطل^(١) عن عمر؛ فإنه لم يمت في خلافته سبعون جداً كل منهم كان لابن ابنه إخوة، وكانت تلك الوقائع تحتمل سبعين قولاً مختلفة، بل هذا الاختلاف لا يحتمله كل جد في العالم^(٢)، فعلم أن هذا كذب.

وأما مذهب أبي بكر في الجد؛ فإنه جعله أباً، وهو قول بضعة عشر من الصحابة، وهو مذهب كثير من الفقهاء [كأبي حنيفة وطائفة من أصحاب الشافعي وأحمد، كأبي حفص البرمكي، ويذكر رواية عن أحمد]^(٣) كما تقدم^(٤)، وهو أظهر القولين في الدليل.

ولهذا يُقال: لا يُعرف لأبي بكر خطأ في الفتيا، بخلاف غيره من الصحابة؛ فإن قوله^(٥) في الجد أظهر القولين. والذين ورثوا الإخوة مع الجد، وهم عليّ وزيد وابن مسعود وعمر، في إحدى الروايتين عنه، تفرّقوا في ذلك. وجمهور الفقهاء على قول زيد، وهو قول مالك والشافعي وأحمد، فالفقهاء في الجد: إما على قول أبي بكر، وإما على قول زيد الذي أمضاه عمر. ولم يذهب أحد من أئمة الفتيا إلى قول عليّ في الجد. وذلك مما يبين أن الحق لا يخرج عن أبي بكر وعمر؛ فإن زيدا قاضى عمر، مع أن قول أبي بكر أرجح من قول زيد.

(١) ن، م، ي: مع أن هذا باطل؛ ر: مع هذا باطل.

(٢) ن، م: في العلم.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م)، (ب).

(٤) عبارة «كما تقدم» في (ن)، (م)، (ب) فقط. (٥) ح: قولهم؛ وهو خطأ.

وعمر كان متوقفاً في الجد، وقال: «ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يئنهن لنا: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا»^(١).
 وذلك لأن الله تعالى سمي الجد أباً في غير موضع من كتابه، كما قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ أَبْوَابَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [سورة الاعراف: ٢٧]، وقوله: ﴿مَلَّةَ أَيُّكُمْ إِبرَاهِيمَ﴾ [سورة الحج: ٧٨]. وقد قال: ﴿يَابَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ﴿يَابَنِي آدَمَ﴾ في غير موضع.

وإذا كان ابن الابن ابناً، كان أبو الأب أباً، ولأن الجد يقوم مقام الأب في غير مورد النزاع، فإنه يسقط ولد الأم كالأب، ويقدم على جميع العصبات سوى البنين كالأب، ويأخذ مع الولد السدس كالأب، ويجمع له بين الفرض والتعصيب مع البنات كالأب.

وأما في العمريتين زوج وأبوين، وزوجة^(٢) وأبوين؛ فإن الأم تأخذ ثلث الباقي، والباقي للأب^(٣)، ولو كان معها^(٤) جد لأخذت الثلث كله عند جمهور الصحابة والعلماء، إلا ابن مسعود، لأن الأم أقرب من الجد،

(١) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه في: البخارى ١٠٦/٧ (كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب) ونصه: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خطب عمر على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنه قد نزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء الحديث وفيه «وثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا عهداً: الجد والكلالة وأبواب من الربا... الحديث، وهو - مع اختلاف في اللفظ - في: مسلم ٢٣٢٢/٤ (كتاب التفسير، باب في نزول تحريم الخمر)؛ سنن أبي داود ٤٤٤/٣ (كتاب الأشربة، باب في تحريم الخمر)

(٢) ب (فقط): أوزوجة.

(٣) ن، م: للجد.

(٤) ح، ر، ي: معها.

وإنما الجدّة نظير الجد، والأم تأخذ مع الأب الثلث، والجدّة لا تأخذ مع الجد إلا السدس، وهذا مما يقوى به الجد، ولأن الإخوة مع الجد الأدنى، كالأعمام مع الجد الأعلى.

وقد اتفق المسلمون على أن الجد الأعلى يقدم على الأعمام، فكذلك الجد الأدنى يقدم على الإخوة، لأن نسبة الإخوة إلى الجد الأدنى، كنسبة الأعمام إلى الجد الأعلى، ولأن الإخوة لو كانوا لكونهم بنى الأب^(١) يشاركون الجد، لكان بنو الإخوة كذلك، كما يقوم بنو البنين مقام آبائهم. ولما كان بنو الإخوة لا يشاركون الجد، كان آبائهم الإخوة كذلك، وعكسه البنون: لما كان الجد يُفرض له مع البنين، فُرض له مع بنى البنين^(٢).

وأما الحجة التي تُورى عن عليّ وزيد في أن الإخوة يشاركون الجد، حيث شَبَّهوا ذلك بأصل شجرة خرج منها فرع، خرج منه غصنان، فأحد الغصنين أقرب إلى الآخر منه إلى الأصل، وينهر خرج منه نهر آخر، ومنه جدولان، فأحدهما إلى الآخر أقرب^(٣) من الجدول إلى النهر الأول.

فمضمون هذه الحجة أن الإخوة أقرب إلى الميت من الجد. ومن تدبّر أصول الشريعة علم أن حجة أبي بكر وجمهور الصحابة لا تعارضها هذه الحجة؛ فإن هذه لو كانت صحيحة لكان بنو الأخ أولى من الجد، وكان العم أولى من جد الأب. فإن نسبة الإخوة من الأب إلى

(١) ن، م: لكونهم من الأب.

(٢) ح: مع ابن البنين.

(٣) ر: فأحدهما أقرب إلى الآخر.

الجد أبى الأب، كنسبة الأعمام بنى الجد إلى الجد الأعلى جد الأب، فلما أجمع المسلمون على أن الجد الأعلى أولى من الأعمام، كان الجد الأدنى أولى من الإخوة.

وهذه حجة مستقلة تقتضى ترجيح الجد على الإخوة.

وأیضا فالقائلون بمشاركة الإخوة للجد لهم أقوال / متعارضة متناقضة، لا دليل على شىء منها، كما یعرف ذلك من یعرف الفرائض، فعلم أن قول أبى بكر فى الجد أصح الأقوال، كما أن قوله دائما أصح الأقوال.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضى^(٢) : «فأى نسبة له بمن قال^(٣) : سلونى قبل أن تفقدونى، سلونى عن طرق السماء فإنى أعرف بها من طرق الأرض^(٤) . قال أبو البخترى : رأيت عليا صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، متقلدا بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، "متعمما"^(٥) بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى إصبغه^(٦) خاتم رسول الله صلى

تابع كلام
الرافضى وفيه
الكلام على علم
على رضى الله
عنه

(١) فصل : ساقطة من (ح)، (و). وفى (ى) : الفصل الخامس والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٤ (م) - ١٣٥ (م).

(٣) ك : إلى من قال.

(٤) ك : .. الأرض، سلونى عما دون العرش.

(٥) : ما بين النجمتين ساقط من (ح)، (و).

(٦) ن، م، ب : معتما.

(٦) ن، م، ب : وفى يده.

الله عليه وسلم* ففعد على المنبر، وكشف^(١) عن بطنه، فقال: سلونى [من]^(٢) قبل أن تفقدونى، فإنما بين الجوانح منى علم جم، هذا سفظ^(٣) العلم، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا ما زقنى^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم زقاً^(٥) من غير وحيٍ إلى^(٦)، فوالله لو أنيت^(٧) لى وسادة فجلست / عليها لأفتيت أهل^(٨) التوراة بتوراتهم، وأهل^(٩) الإنجيل بإنجيلهم، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل فتقول^(١٠): صدق علىّ، قد أفتاكم بما أنزل الله فىّ، وأنتم تتلون الكتاب، أفلا تعقلون».

ظ ٢٢٨

الرد عليه

والجواب: أما قول علىّ: «سلونى» فإنما كان يخاطب بهذا^(١١) أهل الكوفة ليعلمهم العلم والدين؛ فإن غالبهم كانوا جهّالاً لم يدركوا النبى صلى الله عليه وسلم. وأما أبو بكر فكان الذين^(١٢) حول منبره هم أكابر

(١) ح، ر، ب: فكشف.

(٢) من: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) ن، م: ضغط، وهو تحريف.

(٤) ح، ب، م: رزقنى، وهو تحريف. وفى (ك): زقنى به.

(٥) ح، ب، م: رزقا.

(٦) ح، ب، ن، م، ي: من غير وحيٍ أوحى إلى.

(٧) لو أنيت: كذا فى (م)، (ك). وفى (ح)، (ر)، (ن)، (ي): بنيت. وفى (ب)، بيت.

(٨) ك: لأهل.

(٩) ك: ولأهل.

(١٠) ك: فيقول. وكتب بين السطور عبارة غير واضحة كأنها: «أى كل ورقة من التوراة والإنجيل».

(١٢) ح، م: الذى.

(١١) ر، ح، ي: بها.

أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الذين تعلموا من رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم والدين، فكانت رعية أبي بكر أعلم الأمة وأدينها. وأما الذين كان عليّ يخاطبهم فهم من جملة عوام الناس التابعين، وكان كثير منهم من شرار التابعين. ولهذا كان عليّ رضى الله عنه يذمهم ويدعو عليهم، وكان التابعون بمكة والمدينة والشام والبصرة خيراً منهم.

وقد جمع الناس الأفضية والفتاوى المنقولة عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، فوجدوا أضرّوها وأدلّها على علم صاحبها أمور أبي بكر ثم عمر. ولهذا كان ما يوجد من الأمور التي وُجد نصّ يخالفها عن عمر أقل مما وُجد عن عليّ، وأما أبو بكر فلا يكاد يوجد نصّ يخالفه، وكان هو الذى يفصل الأمور المشبهة عليهم، ولم يكن يُعرف منهم اختلاف على عهده. وعامة ما تنازعوا فيه من الأحكام كان بعد أبي بكر.

والحديث المذكور عن عليّ كذب ظاهر لا تجوز نسبة مثله إلى عليّ؛ فإن [عليّاً] (١) أعلم بالله وبدين الله من أن يحكم بالتوراة والإنجيل، إذ كان المسلمون متفقين على أنه لا يجوز لمسلم أن يحكم بين أحد إلا بما أنزل الله فى القرآن. "وإذا تحاكم اليهود والنصارى إلى المسلمين لم يجز لهم أن يحكموا [بينهم]" (٢) إلا بما أنزل الله فى القرآن، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ

(١) ن، م: فإنه.

(٢-٣) : ما بين النجمتين ساقط من (ح).

(٤) بينهم: فى (ب) فقط.

سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكُمْ ﴿ [سورة المائدة: ٤١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿ [سورة المائدة: ٤٢] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴿ [سورة المائدة: ٤٨] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَأَنْ أَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿ [سورة المائدة: ٤٩] (١).

وإذا كان من المعلوم بالكتاب والسنة والإجماع، أن الحاكم بين اليهود والنصارى لا يجوز أن يحكم بينهم إلا بما أنزل الله على محمد، سواء وافق ما بأيديهم (٢) من التوراة والإنجيل أو لم يوافق، كان من نسب علياً إلى أنه (٣) يحكم بالتوراة والإنجيل بين اليهود والنصارى، أو يفتيهم بذلك، ويمدحه بذلك: إما أن يكون من أجهل (٤) الناس بالدين، وبما يُمدح به صاحبه، وإما أن يكون / زنديقا ملحداً أراد القدح في عليّ ١٢٨ / ٣ بمثل هذا لكلام الذي يستحق صاحبه الذم والعقاب، دون المدح والثواب.

(١) ن، م: .. لفاسقون .. الآية.

(٢) ن، م: ما بين أيديهم.

(٣) ح، ر، ي، ب: إلى أن.

(٤) ر: من جهل.

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضى^(٢): «وروى البيهقى^(٣) بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه^(٤) قال: من أراد أن ينظر إلى آدم^(٥) فى علمه، وإلى نوح^(٦) فى تقواه، وإلى إبراهيم^(٧) فى حلمه^(٨)، وإلى موسى^(٩) فى هيئته، وإلى عيسى^(١٠) فى عبادته، فلينظر إلى على [بن أبى طالب]^(١١)، فأثبت له^(١٢) ما تفرَّق فىهم».

تابع كلام
الرافضى على
فضائل على
رضى الله عنه

والجواب: أن يقال: أولاً: أين إسناد هذا الحديث؟ والبيهقى يروى فى الفضائل أحاديث كثيرة ضعيفة، بل موضوعة، كما جرت عادة أمثاله من أهل العلم.

التعليق على
كلامه من وجوه
الوجه الأول

ويقال: ثانياً: هذا الحديث كذب موضوع على رسول الله صلى الله

الوجه الثانى

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفى (ى): الفصل السادس والعشرون.

(٢) فى (ك) ص ١٣٥ (م).

(٣) ن، م: روى البيهقى؛ ك: وعن البيهقى فى كتابه.

(٤) أنه: ليست فى (ك).

(٥) ك: آدم عليه السلام.

(٦) ك: نوح عليه السلام.

(٧) ك: إبراهيم عليه السلام.

(٨) ك: فى خلته.

(٩) ك: موسى عليه السلام.

(١٠) ك: عيسى عليه السلام.

(١١) بن أبى طالب: ساقطة من (ن).

(١٢) ك: بن أبى طالب عليه السلام، فأثبت له عليه السلام...

عليه وسلم بلا ريب عند أهل العلم بالحديث،^(١) ولهذا لا يذكره أهل العلم بالحديث، وإن كانوا حراساً على جمع فضائل عليّ، كالنسائي؛ فإنه قصد أن يجمع فضائل عليّ في كتاب سماه «الخصائص»، والترمذي قد ذكر أحاديث متعددة في فضائله، وفيها^(٢) ما هو ضعيف بل موضوع، ومع هذا لم يذكروا هذا ونحوه.

﴿فصل﴾^(٣)

قال الرافضي^(٤): «قال أبو عمر الزاهد: قال أبو العباس^(٥): لا نعلم أحداً قال بعد نبيه: «سلونى» من شيث^(٦) إلى محمدٍ إلا عليّ، فسأله الأكابر: أبو بكر وعمر وأشباههما^(٧)، حتى انقطع

تابع كلام
الرافضى على
علم عليّ رضی
الله عنه

(١) ذكر ابن الجوزى هذا الحديث الموضوع - مع اختلاف في بعض الألفاظ - في كتابه «الموضوعات» ٣٧٠/١ وقال: «هذا حديث موضوع، وأبو عمر متروك». وذكر الحديث وقال إنه موضوع كل من: السيوطى في «الآلء المصنوعة» ٣٥٥/١ - ٣٥٦ الشوكانى في «الفوائد المجموعة» ص ٣٦٧ - ٣٦٨ (وانظر تعليق المحقق)؛ وابن عراق الكنانى في «تنزيه الشريعة» ٣٨٥/١.

(٢) ب: ومنها.

(٣) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفي (ى): الفصل السابع والعشرون.

(٤) فى (ك) ص ١٣٥ (م).

(٥) ك: أبو العباس تغلب. والصواب: أبو العباس ثعلب، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النهوى المعروف بثعلب. قال ابن خلكان: كان إمام الكوفيين فى النحو واللغة، سمع ابن الأعرابى والزبير بن بكار، وروى عنه الأخفش الأصغر وأبو بكر الأنبارى وأبو عمر الزاهد وغيرهم، وقد توفى سنة ٢٩١. انظر: وفيات الأعيان ٨٤/١ - ٨٧.

(٦) من شئت، وهو تحريف.

(٧) وأشباههما: ساقطة من (ك).

السؤال . ثم قال بعد هذا^(١) : يا كَمَيْلُ ابن زياد، إن ههنا العِلْمَ^(٢) جما لو أصبت^(٣) له حملة .

التعليق على
كلامه

والجواب: أن هذا النقل إن صح عن ثعلب؛ فثعلب لم يذكر له إسنادا حتى يُحتج به . وليس ثعلب من أئمة الحديث الذين يعرفون صحيحه من سقيمه، حتى يُقال: قد صح عنده . كما إذا قال ذلك أحمد أو يحيى ابن معين أو البخارى ونحوهم . بل من هو أعلم من ثعلب من الفقهاء يذكرون أحاديث كثيرة لا أصل لها، فكيف ثعلب؟! وهو قد سمع هذا من بعض الناس الذين لا يذكرون^(٤) ما يقولون عن أحد .

وعلى رضى الله عنه لم يكن يقول هذا بالمدينة، لا فى خلافة أبى بكر ولا عمر ولا عثمان، وإنما كان يقول هذا فى خلافته فى الكوفة، ليعلم أولئك الذين لم يكونوا يعلمون ما ينبغى لهم علمه . وكان^(٥) هذا لتقصيرهم فى طلب العلم، وكان على رضى الله عنه يأمرهم بطلب العلم والسؤال .

ص ٢٢٩ وحديث / كَمَيْلُ بن زياد^(٦) يدل على هذا؛ فإن كميلا من التابعين لم

(١) ك: بعد هذا كله .

(٢) ح، ر، ي: علما . (٣) ك: لو وجدت .

(٤) ن، م: الذين لا يدرون .

(٥) ن: وقد كان .

(٦) كَمَيْلُ بن زياد بن نهيك النخعي، تابعى ثقة، من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه، شهد صفين مع على، وقتله الحجاج سنة ٨٢ هـ . قال ابن حجر: كان ثقة قليل الحديث، وقال ابن حبان: فى الضعفاء لا يحتج به . انظر ترجمته فى: تهذيب التهذيب ٤٤٧/٨ - ٤٤٨؛ الأعلام ٩٣/٦ .

يصحبه إلا بالكوفة، فدل على أنه كان يرى تقصيراً من أولئك عن كونهم حملة للعلم، ولم يكن يقول هذا في المهاجرين والأنصار، بل كان عظيم الثناء عليهم.

وأما أبو بكر فلم يسأل علياً قط عن شيء. وأما عمر فكان يشاور الصحابة: عثمان وعلياً وعبدالرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وغيرهم. فكان عليّ من أهل الشورى، كعثمان وابن مسعود وغيرهما، ولم يكن^(١) أبو بكر ولا عمر ولا غيرهما من أكابر الصحابة يخصان علياً بسؤال. والمعروف أن علياً أخذ العلم عن أبي بكر، كما في السنن عن عليّ، قال: كنت إذا سمعت من^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله به ما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني غيره حديثاً استخلفته، فإذا حلف لي صدقته. وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد مؤمن يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي، ثم يستغفر الله إلا^(٣) غفر الله له»^(٤).

(١) ح: ولا كان.

(٢) ح، ب، ر: عن.

(٣) ح، ر، ي: ثم يستغفر إلا...

(٤) الحديث عن عليّ بن أبي طالب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في: سنن أبي داود ١١٤/٢ - ١١٥ (كتاب الصلاة، باب في الاستغفار) ونصه: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استخلفته فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور، ثم يقوم فيصلي ركعتين، ثم يستغفر الله، إلا غفر الله له» ثم قرأ هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله﴾ إلى آخر الآية. والحديث

﴿فصل﴾^(١)

قال الرافضي^(٢): «وأهمل حدود الله فلم يقتص من خالد بن الوليد ولا حدّه حيث^(٣) قتل مالك بن نويرة، وكان مسلماً^(٤)، وتزوج امرأته [في]^(٥) ليلة قتله وضاجعها. وأشار عليه^(٦) عمر بقتله فلم يفعل^(٧)».

عود الرافضي
للكلام على أبي
بكر رضي الله
عنه

والجواب: أن يقال: أولاً: إن كان ترك قتل قاتل المعصوم مما يُنكر على الأئمة، كان هذا من أعظم حجة شيعة عثمان على عليّ؛ فإن عثمان خير من ملء الأرض من مثل مالك بن نويرة، وهو خليفة المسلمين، وقد قُتل مظلوماً شهيداً بلا تأويل مسوّغ لقتله. وعليّ لم يقتل قَتَلته، وكان هذا من أعظم ما امتنعت به شيعة عثمان عن مبايعة عليّ،

الرد عليه

في سنن الترمذي ٢٥٢/١ - ٢٥٣ (كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة عند التوبة) وقال الترمذي: وحديث عليّ حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه... ٢٩٦/٤ (كتاب التفسير، سورة آل عمران)؛ سنن ابن ماجه ٤٤٦/١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٥٤/١، ١٧٤، ١٧٨. وصحح أحمد شاكر هذه الروايات.

- (١) فصل: ساقطة من (ح)، (ر). وفي (ي): الفصل الثامن والعشرون.
- (٢) في (ك) ص ١٣٥ (م).
- (٣) ك: حين.
- (٤) عبارة «وكان مسلماً»: ساقطة من (ح)، (ر)، (ي).
- (٥) في: ساقطة من (ن)، (م)، (ب). وفي (ك): من.
- (٦) ك: إليه.
- (٧) ح، ب: فلم يقتله؛ ر، ي: فلم يقبل؛ ك: فلم يقتل.

فإن كان عليّ له عذر شرعي في ترك قتل قتلة عثمان، / فعذر أبي بكر
في ترك قتل قاتل مالك بن نويرة أقوى، وإن لم يكن لأبي بكر عذر في
ذلك فعلى أولى أن لا يكون له عذر في ترك قتل قتلة عثمان .

وأما ما تفعله الرافضة من الإنكار على أبي بكر في هذه القضية
الصغيرة، وترك إنكار ما هو أعظم منها على عليّ، فهذا من فرط جهلهم
وتناقضهم .

وكذلك إنكارهم على عثمان كونه لم يقتل عبيد الله بن عمر
بالهرمزان، هو من هذا الباب^(١) .

وإذا قال القائل: عليّ كان معذورا في ترك قتل قتلة عثمان، لأن
شروط الاستيفاء لم توجد: إما لعدم العلم بأعيان القتلة، وإما لعجزه عن
القوم لكونهم ذوى شوكة، ونحو ذلك .

قيل: فشروط الاستيفاء لم توجد في قتل قاتل مالك بن نويرة، وقتل
قاتل الهرمزان، لوجود الشبهة في ذلك . والحدود تُدرأ بالسبّهات .

(١) انظر ما ذكره ابن العربي في «العواصم من القواصم» ص ١٠٦ - ١٠٨ (ط . السلفية،
١٣٧١ بتحقيق أستاذي الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله حيث قال: «وأما امتناعه
عن قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب بالهرمزان، فإن ذلك باطل، فإن كان لم يفعل
فالصحابة متوافرون، والأمر في أوله . وقد قيل: إن الهرمزان سعى في قتل عمر، وحمل
الخنجر وظهر تحت ثيابه، وكان قتل عبيد الله له وعثمان لم يل بعد، ولعل عثمان كان لا
يرى على عبيد الله حقاً، لما ثبت عنه من حال الهرمزان وفعله . . .» . وانظر تعليقات
الأستاذ محب الدين وما نقله عن الطبري من خبر القمادبان بن الهرمزان الذي قال إن
عثمان مكته من عبيد الله بن عمر بن الخطاب وقال له: «يا بني هذا قاتل أبيك، وأنت أولى
به منا، فاذهب فاقتله» وكيف عفا عنه القمادبان . . الخ . وانظر أيضا «العواصم من
القواصم» ص ١٤٦ .

وإذا قالوا: عمر أشار على أبي بكر بقتل خالد بن الوليد^(١)، وعلى

أشار على عثمان بقتل عبيد الله بن عمر.

قيل: وطلحة والزبير وغيرهما أشاروا على علي بقتل قتلة عثمان، مع أن الذين أشاروا على أبي بكر بالقود، أقام عليهم حجة سلموا لها^(٢): إما لظهور الحق معه، وإما لكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد.

وعلى لما لم يوافق الذين أشاروا عليه بالقود، جرى بينه وبينهم من الحروب ما قد علم. وقتل قتلة عثمان أهون مما جرى بالجمل وصفين^(٣) فإذا كان في هذا اجتهاد سائغ، ففي ذلك أولى.

وإن قالوا: عثمان كان مباح الدم.

قيل لهم: فلا يشك أحد في أن إباحة دم مالك بن نؤيرة أظهر من إباحة دم عثمان، بل مالك بن نؤيرة لا يُعرف أنه كان معصوم الدم^(٤)،

(١) ن، م، ي: بقتل الهرمزان، وهو خطأ. (وفي هامش ي صححت بقوله: لعله: بقتل خالد بن الوليد).

(٢) ن، م: سلموها.

(٣) ن: وبصفين.

(٤) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/٣٢١-٣٢٢ عن مالك بن نؤيرة اليربوعي التميمي (انظر ترجمته في الأعلام ٦/١٤٥): «كان قد صانع سجاح حين قدمت من أرض الجزيرة، فلما اتصلت بمسيلمة - لعنهما الله - ثم ترحلت إلى بلادها، فلما كان ذلك ندم مالك بن نؤيرة على ما كان من أمره، وتلوم في شأنه، وهو نازل بمكان يقال له البطاح، فقصدتها خالد بجنوده... فلما وصل البطاح وعليها مالك بن نؤيرة، فبث خالد السرايا في البطاح يدعون الناس، فاستقبله أمراء بني تميم بالسمع والطاعة، وبذلوا الزكوات، إلا ما كان من مالك بن نؤيرة فإنه متحير في أمره، متنع عن الناس، فجاءته السرايا فأسروه وأسروا معه أصحابه، واختلفت السرية فيهم، فشهد أبو قتادة - الحارث بن ربيع الأنصاري - أنهم أقاموا الصلاة، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولا صلوا. فيقال: إن

ولم يثبت ذلك عندنا. وأما عثمان فقد ثبت بالتواتر ونصوص الكتاب والسنة أنه كان معصوم الدم. وبين عثمان ومالك بن نويرة من الفرق ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى.

ومن قال: إن عثمان كان مباح الدم، لم يمكنه أن يجعل علياً معصوم الدم، ولا الحسين؛ فإن عصمة دم عثمان أظهر من عصمة دم علي والحسين. وعثمان أبعد عن^(١) موجبات القتل من علي والحسين. وشبهة قتل عثمان أضعف بكثير من شبهة قتل علي والحسين؛ فإن عثمان لم يقتل مسلماً، ولا قاتل أحداً علي ولايته [ولم يطلب قتال أحد علي ولايته]^(٢) أصلاً؛^(٣) فإن وجب أن يُقال: من قتل خلقاً من المسلمين علي ولايته [إنه]^(٤) معصوم الدم، وإنه مجتهد فيما فعله، فلأن يُقال: عثمان معصوم الدم، [وإنه مجتهد فيما فعله من الأموال والولايات]^(٥) بطريق الأولى والأحرى.

الأسارى باتوا فى كبولهم فى ليلة شديدة البرد، فنادى منادى خالد: أن أذفتوا أسراكم، فظن القوم أنه أراد القتل، فقتلوه، وقتل ضرار بن الأزور مالك بن نويرة... ويقال: بل استدعى خالد مالك بن نويرة فأثبه على ما صدر منه من متابعة سجاح وعلي منعه الزكاة، وقال: ألم تعلم أنها قرينة الصلاة؟ فقال مالك: إن صاحبكم كان يزعم ذلك، فقال: أهو صاحبنا وليس بصاحبك؟ يا ضرار اضرب عنقه، فضربت عنقه... الخ وانظر الى ص ٣٢٣. وقد أسلمت سجاح بعد مقتل مسيلمة. انظر: الأعلام ١١٢/٣.

- (١) ح، ر، ي: من.
- (٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م).
- (٣) أصلاً: ساقطة من (ن).
- (٤) أنه: ساقطة من (ن)، (م)، (ب).
- (٥) ح، ب: والولاية.

ثم يُقال: غاية ما يُقال في قصة مالك ابن نويرة: إنه كان معصوم الدم^(١) وإن خالدا قتله بتأويل، وهذا لا يبيح قتل خالد، كما أن أسامة ابن زيد لما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله. وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أسامة: أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ يا أسامة أقتلته بعد أن قال: لا إله إلا الله؟ [يا أسامة^(٢) أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟]^(٣) فأنكر عليه قتله، ولم يوجب عليه قوداً ولا دية ولا كفارة.

وقد روى محمد بن جرير الطبري وغيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآية [سورة النساء: ٩٤] نزلت في شأن مرداس، رجل من غطفان، بعث النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً إلى قومه، عليهم غالب الليثي، ففر أصحابه ولم يفر. قال: إني مؤمن، فصبحته الخيل، فسلم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فأنزل الله هذه الآية، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برد أمواله إلى أهله وبديته إليهم، ونهى المؤمنين عن مثل ذلك^(٤).

وكذلك خالد بن الوليد قد قتل بني جذيمة متأولاً، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع / خالد»^(٥).

ظ ٢٢٩

ومع هذا فلم يقتله النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان متأولاً.

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتله مع قتله^(٦) غير واحد من

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

(٢) عبارة «يا أسامة»: ساقطة من (ر)، (ي).

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) وسبق هذا الحديث فيما مضى ٥٦٠/١.

(٤) انظر تفسير الطبري (ط. المعارف) ٧٦/٩ - ٧٨.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٨٧/٤. (٦) ح: مع قتل.

المسلمين من بنى جذيمة للتأويل^(١)، فلأن لا يقتله أبو بكر لقتله مالك ابن نويرة بطريق الأولى والأحرى.

وقد تقدم ما ذكره هذا الرافضى من فعل خالد بنى جذيمة، وهو يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقتله، فكيف لم يجعل ذلك حجة لأبى بكر فى أن لا يقتله؟! لكن من كان متبعاً لهواه أعماه عن اتباع الهدى. وقوله: إن عمر أشار بقتله.

فيقال: غاية هذا أن / تكون مسألة اجتهاد، كان رأى أبى بكر فيها أن لا يُقتلَ خالدًا، وكان رأى عمر فيها قتله، وليس عمر بأعلم من أبى بكر: لا عند السنة^(٢) ولا عند الشيعة، ولا يجب على أبى بكر ترك رأيه لرأى عمر، ولم يظهر بدليل شرعى أن قول عمر هو الراجح، فكيف يجوز أن يجعل مثل هذا عيباً لأبى بكر إلا من هو من أقل الناس علماً وديناً؟ وليس عندنا أخبار صحيحة ثابتة بأن الأمر جرى على وجه يُوجب قتل خالد.

وأما ما ذكره من تزوجه بامرأته ليلة قتله؛ فهذا مما لم يُعرف بثبوته. ولو ثبت لكان هناك تأويل يمنع الرجم. والفقهاء مختلفون فى عدّة الوفاة: هل تجب للكافر؟ على قولين. وكذلك تنازعوا: هل يجب على الذميمة عدّة وفاة؟ على قولين مشهورين للمسلمين^(٣). بخلاف عدّة الطلاق؛ فإن تلك سببها^(٤) الوطء، فلا بد من براءة الرحم. وأما عدّة الوفاة فتجب

(٢) ب: السنة.

(١) ن، م: مع التأويل.

(٣) ح، ر، ي: فى المسلمين.

(٤) ح، ب: بسبب.

بمجرد العقد، فإذا مات قبل الدخول بها فهل تعتد من الكافر أم لا؟ فيه نزاع. وكذلك إن كان دخل بها، وقد حاضت بعد الدخول حيضة.

هذا إذا كان الكافر أصليا. وأما المرتد إذا قُتل، أو مات على رَدِّته، ففي مذهب الشافعي وأحمد وأبي يوسف ومحمد ليس عليها عدّة وفاة بل عدّة فرقة بائنة، لأن النكاح بطل برَدِّة الزوج. وهذه الفرقة ليست طلاقا عند الشافعي وأحمد، وهي طلاق عند مالك وأبي حنيفة، ولهذا لم يوجبوا عليها عدّة وفاة، بل عدّة فرقة بائنة، فإن كان لم يدخل بها فلا عدّة عليها، كما ليس عليها عدّة من الطلاق.

ومعلوم أن خالدا قتل مالك بن نويرة لأنه رآه مرتدًا، فإذا^(١) كان لم يدخل بامرأته فلا عدّة عليها عند عامة العلماء^(٢)، وإن كان قد دخل بها فإنه يجب عليها استبراء بحيضة لا بعدّة كاملة في أحد قوليهما، وفي الآخر بثلاث حيض. وإن كان كافرا أصليا فليس على امرأته عدّة وفاة في أحد قوليهما. وإذا كان الواجب استبراء بحيضة فقد تكون حاضت. ومن الفقهاء من يجعل بعض الحيضة استبراء، فإذا كانت في آخر الحيض جعل ذلك استبراءً لدلالته على براءة الرحم.

وبالجملة فنحن لم نعلم أن القضية وقعت على وجه لا يسوغ فيها الاجتهاد والظن بمثل ذلك من قول من يتكلم بلا علم، وهذا مما حرّمه الله ورسوله.

(١) ن، م: فإن.

(٢) ح، ب: الفقهاء؛ ر، ي: الفقهاء العلماء.

﴿فصل﴾^(١)

تابع كلام
الرافضي عل
أبي بكر رضی
الله عنه

قال الرافضي^(٢): «وخالف أمر النبي صلى الله عليه وسلم^(٣) في توريث بنت النبي صلى الله عليه وسلم ومنعها فدكاً^(٤)، وتسمى بخليفة^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يستخلفه».

الرد عليه

والجواب: أما الميراث فجميع المسلمين مع أبي بكر في ذلك، ما خلا بعض الشيعة، وقد تقدم الكلام في ذلك، وبيننا أن هذا من العلم الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأن قول الرافضة باطل قطعاً. وكذلك ما ذكر من فدك، والخلفاء بعد أبي بكر على هذا القول. وأبو بكر وعمر لم يتعلقا من فدك ولا غيرها من العقار بشيء ولا أعطيا أهلها من ذلك شيئاً. وقد أعطيا بني هاشم أضعاف أضعاف ذلك. ثم لو احتج محتج بأن علياً كان يمنع المال ابن عباس وغيره من بني هاشم، حتى أخذ ابن عباس بعض مال البصرة وذهب له. لم يكن الجواب عن علي إلا بأنه إمام عادل قاصد للحق، لا يتهم في ذلك. وهذا الجواب هو في حق أبي بكر بطريق الأولى والأخرى. وأبو بكر

(١) فصل: ساقطة من (ح)، (و). وفي (ي): الفصل التاسع والعشرون.

(٢) في (ك) ص ١٣٦ (م).

(٣) ك: أمر الله.

(٤) ح، ب: فدك.

(٥) ك: ويسمى خليفة.

أعظم محبة لفاطمة ومراعاة لها من عليّ لابن عباس . وابن عباس بعليّ أشبه من فاطمة بأبي بكر؛ فإن فضل أبي بكر عليّ فاطمة أعظم من فضل عليّ على ابن عباس .

وليس تبرئة^(١) الإنسان لفاطمة من الظن والهوى بأولى من تبرئة^(٢) أبي بكر؛ فإن أبا بكر إمام لا يتصرف لنفسه بل للمسلمين ، والمال لم يأخذه لنفسه بل للمسلمين . وفاطمة تطلب لنفسها ، وبالضرورة نعلم^(٣) أن بُعد الحاكم عن أتباع الهوى أعظم من بُعد الخصم الطالب لنفسه؛ فإن علم أبي بكر وغيره بمثل^(٤) هذه القضية لكثرة مباشرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من علم فاطمة .

وإذا كان أبو بكر أولى بعلم مثل^(٥) ذلك ، وأولى بالعدل ، فمن جعل فاطمة أعلم^(٦) منه في ذلك وأعدل ، كان من أجهل الناس ، لا سيما وجميع المسلمين الذين لا غرض لهم هم^(٧) مع أبي بكر في هذه / المسألة ، فجميع أئمة الفقهاء عندهم أن الأنبياء لا يورثون مالا ، وكلهم يحب فاطمة ويعظم قدرها رضى الله عنها ، لكن لا يترك ما علموه من قول النبي صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس ، ولم يأمرهم الله ورسوله أن يأخذوا دينهم من غير محمد صلى الله عليه وسلم : لا عن أقاربه ، ولا عن غير أقاربه ، وإنما أمرهم الله بطاعة الرسول وأتباعه .

(١) ح ، ر ، ي ، م : تنزيه .

(٢) ح ، ب : تعلم .

(٣) ح ، ب : لمثل .

(٤) مثل : ساقطة من (ح) ، (ر) ، (ي) .

(٥) ح ، ب : أعظم . (٦) هم : ساقطة من (ح) ، (ب) . وفى (ن) ، (م) : فهم .

وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: «لا^(١) أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»^(٢) فكيف يسوغ للأمة أن تعدل عمّا علمته من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم / لما يُحكى عن فاطمة في كونها طلبت الميراث، تظن أنها ترث^(٣).

﴿فصل﴾

وأما تسميته بخليفة رسول الله؛ فإن المسلمين سمّوه بذلك. فإن كان الخليفة هو المستخلف، كما ادّعاه هذا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلفه، كما يقول ذلك من يقوله من أهل السنة. وإن كان

(١) ح، ب: ما.

(٢) هذا جزء من حديث عن أبي بكره رضى الله عنه ونصه في: البخارى ٨/٦ (كتاب

المغازى، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر): عن أبي بكره قال:

لقد نفعنى الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعد ما كدت

ألحق بأصحاب الجمل فأقاتل معهم، قال: لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

أهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة». وجاء

الحديث مختصرا في: البخارى ٥٥/٩ (كتاب الفتن، باب حدثنا عثمان بن

الهيثم...). والحديث أيضا في: سنن الترمذى ٣/٣٦٠ (كتاب الفتن، باب ٦٠ حدثنا

موسى بن عبد الرحمن الكندى...); سنن النسائى ٨/٢٠٠ (كتاب آداب القضاة، باب

النهى عن استعمال النساء). والحديث فى المسند (ط. الحلبي) مع اختلاف فى اللفظ

(تملكهم امرأة، استندوا...). انظر ٣٨/٥، ٤٣، ٤٧، ٥٠، ٥١.

(٣) ذكر الأستاذ إحسان ألهى ظهير فى كتابه «الشيعه وأهل البيت» أن من الشيعة من قال

بموافقة فاطمة رضى الله عنها على ما فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه. يقول الأستاذ

إحسان (ص ٨٤-٨٥، ط. باكستان، ١٤٠٣/١٩٨٣) «بل وفى بعض الروايات

الشيعية أنها رضيت على ذلك كما يرويه ابن الميثم فى شرح بهج البلاغة: «إن أبا بكر قال

الخليفة هو الذى خَلَفَ غيره - وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور - لم يحتج فى هذا الاسم إلى الاستخلاف .

[والاستعمال الموجود فى الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم يتناول كل من خَلَفَ غيره: سواء استخلفه] ^(١) أو لم يستخلفه، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة يونس: ١٤]، وقوله [تعالى]: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الآية [سورة الأنعام: ١٦٥]، وقال: ^(٢) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٠]، وقوله: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [سورة الأعراف: ٦٩]، وفى القصة الأخرى: ﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧٤]، ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [سورة الأعراف: ١٤٢] فهذا استخلاف .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ [سورة الفرقان: ٦٢] وقال: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سورة يونس: ٦]: أى هذا يَخْلَفُ هذا، وهذا يخلف هذا، فهما يتعاقبان . وقال موسى: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ

لها: إن لك ما لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يأخذ من فذك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه فى سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به» (شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحرانى ح ٥ ص ١٠٧ ط . طهران) ومثل ذلك ذكر الدنبلى فى شرحه «الدرة النجفية» (ص ٣٣١، ٣٣٢ ط . إيران) . وانظر «الشيعة وأهل البيت» ص ٨٤ - ٩٢ .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م) .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (م) .

تَعْمَلُونَ ﴿ [سورة الاعراف: ١٢٩] وقال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [سورة النور: ٥٥]، وقال للملائكة : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، وقال : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة ص: ٢٦].

فغالب هذه المواضع ليكون الثاني خليفة عن الأول، وإن كان الأول لم يستخلفه.

وسُمِّي الخليفة خليفة لأنه يخلف من قبله، والله تعالى جعله يخلفه، كما جعل الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل. ليس المراد أنه خليفة عن الله، كما ظنه بعض الناس، كما قد بسطناه في موضع آخر. والناس يسمون ولاة أمور المسلمين الخلفاء. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»^(١).

ومعلوم أن عثمان لم يستخلف علياً، وعمر لم يستخلف واحداً معيناً، وكان يقول: «إن أستخلف فإن أبا بكر استخلف، وإن لم أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف».

وكان مع هذا يقول لأبي بكر: يا خليفة رسول الله.

وكذلك خلفاء بني أمية وبني العباس، كثير منهم لم يستخلفه من قبله. فَعُلِمَ أن الاسم عام فيمن خَلَفَ غيره.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٦٤/٤.

وفى الحديث - [إن صح] -^(١): «وددت أنى رأيت» أو قال: «رحمة الله على خلفائى». قالوا: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟ قال: «الذين يُخَيِّون ستى ويعلمونها الناس»^(٢).

وهذا إن صح من قول النبى صلى الله عليه وسلم فهو حجة فى المسألة، وإن لم يكن من قوله فهو يدل على أن الذى وضعه كان من عادتهم استعمال لفظ «الخليفة» فىمن خَلَف غيره وإن لم يستخلفه، فإذا قام مقامه وسدَّ مسدَّه فى بعض الأمور فهو خليفة عنه فى ذلك الأمر.

تم بحمد الله الجزء الخامس من كتاب «منهاج السنة النبوية» لابن تيمية، ويتلوه - إن شاء الله -
الجزء السادس وأوله: فصل قال الرافضى: ومنها ما
رووه عن عمر... الخ

(١) إن صح: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) ذكر السيوطى الحديث فى «الجامع الكبير» ١/٥٣٥ وأوله: «رحمة الله على خلفائى...» وقال فى آخره: «أبو النصر السجزي فى الإبانة كر (ابن عساكر فى تاريخه) عن الحسن بن على».

فهرس موضوعات الجزء الخامس
من كتاب «منهاج السنة النبوية»

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثاني: كلام الرافضى على فضائل على
٥ - ٦	رضى الله عنه
٦ - ١٥	الرد عليه
١٣ - ١٥	فصل: الكلام على حديث الكساء ..
	الفصل الثالث: كلام الرافضى عن قوله
١٥	تعالى: فقدّموا بين يدي نجواكم صدقة ..
١٦ - ١٧	الرد عليه
	الفصل الرابع: تابع كلام الرافضى عن فضائل
١٨	على رضى الله عنه
١٨ - ٢٢	الرد عليه
	الفصل الخامس: نسب الرافضى حديثا
	موضوعا إلى الإمام أحمد: أن
٢٢	على هو الوصى
٢٣	الرد عليه
	الفصل السادس: تابع كلام الرافضى

	عن فضائل عليّ رضی الله
٢٥ - ٢٤	عنه
٢٦ - ٢٥	الرد عليه
	الفصل السابع: حديث موضوع آخر
	يذكره الرافضي في فضائل عليّ
٢٧ - ٢٦	رضي الله عنه
٢٨ - ٢٧	الرد عليه
	الفصل الثامن: حديث آخر صحيح
	يذكره الرافضي: قال لعليّ: أنت
٢٨	مني وأنا منك
٣٠ - ٢٩	التعليق على كلامه
	الفصل التاسع: تابع كلام الرافضي
	عن فضائل عليّ رضی الله عنه:
	قال عمرو بن ميمون: لعليّ
٣٣ - ٣٠	عشر فضائل ليست لغيره
٣٦ - ٣٣	الرد عليه
	الفصل العاشر: تابع كلام الرافضي عن
	فضائل عليّ رضی الله عنه:
٤١ - ٣٦	كلام أخطب خوارزم
٥٠ - ٤١	الرد عليه

	الفصل الحادى عشر: تابع كلام الرافضى
٥٩ - ٥٠	عن فضائل علىّ رضى الله عنه
٦٦ - ٥٩	الرد عليه
٦٩ - ٦٦	فصل
٧١ - ٦٩	فصل
٧٢	فصل
	فصل: تابع كلام الرافضى عن فضائل
٧٣ - ٧٢	علىّ رضى الله عنه
٧٨ - ٧٣	الرد عليه
	فصل: تابع كلام الرافضى عن فضائل
٧٨	علىّ رضى الله عنه
٨٠ - ٧٩	الرد عليه
	فصل: قال الرافضى: المطاعن فى الصحابة
	كثيرة حتى صنف الكلبى كتاب «مثالب
	الصحابة» ولم يذكر فيه منقصة واحدة
٨١	لأهل البيت
٨٣ - ٨١	الرد عليه
	يرتفع عقاب الذنوب فى الآخرة
٨٣	بأسباب متعددة

استطراد طويل : قاعدة جامعة في هذا

الباب ٨٣ - ٤٦١

الكلام في تصويب المجتهدين وتخطئهم وتأنيهم في

مسائل الفروع والأصول ٨٤ - ١٢٥

فصل ١٢٦ - ٢٣٣

زعم الرافضة أن إجماعهم هو إجماع

العترة وأن إجماع العترة معصوم ١٦٥ - ١٦٦

الحق لا يخرج عن أهل السنة

لأن كل ما اجتمعوا عليه فهو مما

جاء به الرسول ١٦٦

إجماع الصحابة يغنى عن دعوى أى

إجماع آخر ١٦٦ - ١٦٧

أهل الكتاب معهم حق وباطل ١٦٧ - ١٧٣

أقوال الرافضة التى انفردوا بها عن

الجماعة فى غاية الفساد ١٧٣ - ١٧٧

الأقوال التى انفردت بها الطوائف المنتسبة

إلى السنة من أهل الكلام والرأى لا

تكون صوابا إلا إذا وافقت السنة

وأقوال الصحابة ١٧٨ - ١٨١

استطراد لبيان أن الحق دائما مع

السنة والآثار الصحيحة ١٨٢ - ٢٣٣

فصل ٢٣٤ - ٣٨٨

التعليق على كلام بعض الصوفية الذى

	يتضمن الاتحاد والحلول ووحدة الوجود
٣٨٣ - ٣٣١	والقول باكتساب النبوات
٣٨٨ - ٣٨٣	الكلام على رؤية الله تعالى
٤٦١ - ٣٨٨	فصل
٤١٦ - ٣٨٨	الكلام على محبة الله
	الكلام على أن القرآن كلام الله
٤٢٩ - ٤١٦	غير مخلوق
٤٦١ - ٤٢٩	الرد على أهل النظر وأهل الرياضة
	عود إلى مناقشة ابن المطهر
	بعد الاستطراد الطويل: كلام ابن المطهر
	عن بعض مثالب أبي بكر رضى الله
٤٦١	عنه - في زعمه
٤٦٧ - ٤٦١	الرد عليه
٤٦٩ - ٤٦٨	فصل
	تابع كلام الرافضى على أبي بكر
٤٦٨	رضى الله عنه
٤٦٩	الرد عليه
٤٨١ - ٤٦٩	فصل
٤٦٩	تابع كلام الرافضى
٤٨١ - ٤٦٩	الرد عليه

٤٨٢ - ٤٨١ فصل
	تابع كلام الرافضى على أبى بكر
٤٨١ الصديق رضى الله عنه
٤٨٢ - ٤٨١ الرد عليه
٤٨٤ - ٤٨٢ فصل
٤٨٢ تابع كلام الرافضى
٤٨٤ - ٤٨٢ الرد عليه
٤٨٥ - ٤٨٤ فصل
٤٨٥ - ٤٨٤ تابع كلام الرافضى
٤٨٥ الرد عليه
٤٨٩ - ٤٨٥ فصل
٤٨٦ - ٤٨٥ تابع كلام الرافضى
٤٨٩ - ٤٨٦ الرد عليه
٤٩٤ - ٤٨٩ فصل
	تابع كلام الرافضى على أبى بكر
٤٨٩ الصديق رضى الله عنه
٤٩٤ - ٤٨٩ الرد عليه
٤٩٥ - ٤٩٤ فصل
	تابع كلام الرافضى على أبى بكر
٤٩٤ رضى الله عنه

الصفحة	الموضوع
٤٩٥ - ٤٩٤	الرد عليه
٤٩٦ - ٤٩٥	فصل
٤٩٥	تابع كلام الرافضى
٤٩٦ - ٤٩٥	الرد عليه
٥٠٦ - ٤٩٦	فصل
٤٩٦	تابع كلام الرافضى
٥٠٦ - ٤٩٦	الرد عليه
٥٠٩ - ٥٠٦	فصل
	تابع كلام الرافضى وفيه الكلام
٥٠٧ - ٥٠٦	على علم على رضى الله عنه
٥٠٩ - ٥٠٧	الرد عليه
٥١١ - ٥١٠	فصل
	تابع كلام الرافضى على فضائل
٥١٠	على رضى الله عنه
٥١١ - ٥١٠	التعليق على كلامه من وجوه
٥١١ - ٥١٠	الوجه الأول
٥١١ - ٥١٠	الوجه الثانى
٥١٣ - ٥١١	فصل
	تابع كلام الرافضى على علم على
٥١٢ - ٥١١	رضى الله عنه

٥١٣-٥١٢	التعليق على كلامه
٥٢٠-٥١٤	فصل
		عود الرافضى للكلام على
٥١٤	أبى بكر رضى الله عنه
٥٢٠-٥١٤	الرد عليه
٥٢٣-٥٢١	فصل
		تابع كلام الرافضى على أبى بكر
٥٢١	رضى الله عنه
٥٢٣-٥٢١	الرد عليه
٥٢٦-٥٢٣	فصل
		الكلام على تسمية أبى بكر
		رضى الله عنه بخليفة رسول الله
٥٢٦-٥٢٣	صلى الله عليه وسلم
٥٣٤-٥٢٧	فهرس موضوعات الجزء الخامس

رموز الكتاب

- ١ - ن = نسخة نور عثمانية باستانبول .
- ٢ - م = نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .
- ٣ - ب = النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق .
- ٤ - ع = نسخة عاشر أفندي باستانبول .
- ٥ - ا = نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد .
- ٦ - ق = نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد .
- ٧ - و = نسخة الولايات المتحدة الأمريكية .
- ٨ - ل = مخطوطة جامعة الإمام الأولى .
- ٩ - ص = مخطوطة جامعة الإمام الثانية .
- ١٠ - هـ = مخطوطة جامعة الإمام الثالثة .
- ١١ - ح = مخطوطة جامعة الإمام الرابعة .
- ١٢ - س = مخطوطة جامعة الإمام الخامسة .
- ١٣ - ر = مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى .
- ١٤ - ي = مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية .
- ١٥ - ك = كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلي .